

المكتبة اليقنتية التأريخية

الشّرّاد، سرّ الشّرّاد
شّرّ كريمة، دوّامة الرّحمة

تُبَيَّنُ الشِّفَاعَةَ
دَعْيَةُ شَرّ الشّرّادِينِ

شِفَاعَةُ شَرّ الشّرّادِينِ

آهَ شَرّ شَرّادِ

شَرّ شَرّادِ - آهَ شَرّ شَرّادِ
شَرّ شَرّادِ - بَرِّيَّةُ شَرّ شَرّادِ

العقود اللؤلؤية

في تاريخ الدولة الرسولية

المكتبة اليمنية
مشروع ثقافي لنشر ذخائر التراث اليمني

صدر منه :

- ١ - الجزء الاول من الإكليل للهمداني
تحقيق الأستاذ محمد بن علي الأكوع .
- ٢ - الجزء الثاني من الإكليل للهمداني
تحقيق الأستاذ محمد بن علي الأكوع .
- ٣ - قرة العيون بأخبار اليمن الميمون لمحات الدبيع
تحقيق الأستاذ محمد بن علي الأكوع .
- ٤ - المفید في اخبار صنعاء وزبید لعمارة اليمنی .
تحقيق الأستاذ محمد بن علي الأكوع .
- ٥ - تفسیر الدامعة للهمداني .
تحقيق الأستاذ محمد بن علي الأكوع .
- ٦ - الجزء الثامن من الإكليل للهمداني .
تحقيق الأستاذ محمد بن علي الأكوع .
- ٧ - المقالة العاشرة من سرائر الحکمة للهمداني .
تحقيق الأستاذ محمد بن علي الأكوع .

٨ - نظام الغريب لعيسى بن ابراهيم الربعي الوحاطي .

تحقيق الأستاذ محمد بن علي الاكوع .

٩ - صفة جزيرة العرب للهمданى .

تحقيق الأستاذ محمد بن علي الاكوع .

تحت الطبع

١١ - السلوك في طبقات العلماء والملوك للبهالجندى .

تحقيق الأستاذ محمد بن علي الاكوع .

١٢ - الجوهرتان العتيقتان للهمدانى .

تحقيق الأستاذ محمد بن علي الاكوع .

١٣ - التقصار في جيد علامة الامصار لمحمد بن حسن السجني الدماري .

١٤ - نزهة المعتبر في فضائل جبل صبر للدخلافي .

تحقيق الأستاذ محمد بن علي الاكوع .

١٥ - كشف اسرار الباطنية لمحمد مالك الحمادي المعافري .

تحقيق الأستاذ محمد بن علي الاكوع .

١٦ - الاختصاص في تاريخ الرازى .

ليسري بن ابراهيم العرشاني .

تحقيق الأستاذ محمد بن علي الاكوع .

١٧ - تصحيح العقود المؤلية للخزرجي .

للاستاذ محمد بن علي الاكوع .

العقود الولوية في تاريخ الدولة الرسولية

تأليف الشيخ
علي بن الحسن المزري

عني بتصحيحه وتنقيحه
الشيخ محمد بسيونى عسل

الجزء الأول

مركز الدراسات والبحوث اليميني - جناد
دار الآداب - بيروت، لبنان

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

مطبعة الهلال بالفجالة بمصر

سنة ١٩١١

الطبعة الثانية

١٤٠٣

كانون الثاني ١٩٨٣

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

ان مجرد نظره فاحصة ، وبامعان ، لمقدمة المصحح الأول الأستاذ الفاضل الشيخ خمد بسيوني عسل رحمه الله تكشف ما واجهه من صعوبات في التصحيح ، وما لاقاه من عناء وتعب ، الأمر الذي يعذر منه ويعذر له على ما مر فيه من بياض غفل وفجوات فارغة ومن تصحيف وتحريف في الأصل استعصى عليه فهمها فوضعها كما هي .

وعذرها واضح بـين ، ذكر البعض في مقدمته ، ألا وهو فقدانه المراجع التي يرجع اليها في التصحيح ، ومنها قلة معلوماته وضعف دراساته عن بلد هو عنده بمثابة وليس بخبير عن رجالاته واعلامه واسماء بقائه وبلدانه .

ومهما يكن ، فقد قدم أمام عمله خلوص النية وصدق الطوية ، وكفى بذلك تركية له فترجي إلى روحه الطاهرة الثناء المستطاب والشكر العاطر ممزوجاً بالدعوات بأن يسقيه الله بوابل رحمته وان ينزل عليه الضياء والنور .

غير ناسين فضل بعض العلماء المستشرين الغربيين الذين هم أول من أيقظوا أهتمم بنشر ذخائر العرب وبعثوها من مراقدها وانتشلوها من وهنها وهي تعد بآلاف وعشرة آلاف ، من اندر التراث العربي وأثمنه .

فتحن - بحق - مدينتون لهم بفضيلة السبق وبالدرجة الأولى ، ثم لإخواننا الأعلام المصريين الذين حازوا قصبات السبق فملأوا مكاتب العالم الإسلامي بمختلف المطبوعات وبشتي العلوم والفنون فجزاهم الله خير الجزاء . حتى لقد حرص بعض المستشرقين مثل الأستاذ « جب » ان يوقف حياته وغضنه الرطيب في دراسة الكتب العربية النادرة وغيرها وآدابها وتاريخها وفلسفتها ودين أهلها فاهتصرت له المنية وهو في الخامسة والأربعين من عمره ولم ينعم بشرفات جهوده فأرادت أمه السيدة « جب » ان تخلي ذكر عزيزها وفلذة كبدتها الذي عجلت المنية بانتهائه قبل تمام بناءه فوقفت لهذا الغرض « ستة آلاف جنيه » الى آخر ما ذكر في المقدمة .

ثم ، بربك ، قارن بين هذا المستشرق وأجل نظرك الى الماضي القريب عهد الحكم المباد : بيت حميد الدين الذين ملكوا ناصية اليمن قرابة سبعين عاماً ، هل ترى كتاباً واحداً تناولته أيديهم بالنشر والطباعة ، وبعثوه من رسمه وأحيوه من دارس يومه وأمسه ؟ ان الجواب سيكون لا وألف لا ، رغم أن الطباعة لتلك العهود كانت رخيصة وميسورة وبنفقات زهيدة وفي متناول كل إنسان منها كانت ماليته ، اللهم إذا استثنينا فلتات قام بها الأمير الشهيد عبد الله بن الامام يحيى والملقب سيف الاسلام ووزير المعارف ، فإنه طبع ونشر كتاباً قليلة بعد بالأصابع بطبععة صناعه التي هي من مخلفات العهد العثماني ومن أوراقهم أيضاً . على أني أعتقد جازماً ان الامام يحيى ومعه ابنه أحمد ولـي العهد والامام أخيراً كانوا غير راضين بهذا النشاط الفكري .

ونحن نستثنـي أيضاً مطبوعات الشيخ العـلامـ المؤـرـخـ عبدـ الوـاسـعـ بنـ يـحيـيـ الـواسـعيـ الأـسيـ المتـوفـيـ سـنةـ ١٣٧٩ـ ، كـشـرـ الأـزـهـارـ وـالـفـرـائـضـ وـشـمـسـ الـأـخـبـارـ وـتـارـيـخـهـ بـالـلـوـرـقـ الـأـصـفـرـ وـبـجـهـودـ فـرـديـ ، وـمـعـ هـذـاـ فـلـمـ يـلـقـ شـرـحـ الـأـزـهـارـ ، عـنـدـ اوـاسـطـ الـفـقـهـاءـ الـمـتـفـهـقـةـ ، رـوـاجـاـ لـاـنـهـ فـقـدـ الصـبـغـةـ الـمـذـهـبـةـ وـهـوـ قـوـلـهـمـ «ـ هـبـ » وـ«ـ قـرـزـ » ، أـيـ هـذـاـ الـمـذـهـبـ الصـحـيـحـ الـمـعـتـمـدـ وـقـرـرـهـ زـيـدـ بـنـ عـبـدـ اللهـ الـأـكـوـعـ الـحـوـالـيـ الـذـمـارـيـ وـأـخـيـراـ اـشـتـرـاهـ الـأـمـامـ يـحـيـيـ بـشـمـنـ بـخـسـ وـكـدـسـهـ فـيـ مـخـازـنـهـ كـتـدـبـسـهـ

الأصفر الرنان والفضة البيضاء .

واذكر وأنا طفل بين الأطفال في « المعلامة » نتسكع في حلقة مفرغة نبحث عن مصحف « ختمه » لتعلم القراءة والهجاء منها فلم نجد شيئاً سوأً حينما كنا في قرية « الداري » « خبان » او بمدينة ذمار. وما عرفنا المصاحف الا عن طريق مطابع الهند : حيدر أباد الدكن وأخيراً عن مطابع القاهرة التي غطت جميع الأسواق والى يوم الناس هذا ونحن عالة على الناس .

ولما قامت الثورة المجيدة في يوم الخميس ٢٨ ثمانية وعشرين خلت من ربيع الآخر سنة ١٣٨٢ اثنين وثمانين وثلاثمائة وألف من الهجرة الموافق ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٦٢ اثنين وستين وتسعمئة والف ميلادية ، كانت الآمال عريضة والطموحات تداعينا وتجهاز حدود المعقول والتصورات فوق الخيالات إذ بالشورة تصطدم بصخرة عاتية وبخطر داهم وخطب مهول - فترسق فرائصها وتتعثر مسيرتها وكادت تختنق في مهدها لما واجهته من الحروب الشرسة والنزيف الدموي من اليمنيين انفسهم وفي أنفسهم تدعهم جهات متعددة وكرها وتسللاتها وامداداتها من الجار الملائق والى يوم الناس هذا. ورغم هذا كله فلا زال الزحف الشوري يتخطى الأشواك ويتحدى الأخطر وبكل شجاعة وبأس ولا ولن تعود عقارب الساعة الى الوراء .

وبدأت إطلالة تشع من وزارة الإعلام بنشر وطبع كتب التراث اليمني على علاقته وبالتصوير على عواهنه بدون مراجعة على اصوله وتوثيقها وتصحيح ذلك ولا بوضع مقدمة ولا ترجمة للمؤلف ولا فهارس للموضوعات ولا للإعلام الشخصية ولا للبلدان مما هو من متطلبات الكتاب ومحاجة اليه بالضرورة للباحث الحريص والمنقب للفائدة .

وما أحوج وزارة الإعلام وغيرها من المصالح التي تهتم بإحياء التراث الى رجال محلصين ذوي خبرة كاملة ومقدرة لائقة واطلاع واسع ومعرفة نافذة ودقة مناهبة وآيمان صادق وقلم سيال وذهن وقاد .

ومن اشعاعات الثورة التي لا يستهان بها ولها مستقبل ان شاء الله زاهر تأسيس مركز الدراسات والبحوث اليمني الذي يرأسه زين الشباب الدكتور عبد العزيز بن صالح المقالح الرعيري الحميري حفظه الله . فقد قام المركز بطبع بعض كتب التراث على منوال وشاكلة ما قامت به وزارة الاعلام سواءً بسواء .

هذا ، وقد التمس مني المركز ان اعيد النظر في مراجعة وتصحيح هذا الكتاب « العقود اللؤلؤية » ليعود طبعه من جديد وبثوب قشيب وحتى يقال : هذه بضاعتُنا رُدّت إلينا ، فلبيت هذا الالئاس خدمة للعلم والوطن العزيز ولابناء بلدي ، وقمت بكل ما عندي من جهد ونشاط لتصحيح الكتاب بجزئيه من فاتحته الى خاتمه كلمة كلمة وسطراً وصفحة صفحة ، جلوت عنه المبهمات وغطيت ما فيه من هفوات وملأ ما فيه من فراغ وبعثته حيّاً سوياً .

فالليك أيها القارئ كتاب « العقود اللؤلؤية » في تاريخ الدولة الرسولية » كاسمه منظماً منضداً منقحاً مهذباً في سمعته الدرى» الوضاء سائلاً من الله العفو والعافية وحسن الختام .

وسبحان الله وبحمده وسبحان الله العظيم

وحرر بتاريخه خمس ممضت من ربیع الأول سنة ١٤٠٢ هـ اثنين وأربعين
والف .

الموافق ٣١ واحد وثلاثون ديسمبر سنة ١٩٨١ هـ إحدى وثمانين وتسعمئة
والف ميلادية .

خوايدم العلم

محمد بن علي ابن الحسين الأكوع الحوالي

ترجمة المؤلف الخزرجي

أسمه ونسبه

هو موفق الدين ابو الحسن علي بن الحسن بن وهاس الخزرجي الزبيدي ،
يرتفع نسبه الى الصحابي الجليل قيس بن سعد بن عبادة الانصاري الخزرجي سيد
الخزرج .

مَنْ ترجم له

ترجم له الحافظ احمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ في كتابه « إنباء الغمر بأنباء العُمر » ج ٢ - ٤٤١ ، وفي كتابه « الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة » وترجم له السخاوي المتوفى سنة ٩٠٢ هـ في كتابه « الضوء الالمعم » ج ٥ - ٢١٠ ، وفي « شذرات الذهب » ج ٧ - ٩٧ ، لابن العياد المتوفى سنة ١٠٩٨ تسع وثمانين والف هـ وفي كتاب « آداب اللغة العربية » لجرجي زيدان المتوفى سنة ١٩١٤ مـ ج ٣ - ٢٠٥ وترجمنا له في « قرة العيون » ج ١ - ١٩ .

والعجب من العلامة الفاسي صاحب تاريخ مكة المسمى « العقد الشمين في تاريخ البلدان » فإنه التقى بالخزرجي واجتمع به بمدينة زبيد وحاج الخزرجي وينقل عنه كثيراً ولم يترجم له وهذا ان دل فاما يدل على قصور الانسان وعجزه عن درجة الكمال .

وكل هؤلاء المؤرخين يثنون على صاحبنا الخزرجي ثناء عاطراً ويشيدون بمواهبه ونبيوته .

وما قاله الحافظ ابن حجر : « واشتغل بالادب ففاق اقرانه ومدح الافضل والاشرف ثم الناصر وكانوا يقتربون عليه الاشعار في المهمات فیأتى بها على احسن وجه وكان طريقة شعره الانسجام والسهولة دون تعانى المعاني التي هج بها المؤاخرون ». .

وقال في الدرر الكامنة : « بعد الثناء عليه واجتمعت به في زبيد وقد جمع لبلده تاريخاً وآخر بالحرف ». .

قال الحوالى : ومؤلفاته في التاريخ التي وصلتنا خبر وجودها ثلاثة توارييخ :
١ - « المسجد المسبوك في من تولى اليمن من الملوك » ، وقد صورته وزارة الاعلام على علائه وفي خزانتي منه ثلاث نسخ إحداها مخطوط واثنتان مصورتان ، وقد رتبه على السنين مبتدئاً من ظهور الاسلام الى آخر حياة الملك الأشرف اسماعيل بن الملك الأفضل العباس وتوفى سنة ٨٠٣ هـ .

٢ - « العقود المؤلية في تاريخ الدولة الرسولية » ، وهو الذي بين ايدينا ، ورتبه على السنين سنة سنة وشهرأً شهراً من أول دولة الملك المنصور عمر بن علي رسول مؤسس الدولة الرسولية الغسانية باليمن الى آخر دولة الملك الأشرف المذكور ، يذكر الحوادث العامة ثم الترافق ملء مات في تلك السنة . وقد عول كثيراً على تاريخ الجندي ، ولم يكن من هذا الكتاب الا نسخة في المكتب الهندي في « لندن » وهو هذا الذي اعيد طبعه بعد التصحح .

٣ - « طراز اعلام الزمن في ترافق اعلام اليمن » وهو مرتب على الحروف وابتدا فيه بأكابر الصحابة والتبعين من أهل اليمن الى أيامه ، وتوجد منه نسخة في « المتحف البريطاني » ، والجزء الأول منه في مكتبة جامع صنعاء ، ويدخل هذا الكتاب فيما أحسب في أربع مجلدات .
وينسب اليه « كتاب الكفاية والاعلام » ، فيمن تولى اليمن من الاسلام »
وتوجد منه نسخة في مكتبة باريس ، وآخر في لندن .

وله ديوان شعر ومجموع رسائله ، لم نعثر عليهما بعد ، ولله قصيدة

« الدامغة » ردّها على بعض معاصريه .

وفاته

كانت وفاته بمدينة زبيد سنة ٨١٢ هـ اثنى عشرة وثمانية من الهجرة ، وقيل

كانت وفاته في المحرم من السنة المذكورة منصرفه من الحج وذلك بمدينة حرض .

مقدمة المصحح

الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله

(أما بعد) فقد عهد إلى تصحيح كتاب « العقود المؤلبة في تاريخ الدولة الرسولية » . تأليف الشيخ علي بن الحسن الخزرجي الذي عني بطبعه أمينه أوقاف المغفور له « جب » من نسخة خطية قديمة كانت ملكاً معتمداً خان عالمكيري ثم انتقلت منه إلى قمر الدين خان أحد وزراء محمد شاه ثم أهداها ورن هيستنجز إلى دار كتب ديوان الهند بلندن .

ولكون هذه النسخة الخطية ليست مشكولة ولا منقوطة لاقت في إصلاح الكتاب صعوبة عظيمة لا سيما أنني لم أتمكن من الحصول على الكتب التي نقل عنها المؤلف .

ولهذا لم أر سبيلاً لطبع ما وجدته ممحواً أو خفياً في الأصل الخططي بل اكتفيت بالتنبيه على الممحو وطبع الخفي كما هو في النسخة الخطية . ولكنني مع ذلك صرفت وقتاً ليس بالقليل في إصلاح ما عن لي خطأه وفي ردّ عدد عظيم من الأبيات الشعرية المكسورة إلى شعر موزون مع المحافظة على المعنى الذي قصده القائل قدر الاستطاعة .

هذا وأرى من الضروري أن أذكر هنا لمحات عن أوقاف ذكرى المغفور له جب التي كانت سبباً في تعميم النفع بكثير من الكتب النادرة العربية والتركية والفارسية كان المغفور له جب (Gibb , W. J.) مولعاً بدراسة اللغات العربية

والتركية والفارسية وقف حياته على دراسة تاريخها وأدابها وفلسفتها ودين أهلها ومات وهو في الخامسة والأربعين من عمره في الخامس ديسمبر سنة ١٩٠١ فارادت والدته المخضور لها السيدة جب من أهالي جلاسكو في سكتلند ان تخلد ذكرى عزيزها وفلذة كبدتها الذي عجلت المنيه بانتهائه قبل تمام ينوعه فوقت لهذا الغرض مبلغ ستة آلاف جنيه لصرف ريعه على البحث والتقييـب في تاريخ اللغات العربية والتركية والفارسية وأدابها وفلسفتها ودينهـا وجعلـت الـوقف تحت تصرف سـبعة أمنـاء لـأنـفاق دـخلـهـ في تـحـقـيقـ تلكـ الأمـنيـةـ إـماـ بـطـبعـ الكـتبـ النـادـرـةـ فيـ تـلـكـ اللـغـاتـ حـتـىـ تـيـسـرـ لـلـذـينـ يـعـنـونـ بـهـاـ وـلـاـ يـمـنـعـهـمـ عـنـ اـقـتـائـهـاـ إـلـاـ تـعـذـرـ الـحـصـولـ عـلـيـهـاـ أوـ كـثـرـ ثـمـنـهـاـ .ـ وـإـمـاـ بـتـرـجـمـةـ الـكـتبـ المـفـيـدـةـ فيـ تـلـكـ اللـغـاتـ أوـ شـرـائـهـاـ .ـ وـإـمـاـ بـتـخـصـيـصـ إـعـانـاتـ لـمـنـ يـقـومـ بـالـقـاءـ درـوسـ تـعـلـقـ بـالـلـغـاتـ الشـرـقـيـةـ المـتـقـدـمـةـ وـإـمـاـ بـصـرـفـ مـقـدـارـ مـنـ الـنـقـودـ لـلـسـفـرـ إـلـىـ أيـ بلدـ بـقـصـدـ الـبـحـثـ وـتوـسيـعـ نـطـاقـ الـمـعـلـومـاتـ فـيـماـ يـخـتـصـ بـتـلـكـ اللـغـاتـ الشـرـقـيـةـ .ـ وقدـ ظـهـرـتـ ثـمـرـةـ هـذـاـ الـعـمـلـ الجـلـيلـ بـطـبعـ عـدـةـ كـتبـ عـظـيمـةـ النـفـعـ فيـ الـلـغـاتـ العـرـبـيـةـ وـالـتـرـكـيـةـ وـالـفـارـسـيـةـ وـأـوـدـعـتـ نـسـخـ مـنـهـاـ فيـ دـيـارـ الـكـتبـ الـعـمـومـيـةـ وـأـهـدـيـتـ أـخـرـ إلىـ الـإـسـاتـذـةـ الـذـيـنـ لـهـمـ عـنـيـةـ بـهـذـهـ الـلـغـاتـ الشـرـقـيـةـ .ـ

وـلـاـ أـرـىـ بـدـأـ مـنـ أـنـ ذـكـرـ هـنـاـ كـيـفـ وـقـعـ الـاخـتـيـارـ عـلـىـ طـبعـ كـتـابـ «ـالـعـقـودـ الـلـؤـلـؤـيـةـ فيـ تـارـيـخـ الـدـوـلـةـ الرـسـوـلـيـةـ»ـ .ـ

لـمـ أـنـعـمـتـ جـامـعـةـ كـمـبـرـدـجـ عـلـىـ سـيرـ جـيمـزـ رـدـهـوـسـ (ـ Sir James Redhouseـ)ـ فيـ يـونـيـهـ سـنـةـ ١٨٨٤ـ بـدـرـجـةـ دـكـتـورـ فـيـ الـآـدـابـ (ـ Doctor of Lettersـ)ـ مـكـافـأـةـ لـهـ عـلـىـ خـدـمـاتـهـ الـعـلـمـيـةـ الـفـرـيـدـةـ فـيـ بـابـهـ لـلـغـةـ التـرـكـيـةـ خـصـوصـاـ وـالـعـلـمـوـنـ الشـرـقـيـةـ عـمـومـاـ صـمـمـ عـلـىـ أـنـ يـقـدـمـ لـلـجـامـعـةـ عـمـلـاـ عـلـمـيـاـ يـخـلـدـ بـهـ شـكـرـانـ تـلـكـ النـعـمةـ التـيـ أـسـدـتـهـاـ إـلـيـهـ الـجـامـعـةـ فـيـدـأـ بـنـسـخـ كـتـابـ «ـالـعـقـودـ الـلـؤـلـؤـيـةـ فيـ تـارـيـخـ الـدـوـلـةـ الرـسـوـلـيـةـ»ـ بـخـطـيـدـهـ مـنـ النـسـخـةـ الـخـطـيـةـ الـقـدـيـمـةـ الـمـوـدـعـةـ فـيـ دـارـ كـتـبـ دـيـوانـ الـهـنـدـ بـلـنـدـنـ فـنـسـخـ الـكـتـابـ بـعـنـيـةـ عـظـيمـةـ عـلـىـ أـنـهـ لـمـ يـكـنـ مـنـ الـذـيـنـ يـنـطـقـونـ بـالـضـادـ .ـ وـعـانـىـ وـالـحـقـ يـقـالـ فـيـ عـمـلـهـ هـذـاـ مـشـقـةـ عـظـيمـةـ وـجـعـلـ مـاـ نـسـخـهـ فـيـ مـجـلـدـ أـنـيـقـ ثـمـ تـرـجـمـهـ بـخـطـيـدـهـ إـلـىـ الـانـجـلـيزـيـةـ فـيـ

مجلدين وكتب شرحاً للكتاب في مجلد رابع ثم رتب للكتاب فهراً ورسم خريطات توضح الأماكن التاريخية التي أتى عليها الخزرجي في تاريخه وجعل هذه في مجلد خامس ثم أهدى المجلدات الخمسة بين دفات من الجلد المغربي إلى دار الكتب بجامعة كمبردج في قمطر جمبل لتكون هديته تمثال شكر للجامعة على عمر الأيام . واستمر الكتاب في دار الكتب وربما لم يفتحه أحد للقراءة من عهد وضعه حتى عنى البروفسر ادوارد برون (Professor Edward G. Browne) بحصر الكتب العربية بدار الكتب فرأى أن عملاً جليلاً كهذا لا يليق أن يترك راكداً لا ينتفع به . ولعلمه أن علاقة الصحبة كانت متمكنة بين سير ردهوس ومستر جب لا سيما أن الأخير كان تلميذاً محبوباً للأول في اللغات الشرقية رأى أن خير عمل يقوم به وقف ذكرى المغفور له جب هو إحياء كتاب صرف فيه أعز أصدقاء مستر جب نفيس وقته فأشار على أسنانه الوقف بصفته واحداً منهم بطبع الكتاب من نسخة سير ردهوس . ولما عهد إلى تصحيح الكتاب وجدت بالمقارنة مع النسخة الأصلية بعد ابتداء الطبع بقليل أن سير ردهوس ترك من الكتاب عند نسخه تاريخ حياة الفقهاء وأرباب الطرق . ولاجل أن يكون الكتاب كاملاً بدئ الطبع ثانياً من النسخة الأصلية فأخذت صورتها بالفتوغرافية وأرسلت إلى مصر للطبع منها لأن ديوان الهند بلندن لا يسمح باستعمال النسخة الأصلية للطبع .

أمافائدة كتاب « العقود المؤلبة » على العموم وقيمتها التاريخية فتنترك الكلام فيها إلى أن يكمل الطبع .

كمبردج في ٢٥ يوليه سنة ١٩١١ .

محمد بسيوني عسل. A. M

مدرس اللغة العربية

بجامعة كمبردج

العقود اللؤلؤية

في أخبار الدولة الرسولية

الباب الأول

في ذكر اتساب الملوك بني الرسول وكيف كان السبب في دخوهم اليمن واستقلالهم بالملك فيها .

قال علي بن الحسن الخزرجي : أعرق ملوك اليمن في الملك في الجاهلية والإسلام ملوك حمير وملوك غسان : وهذا يُقال حمير أرباب العرب وغسان أرباب الملوك . وذلك أن سبأ الأكبر لما حضرته الوفاة طلب ابنيه حمير وكهلان وكان حمير هو الأكبر وأقعده عن يمينه وأقعد كهلان عن شماله ثم طلب سائر بنيه وبني عمه ووجوه قومه وقال لهم : اعلموا أن ولدي هذين هذا عن يميني وأشار إلى حمير وهذا عن شمالي وأشار إلى كهلان فأعطوا حمير من ملكي ما يصلح لليمين وأعطوا كهلان من ملكي ما يصلح للشمال . فقالوا يصلح لليمين السيف والسوط والقلم ويصلح للشمال العنان والترس والقوس . وبحكموا أن صاحب السيف والقلم والسوط لا يكون إلا أمراً ناهياً فاتقاً راتقاً وأن هذه صفات الملك الأعظم وأن صاحب العنان يكون مُصرفاً لهوادي الخيل في الذب عن المملكة وأن الترس يردد به الناس عند اللقاء وأن القوس ينال بها المناوي والمغازي وإن كانوا على بعد . ولا يصلح ذلك إلا لحافظ الدولة القائم بحرها وسد ثغورها . فتقىد حمير الملك فلم ينزل في ولده وولد ولده

يلٰ ذلك منهم خالفٌ عن سالفٍ إلى أن قامَ الحارثُ الرأيشُ . وتقىدَ كهلاً وولده حفظَ المالك والذب عنها وسدَ ثغورها . يلٰ ذلك منهم كابرٌ عن كابرٍ إلى أيام عاصِير بن حارثة الأزدي المسمى ماء السماء وكان في عصر الحارث الرأيش قائماً بحفظِ المملكة وسدِ ثغورها على سُنْ آبائه من كهلاً . وكان الحارث الرأيش محدثاً . والمحدث بفتح الدال المشددة هو الذي يتحدث على مستقبلات الزمان ويخبر بما سيكون من الحوادث قبل كونها فيأتي الأمرُ بتصديق ما يقوله . وكان الحارث الرأيش كذلك وله في هذا الشأن عدّة قصائد . منها القصيدة (التي) أواهـا :

أنا الملكُ المُتَوَجِّـ ذُـ العطايا

لأغزو أعبـاً جهـواً مكانـي
بني قحطـان فانتـجعوا وسـروا
بـاذنـ الله حـجـوا فهو بـيتـ
وكـونـوا مـشـلـ مـلـطـاطـ بنـ عمـرو
فـتحـنـ الأـغـلـبـونـ إـذـا بـطـشـنا
إـنـا يـوـمـ نـغـضـبـ أوـ نـسـاميـ
إـنـ نـرـضـىـ تـقـرـ بـنـ عـلـيـهاـ
وـفـيـناـ الـمـلـكـ وـالـأـمـلـاـكـ حـقاـ
أـبـوـناـ يـعـربـ وـسـبـاـ أـبـوـناـ
فـإـنـ أـهـلـكـ فـقـدـ أـثـلـتـ مـلـكـاـ
وـيـلـكـ بـعـدـنـاـ مـنـاـ مـلـوـكـ
وـيـنـلـفـ بـعـدـهـمـ مـنـاـ مـلـوـكـ
وـتـنـتـشـرـ الأـسـاوـدـ بـعـدـ هـذـاـ
وـيـلـكـ بـعـدـهـمـ مـنـاـ مـلـوـكـ
وـيـلـكـ بـعـدـهـمـ رـجـلـ عـظـيمـ

بنـوـ عـزـ كـعـالـيـةـ الغـامـ

يـدـيـنـونـ الـعـبـادـ بـغـيـرـ ذـامـ

عـقـابـ اللهـ فـيـ الـقـومـ الـإـثـامـ

ضـعـيفـ أـمـرـهـمـ ثـقـلـ الـمـرـامـ

نـبـيـ لـاـ يـرـخـصـ فـيـ الـحـرـامـ

(١) الذي في الأصل (من بنـي) بدل سلالة ومعه يختل الوزن

يُفارق أهله وله كتابٌ
 يُسمى أهداً يا ليتْ أني
 أؤخّر بعد مخرجه بعامٍ
 ويلكُّ بعده خلفاءٌ برّ
 ويظهر رأيه المنصور فيهم
 على خاءٍ إذا نطقوا^(١) ولا
 ويلكُّ بعده رجلٌ نحيلٌ على آبائه أذكي السلام
 وربما أنها أكثرُ من هذا . فإنه أخبر في هذه القصيدة بن يملُكُ اليمن بعده من
 حير وبنיהם بقوله :

فان أهلك فقد أثلت ملكاً لكم يقسى الى زمن التهامي
 فكان كما قال ولم تزل ملوك قحطان يتوارثون ملك اليمن الى أن قامت دولة
 الاسلام . ويعني بالتهامي النبي صل الله عليه وسلم . وقوله :
 ويلك بعذنا منا ملوكٌ بنو عزّ كعالية الغمام
 فكان كما قال يعني الملوك الذين ملكوا اليمن بعد الحارث الرائش وقبل ظهور
 الحبشة . وقوله :

وتنشر الأسودُ بعد هذا عقاب الله في القوم الإثم
 فكان كما قال من انتشار الحبشة في اليمن والملك هنالك وكان ملك الحبشة في
 اليمن على ما قيل اثنين وسبعين سنة . تدواها منهم أربعة رجال وهم أرياط ثم
 أبرهة ثم يكسوم ابن أبرهه ثم مسروق ابن أبرهه . وقوله :
 ويلك بعدهم منا ملوك ضعيفُ أمرهم ثقل المرام
 فكان كما قال . وذلك أن الملوك الذين ملكوا اليمن بعد دولة الحبشة ليسوا
 كمن تقدمهم من ملوك حير في العصر الأول . وقوله :

ويلك بعدهم رجل عظيمٌ نبيٌ لا يُرخص في الحرام
 يُفارق أهله وله كتابٌ يُواافق خطه رجع الكلام

(١) الذي في الأصل في هذا الموضع (معمقة) بدل إذا نطقوا وما هنا أوضح بدليل ما يأتي عند شرح هذا البيت في اخبار عبيد بن شربة ص ٤٠٤ على رأي ورأي سعد لام وهناك ريادة بيتبين فارجع اليها .

يسمى أَحْمَدًا يا لَيْتْ أَنِي أَعْمَرْ بَعْدَ مُخْرَجِه بِعَامٍ
فَكَانَ كَمَا قَالَ مِنْ ظَهُورِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَرُوجِه مِنْ مَكَةَ إِلَى
الْمَدِينَةِ مُفَارِقًا لِأَهْلِهِ وَإِقَامَتِهِ فِي الْمَدِينَةِ بَيْنَ الْأَنْصَارِ إِلَى أَنْ تُؤْتَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
وَقَوْلُهُ :

وَلَهُ كِتَابٌ يَوَافِقُ خُطَّهُ رَجْعُ الْكَلَامِ * أَيْ يُنْزَلُ عَلَيْهِ كِتَابٌ بِاللُّسَانِ الْعَرَبِيِّ
وَيُكَتَّبُ بِالْخُطَّ الْعَرَبِيِّ يَعْنِي الْقُرْآنَ الْعَزِيزَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّا أَنْزَلْنَاكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا . قَالَ
اللَّهُ تَعَالَى : بِلُسَانِ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ . وَقَوْلُهُ
وَيَمْلِكُ بَعْدَهُ خَلْفَاءُ بَرٌّ . فَكَانَ كَمَا قَالَ مِنْ قِيامِ الْخَلْفَاءِ الرَّاشِدِينَ بَعْدَ رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقِيامِ الْخَلْفَاءِ مِنْ بَنِي أُمَّةٍ وَبَنِي الْعَبَاسِ وَبَنِلِكِهِمِ الْيَمَنِ بَعْدَ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . ثُمَّ أَخْبَرَ بِظَهُورِ مُلُوكِ غَسَّانٍ فِي الْيَمَنِ وَتَمْلِكِهِمْ
عَلَيْهَا . فَقَالَ :

وَيَمْلِكُ بَعْدَهُمْ أَوْلَادُ عَامِ . يَرِيدُ أَوْلَادُ عَامِ فَرِخَّمَهُ لِلضَّرُورَةِ يَعْنِي عَامَرَ بْنَ
حَارِثَةَ بْنَ امْرَى الْقَيْسِ بْنَ ثَلْعَبَةَ بْنَ مَازِنَ بْنَ الْأَزْدِ بْنَ الْغَوْثِ . وَإِنَّمَا أَشَارَ إِلَيْهِ
دُونَ غَيْرِهِ مِنْ سَلْفٍ أَوْ خَلْفٍ لِأَنَّهُ كَانَ مُعاَصِرًا لِهِ إِذَا هُوَ الْقَائِمُ مَعَهُ مِنْ وَلَدِ كَهْلَانٍ
لِحَفْظِ الْأَطْرَافِ وَسَدِ الشَّغُورِ وَجَبَائِيَّةِ الْأَمْوَالِ . فَخَصَّهُ بِالإِشَارةِ وَالبَشَارَةِ . ثُمَّ حَقَّ
ذَلِكَ وَأَوْضَحَهُ بِقَوْلِهِ .

وَيُظَهِّرُ رَأْيَ الْمُنْصُورِ فِيهِمْ عَلَى خَاءٍ إِذَا نَطَقُوا وَلَامٍ
فَكَانَ كَمَا قَالَ مِنْ ظَهُورِ الْمَلَكِ الْمُنْصُورِ وَاسْتِقْلَالِهِ بِالْمَلَكِ فِي الْيَمَنِ وَتَوَاثُرُ ذَرِيَّتِهِ
مِنْ بَعْدِهِ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا وَهُوَ عُمَرُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الرَّسُولِ .

وَكَانَ اسْتِقْلَالُهُ بِالْمَلَكِ فِي الْيَمَنِ فِي سَنَةِ ثَلَاثَيْنَ وَسَمِئَةِ مِنْ تَارِيخِ الْهُجْرَةِ . وَهُوَ
مَعْنَى قَوْلِهِ عَلَى خَاءٍ إِذَا نَطَقُوا وَلَامٍ . فَإِنَّ الْخَاءَ عَلَى حَسَابِ الْجَمْلِ سَمِئَةَ وَاللَّامِ
ثَلَاثَيْنَ . وَكَانَ مُلْكُ الْحَارِثِ الرَّائِشَ قَبْلَ ظَهُورِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوَهُ
سَمِئَةَ سَنَةٍ عَلَى مَا قَيلَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

قَالَ عَلَيٰ بْنُ الْحَسَنِ الْخَزْرَجِيُّ تَحْاوزَ اللَّهِ عَنْهُ: « وَقَدْ كُنْتُ شَرِحْتُ هَذِهِ

القصيدة التي قالها الحارث الرائيش في جزء لطيف وسميت «المحصول في انتساببني الرسول». وذلك لما شهدت به من صحة انتسابهم . وقلَّ أن يوجد دليل على صحة نسب أحليٍّ من الناس كصحة هذا النسب».

فصلٌ

فليا هلك عامر بن حارثة الأزدي وكان يسمى ماء السماء بجسده وكرمه (قام^(١)) بالأمر بعده ولده عمرو بن عامر . وتقلد ما كان يتقلد آباءه من القيام بحفظ الملكة وسد ثغورها واستخراج الإتاوات من أربابها وهو المسمى مُزيقياء وفيه وفي ابنه يقول بعض الأنصار :

أنا ابن مُزيقيا عمرو وجدي أبوه عامر ماء السماء

إنما سُمي عامر بن حارثة ماء السماء لأنَّ قومه سنة وقد أختلف السماء فأجذبت الأرض جديداً فلم يزل يُؤون قومه حتى مُطروا وأخصبوا فسموه ماء السماء لذلك لكونه خلف ماء السماء ومانهم سنة كاملة . وإنما سُمي عمرو بن عامر مزيقياء لأنه كان يلبس كل يوم حُلتين ثم يمْزقُهما آخر يومه يائف أن يعود فيها ويكره أن يلبسهما غيره . وعمره عمراً طويلاً يُقال إنه بلغ من العمر ثمانية سنة . والله أعلم . وفي أيامه كان خراب السد . وكان أول من أسس السد سباً الأكبر واسمه عامر وقيل عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان . ثم بناه حمير بن سباً بعد موت أبيه ثم أنه بعد ذلك ذو القرنين الحميري وهو الصعب بن أبي مراثد . وكان السد من جبل مأرب إلى الجبل الأبلق وهو جبلان متینان على الجبال الشاغحة الممتدة من يمن السد وشماليه . وكان ينصب إلى السد من أعلى اليمن سبعون وادياً سوى ما يأتيه من الأهر الصغار، وكان ما فوق السد بستة أشهر يصل إلى ذلك السد . وكان ماء السد يُسقي شهرين في شهرين . وكان ما يلي مأرب من شمال السد لبني كهلان وما يلي الأبلق من جنوبه السد لأولاد حمير . وكان مأوه يقيم من الحول إلى الحول

(١) الذي في الأصل فامر بالأمر وال الأولى ما هنا .

على سعة الأرض وعموم السقي . وكان للسد ثلاثة ثقوبٍ وكان تحت السد بركة عظيمة فإذا احتاجوا إلى السقي فتحوا الثقب الأعلى فينصب الماء في تلك البركة فيسقون به . فإذا نزل الماء عن الثقب الأعلى فتحوا الثقب الأوسط فينصب الماء منه إلى تلك البركة ثم يسقون منها . فإذا نزل الماء عن الثقب الأوسط فتحوا الثقب الثالث فينصب الماء إلى البركة كما هو . وكانت بلقيس قد جعلت في البركة اثنتي عشرة عيناً . فكانوا يسقون جنابهم وزراعاتهم وما حاولوا من شيء على حسب ما يُريدون وأفضل . وكان الخادم يمشي بين الشجر والمكتل على رأسه فيمتلئ مكتله من الفواكه من غير أن يتناول شيئاً بيده ولا يلقط شيئاً من الأرض . وكانت الشمس لا تصل إلى أحد يمشي في تلك الجنان من تراكم الشجر . وكانوا يتعاطون النيران فيما بينهم مسيرة شهرين في شهرين وقيل مسيرة ستة أشهر في مثلها والله أعلم . وفي ذلك يقول الله تبارك وتعالى : «لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جتنا عن يمين وشمال كُلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور^(۱)». قالوا : وكان الرجل يسير من بلده إلى البلد الثانية فيقيل بها ويُسي في الثالثة من القرى التي بارك الله فيها وهي قرى بيت الله المقدس فقالوا : ربنا باعد بين أسفارنا . فلما كفروا نعمة الله أرسل الله إليهم رسلاً . فيقال إن الله أرسل إليهم النبي عشرنبياً . وقيل ثلاثة عشرنبياً . فكذبوا رسول الله وأعرضوا عن طاعة الله . فأرسل الله عليهم سيل العريم والعَرِمُ المطرُ الشديد ، قاله صاحب التيجان^(۲) : ثم أخرب الله السد .

فصل في ذكر خراب السد

قال صاحب التيجان : بينما طرفة بنت الخير الحجورية زوجة عمرو بن عامر المزيقياء نائمة الى جانب عمرو في ليلة من الليالي اذ رأت في منامها كأن سحابة سوداء غشيت أرض اليمن فبرقت وأرعدت وأصعقت فلم تمرر على شيء إلا

١٥ - سپا (۱)

(٢) كتاب «التجان في ملوك حمير» عن وهب ابن منبه ، رواية ابن هشام المعافري ، طبع بحيدر إباد الكن بالهند ، وأعاد طبعه المركز الثقافي العربي .

أحرقته . ففزع من منامها وقامت وهي مرعبة وقد ذُعرت ذعراً شديداً . فسكنَّ عمرو روعتها وسأل عن قصتها . فقالت : والنور والظلام والأرض والسماء ليهلكنَّ الشجرُ ويُتلف اليمن ويُخرب البلاد ويتشتت العباد . قال : وكيف يكون ذلك . قالت يكون سبع سنين شداد تأتي بالزلزال والأوابد يقطع فيها الولدُ الوالد . قال لها عمرو : قد نصحت وصدقت فيما وجه الرأي قالت سرًّا إلى السدّ فإذا رأيت البرق والرعد وطلع النحس وغاب السعد فعند ذلك الجرذ الجرذ إذا رأيته يكثُر الحفر ويقلّب بيديه عظام الصخر فقد أزفَّ الأمر عليك بالصبر ولا تخزع للدهر . قال لها : فمتى ترين ذلك يكون . قالت له : لا أدرِي غير أنه أمر من الله نزل وحكم منه سبق في الأزل لا ينصرف عن سهل ولا جبل حيثما أراد وصل فليكن منك الحذر والوجل . فانطلق عمرو إلى السدّ فلم يزل يتعاهده حتى رأى يوماً جرذاً يحفر السدَّ بيديه ورجليه فكان يُقلب الصخرة التي لا يقبلها إلاً أربعون رجلاً : وكان الجرذ أعمى . فلما رأى ذلك رجع إلى طريقة وقال لها رأيتْ تصديق مقالتك يا طريفة . فقالت له يا عمرو عجل الأسفار داراً بدار وجاراً من جار عند ما ينزل الأقدار ويستأثر الليل والنهار . قال ومتى ذلك . قالت : لسبعين سنين ينزل الأمر بيدين بت分区ق اليدين ويكثر الريان . وقال قوم إنها السبع الشداد التي رآها عزيز مصر وفسرَّ له رؤياه يوسف الصديق عليه السلام . ففعل عمرو ما أمرته طريفة وكتم الأمر وأجمع أن يرتحل في ولديه وقومه وكتم ذلك لثلاً يُنكره الناس عليه . ثم إنه يوماً أمر بعمل مائدة فنحر مئة من الإبل وذبح من الغنم شيئاً كثيراً ونادي في العرب أن هلموا إلى مجد مُزيقِياء . فتأتى له الناس من كل جانب ولم يتخلَّف عنده شريف ولا وضعِي . ثم أمر أكبر أولاده وهو ثعلبة العنقاء جدَّ الأوس والمخزرج أبو أبيهم حارثة بن ثعلبة العنقاء . وقال له : إذا أمرتك بأمر فلا تأمر . فاني سأضر بك بعنزيتي هذه فإذا ضررتك فالطم وجهي : فقال له ثعلبة : والله يا أبا ما أستطيع دفع يدي إلى وجهك ولا تطاوعني نفسي على ذلك . قال : يا بني إِن لي عليك حقاً فلا تخالف أباك فان في ذلك مصلحةٌ لي ولك . فقال له ثعلبة : سمعاً وطاعة . فلما طعم

الناس وفرغوا وقد اجتمعت أشراف العرب أمر الملك ابنه ثعلبة بأمر فعصاه فضر به بالعنزة فوثب ثعلبة عليه فلطمته . فقال الملك : واذلأه يُلطم وجهي يوم مجيدي . فوثب سائر أولاده وبنو عمه على ثعلبة ليقتلوه . فقال : لا تفعلوا فان الرحمة سبقت له في قلبي قبل السخط ومع العجلة الندم ولكنني سأعقبه بما يكون لي نصفة منه . أبيع مالي وعقاري ولا أدع له شيئاً ينقلب اليه وأنقل عن مأرب الى غيرها . فقال أهل البلاد : اغتنموا غضبة عمر وفاثروا منه جميع أمواله . فلما أحرز أثيان أمواله انتقل في ولده وولد ولده وسائر قومه وعشيرته . ثم أخرب الله السدّ بعد ذلك فأقلع الصخور والقصور والأشجار والأنهار فرمى فيها الرمل . فلما رأى من كان تحت السد خرابه وأنهم لا يقدرون على شيء منه هربوا الى قلن الجبال بالأهليين والأموال . وفاض الماء على السدّ لكثرة المطر . وخرج الماء من الخلل التي حفرها الفأر . وقد ذكر ذلك الأعشى حيث يقول :

وفي ذاك للمؤتسي إسوةٍ ومأربٍ عفَى عليها العرم
رجامٌ^(١) بنته لهم حميرٌ إذا جاءَ ماؤهم لم يرمِ
فأروى الزروع وأعنابها على سعةٍ ماؤهم إذْ قُسِّمَ
فصاروا أياديٍ ما يقدروْنَ منه على شرُب طفلٍ فُطِمَ
وكانوا كما قال الله تعالى وتبارك «وبَدَلَنَا هُم بِجَنَاحِهِمْ جَنَاحَنِي ذُواتِي أَكْلَ خَطَطَ
وأَثْلَ وَشَيْءٍ مِن سِدْرٍ قَلِيلٍ ذَلِكَ جَزِينَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهُلْ تُجَازِي إِلَّا الْكُفُورُ»
ويُبرُوَى أن سيل العرم كان قبل الاسلام بأربعين سنة . قاله حمزة بن الحسن
الأصفهاني^(٢) . وفي رواية غيره أكثر من ذلك وهي الرواية الصحيحة . والله أعلم

فصل

ولما خرب السد وخرج عمرو بن عامر مُزيقاً في ولده وولد ولده وعدة من

(١) في الأصول كلها الثامن من الأكليل وديوان الأعشى ومعجم البلدان ومعجم ما استجم رخام بالخاء المعجمة بعد الراء راجع هذه المصادر وحبر طريقة في كتاب التيجان اوسع مما هنا .

(٢) حمزة الأصفهاني مؤرخ أديب وفاته سنة ٣٦٠ هـ وكتابه سنى ملوك الأرض والأبياء مطبوع ، انظر ابن خلkan ، والأعلام

قبائل قومه من مأرب متوجهين الى البلاد يرتدون أرضاً تحملهم أو بلداً ينبعهم فنزلوا بلاد عك مجتازين . وكان رئيس عك يومئذ شملقة بن الجباب . فسألوهם أن يأذنوا لهم في المقام عندهم حتى يأمرروا من يرتد لهم منزلأً ينزلونه . ووجه عمرو بن عامر ثلاثة من ولده وهم الحارث بن عمرو بن عامر ومالك بن عمرو وحارثة بن عمرو بن عامر وهو أبو خزاعة . قال ابن قتيبة : ومات عمرو بن عامر بأرض عك قبل أن يرجع اليه أحد رواده فاستخلف ابنته ثعلبة العنقاء وهو جد الأوس والخزرج ابني حارثة بن ثعلبة العنقاء بن عمرو بن عامر . فتقلد ما كان يتقلده آباءه من حفظ المملكة وسد الشغور . ولما توفي عمرو بن عامر كما ذكرنا وقع الوباء في قومه بعده واشتد عليهم الأمر فأرسلوا الى عك وقالوا لهم ان هذا الموضع الذي انزلتمونا فيه غير موافق لنا وقد لحقنا فيه من الوباء ما لحقنا فاجعلونا في الموضع الذي انتم فيه لمقامنا عندكم ونحن سائرون عنكم عن قريب . فكرهت عك ذلك فهاجت الحرب بينهم فاقتلوا قتالاً شديداً واستمر القتل في عك وقتل شملقة ابن الجباب غيلة وكان الذي تولى حربهم وقتلهم جذع بن سنان وكان شجاعاً مقداماً فتاكاً . وكان أعزور أصم كثير الكيد عظيم المكر ، شيطاناً من شياطين العرب . وكان ثعلبة العنقاء كارهاً لذلك من فعله فحلف ان لا يقيم هنالك . فلم يزالوا سائرين حتى صاروا قريباً من مكة . وكان سكان مكة يومئذ جرهم . فأرسل ثعلبة العنقاء رسلاً الى جرهم فسألهم ان يأذنوا لهم في المقام عندهم فأبوا عليهم فاقتلوا وظفرت بهم الأزد فأجلوهم عن مكة ووليت خزاعة البيت دهراً طويلاً نحوأ من ثلاثة سنة .

قال ابن قتيبة : ومات ثعلبة العنقاء بمكة فاستختلف على قومه أخوه جفنة بن عمرو بن عامر . فتقلد جفنة ما كان يتقلد آباءه من حفظ المملكة والذب عنها . ولم يزل في مكة مقيماً هو وقومه من الأزد حتى ضاقت عليهم مكة وأرادوا الشخصوص عنها . وكانت فيهم كاهنة وهي طريفة زوجة عمرو بن عامر مزيقية . فلما عزموا على الخروج من مكة قالت لهم كاهناتهم من كان ذا هم بعید وحمل جليد وبأس شديد فليقصد عمان المشيد . فسار اليه بنو نصر بن الأزد فهم أزد عمان . فنزلوا عمان

والبحرين وعلوا على ما هنالك فهي مساكنهم الى اليوم . ثم قالت : ومن كان منكم
 ذا جرأة وعزيمة وفتوك وشهامة وصبر على أزمات الدهر فليقصد الوادي من مر^(١) .
 فنزلت هنالك خُزاعة فهي مساكنهم في الجاهلية والاسلام . ثم قالت : ومن كان
 ي يريد الراسخات في الوحل المطعمات في المحل فليقصد يثرب ذات النخل . فسار
 اليها حارثة بن ثعلبة العنقاء في ولده من الأوس والخزرج فهي مساكنهم في الجاهلية
 والاسلام . فلما عزموا على الخروج الى يثرب قالت لهم : يا أهل الوجوه المضيئة
 والأنفس الآبية والمناقب السنية انزلوا يثرب القضية قبل نزول المنية وطول القضية
 لتعلموا بعد الجهلة وتبصروا صاحب الرسالة . ثم قالت : ومن كان ي يريد الثياب
 الرفاق والخيول العتاق والكنوز والأرزاق فليقصد مناهج العراق . فسار اليها مالك
 بن فهم الأزدي في قبائل من قومه فغلبوا عليها وصاروا فيها ملوكاً فهم ملوك الحيرة
 قبل ملوك لخم . ثم قالت : ومن كان ي يريد الخمر والخمير والديباج والحرير والملك
 والمسامير فليلحق ببصري ومحفر ولباب دمشق الشام ليملكونها أعواماً بعد أعوام
 ويريها فتوة الكرام . فسار اليها جفنة بن عمرو بن عامر في ولده وولد ولده وكان
 أكثرهم ولداً ويروى أنه كانت له مئة امرأة منكوبة وسار معه عدة من قبائل غسان
 قالوا : وإنما سمي جفنة لأنه ورث جفنة أبيه التي كان يطعم فيها الناس وكانت جفنة
 عظيمة يدور بها مئة فارس يأكل منها القاعد والقائم والراكب . وكانت مفصلة فإذا
 أتي العيد أخرجت وركبت وقير ظهرها كما تُقير السفينة فإذا انقضى العيد فُصلت
 وأعيدت إلى موضعها . قال ابن قتيبة : وسار جذع بن سنان قاتل شملقة بن
 الجباب فيما سار إلى الشام وكان سيداً من سادات غسان . فلما اطمأنوا بالشام
 أتاهم عامل قيسري يطالبهم بجيابة الملك . فقال له جذع بن سنان ؟ نحن قوم غرثى
 وليس معنا ما نسوقه إلى الملك ولكن خذ هذا السيف رهناً عندك إلى أن يوجد^(٢)
 عندنا ما نسوقه إلى الملك . فقال العامل : اجعله في كذ وكذا من أمك فضحك

(١) مَرْ هُوَ مَا يُسَمِّي مَرَّ الظاهرين وَيُسَمِّي الْيَوْمَ وَادِي فَاطِمَة وَهُوَ قَرْبَ مَكَةِ الْمَرْفَةِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ (يَتَوَجَّهُ)

الحاضرون . وكان جذع بن سنان أصمّ فلما رأى الجماعة ضحكوا عرف ما قال العامل : فاستل السيف وضرب عنق العامل . فقال بعض الحاضرين خذ من جذع ما أعطاك . فذهب مثلاً فمضى كاتب العامل إلى قيسر فأخبره بما كان من غسان وقتلهم العامل . فوجه قيسر إليهم جيشاً كثيفاً ليقاتلوهم ويطردوهم عن البلاد فهزموهم غسان وأخذوا سلاحهم . ثم بعث إليهم جيشاً آخر فلم تقم لهم قائمة مع غسان فهزموهم وقتلوا منهم طائفة . فلما رأى ذلك قيسر استتابهم على عرب الشام ورفع أيدي سليح عنها . وكانت سليح ملوكاً على عرب الشام قبل غسان . ولم تزل غسان ملوكاً هنالك إلى أن قامت دولة الإسلام . والله أعلم .

فصل

في ذكر ملوك الشام في الجاهلية من غسان

قال عليٌّ بن الحسن الخزرجي عامله الله باحسانه : كان أول من ملك الشام من غسان بعد جفنة بن عمرو بن عامر الحارث بن عمرو بن جفنة وهو الحارث الأكبر وكنيته أبو شمر وكان يدعى محرقاً لأنّه أول من عاقد بالنار ولددهُ يُعرفون بآل محرق . قال ابن حرطاش^(١) في مقصورته :

والشّمُّ من شُمُّ بني محرقِ من طبق الأرض جنوداً كالدبّا
هذه رواية الأشعريّ . قال : ثم ملك بعده ابنه الحارث الأعرج بن الأكبر وأمه مارية ذات القرطين التي يُقالُ فيها « ولو بقرطبي مارية » وهي مارية بنت الأرقم بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة . وقيل مارية بنت ظالم بن وهب ابن الحارث بن معاوية بن ثور وهو كندة وإليها ينتسب ملوك غسان . قال حسان بن ثابت الأنباري يمدح ملوك بني جفنة :

أولادُ جفنة حول قبر أبيهمْ قبر ابن مارية السكري المفضل
يعشون حتى ما تهرُّ كلابهمْ لا يسألون عن السواد المقبل

(١) ترجمة ابن حرطاش في الحندي ووفاته سنة ٥٥٠ هـ .

بيض الوجوه كريمة أحسابهم شم الأنوف من الطراز الأول
 وكان خير ملوكهم وأيمنهم طيراً وأبعدهم مغاراً وأشدتهم مكيدةً ، وهو الذي
 غزا خيبر وسباً أهلها ثم اعتقهم بعدما قدم الشام . وسار إليه المنذر ابن ماء السماء
 اللخمي في مئة الف من قومه وأهل بلاده ووجه إليهم الحارث الأعرج مئة رجل من
 غسان واظهر انه بعث بهم للمصالحة وكان فيهم لبيد ابن يزيد الغساني: الشاعر .
 وكان يومئذ غلاماً . فاحتاطوا برواق المنذر بن ماء السماء وهجم عليه جماعة منهم
 فقتلوا وقتلوا جماعة من قومه وأهل بيته من كان عنده وطاروا إلى متون خيولهم فنجا
 بعضهم وقتل بعضهم . وعند ذلك حلت خيول الغسانيين على جموع المنذر
 فهزموهم وقتلوا منهم طائفة وأسروا أخرى . وكان هذا اليوم يسمى يوم حليمة .
 وذلك ان حليمة بنت الحارث الأعرج طبّيت أولئك المئة بطيب من طيب الملوك ثم
 لبسوا اكفانهم ثم لبسوا الدروع من فوقها ثم ساروا نحو المنذر فسمى ذلك اليوم يوم
 حليمة لذلك .

ثم ملك بعد وله الحارث الأصغر بن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر .
 ثم ملك بعده أخوه النعمان بن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر وهو الذي قال فيه
 النابغة الذبياني :

مستقبل الخير سريع القام
 سرج والأكبر خير الأنام
 اسرع في الخيرات منه امام
 أكرم من يشرب صوب الغمام
 هذا غلام حسن وجهه
 للحارث الأصغر والحارث الأعد
 ثم هندي وهندي وقد
 خمسة آباء لهم ما هم

وفيه يقول النابغة أيضاً :

وبات معدداً خيرها وربيعها
 وتلك المنى لو أننا نستطيعها
 فان يحيز العنان نفرح ونبتهج
 ويرجع الى كهلان ملك وسؤدد

وقال ابن قتيبة :

وكان للنعمان بن الحارث ثلاثة بنين : حجر بن النعمان وبه كان يكتنى أبوه

و عمرو بن النعمان . والنعeman بن النعeman وكلهم كان ملكاً . وفيهم يقول حسان بن ثابت الانصاري :

من يُرِّ بالدهر او يأْمَنُ من قبِيلٍ بعد عمرو وحُجْرَ
مَلِكًا من جبل الثلج الى جانبِي ايلة من عَبْدٍ وحرَّ

ثم ملك بعده أخوه عمرو بن الحارث الأعرج وهو الذي اشار اليه النابغة
الذبياني حين فارق النعeman بن المنذر . وفيه يقول :
عليٌّ لعمرو نعمةً بعد نعمةٍ ووالده ليست بذات عقارب

قال ابن قتيبة :

وكان يقال لعمرو بن الحارث ابو شمر الأصغر

وقال المسعوديُّ : لما هلك ^(١) الحارث الأكبر كان أول ملك بعده الحارث ابن ثعلبة بن عمرو قال : وأمه ذات القرطين . قال : ثم ملك بعده النعeman ابن الحارث بن جبلة ابن الحارث بن ثعلبة بن جفنة . ثم ملك بعده عوف ابن أبي شمر . وكان ملكه حين بعث النبي صلی الله عليه وسلم .

وذكر بعض الاخباريين ان حسان بن ثابت وفد على الحارث بن أبي شمر بالشام . وكان النعeman بن المنذر ملك الحيرة يساميه . فقال الحارث بن أبي شمر لحسان بن ثابت : يا ابن الفريعة بلغني أنك تفضل النعeman عليٌّ فقال له حسان : وكيف أفضّله عليك أوأسمايك به . فوالله لتفاك احسن من وجهه ولاملك اشرف من أبيه ولشمالك أجود من مينه ولقليلك أكثر من كثيرو ولشهادك أمرع من غديره ولكرسيك أوسع من سريره ولجدولك أغزر من بحوره ول يومك أطول من شهوره وإنك لمن غسان وإنه لمن خنم فكيف أفضّله عليك أوأعدله بك . فقال يا ابن الفريعة ان هذا لا يُسمّع الا في شعر فقال :

(١) في الاصل (ملك) عبارة المسعودي ابي الحسن علي بن الحسين المتوفى سنة ٣٤٦ هـ ، مكان اول من ملك من ملوك عساك بالشام الحارث بن عمرو بن عامر الح ثم ملك بعده الحارث بن ثعلبة بن عمرو الح انظر مروج الذهب ج ١٠٧ - ٢

ثُبَّتْ أَنْ أَبَا مَنْدِرٍ يَسَامِيكَ لِلْحَارِثَ الْأَصْغَرِ
 قَدَالَكَ أَحْسَنَ مِنْ وَجْهِهِ
 وَأَمْكَ خَيْرٌ مِنْ الْمَنْدِرِ
 وَيُسْرِي يَدِيكَ عَلَى عَسْرَهَا^(١) كَيْمَنِي يَدِيهِ عَلَى الْمَيْسِرِ
 وَمِنْهُمْ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي جَبَلَةِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ ثَعْلَبَةِ بْنِ
 عُمَرَ بْنِ جَفْنَةِ . ذَكْرُهُ ابْنُ الْجَوْنِ^(٢) . قَالَ : وَكَانَ مَلْكَهُ ثَلَاثَ سَنِينَ . قَالَ :
 وَمِنْهُمْ إِلَيْهِمْ بْنُ جَبَلَةِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي جَبَلَةِ بْنِ ثَعْلَبَةِ ابْنِ الْحَارِثِ بْنِ
 ثَعْلَبَةِ بْنِ عُمَرِ بْنِ جَفْنَةِ . وَمِنْهُمْ جَبَلَةِ بْنِ الْأَيْمَمِ بْنِ جَبَلَةِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ ثَعْلَبَةِ بْنِ
 عُمَرِ بْنِ جَفْنَةِ . وَهُوَ آخِرُ مُلُوكِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَكَانَ عَدْدُ مُلُوكِهِمْ ثَلَاثَيْنَ مَلَكًاَ .
 وَقَيْلَ اثْنَيْنِ وَثَلَاثَيْنِ مَلَكًاَ . وَقَيْلَ سَتَةِ وَثَلَاثَيْنِ مَلَكًاَ . وَمَدَدُ مُلُوكِهِمْ سَتْمَائَةَ سَنَةٍ وَسَتْ
 عَشَرَةَ سَنَةً . وَفِي بَعْضِ التَّوَارِيَخِ أَنَّ مَدَدَ مُلُوكِهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ وَسَتْمَائَةَ سَنَةٍ .

فصل

قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ الْخَزْرَجِيُّ عَامِلُهُ اللَّهُ بِالْحَسَانِ : وَأُورَدَ صَاحِبُ التَّيْجَانِ
 فَصَلَّى ذَكْرُهُ فِيْهِ أَسْهَاءِ مُلُوكِ غَسَانٍ . فَذَكَرَ أَنَّ أَوَّلَ مُلُوكِ غَسَانٍ مَازِنُ بْنُ الْأَزْدِ .
 قَالَ : وَهُوَ جَمَاعُ غَسَانٍ . وَكَانَ يُسَمَّى قاتِلُ الْجَوْعِ . ثُمَّ وَلَدَهُ ثَعْلَبَةُ بْنُ مَازِنَ .
 وَكَانَ يُسَمَّى زَادُ السَّفَرِ . ثُمَّ وَلَدَهُ امْرُؤُ الْقَيْسُ بْنُ ثَعْلَبَةِ . وَكَانَ يُسَمَّى بَهْلُولَ . ثُمَّ
 وَلَدَهُ حَارِثَةُ بْنُ امْرَىءِ الْقَيْسِ . وَكَانَ يُسَمَّى الْغَطَرِيفَ . ثُمَّ وَلَدَهُ عَامِرُ بْنُ حَارِثَةِ .
 وَهُوَ الَّذِي يُسَمَّى مَاءُ السَّمَاءِ وَيُقَالُ مَاءُ الْمَزْنُ : ثُمَّ وَلَدَهُ عُمَرَانُ بْنُ عَامِرٍ وَكَانَ
 كَاهِنًاَ : ثُمَّ أَخْوَهُ عُمَرُ بْنُ عَامِرٍ وَهُوَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ مَزِيقَاءُ . ثُمَّ وَلَدَهُ ثَعْلَبَةُ بْنُ
 عُمَرٍ بْنُ عَامِرٍ وَكَانَ يُقَالُ لَهُ الْعَنْقَاءُ وَهُوَ جَدُّ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَاجِ : ثُمَّ أَخْوَهُ جَفْنَةُ بْنُ
 عُمَرٍ بْنُ عَامِرٍ وَاسْمُهُ عَلْبَةُ ابْنُ عُمَرٍ : ثُمَّ ابْنُهُ عُمَرُ بْنُ جَفْنَةِ : ثُمَّ ابْنُهُ الْحَارِثُ
 بْنُ عُمَرٍ بْنُ جَفْنَةِ وَهُوَ الْحَارِثُ الْأَكْبَرُ : ثُمَّ ابْنُهُ الْحَارِثُ بْنُ الْحَارِثِ وَهُوَ الْحَارِثُ
 الْأَعْرَجُ : ثُمَّ ابْنُهُ الْحَارِثُ بْنُ الْحَارِثِ وَهُوَ الْحَارِثُ الْأَصْغَرُ ثُمَّ أَخْوَهُ النَّعْمَانُ ابْنُ

(١) في الأصل (غيرها)

(٢) انظر ترجمة المؤلف ص ١١٩

الحارث الأعرج : ثم أولاد النعمان وهم ثلاثة : عمرو بن النعمان وحجر بن النعمان والنعمان بن النعمان بن الحارث : ومن ولد الحارث الأعرج أيضاً المنذر بن الحارث الأعرج والأيم بن الحارث الأعرج وولده جبلة بن الأيم وأبو جبلة بن عمرو وهو الذي قتل اليهود بالمدينة . قال : ومنهم جبلة بن جفنة وثعلبة بن عمرو وعمرو ابن عمرو والمنذر بن الحارث بن جبلة : قال : واليام الأربعـة هـم : الأيم بن الحارث بن جبلة بن الحارث بن أبي جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة : واليام بن الأيم بن الحارث بن أبي جبلة واليام بن جبلة ابن الحارث بن أبي جبلة قال وذكر ذلك ابن الجون في شرح الخمرطاشية عن ابن الكلبي قال وللحارث بن جبلة أربعة أولاد النعمان بن الحارث وجبلة ابن الحارث والمنذر بن الحارث أيضاً قال وكلهم كان ملكاً هذه رواية صاحب التيجان والله أعلم .

قال عليٌّ بن الحسن الخزرجي عامله الله باحسانه . وقد اثبت الفقيه أبو الحسن حمزة بن الحسن الأصفهاني في كتابه المعروف بكتاب تواریخ الأمم اثنين وثلاثين ملكاً من ملوك غسان واحداً بعد واحد وعدد ما ملك كلُّ واحد منهم من السينين على الانفراد . وذكر أن جملة تلك ستمائة سنة وستة وقد حکيت ما حکاه في هذا الفصل الثاني الذي يأتي بعد هذا الفصل . وبالله التوفيق .

فصل

وقال أبو الحسن حمزة بن الحسن الأصفهاني رحمه الله كان آل جفنة عمال القياصرة على عرب الشام كما كان آل نصر عمال الأكاسرة على عرب العراق . قال وأصل بني جفنة من اليمن ثم من الأزد . وذلك ان الأزد لما أحست وهي بمأرب بانتقاض السد وخشيـت سيل^(١) العرم في مأرب فتشاعـم قومٌ فنزلـوا ماءً يقال له غسان وسمـوا غسان بـماءـ الذي نـزلـوا عـلـيهـ وهو مـاءـ بـسـدـ مـأـربـ . وـقـيلـ هو مـاءـ بـالـشـلـلـ قـرـيبـ من الجـحـفةـ . وـقـيلـ هو مـاءـ بـينـ (زـبـيدـ وـرـمـعـ وـهـماـ وـادـيـانـ لـلـأشـعـريـينـ بـالـيـمـنـ^(٢)) .

(١) في الأصل (السيل)

(٢) هذا القول اصح الأقوال ولا يزال ماء عسان في رم

قال : ثم انزههم ثعلبة بن عمرو بن عامر وهو الذي يقال له العنقاء بادية الشام . وكان ملوكها يومئذ من قبل القياصرة سليمان بن حلوان بن عمران بن الجاف بن قضاعة . فلما نزلت غسان في جوار سليمان ضربوا عليهم الآتاوية . وكان الذي يتولى جبايتها سُبيط بن ثعلبة بن عمرو بن عوف بن ضجمع بن حمادة فقصد سُبيط ثعلبة بن عمرو وطلب منه الآتاوية فاستنظره ثعلبة فقال سُبيط لتعجلن الآتاوية أو لاخذن أهلك . وكان ثعلبة حليماً . فقال لسُبيط هل لك في من يرجع عليك بهذه الآتاوية . قال نعم : قال عليك بجذع بن سنان . وكان جذع بن سنان فاتكاً كما ذكرنا فأتاه سُبيط فخاطبه بما خاطب به ثعلبة بن عمرو . فخرج إليه جذع ومعه سيف مذهب . فقال له هل لك أن تأخذ هذا السيف عوضاً عن حلقك إلى أن أجمع لك الآتاوية . قال . نعم قال . خذه . فتناول سُبيط جفن السيف وكان قائمه في يد جذع . فاستله جذع وضرب به سُبيطاً حتى برد . فقيل له : خذ من جذع ما أعطاك . فذهب مثلاً . ووقعت الحرب بين سليمان وغسان فاخرجت غسان سليماناً من الشام وصاروا بها ملوكاً فكان أول ملك من غسان في أرض الشام جفنة بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن أمراء القيس البطريق بن ثعلبة البهلوان بن مازن زاد السفر ويقال قاتل الجوع بن الأزد بن الغوث .

قال ويزعم الأزد أن عمرو بن عامر إنما سمي مزيقياء لأنه كان يمزق في كل يوم من أيام مملكته حلتين يكره أن يعود فيها ويأنف أن يلبسها غيره فلذلك سمي مزيقياء وقيل لأن الأزد تمزقت في أيامه وافتقرت عند هربرم من سيل العرم . فاتخذت العرب افتراق الأزد من مأرب بسائل العرم مثلاً فقالوا ذهب بنو فلان أيدي سباً . ويقال أيادي سباً . والله أعلم .

وكان الذي ملك جفنة على الشام ملك من ملوك الروم يقال له نسطورس فلما ملك جفنة بن عمرو الشام بعد الملوك السليمانيين من قضاعة دانت له قضاعة وغيرها من أهل الشام وغيرهم . وبنى جلق والقرية وعدة مصانع . ثم هلك وكان ملوكه خمساً وأربعين سنة وثلاثة أشهر . ثم ملك بعده ابنه عمرو بن جفنة خمس سنين وبني

الأديار دير حالي ودير أيوب ودير هنادة . ثم ملك بعده ابنه ثعلبة بن عمرو بن جفنة وهو الذي بنى صرح^(١) الغدير في أطراف حوران مما يلي البلقاء وكان مدة ملکه سبع عشرة سنة ثم ملك بعده ابنه الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة ولم يبن شيئاً وكان ملکه عشرين سنة . ثم ملك بعده ابنه جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة ثم ملك بعده ولده الحارث بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة وأمه مارية ذات القرطين بنت الأرقام بن عمرو بن جفنة وكان مسكنه بالبلقاء فبني بها الحفير ومصنعة بئر عجاف وقصر أبيرق وكان ملکه عشر سنين . ثم ملك بعده المنذر^{*} ولده الأكبر بن الحارث بن مارية وبني جاثاء وزرقاء قريباً من القرنين وكان ملکه ثلاثة سنين . ثم ملك بعده أخوه النعمان بن الحارث بن مارية وكان ملکه خمس عشرة سنة وستة أشهر ثم ملك بعده أخوه المنذر^{*} الأصغر^{**} وهو أبو شمر بن الحارث بن مارية وكان ملکه ثلاثة عشرة سنة . ثم ملك بعده أخوه جبلة بن الحارث بن مارية وكان منزله بخارب^{***} فبني قصر خارب^{****} ومخارب^{*****} ومينعة وكان ملکه أربعاً وثلاثين سنة . ثم ملك بعده أخوه الأيم بن الحارث بن مارية وبني الأديار دير ضخم ودير النبوة وكان ملکه ثلاثة سنين . ثم ملك بعده أخوه عمرو بن الحارث بن مارية ونزل السدير وبني قصر العفار وقصر منار^{*****} وكان ملکه ستة عشر سنين . ثم ملك بعده ابن أخيه جفنة الأكبر بن النعمان الأكبر بن الحارث بن مارية وهو المعروف بمحرق^{*****} وهو الذي احرق الحيرة وبه سموا آل محرق^{*****} وفيه يقول عدي[†] بن زيد[‡] مخاطباً النعمان بن المنذر حيث يقول .

سما صقر فأشعـل جـانيـها وأـمـاكـ المـروحـ^(٢) والـغـرـيبـ^(٣)
 فـبـتـنـ^(٤) لـدىـ الشـوـيـةـ مـلـجـاتـ^(٥) فـصـبـحـنـ العـبـادـ وـهـنـ شـيـبـ

(١) و، الأصل (مرج)

(٢) المروح بما يراح به من المشتبه وهي و، الأصل (البروج)

(٣) العروض البعيد وهي في الأصل (العرب)

(٤) الأصل (فبن)

(٥) الأصل بجليلات

وكان سيّارة جواباً^١ : ثم هلك وكان ملكه ثلاثة سنين : ثم ملك بعده النعمان بن المنذر الأصغر بن المنذر الأكبر بن الحارث بن مارية وكان ملكه سنة واحدة ولم يبن شيئاً : ثم ملك بعده ابن أخيه النعمان بن عمرو ابن المنذر الأصغر بن المنذر الأكبر بن الحارث بن مارية فبني قصر السويداء وقصر حارب . ولم ^٢، أمه عم^٣ ولكنه كان نعزاً بالجيوش وهو الذي امتدحه النابغة بقوله حيث

لده ليست بذات عقارب

حسانه : والذي يظهر لي أن النابغة ذكر النابغة في آخر الفصل . وذكر جبلة وعمرو ابن المنذر الأصغر على ما وعلمنا أن النابغة كان قريباً من دولة امماً على النعمان بن المنذر اللخميّ .

سبعاً وعشرين سنة : ثم ملك بعده ولده جبلة صغر وكان منزله بصفين وهو صاحب عين أباغ ماء السماء وكان ملكه ست عشرة سنة : ثم ملك بعده النعمان بن بن مارية ولم يحدث شيئاً وكان ملكه احدى وعشرين سنة وخمسة لده النعمان بن الحارث بن الأبيهم فاصلح صهاريج الرصافة وكان بعض ملوك لخم اخرها . وكان ملكه ثمانية عشرة سنة : ثم ملك بعده اخوه المنذر بن النعمان بن الحارث بن الأبيهم فلم يحدث شيئاً وكان ملكه تسع عشرة سنة ثم ملك بعده اخوه عمرو بن النعمان فلم يحدث شيئاً وكان ملكه ثلاثة وثلاثين سنة وأربعة أشهر: ثم ملك بعده اخوه حجر بن النعمان بن الحارث بن الأبيهم

(١) في الأصل (سناره خرابه)

(٢) حارب باللاء المهملة اوله انظر معجم باقوت الحموي والباء الموحدة آخره

مارية وكان ملکه ستاً وعشرين سنة : ثم ملک بعده ابنه الحارث بن حجر بن النعمان بن الحارث وكان ملکه اثنتي عشرة سنة : ثم ملک بعده ابنه جبلة بن الحارث بن حجر بن النعمان وكان ملکه تسعة عشرة سنة وشهرأ : ثم ملک بعده ابنه الحارث بن جبلة ابن الحارث بن حجر قال : ويسمى الحارث بن أبي شمر . وهو الذي اوقع ببني كنانة وكان يسكن الجابية وكان ملکه احدى وعشرين سنة وخمسة أشهر : ثم ملک بعده ابن النعمان بن الحارث بن جبلة بن الحارث بن حجر وكنيته أبو كرز فبني ما أشرف على الغور الأيسر وبكاه النابغة بقوله :

بکی الحارث الجولان^(١) من فقد ربه وحوران منه خاشع متضائل
وكان ملکه سبعاً وثلاثين سنة وثلاثة أشهر : ثم ملک بعده الأيمم ابن جبلة بن الحارث بن أبي شمر وهو صاحب تدمر وقصر ترعة وهو الذي اوقع ببني العنبر بن حشر وعامله وفيه يقول النابغة :

ضللت حلومهم عنهم وغرّهم سن المعidi في رعي وتعزيب
ثم ملک بعده أخوه المنذر بن جبلة بن الحارث بن أبي شمر وكان ملکه سنة :
ثم ملک بعده أخوه عمرو بن جبلة بن الحارث بن أبي شمر وكان ملکه عشر سنين
وشهرين : ثم ملک بعده ابن أخيه جبلة بن الحارث بن جبلة بن الحارث بن أبي
شمر وكان ملکه أربع سنين : ثم ملک بعده جبلة بن الأيمم بن جبلة بن الأيمم بن
الحارث بن مارية ذات القرطين وهو الحارث بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن عمرو
بن جفنة : واسم جفنة ثعلبة بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة
الغطريف بن امرىء القيس البطريق بن ثعلبة البهلوى بن مازن زاد السفر ويقال
قاتل الجوع ابن الأزد بن الغوث وكان ملک جبلة بن الأيمم ثلاث سنين وهو آخر
ملوك غسان في أرض الشام : والله أعلم . هذا آخر ما حكاه حمزة بن الحسن
الأصفهاني في كتابه المعروف بتواريخ الأمم والله أعلم .

واتفق المؤرخون جميعاً أن جبلة بن الأيمم كان آخر ملوك غسان في الجاهلية

(١) في الأصل (الجولان) .

وكان طوله اثنى عشر شبراً وكان اذا ركب مسحت قدمه الأرض وادرك الاسلام فأسلم في أيام عمر رضي الله عنه ثم تنصر ولحق بالروم . وكان سبب تنصره ان رجلاً وطئ على طرف رداءه وهو يطوف البيت . فالتفت الى ذلك الرجل فلطمته لطمة هشمت انفه وكسرت سنه وخضرت عينه فاستعدى ذلك الرجل على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال له عمر ارضه أو أقيده^(١) . فقال إني ملك وهو سوقه : فقال له عمر ان الاسلام قد سوى بينكم . فقال : أمهلني الى غدٍ . فأمهله . فلما جنَّ الليل خرج في حشمه وعيده ومن أطاعه من قومه فلتحق بالروم وتنصر . ثم نَأِمَ على ما كان منه . وهو الذي يقول :

وَمَا كَانَ فِيهَا لَوْ صَبَرْتُ لَهَا ضَرْرٌ
فَكَنْتُ كَمَنْ بَاعَ الصَّحِيحَةَ بِالْعُورَ
رَجَعْتُ إِلَى الْقَوْلِ الَّذِي قَالَهُ عَمْرٌ
وَكَنْتُ غَرِيبًا فِي رِبِيعَةَ أَوْ مُضْرِ
أَجَاؤُرُ قَوْمِي ذَاهِبًا السَّمْعَ وَالْبَصَرَ
وَقَدْ يَصِيرُ الْعُودُ الضَّجُورُ عَلَى الدِّيرِ
قَالَ عَلَيُّ بْنُ الْخَسْنَ الْخَزْرَجِيُّ . وَمِنْ وَلَدِ جَبَلَةَ بْنِ الْأَيْمَمِ بْنِ رَسُولِ مُلُوكِ
الْيَمَنِ فِي الْإِسْلَامِ وَسَادَ ذِكْرَهُ فِي الْفَصْلِ الَّذِي سَادَ ذِكْرَهُ بَعْدَ هَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى
وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ .

فصلٌ

في ذكر بنى رسول ملوك اليمن في الاسلام . قال علي بن الحسن الخزرجي^{*} عامله الله بالحسانه : كان اسم رسول محمد بن هارون بن أبي الفتح بن يوحى بن رستم وهو من ذريّة جبلة بن الأيمم بن الحارث بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة بن عمرو مُزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطرييف بن امراء

(١) في الأصل (اقه)

(٢) في الأصل (ياليت)

القيس البطريق بن ثعلبة البهلوى بن مازن زاد السفر ويسمى قاتل الجوع أيضاً بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان . وكان من قضاء الله وقدره السابق في علمه أنه لما تنصر جبلة بن الأيمه كما ذكرنا أولاً ولحق بالروم يومئذ أقام هنالك إلى أن هلك . قيل على شركه وقيل على الاسلام لأن أبياته المذكورة التي يقول في أنها . تنصرت الأشراف من أجل لطمة . تشهد برغبته في الاسلام ونده على مفارقته . والله أعلم بسريرته . فلما هلك هنالك أقام ولده ما شاء الله في بلاد الروم . ثم انتقل ولده ومن انصم اليهم من قومهم إلى بلاد التركمان فسكنوا هنالك مع قبيلة من قبائل التركمان يقال لها مجك^(١) هي أشرف قبائل التركمان . فأقاموا بينهم وتكلموا بلغتهم وبعدوا عن العرب فانقطعت أخبارهم عن كثير من الناس . فكان كثير من الناس يظن أنهم من التركمان وهم مقيمون على أنسابهم . فلما خرج أهل هذا البيت إلى العراق نسبهم من يعرفهم إلى غسان ونسبهم من لا يعرفهم إلى التركمان . وكانوا بيت شجاعة ورئاسة . وكان محمد بن هارون جليل القدر فيهم فأدناه الخليفة العباسي وأنس به واحتضنه برسالته إلى الشام وإلى مصر ورفع الحجاب فيها بينه وبينه فانطلق عليه اسم رسول وشهر به وترك اسمه الحقيقي حتى جهل . فلا يعرفه إلا القليل من الناس . ثم انتقل من العراق إلى الشام ومن الشام إلى مصر فيمن معه من أولاده .

قال صاحب السيرة المظفرية^(٢) : فلما استوثق الملك لبني أيوب في مصر لم يزل معهم عصبة من بني رسول لعلمهم بتقدم منصبهم في الملك وعلو هممهم وشدة بسالتهم وثبتوت آرائهم . فاجتمع رأي بني أيوب على أن يسلموا اليهم اليمن . فقال ذوو رأيهم إذا يستقون بها عليكم وينازعونكم في الشام . فأجمع رأيهم على تسيرهم إلى اليمن صحبة الملك المعظم ثوراشاه بن أيوب . فخرجوا صحبته بعد أن استحلفهم^(٣) له أخوه الملك الناصر يوسف بن أيوب وأوصاهم بحسن صحبته

(١) « بجك » في « قرة العيون » وفي « المسجد » للخزرجي

(٢) صاحب السيرة هو الأمير محمد بن حاتم البامي صاحب العقد العالي الشعرا

(٣) في الأصل (استخلفهم) .

والنصح في مُسَايرته وخدمته . وكان لهم في الديار المصرية جلاله وجاهة وحظ ونباهة . وكانوا خمسة رجال يركبون من بيتٍ واحدٍ : ١ - شمس الدين علي بن رسول : ٢ - بدر الدين الحسن بن علي بن رسول : ٣ - نور الدين عمر بن علي بن رسول : ٤ - فخر الدين أبو بكر بن علي بن رسول : ٥ - شرف الدين موسى بن علي بن رسول . وكانوا غاية في الشجاعة والاقدام وحسن التدبير في الحرب . لا سيما أبوهم شمس الدين . وكان ولده الأمير بدر الدين الحسن بن علي بن رسول لا يقوم له في الحرب عدد وإن كثر . وكان نور الدين له عقل ثاقب ورأي صائب وكان فخر الدين جواداً كريماً . وكان شرف الدين فارساً شاعراً فصحيحاً وهو القائل في ذلك :

نكون حِمَّاتَهَا وَنَذْبُّ عَنْهَا وَيَأْكُلُ فَضْلَهَا الْقَوْمُ الْلَّئَامُ
مَعَاذُ اللَّهِ حَتَّى نَتَضِيَّهَا عَقَائِقُ فِي الْعَجَاجِ لَهَا ابْتِسَامٌ

فسمعه بعض المصريين فقال : خرجت اليمن من أيديبني أیوب . وكان دخول الملك المعظم اليمن في سنة تسع وستين وخمسين فأقام في اليمن السنة سبعين ثم رجع إلى مصر في سنة احدى وسبعين . وترك في اليمن تواباً له يحملون خراجها إليه في كل سنة إلى أن تُوفي في سنة ست وسبعين وخمسين . فلما علم توابه بمماته اختلقو فيما بينهم وتغلب كل واحد منهم على ما تحت يده . فلما علم الملك الناصر باختلافهم وتغلبهم على البلاد أرسل أخاه الملك العزيز طغتكين بن أیوب في قطعة من العساكر وكان دخوله اليمن في يوم السبت الثالث عشر من شوال سنة تسع وسبعين وخمسين : فأقام في اليمن إلى أن تُوفي في السادس والعشرين من شوال سنة ثلاث وسبعين وخمسين . فتولى الملك بعده ولده المعز اسماعيل بن طغتكين بن أیوب فلم يزل بها إلى أن تُوفي مقتولاً بيد الأكراد يوم الأحد الثامن عشر من شهر رجب سنة ثمان وسبعين وخمسين . فتولى الملك بعده أخوه الناصر أیوب ابن طغتكين بن أیوب فلم يزل بها إلى أن تُوفي مسموماً ليلة الجمعة الثاني عشر من المحرم سنة عشر وستمائة . وقال الجندي : أول سنة احدى عشرة وستمائة . وعندي أنه هو

الصحيح .

وكان الملك الناصر صاحب مصر قد توفي وتولى الملك في الديار المصرية أخيه الملك العادل أبو بكر بن أيوب . فلما بلغه علم ما جرى في اليمن من قتل المعز وسم أخيه الناصر . وهما معاً ابنا أخيه العزيز . جهز ابن ابنته الملك المسعود صلاح الدين يوسف بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب في جيش كثيف إلى اليمن وأموال كثيرة وحالة كبيرة . وكان يومئذ في سن البلوغ . وكتب إلى الأمير شمس الدين علي بن رسول وإلى سائر الأمراء المصريين باليمين يأمرهم بمحسن صحبيته والقيام بما يجب من خدمته . وكان دخول الملك المسعود زبيداً يوم السبت الثاني من المحرم سنة اثنين عشرة وستمائة . وكان قد قدم قبله سليمان بن تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب المعروف بالصوفي ومعه جماعة في زي الصوفية وكان قدومه بعد وفاة الناصر أيوب بن طعنتين . فاستدعته أم الناصر المذكور لما علمت به وكانت يومئذ في حصن تعز فقالت له : إنّا نخشى أن يطمع فينا العرب ونحن نساء لا حيلة لنا وقد ساقك الله علينا فقم بملك ابن عمك . فأجاب إلى ذلك فأطلقواه الحصن وأجلسوه على سرير الملك وخلف الجندي^(١) . وكان ضعيفاً لا درية له بالملك . فاشتغل بالشراب واللّعب حتى تضعضع الملك واستولى الإمام المنصور عبد الله بن حمزة على صناعة وذمار وفسدت الأطراف . فلما وصل الملك المسعود إلى زبيدا في التاريخ المذكور واستقر في الدار السلطانية بزبيد وقد ضعف عسكره وكلت دوابه أرسل إلى سليمان بن تقى الدين وكان يومئذ في حصن تعز من يخاطبه بالصلح على أن يكون الجبال لسليمان والتهائم للمسعود . فلما سمع بذلك الأمير بدر الدين الحسن بن علي بن رسول نزل إلى الملك المسعود وحثه على الطلوع إلى تعز . فطلع وحط على حصن تعز ولقيه عساكر اليمن بأسرها . فقال له الأمير بدر الدين : أرى أن تكتب إلى الجندي^(٢) الذين هم في حصن تعز كتاباً تقول فيه : أقسم بالله تعالى لشن لم تمسكوا

(١) في المسجد . وخلف له
(٢) في الأصل (الخدام)

سلیمان بن تقی الدین لا أصبت مني عافية . ففعل . فلما وصل كتابه الى الجندي
نهضوا باجمعهم الى سلیمان بن تقی الدین فأغلقوا باب المجلس وأمرُوا الى الملك
المسعود رسولاً يعلمه بذلك . فلما علم بذلك أرسل نائبه فطلع فأمسك سلیمان
وقيده . ثم طلع الملك المسعود حصن تعز وكان طلوعه يوم الأحد عاشر صفر من
سنة اثنى عشرة وستمائة . واستولى على اليمن بأسره من التاريخ المذكور . وأرسل
سلیمان بن تقی الدین الى مصر مقيداً . ولم يزل الأمير شمس الدين علي بن رسول
وأولاده مقيمين في اليمن معبني أيوب على أحسن سيرة . وكان الأمير شمس الدين
عاقلاً كاملاً صالحًا تقىاً له رأيٌ ورئاسةٌ ونظرٌ وسياسةٌ . وكان له عند سيف الاسلام
المحل الأعلى والقدح المعلى حتى أن نساء سيف الاسلام لم يكن يجتبن منه لصالحه
وحسن سيرته والتاس بركته .

ولما كتب الظاهر بيبرس صاحب الديار المصرية الى الملك المظفر رحمه الله كتاباً
يهدّه فيه ويتوعده أجابه الملك المظفر رحمة الله عليه بما معناه نحن محفوظون ببركة
جدنا ولا نخاف ضراً بحمد الله وببركة جدنا رحمة الله . وكان الأمير شمس الدين
رحمه الله يسكن في ناحية جبلة ومن مآثره قصر عومان هنالك . وكثير من ذريته
يسكنون هنالك الى يومنا هذا . وكان يحب العلماء والصالحين ويحبونه لحسن سيرته
وصلاح سيرته وكان كثيراً ما يتولى في الجهات الحيسية وصاحب الفقيه الصالح
حسن بن أبي بكر الشيباني . وكان الفقيه حسن الشيباني من الصالحين الكبار وكان
يرشده لأفعال الخير والرفق بالرعاية . فلا يخالفه . وكان الشيباني مدعاوه كثيراً .
وربما بشره بمصير الملك الى ذريته : وكانت وفاته رحمة الله في شهر صفر سنة أربع
عشرة وستمائة . وقد رأس أولاده وانتشر ذكرهم وبعد صيتمهم ظهر من شجاعتهم
وبراعتهم ما لم يكن في ظن أحدٍ من الناس واشتهروا في البلاد وعرفهم الحاضر
والبادي .

وكان أتابك الملك المسعود في أيام دخوله اليمن جمال الدين فليتا . فجهزه الى
صنعاء لحرب الإمام المنصور عبد الله بن حمزة في شهر جمادى الأولى من سنة اثنى

عشرة وستمائة . فلم يزل الحرب بينهما إلى أن تُوفي الإمام عبد الله بن حمزة . وكانت وفاته يوم الخميس الثاني عشر من شهر المحرم سنة أربع عشرة وستمائة . ثم تُوفي الأتابكُ بعده . وكانت وفاته يوم الخميس سلخ شهر ربيع الأول من السنة المذكورة عند بئر الخولاني وقُبِر في صنعاء يوم الجمعة عشرة شهر ربيع الآخر . فلما علم الملك الم سعود بوفاة الأتابك فُليت خرج إلى صنعاء فدخلها يوم السبت الثامن من شهر جمادى الأولى : و وسلم حصن كوكبان يوم الخميس في الخامس من شهر جمادى الآخرة وفي هذا التاريخ اصطلح السلطانُ الملكُ الم سعودُ والأشراف . و عاد الملك الم سعود من صنعاء إلى اليمن في شهر رجب من السنة المذكورة وهو مقيم ببني رسول وقد وثق بهم وأنس إليهم وولأهم الولايات الجليلة وأعجبه من حسن طاعتهم وشدة بسالتهم . فولى الأمير بدر الدين صنعاء وجعلها إقطاعاً له . و ولَيَّ الأمير نور الدين الحصون الوضابية . فأقام فيها مدة . ثم ولَاه مكة المشرفة فأقام فيها مدة . و في مدة ولايته فيها ظهر ابنه الملك المظفر يوسف بن عمر فيها وكان يُسمى المكي . وكان ظهوره في سنة تسع عشرة وستمائة . ولما فصله من ولاية مكة جعله أتابكاً ومتولي أمر عساكره وأموره كلها فلما تقررت الأحوال وهدأت الحروب والفتنة تجهز الملك الم سعود إلى مصر . وكان خروجه من زيد يوم النصف من شهر رمضان من سنة عشرين وستمائة . و ترك في اليمن نور الدين عمر بن عليّ بن رسول نائباً نيابة عامة . و ترك أخيه بدر الدين في صنعاء خاصة . و حلف لها الجنديون . و تقدم في التاريخ المذكور . فقام مرغُم الصوفي في الحقل وبلاط زُبيد . وجبل بني مسلم المسمى سحمر . بفتح السين والحادي المهمليين وتشديد الميم المفتوحة وآخره راءٌ . فدعا الناس إلى نفسه وأخبرهم أنه داع لِإمامِ حقٍّ . فانضاف إليه من غوغاء الناس وطغائهم جمٌّ غير . فسار إليه نور الدين ومعه راشد بن مظفر بن الهرش . فقال مرغُم الصوفي لمن معه . إن قاتلوا في غد هزمناهم وقتلنا راشد بن مظفر . فوقع القتال فكان كما قال اتفاقاً . فازداد الناس له محبة وصدقًا . وكانت وقعة مرغُم الصوفي في سنة اثنين وعشرين وستمائة . ثم تلاشت أموره وظهر للناس كثير من

كذبه وفساد مذهبة . فخرج هارباً من بلد الى بلد .

ثم كانت وقعة عَصْر بين الأمير بدر الدين حسن بن عليّ بن رسول وبين الشريف عز الدين محمد بن الإمام المنصور عبد الله بن حمزة . فجمع الشريف عز الدين جموعه من الخيل والرجل . فكانت خيله سبعمائة فارس وكان رجله ألفي راجل . فقصد بهم صنعاء بعد خروج الأمير بدر الدين منها الى دروان معداً لأنحصار نور الدين بعد الهزيمة . وكان خروج الأمير بدر الدين من صنعاء الى دروان يوم الأحد السادس عشر من رجب سنة ثلاثة وعشرين وستمائة . فوصل دروان يوم الاثنين السابع عشر من الشهر المذكور . فلما بلغه العلم بخروج الشريف عز الدين الى صنعاء رجع الى صنعاء ورجع معه أخوه نور الدين على الفور فوصلوا وقد وصل الأمير سالم بن عليّ بن حاتم والأمير علوان بن بشر بن حاتم الى صنعاء في خيل ورجل من ذمرر والعروس وحفظوا المدينة . وقد خط الأمير عز الدين في عَصْرٍ وتجهز للقتال . ونزل قاصداً صنعاء فخرجت الرتبة ومن معها من همدان . ووقع بينهم الطراد بكرة يوم الأربعاء السادس والعشرين من رجب المذكور فاقتتلوا الى وقت الغداة . وبینا هم في القتال اذ وصل الأمير بدر الدين واخوه نور الدين ومن معهما . والناس متلازمون في القتال . وقد وقع القتل في الفريقين وكل حافظ لاصحابه . فدخل الأميران القصر وتغلب الناس على السياط . ثم قال الأمير بدر الدين . نستريح أولاً ثم ندخل الحمام ان شاء الله ثم نخرج . فوقفوا في القصر قليلاً ثم دخلوا الحمام فلما خرجوا منه حرك الرياح واجتمع العسكر الذين وصلوا معهما وهم مئة فارس يزيدون قليلاً أو ينقصون قليلاً . فلما خرجوا من الباب وقف نور الدين في بعض الخيل مركزاً وفترة ترجع الناس اليه ان انهزموا . وتقدم الامير بدر الدين في الباقيين والناس متلازمون في القتال . فرتب أصحابه وحرضهم على صدق القتال والتفت فيهم يميناً وشمالاً وقال : هي هي . فقالوا : هي هي . وكان هذا شعاره في عسكره . وحمل في القوم وصمم فيهم . وحمل سائر أصحابه وصمموا معه . ومنحهم الله النصر والظفر فانهزم جيش الأشراف ولم يقم منهم أحد ولووا

مدبرين . وقتل فيهم قتلاً ذريعاً حتى قيل إنه كسر ثلاثة أرباح وأنقطع السيف الذي كان في يده وأطار خيارة الدبوس ولم يرجع من المعركة إلا في يده عروة الركاب بركاها . ويروى أنه قتل يومئذ فارساً بفارس صرع أحدهما بالآخر . ولم يزل القتل والأسر فيهم إلى أن دخل الليل وغشיהם الظلام . وقتل الشيخ مخلص الدين جابر بن مقبل بعد أن أبل بلاءً حسناً . وقتل من وجوه العرب جماعة . ووقع في الشريف عز الدين نشاب في عينه بعد أن قاتل هو ومن حضر من اخوته وباتوا ليتهم سائرين قاصدين ثلا ولهم ينزلوا عن ظهور خيلهم حتى وصلوا ثلا وقد تفرق جعهم ولم يبق معهم غير أربعين فارساً وهم الأشراف وعيدهم . وفي هذه الواقعة يقول العياد الشيزريُّ وكان شاعر الملك المسعود رحمة الله :

ألا هكذا للملك تعلو المراتب وتسمو على رغم العداة المناقب
فتح سرت في الأرض حتى تضوَّعت مشارقها من طيبها والمغارب
قواعد ملك ربِّه عنه غائبٌ
بسيف الججاد ابن الرسول توطدت عيون ومن ضرب السيف حواجز
فولُوا ومن طعن القنا في ظهورهم

وكتب السلطان علوان بن بشر بن حاتم اليامي إلى الشريف عز الدين محمد

بن الإمام المنصور عبد الله بن حمزة بن سليمان بن حمزة .

أسادات الورى من كل حي وأسمى في المعالي من يسامي
وأربطها لدى الهيجاء باساً
أهنتكم قدوم العيد فرضاً
وأهدى نحوكم أذكي سلامي
وأسمعكم أحقاً ما سمعنا
بأن جوعكم طارت شعاعاً
ولأ تخش عاقبة الملام
فولست غير كاسبة ثناءً
سوى عشر فحيّا الله عشرًا
تحامت منبني حام وسام
ولم يحضر من الأمراء إلا
شهاب الدين محمود المقام

ليوث الحرب في يوم الصدام
 وهم ما بين رماح ورامي
 جنود الملك في يمن وشام
 كلائحة على أرجاء طام
 إذا حم القضاء لدى الحمام
 فان النصح من شيم الكرام
 شريف النفس ذي منن جسام
 حسامٌ مضى يفل شبا الحسام
 غدا لا بالددان ولا الكهام
 أديب شاعر حسن النظام
 فقد أودعها في كف رام
 وقام بملكتهم أوف قيام

فأجابه عز الدين محمد بن الإمام المنصور عبد الله بن حمزة بن سليمان ابن حمزة

يقول :

أرقت ولم تدق طعم المنام
 تضيءُ وجهها جنح الظلام
 وروى ربها صوب الغمام
 ذكرت منازل الحسي الكرام
 كتاب جامنا من ملك نام
 لبان المجد من قبل الفطام
 أناضل غمت أزكي سلامي
 أحقًا ما يقال من الكلام
 وولت لم تكرر ولم تحامي

(١) في الأصل الخطي همه من غير نقط ولعله منه ١ هـ مصحح

سوى عشر أغارت غير نكر
ولسو كان الأمير النَّدب فيها
لزارت بيتنا عَصْبٌ عِصَابٌ
ولكن عاقه الرحمن عنا
وكيف تعدُّ هذا القول نصحاً
فواعجبأً تدافع عن هانا
فليس لنطح صخرتهم سوانا
 وإن كانوا لعمر أبيك أسا

فعادت جنحاً مثل السهام
عهاد الدين محمود المقام
بكل مهند عصب حسام
فلم يحضر ويوم الروع حام
وقد صدعت له صمُّ السَّلام
وتنسبنا إلى فعل اللثام
بني حسن فكُفَّ عن الكلام
يشبُّ لدى الواقع بالضرام

وقال السلطان مدرك بن حاتم بن بشر بن حاتم على لسان الأمير بدر الدين
حسن بن عليّ بن رسول ونور الدين عمر بن عليّ بن رسول وأرسلها إلى الديار
المصرية .

سلا ذات سلط الدار والمدارن الاقنى
لدى عَصْرٍ من أصدق الضرب والطعنة
ومن شهدت صنعاء لولا بلاؤه
لما فارقت رعباً ولا وافقت أمنا
وقد كانت البيض الخرائد خيفة السيا من اعادينا أساءَ بنا الطنا
فلها تدانى الفيلقان عشيةً غداً الهمام فيها منهم والظبا منا
ورُحنا إلى قصر القليس نصافح الكؤوس يُغَيّبنا^(١) النديم الذي غَيَّب
وخيَل غشتنا^(٢) بالأسنة بعد ما
تكَدَّسَنَ من هنَا علينا ومن هنَا
ضرَّبَنَ اليَنا بالسياط جهالة
إذا قصرت حتى تبَدَّى العدى طحنا
وشيَّمتنا وصل^(٣) السيف بخطونا
ونحن متى شئنا دسرنا عدونا
ولا نحتقد حقداً دفيناً ولا ضغنا

(١) في الأصل الخططي (ولعسا) من غير تعيين المقط ولعله يُعَيّنا ١ هـ مصحح

(٢) في الأصل الخططي (حسناً الأسنة) ولعله غشتنا بالأسنة يعني أنتا والمراد بالخيل هنا المعنى الحقيقي ١ هـ مصحح .

(٣) في الأصل الخططي (وهل) ولعله وصل يعني ان سيفهم اذا قصرت عضدوها بكراهم ١ هـ مصحح

فلا زالت الأخبار منكم تسرنا كما سركم في مصر مخبركم عنا
فلما اتصل علم هذه الواقعة بالملك الم سعود وبني أيوب الى الديار المصرية
رجع الملك الم سعود سريعاً الى اليمن ولم يستقر له قرار هنالك فكان دخوله حصن
تعز يوم الاثنين السابع عشر من شهر صفر من سنة أربعين وعشرين وستمائة . فأقام
فيها بقية صفر وشهر ربيع الأول والثاني وجمادي الأولى والأخرى وأياماً من رجب .
ثم تقدم الى الجندي . فلما كان اليوم الخامس عشر من شهر رجب وثبت الملك الم سعود
على بني رسول فقبض بدر الدين حسن بن عليٍّ وفخر الدين أبا بكر بن عليٍّ وشرف
الدين موسى ابن عليٍّ فقيدهم وأودعهم السجن .

قال صاحب العقد^(٢) : واشتد خوف بني أيوب على ملك اليمن من بني
رسول ولم يخافوا أحداً من العرب ولا من العُزَّل خوفهم منهم . وذلك لما شاهدوه
فيهم من الشجاعة والإقدام وعلو الهمة وبعد الصيت وحسن السياسة و تمام مكارم
الأخلاق واحتياز السيادة وابتناء المجد . واكتساب الحمد . ولأجل ذلك تم عليهم
منهم ما كان الكسر فيه مجبراً والخصم فيه مقهوراً . وكان أمراً مقدوراً . ويقال إنه
قضى نور الدين أيضاً . فلما صاروا جميعاً تحت الاعتقال أطلقه من يومه واستخلصه
وكان يأنس به كثيراً ولذلك استثناه في سفرته الأولى وفي الثانية وجعله أتابك عسكره
وبعث بأخوه مقيدين الى عدن ثم أرسل بهم في البحر الى الديار المصرية تحت الحفظ
والاعتقال . وكان نور الدين في غاية من العقل والدهاء والجود والكرم وشرف
النفس وحسن السياسة وكمال الرؤاسة . فقلده الم سعود أمره كلها . وطلع الى
حقل يمحص فأخذ بلد بني سيف وذلك في ذي الحجة من سنة أربعين وعشرين فأقام في
الحقل نحواً من ثلاثة أشهر : ثم عاد الى حصن تعز فأقام فيه مدة . ثم عزم على العود
إلى الديار المصرية . فتجهز لذلك ونزل إلى محروسة زبيد ثم خرج منها متوجهاً إلى
الشام في شهر ربيع الأول من سنة ست وعشرين وستمائة قاله الحاتمي^{*} : وقال الجندي^{*}
في سنة خمس وعشرين وستمائة انتهى .

(٢) هو الأمير بدر الدين محمد بن حاتم اليامي

وكان سبب عودته الى الديار المصرية أن عمَّهُ الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب توفي إلى رحمة الله تعالى وكان يومئذ صاحب دمشق . فكتب إليه والده الملك الكامل السلطان يستدعيه إليه ليعطيه دمشق . ففرح فرحاً شديداً حتى أنه سافر وقد ابتدأ به المرض . فطلب أتابكه نور الدين عمر بن علي بن رسول وقال له : قد عزمت على السفر وقد جعلتني نائبي في اليمن فان مت فأنت أولى بملك اليمن من إخوتي لأنك خدمتني وعرفت منك النصيحة والاجتهاد وإن عشت فأنت على حالك وإياك أن تترك أحداً يدخل اليمن من أهلي ولو جاءك الملك الكامل والدي مطويًّا في كتاب . فإذا ألح عليك أعلمتنى حتى أجتمع أنا وعمي الأشرف عليه ونحاربه ونشغله . فقال له نور الدين : أخشى أن إخوتي يعارضوني . فقال له الملك المسعود : أنا أكفيك أمرهم . فقيدهم حينئذ . وقيل إنه لم يقيدهم حتى أمر العسكر بالركوب . وخشي حدوث شيء منهم لميل أكثر العسكر إليهم .

وذكر أبو المظفر سبط بن الجوزي في كتابه « مرآة الزمان » أن الملك المسعود تجهز بجهاز عظيم لم يسبقه إليه ملك . من جملته ألف خصي وخمسينه صندوق من فاخر الأقمشة والملبوس وثلاثمائة بهار من العود الرطب ومن العنبر الفاخر وأربعين سُرّية . ومن الجوائز واللآلئ والأحجار النفيسة ما لا ينحصر وسبعون ألف ثوب صيني معلم بالذهب ومن الصنائع ما لا ينحصر عدده . حتى قيل إن المراكب التي أقلت هذا سبعون مركباً . وذلك أنه صالح في البناجر : من أراد السفر إلى الديار المصرية فليسافر مع الملك المسعود قبل سفره بدءاً . فأقبلت التجار من كل ناحية بأنواع التجارة والبضائع فاجتمع بهم في ثغر عدن . وقال لهم بيعوني هذه البضائع التي عندكم لتسلموا من العشور . فباعوا عليه فأخذوها منهم وكتب لهم بأنماها إلى اليمن وأحل لهم بحوالات إلى كل ناحية . فصالحوا بالويل والشبور . فلم يلتفت إليهم ولم يحصل لأكثرهم شيء . وعدد الجوزي الأصناف التي سافر بها وعظمها حتى أن السامع لا يكاد يصدق بها ولهذا تركت ذكرها . قال : وكان ظالماً شديد

الظلم سيءَ السيرة في رعيته سفاكاً للدماء حتى قيل إنه قتل في اليمن ثمائة شريف من أولاد الحسينين : هكذا ذكر في « مرآة الزمان » والوعيدة عليه .

قال عليُّ بن الحسن الخزرجي : هذا شيءٌ لا يقبله العقل ولا يصدقه النقل :
ولا يوجد في اليمن كله من أعيانِ الأشراف الحسينيين مئة رجل ولا ذكر هذا ولا ما
يشابهه أحد من علماء التاريخ باليمن ، والله أعلم .

ولما سافر الملك المسعود من اليمن كما ذكرنا وصل إلى مكة المشرفة وقد اشتد به
الألم : فأقام في مكة أيامًا إلى أن توفي بها يوم الاثنين الرابع عشر من شهر جمادي
الأولى من سنة ست وعشرين (وستمائة) : وقال الجندى توفي في مكة مسموماً في
رجب وقيل في شعبان سنة ٦٣٥^(١) : وقال ابن عبد المجيد : توفي الملك المسعود في
شهر ربيع الأول من سنة ٦٢٦ وكذا قال الشريف ادريس . قال الحاتمي : وأوصي
أن لا يهُلُّ^(٢) عليه الخيل ولا تقلب السروج وأن يقبر بين الغرباء بمكة قال :
ويروى أنه استوهب ثوبين برسم الكفن من بعض الناس : وكان عمره يوم توفي
سبعاً وعشرين سنة . والله أعلم .

وكان قد حمل معه جميع خراج ملك اليمن من البيضاء والصفراء والجواهري
الغالية والطرف والغليان والجواري فتقدّم مملوكه الأمير حسام الدين لؤلؤ بأولاد سيده
وحاشيته وأمواله وحشمه وألتة كلها إلى مصر . وكان قد جعل في صناعة الأمير نجم
الدين أحمد بن أبي زكريٰ واستناب الأمير نور الدين عمر بن علي بن رسولٍ على
اليمن كله سهله ووعره بره وبحره وكان ذلك ما أراده الله تعالى وقدرٌه من اظهار كلمة
الملك الرسولي وتمكين بسطته ونشر جناح عدله على الخلق ونفذ صولته وتقلص ظل
الملك الأيوبى وزوال دولته .

وفي هذه السنة المذكورة سنة ست وعشرين وستمائة توفي القاضي سري الدين
ابراهيم بن أبي بكر بن علي بن معاذ بن مبارك بن تبع بن يوسف بن فضل العرشاني

(١) خمس وعشرين وستمائة

(٢) تهليل الخيل : نصف شعرها .

يجتمع مع الحافظ في تبع بن يوسف وكان فقيهاً فاضلاً أصولياً وله مصنفات في الأصول على مذهب الامام أبي الحسن الأشعري وكان قاضياً بصنعاء . وفي أيامه بنى الأمير وردسار المغاربة بجامع صنعاء وأصلاح وبني الجبانة أيضاً . وهو الذي بنى المطاهير والبركة في جامع صنعاء ولم يكونا قبل ذلك . وكان أول عمارته لذلك في شعبان من سنة ست وستمائة . وكان أحد القضاة الأخيار . ذكر أولو المعرفة بأيامه ان سيرته كانت محمودة .

ويروى أنه اشتري ارضاً فيها شجر كرم ثم حضر عنده خصمان في حكومة بينهما فاتجه الحكم على أحدهما فحكم عليه الحاكم ثم ان المحكوم عليه وصل الى بيت القاضي ليلاً وناداه فأجابه . فقال يا سيدي أنا فلان ومعي شريم من صفتة كذا وكذا وها أنا متقدم الى حظيرتك لأقطعها بهذا الشريم مكافأة لحكمك عليًّا فاستوقفه القاضي ثم خرج اليه ولاطفه وربما غرم له ما حكم به عليه . فلما أصبح سعى في بيع الأرض التي له وقال لا يصلح لحاكم مزرعة . وكانت وفاته على القضاء في سنة ست وعشرين (وستمائة) المذكورة . رحمه الله تعالى .

الباب الثاني

في ذكر قيام الدولة المنصورية وأسبابها

قال علي بن الحسن الخزرجي: وقد ذكرنا في السابق ما كان من قضاء الله وقدره في اختيار الملك المسعود لولانا الملك المنصور عمر بن علي بن رسول نائباً له على اليمن كله سهله ووعره بره وبحره وإنفراده بالأمر دون سائر الأمراء المصرية وخلو اليمن من بقية بنى أبيه وما جبله الله عليه من حسن السيرة وصلاح السريرة ومحبة الناس له وانقيادهم لأمره طوعاً وكرهاً . وكان مع هذا حازماً عازماً سريعاً النهضة حسن السيرة ثاقب الرأي عاقلاً وديعاً . وكان من ولائه السلطنة في اليمن على بشارات وإشارات . فمن ذلك ما يروى عنه أنه قال : أمسيت ليلة من الليالي مهموماً لعارض لي . فلما أخذت مضجعي ومضى نحو من شطر الليل سمعت دويّاً في الهواء فرفعت رأسي وإذا عفريت يهرب من الشواطئ حتى حط نفسه عندي وهو يلهم وكأنه معصرة من عظمه . فقمت من مضجعي فأخذت إداوة الماء فسكتها في فيه . فلما اطمأن وزال عنه روعه قال أسف وآبشر يا أبا الخطاب . بالملك من غدن إلى عيذاب . ثم ذهب عنني .

ويروى أن ثلاثة أقوام من الصالحين وصلوا إليه . فقال الأول : السلام عليك يا أتابك . فقال له : هو أخي وعليكم السلام ورحمة الله . فقال الثاني : أنت الأتابك وغير ذلك فقال : وما غير ذلك . فقال الثالث : سلطان اليمن وملوكها من ذريتك إلى آخر الزمان .

وقال صاحب السيرة المظفرية : أخبرني الشيخ الصالح سليمان بن منصور بن

حربيه قال : لما وصل الملك المسعود من الديار المصرية وعبر طريق خبت القحريه
كان على قارعة الطريق شيخان من المشائخ الصالحين أحدهما المغيث والأخر المهدى
فقال أحدهما : هل ترى ما أرى . فقال له صاحبه : وما ترى قال : أرى شخصاً
إن سار سار العسكر جميعه وإن وقف وقف العسكر جميعه فقال له صاحبه : لعل
ذلك المسعود فقال له : لا بل هو الملك المسعود عمر بن علي بن رسول والملك في
عقبة إلى آخر الدهر . قال صاحب السيرة : وسمعت الحكاية بعينها من جدّي رحمة
الله .

ويروى أن رجلاً كان على جبل الموسم وهو جبل صغير منفرد في خبت
العسلقية من نواحي سهام . وكان الرجل يحرس شجراً من العطuber له هناك
بالليل . وقد أقبل الملك المسعود في عسكره وطلبخانته . فسمع الرجل بباب
الطلبخانة والعسكر . فقد متعجبًا . فسمع قائلاً يقول وهو قريب من الجبل :
أقبل مثل السهم يزجيه الوترُ ليس له من ملكه سوى السفرُ

هيئات في الأيام طيات آخر

قال : فقصدت موضع الصوت فلم أر شيئاً ولا وجدت أحداً فعلمته انه من
الجن وعلمت أن ملك الملك المسعود لسواء .

ويحكي أن الشيخ الصالح محمد بن أبي بكر الحكمي صاحب سواجة رأى راية
الملك المسعود يوم وصوله من مصر فقال : هذه اخر راية تصسل من مصر الى اليمن .

فصل

ولما توفي الملك المسعود في التاريخ المذكور ووصل علم موته الى اليمن قام
السلطان نور الدين قياماً كلياً واضمر الاستقلال بالملك وأظهر انه نائب للمسعود :
ولم يغير سكةً ولا خطبةً : وجعل يولي في الحصون والمدن من يرتبته ووثق به
ويعزل من يخشى منه خلافاً ، ومن ظهر منه عصيان او خلاف عمل في قتلها واسره .

وكان السلطان نور الدين من أهل العزم والحزم جواداً كريماً سريعاً النهضة

وكان محراياً لا يسام الحرب . وكان صاحب حلم ودهاء وكان يومئذ مقيناً بزبيدة يتولى على البلاد التهامية . وقرر قواудه وسار من محروسة زبيد قاصداً تعزًّ في شوال من سنة ست وعشرين وستمائة . فحطَّ على حصن تعزَّ وحصْرَه حصراً شديداً وضيق على أهلها حتى أجدهم حتى قيل انهم ابتعوا من الحنطة فقط بثلاثين ألف دينار ملكية . وفي سنة ٦٣٧ تسلم حصن التعكر وحصن خدد وتسلم صنعاء واعمالها . وأقطعها ابن أخيه أسد الدين محمد بن الأمير بدر الدين الحسن بن علي بن رسولٍ . فطلع الأمير نجم الدين احمد بن أبي ذكريٍّ حصن براشٍ خائفاً من الملك المنصور .

وفي سنة ٦٣٨ تسلم حصن حبٌّ وبيت عزٌّ وحطَّ على حصن تعزَّ مرةً ثانية فاخذه صلحاً على يد القاضي المكين . وتزوج بنت جوزة وكان زمامها الطواشي نظام الدين مختصٌّ وكان لبيباً عاقلاً كاملاً في خدمة الملوك .

ثم طلع الى صنعاء فحطَّ على براشٍ وفيه الأمير نجم الدين احمد بن أبي ذكريٍّ وذلك في شهر رمضان من السنة المذكورة . وفي خلال ذلك وصل اليه الأشراف الى حصن ذمرر وهم الأمير عهاد الدين يحيى بن حمزة وأولاده والأمير شمس الدين احمد بن الإمام وجبيع إخوته وهوأس بن أبي قاسم فتحالفوا وتعارضوا وعقدوا بينهم صلحاً عاماً وقالوا له : يا مولانا نور الدين سلطان في اليمن ونحن نخدمك ونبني لك على أنبني أيوب لا يدخلون اليمن فتباعدوا على ذلك وأشاروا على السلطان بعمارة البرُّك وأشار نور الدين على الأشراف بعمارة حصن مُدع وتم الصلح بينهم على أحسن الوجوه ولم يجر بينهم قتال إلى أيام الإمام احمد بن الحسين في سنة ٦٤٦ إلا مرة واحدة وسأذكر سبب ذلك في موضعه من الكتاب . فلما انتظم عقد الصلح وصلهم السلطان نور الدين بمال جزيل وخليع سنية وأقرَّهم على بلادهم فلما افترقوا على الصلح والسداد اضطرب حال الأمير نجم الدين احمد بن أبي ذكريٍّ وعلم حينئذ أن أسبابه انقطعت فراسل السلطان نور الدين في معنى الصلح . ونزل الأمير نجم الدين من الحصن الى لقاء السلطان فترجل بين يديه وحمل الغاشية . فخلع عليه السلطان خلعاً سنية وأنعم عليه إنعاماً تاماً وعقد له بكريته ونزل صحبته الى اليمن

ونزل أيضاً الأمير أسد الدين محمد بن الحسن بن عليّ بن رسول في صحبته أيضاً فلما استقر السلطان في دار ملكه رجع الأمير أسد الدين إلى صنعاء .

وفي هذه السنة توفي الإمام العلامة أبو العتيق أبو بكر بن الشيخ يحيى بن اسحق بن علي بن اسحق العياني ثم السكسيكي نسبة إلى عيانة بضم العين المهملة وفتح المثناة من تحتها وبعد الألف نون مفتوحة وأخر الاسم هاءً تأنيث وهي قرية معروفة . وكان والده الشيخ يحيى من أعيان أهل اليمن في الصلاح والجود والشدة وفعل الخير وكثرة الحج .

ولما علم به صاحب بغداد وتحقق حسن سيرته كتب له مسامحة في أرضه وأن تبقى على ذريته ما بقي منهم إنسان . قال الجندي وهي بأيدي ذريته إلى الآن يحررون عليها وذريتها أكمل أهل وقتنا في فعلالمعروف وإطعام الطعام . وكان كثير الزيارة لفقهاء ذي اشرف فلما سمعهم يثنون على الفقيه ابراهيم حديث بجودة الفقه والدين سأله أن ينتقل معه إلى جبال يقريء ابنه أبا بكر المذكور وغيره فأجاب إلى ذلك وسار معه فتفقه به أبا بكر المذكور . وأخذ عن الإمام سيف السنة عدة من كتب الحديث وكان من حضر السماع لصحيح مسلم عليه في مدينة الجندي .

وخرج مكة سنة ثمانين وخمسين فلما رجع إلى مدينة زبيد أخذ بها عن الفقيه عباس بن محمد الآتي ذكره إن شاء الله تعالى . وكان فقيهاً محققاً مدققاً ذا صلاح مشهور وعلم مذكور فقصده الطلبة من أنحاء اليمن رغبة في علمه وانسانيته . ومن أخذ عنه ولده يحيى وأخوه محمد ومن المشرق احمد بن محمد بن منصور الجنيد وعثمان ابن اسعد الشعبي وطائفة من فقهاء الجبال ومن فقهاء تهامة ابراهيم بن علي بن عجيل وعلى بن قاسم الحكمي وعلى بن مسعود الكثبي من أهل المخلافة وغيرهم . وهم أكثر فقهاء الجبال أصحاباً . قال الجندي وأخبرني الثقة أنه حج سنة ولم يستطع الزيارة إلى المدينة فقلق لذلك قلقاً شديداً فرأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام يقول له يا أبا بكر لما لم تزرننا زرناك فقال بكر مرك يا رسول الله فعلت ذلك لي فادع لي

(١) من أهل المخلافة .

فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال ولا خوتي . ولا ولادي . وأولاد أولادي حتى عدّ سبعة بطون والنبي صلى الله عليه وسلم يدعوك لكل بطن عند ذكره فهم يرون الخير والبركة فيهم بداعاء النبي صلى الله عليه وسلم .

وفي سنة تسع وعشرين (وستمائة) طلع السلطان نور الدين الى صنعاء مرة ثانية وتسلم حصن بكر و kokaban و حصن براش . وبعث الى مكة المشرفة أميراً يقال له ابن عبدالرحمن الشريفي راجح بن قتاد وبعث معهما خزانة كبيرة . وهو أول جيش جهزه الى الحجاز . فنزلوا الأبطح وحاصروا الأمير الذي فيها من قبل الملك الكامل وكان يسمى طغتكين وكان معه مائتا فارس . فأنفق الطغتكين في أهل مكة نفقة جيدة وحلفهم وتوثق منهم . فراسلهم الشريفي راجح بن قتادة وذكرهم إحسان السلطان نور الدين أيام كان أميراً على مكة من قبل الملك المسعود . وكانت ولادة السلطان نور الدين في مكة سنة ٦١٧ وفي السنة المذكورة كانت ولادة السلطان الملك المظفر في مكة المشرفة .

فلما راسلهم الشريفي كما ذكرنا مال رؤساؤهم الى جيش المنصور فأحسن بذلك الطغتكين فخاف على نفسه فخرج هارباً في من معه إلى ينبع . وكان في ينبع رتبة الملك الكامل وزر دخانة وغلة . فأقاموا هنالك وأرسلوا الى الملك الكامل رسولاً الى مصر وأخبروه بوصول عسكر صاحب اليمين وما كان من أهل مكة . فجهز الملك الكامل عسكراً كثيفاً وقدم عليهم الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ . فأرسل الى الشريفي شيخه أمير المدينة وإلى الشريفي أبي سعد أن يكونا معه . وكانا في خدمة الملك الكامل فوصلوا الى مكة وحاصروا ابن عبدالرحمن والشريفي راجحاً وقاتلوهم فقتل ابن عبدالرحمن وانكسر أهل مكة وقتل منهم مقتلة عظيمة . وأظهر الطغتكين حقده عليهم ونهب مكة ثلاثة أيام وأخاف أهلها خوفاً شديداً . فلما علم الملك الكامل بما فعل غضب عليه وعزله واستدعاه إلى مصر وأرسل الى مكة أميراً غيره يقال ابن مجلبي . فوصل الى مكة في سنة ثلاثين وستمائة .

وفي هذه السنة توفي الفقيه يحيى بن الفقيه فضل بن اسعد بن حمير ابن أبي سالم المليكي . وكان مولده سنة ستين وخمسة . وتفقه بعد الله بن سالم الأصبهي وتزوج ابنته منيرة وله منها أولاد معروفون تفقه منهم جماعة ومسكنتهم قرية الملجمة ولهم فيها مسجد ينسب اليهم وهو شرقها يعرف بالمسجد الأعلى . (وكانت) قراءته البيان على سليمان بن فتح . وكانت وفاته في القرية المذكورة ليلة الخميس ثالث عشر شهر ربيع الأول من السنة المذكورة والله اعلم .

وفي سنة ثلاثين وستمائة أمر السلطان نور الدين بضرب السكة على اسمه وأمر الخطباء ان يخطبوا له فيسائر أقطار اليمن . وإلى هذا وأشار الحارث الرائش بقوله

الذي تقدم ذكره حيث يقول :

وتظهر راية المنصور فيهم على خاء مخففة ولام

وقد ذكرنا ذلك في الباب الأول وبالله التوفيق .

وفي هذه السنة توفي الامام العلامة ابو عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي علي القلعي بفتح القاف وسكنون اللام نسبة الى قلعة حلب بالشام وقيل نسبة الى قلعة بلدة بالمغرب هذا قول الجندي . وقال الأسنوي في طبقاته انه منسوب الى قلعة بينها وبين زبيد نحو يوم ولم يذكر الأسنوي اسم هذه القلعة التي نسبه اليها ولا في اي ناحية هي من زبيد وهذا غلط من الأسنوي والله اعلم . وكان القلعي المذكور فقيهاً عالماً كبيراً عاملاً له مصنفات كثيرة مشهورة انتفع الناس بها . منها قواعد المذهب ومنها مستعدب ومنها إيضاح الغواض في علم الفرائض مجلدان جيدان جمع فيه بين مذهب الشافعی وغیره وأورد فيه طرفاً من الجبر والمقابلة والوصایا . وله احتراز المذهب . وله لطائف الأنوار في فضل الصحابة الأبرار . وله كنز الحفاظ في غرائب الألفاظ يعني ألفاظ المذهب . وله تهذيب الرياسة في ترتيب السياسة . وله كتاب أحكام القضاة . وله غير ذلك . وأكثر ما توجد مصنفاته في ظفار وحضرموت ونواحيها وعنه انتشار الفقه في تلك الناحية ولم ينتشر العلم عن أحد في تلك الناحية كما انتشر عنه . وأعيان فقهائها أصحابه وأصحاب أصحابه .

ووجه من مرباط فأخذ عنه بمكة وزبيد وغيرها من البلاد التي مر بها خلق كثير . وكانت وفاته بمرباط في السنة المذكورة وقبره هناك والله أعلم . وفيها توفي الفقيه سالم بن محمد بن سالم بن عبد الله بن خلف بن زيد بن أحمد بن محمد العامري وكان فقيهاً محدثاً غلب عليه الحديث . وكان زاهداً ورعاً تأيه الناس من بعد للزيارة وقراءة العلم وانتفع بصحبته خلق كثير منهم الشيخ احمد بن الجعد وأبو شعبة وغيرها . وكان من كرام الفقهاء شريف النفس علي الهمة . ولم يزل على الطريق المرضية الى ان توفي في السنة المذكورة . وكان مولده في سنة سبعين وخمسة والله اعلم . وفيها توفي الفقيه الصالح عبد الله بن علي بن أبي عبد الله بن أبي القسم بن أسلم المرادي وكان فقيهاً عارفاً ورعاً مشهوراً . وكان اخوه ناجي بن علي فقيهاً غلب عليه العبادة . وشهر بالصلاح وله كرامات كثيرة وكان كبير القدر شهير الذكر وروي أنه خرج لزيارة الشيخ عمران المسن^(١) صاحب ذبحان فخرج بخروجه جماعة من أهل بلده على عزم السفر لزيارة الشيخ المذكور . فقال الفقيه ناجي ينبغي أن يجعلوا لكم رأساً تتمثلون قوله وتقبلون أمره ولا تخالفونه فإنه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالوا له يا فقيه أنت أولى من يلي أمرنا فقال قد رضيتكم قالوا نعم فتوثق منهم . وساروا من قريتهم المعروفة بتيشيد^(٢) من بوادي دلال فوصلوا الجندي وصلوا في الجامع بها ثم خرجن يريدون زيارة مسجد صرب^(٣) المشهور هنالك وهو خارج عن المدينة فلقيهم فقير فطلب منهم شيئاً فقال الفقيه للذي يحمل زادهم اعط هذا درهماً فأعطاه فرضي بذلك بعضهم ولم يرض آخرون ففهم الفقيه ذلك منهم فلما رجعوا الى المسجد وصلوا فيه العصر جاءهم فقير عليه مدرعة صوف وصافحهم ثم صافح الفقيه وقبل يده ونزل فيها عشرة دراهم فالتفت الفقيه الى أصحابه وقال هذه حستكم قد عجلت لكم لما تغيرت نياتكم . ثم سلم الفقيه الدرارهم الى

(١) هو في الاصل من غير نقط وقد اصلاحناه

(٢) تيشيد ثناء مثابة من فوق وباء مثابة من تحت ثم ثناء مثانية ثم دال بلدة في دلال ثم من جمل بعد ان جمل في نفس مدينة الحد

(٣) صرب بالتحريك : جبل في مدينة الخند نفسها .

صاحب الزاد فللموا أن الفقيه قد اطلع على صفاتهم فاستغفروا الله تعالى عن ذلك وسألوا الفقيه التجاوز عنهم . ومن غريب ما جرى له انه قرب يوماً طعاماً لأصحاب له ليأكلوا فجاءهم هرثاً فجعل يتدعى بأرجل الجماعة فضر به بسوالك كان عنده فوبي المهر عنهم وقال أنا أبو الربيع فتبسم الفقيه وقال ولا تنفذ علي فها عرفت ان اسمك سليمان . توفي بين المدينتين^(٢) في قاع البزواد ليس له تاريخ محقق . وفيها توفي الفقيه العالم أبو العباس احمد بن الفقيه مقبل بن عثمان بن مقبل بن عثمان بن أسد العلي بضم العين وفتح اللام نسبة الى جد له اسمه علة . وكان ميلاده بذي اشراق سنة ست وخمسين وخمسة ثم انتقل الى موضع يسمى عرج بفتح العين والراء المهمليتين وبعدهما جيم . وهو أول من سكن قريته وكان تفقهه بالإمام سيف السنة وبالفقية زيد بن عبد الله الزبراني وغيرهما . وكان حافظاً محققاً فقيهاً مدققاً صنف كتاباً يسمى الجامع يدل على جودة علمه وكتاباً في أصول الفقه سماه الايضاح وله شرح المشكك في غريب اللمع . وهو أحد الفقهاء الذين كثرت ذرارتهم وانتفع الناس بهم وعنهم اخذ عمر بن الحداد والشكل^(١) وابنه محمد وأبو بكر وامتحن بقضاء عدن وعاد الى بلده فتوفي بها في شعبان من السنة المذكورة والله اعلم .

وفي سنة ٦٣١ جهز السلطان نور الدين خزانة عظيمة الى الشريف راجح بن قنادة وعسكراً جراراً . فنهض الشريف راجح في العسكر المتصوري واخرجوا العسكر المصري من مكة . وفيها أرسل السلطان نور الدين هدية عظيمة الى الخليفة ببغداد . وكان الخليفة يومئذ المستنصر بن الظاهر العباسي وهو والد المستعصم بالله . وطلب منه تشريفه السلطنة . وكان التقليد بالنيابة كما جرت عوائد الملوك . فعاد الجواب بأن التشريفة تصلك الى عرفة . فخرج من اليمن يريد الحج . فحج على النجف حجة هنية . وهرب منه الشريف راجح بن قنادة ولم يحج معه . فضلاً صدره . فلما قضى نسكه ورجع الى اليمن رجع الشريف الى مكة .

(١) كذا في الأصل من غير نقط تحت الياء
(٢) المدينتان . مكة والمدينة المنورة

وكان الخليفة قد أرسل بالتشريفة والتقليد اليه صبحة الحاج من العراق فبلغ حاجُّ العراق الى نصف الطريق فقطعت العرب عليهم الطريق ودفنتوا المناهل : فاعتقال الحاجُّ في الطريق الى أن فاتهم الحجُّ فرجعوا الى بغداد : ولم يصل منهم في ذلك العام أحدُ .

وفي سنة ٦٣٢ وصلت كسوة الكعبة من بغداد : ومعها رسولُّ من الخليفة المستنصر الى السلطان نور الدين : فعلق الكسوة ودخل اليمن الى السلطان نور الدين : واعلمه ان التشريف والتقليد يصلانه في البحر على طريق البصرة : فوصلت التشريفه ووصل التقليد بالنيابة في السنة المذكورة : وكان رسول الخليفة الى السلطان نور الدين بالتشريفة والتقليد رجلاً يسمى معايي وكان السلطان نور الدين يومئذ في الجند : فارتقي الرسول على المنبر وقال : يا نور الدين ان العز يقرئك السلام ويقول : قد تصدقت عليك باليمن ووليتك اياه . والبسهُ الخلعة الشريفة الخليفة على المنبر .

وفي هذه السنة (٦٣٢) ارسل السلطان نور الدين الى مكة المشرفة بقناديل من ذهب وفضة للكعبة العظمة . وأرسل بخزانة كبيرة على يد ابن النصري الى الشريف راجح بن قتادة وأمر باستخدام الخيل والرجل واعلم أنَّ عسكراً واصلاً من مصر الى مكة . فلما وصل ابن البصري مكة وعلق القناديل وصلَّ العسكري المصري الى مكة قبل ان يستخدم الشريف أحداً فخرج الشريف راجح وابن النصري الى اليمن . وكان العسكري المصري خمسينه فارس فيه خمسة امراء يقال لأحدتهم وجه السبع . والثاني البندقي . والثالث ابن أبي زكريٰ . والرابع ابن برباس . والخامس المقدم الكبير وهو أمير يقال له جبرائيل . فدخلوا مكة وأقاموا بها . وفي سنة ٦٣٣ جهز السلطان نور الدين عسكراً من اليمن وقدم عليهم الأمير شهاب الدين بن عبدان . وبعث بخزانة الى الشريف راجح بن قتادة وأمره ان يستخدم العسكري ففعل . فلما صاروا قريباً من مكة خرج اليهم العسكري فالتحقوا في موضع يقال له الخريفين بين مكة والسررين فانهزمت العرب وأسر الأمير شهاب الدين

بن عبدان فقيهُ الأميْر جبرئيل وأرسل به إلى مصر .

وفي هذه السنة توفي الفقيه أَحْدَنْ بْنُ الْفَقِيهِ إِبْرَاهِيمَ بْنُ أَبِي عُمَرَانَ وَكَانَ مِيلادُه يَوْمُ الْخَمِيسِ السَّابِعُ عَشَرُ مِنْ شَهْرِ شَعْبَانَ مِنْ سَنَةِ سِعَةٍ وَخَمْسِينَ وَخَمْسَمَائَةٍ وَكَانَ تَفَقَّهَ بِالْأَمَامِ سِيفِ السَّنَةِ .

ويروى انه لزم مجلسه احدى عشرة سنة . وانه أقام في جامع اب لم يخرج منه الا في قبران صاحب يعز عليه . وبعد ذلك كان مختلف الى بلده في قليل من الأوقات . فأخذ عن سيف السنة الفقه ، والنحو واللغة . والحديث . والأصول . وحاکاه في أمره كلها حتى في الخطومات وهو ابن تسع وعشرين سنة^(١) .
فقال في ذلك شرعاً :

ولما مضت تسع وعشرون حجةً من العمر عرتنبي وعرت الى الصبا
واندرني شيبسي بحتفي معجلاً
فقلت له اهلاً وسهلاً ومرحباً
وسمعاً لداعي الحق منك وطاعةً
وان كنتُ بطلاً وان كنتُ مذنبًا
وهي أطول مما ذكرت ونسخ بيده كثيرة . وكتب على كل منها أبياتاً من
قوله يقول فيها :

وقف حرامًّا وحبس دائم الأبد
بقاء رجاً ثواب الواحد الصمد
على الخنبلة المشهور مذهبهم
من آل بيت أبي عمران ذي الرشد
لا حظٌ فيه لبدعيٌ يخالفني او كان معتقداً ضدّاً لمعتقدي
وكان السلطان نور الدين يحبه ويعتقده . ولما بنى مدرسته التي بدرجة المغرة
المعروف بالوزيرية لم يزلي يتلطف به ويرسل اليه حتى نزل من بلده وقعد في المدرسة
ودرس بها . ثم قال له السلطان نور الدين رحمة الله عليه اني أحب ان أكون اقرأ
عليك وزرولي في كل يوم الى المدرسة يشق علي وعليك وعلى الناس . فان رأيت أن
يأتيك الركيدار في كل يوم ببغلة^(٢) تركبها وتطلع علينا الحصن . فاقرأ عليك في خلوة

(١) الأمر مشكل حيث قال ان ميلاده السابع من شهر شعبان من سنة تسع وخمسين وخمسة ووفاته سنة ٦٣٢ اثنين وثلاثين وستمائة وعمره تسع وعشرون فليرجع الى تاريخ الجندي او الى غيره لأن عمره سيكون ٧٦ سنة .

(٢) كل يوم ببغلة . كما عبارة الجندي .

فافعل . فاستغفاه من ركوب البغلة . وقال أنا أطلع كل يوم بدرسي من أصحابي يؤنسني . فكان يطلع الحصن كل يوم ويطلع معه درسي من أصحابه . فإذا وصل إلى باب السادة وقف الدراسي ويدخل الفقيه من غير إذن . فيقرأ عليه السلطان ما شاء الله . ثم يخرج الفقيه . فكان هذا دأبه . وكان السلطان رحمة الله إذا أراد ان ينزل من الحصن يأمر من يسبقه الى الفقيه يسأل منه أن يقف له على باب المدرسة . فإذا قابل السلطان ذلك الموضع طرح السلام . ثم رفع يده يشير الى الفقيه ان يدعوه فيفهم الفقيه الاشارة فيدعوه والسلطان واقف رافع يديه . فإذا مسح الفقيه وجهه مسح السلطان وجهه . ثم يتقدم السلطان حيث يريد . ولما دنت وفاته انتقل الى بلده فتوفي بها عند طلوع الفجر من يوم الجمعة للليلة او ليلتين من المحرم أول السنة المذكورة . وكان آخر ما فهم من كلامه لا اله إلا الله والله الحمد وكان يقول من زمن متقدم : يوم الجمعة وليلتها عليٌّ ثقيلتان^(١) ، ولعل موتي فيها . ومن أخذ عنه القاضي محمد بن علي وسيأتي ذكره ان شاء الله تعالى . قال الجندي ومن أحسن ما رأيته معلقاً بخطه ، ما كتبه عقب سماع البخاري اذ كتبه لقوم أجازهم :

فيما سمعاً ليس السمع بنافع اذا انت لم تعمل بما انت سمع اذا كنت في الدنيا عن الخير زاهداً فما انت في يوم القيمة صانع وفيها توفي الفقيه الصالح عثمان بن محمد بن الفقيه فضل بن أسعد بن حمير بن جعفر المليكي الحميري . وكان فقيهاً فاضلاً صالحًا عالماً متأدباً له محفوظات جيدة به وبطبيعة حسنة وكان حاضر الجواب . يحسن الإبراد نظماً ونشرأً . توفي يوم الأحد ثلاثة بقين من رمضان من السنة المذكورة . وكان ميلاده آخر نهار الجمعة سلخ شهر المحرم من سنة إحدى وخمسين وخمسة وثلاثمائة والله أعلم .

وفيها توفي القاضي ابو الحسن . علي بن عمر بن محمد بن علي بن أبي القسم الحميري . وكان ميلاده سنة اثنين وسبعين وخمسة . وامتحن بقضاء إب فكان ذات سيرة مرضية . وكان زاهداً ورعاً ولو لم يكن من ورمه إلا امتناعه من قبض الرزق

(١) في الجندي ثقيلان

على القضاء في مدينة إب لكتفى . ولما حضرته الوفاة أوصى ابنه الأكبر أن لا يتولى القضاء . وأوصى أهله ومن حضره بتقوى الله ولم يزل على القضاء المرضي إلى أن توفي ليلة السبت لست خلون من جمادى الأولى من السنة المذكورة والله أعلم .
 وفي سنة ٦٣٤ تسلم السلطان نور الدين حصون حجة والمخلافة ومخلافيهما وكان السبب ان الأمير تاج الدين محمد بن الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة بن سليمان بن حمزة بن علي بن حمزة نزل الى السلطان نور الدين فأكرمه وانصفه واقطعه المحالف^(١) فطلع الى بلاده مسروراً فسُوِّلت له نفسه اخذ حصن كوكبان فعامل فيه ودخله أصحابه ولم يبق من أخذه شيء وكان في الحصن رتبة جيدة من الخيال والرجل وكان من عادتهم في كوكبان ان يتربكون عشرة من الخيال لابسة وخمسين راجلاً بسلاحهم استمراراً على الأبد . فلما طلع اصحاب الشريف خرجت عليهم الرتبة من الخيال ومن معها من الرجل فقتلوا منهم جماعة وطرح أكثرهم نفسه الى الحيد تردياً .

وكان الأمير يحيى بن حمزة قد عمر حصن منابر . وهو في بلاد السلطان مما يلي تهامة يطل على المحالب والمهجم . فلما علم السلطان بما فعل الشريف ولده محمد بن يحيى غضب من ذلك غضباً شديداً . وكان مع السلطان يومئذ الأمير محمد بن حاتم العباسي صاحب حصن عزان المصانع . وكان عزيزاً كريماً عند السلطان . فلما رأى اهتمام السلطان بأخذ حصن منابر ، قال للسلطان : أنا أعطيك حصن عزان وأنا أعلم ان الشريف يحيى بن حمزة يرغب اليه ، ويسلم حصن منابر . فقال السلطان وأنا أزيده عشرة آلاف دينار . فأرسل السلطان وزيره وهو الشيخ ناجي بن أسعد الى الشريف يحيى بن حمزة وعرض عليه ذلك فلم يقبل وقال قد صرت شريكاً لكم في المهم .

فعاد الوزير بغير شيء . فاشتد غضب السلطان لذلك وكتب الى الأمير شمس الدين أحمد بن الإمام المنصور عبد الله بن حمزة متمثلاً بقول الأول :

(١) في المسجد : المحالب ، وهو الأصوب وكذا في قرة العيون ج ٢ - ٧ .

إذا لم يكن الا الأسئلة مركبة فلا رأي للمضطرب إلا رکوبها
وكان الأمير شمس الدين أحمد بن الإمام متغيرة الخاطر من عمه الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة في نقضه الذمم والصلاح الذي جرى في ذمره ولم يمكنه التخلص من عمه . فخرج السلطان من محروسة زبيدا وقدم تجاهه الأمير نجم الدين أحمد بن أبي ذكري ولقيه المشائخ بنو بطين وغيرهم واستخدم السلطان العساكر وأنفق الخزائن وأتلف الأموال . فكانت الأكياس تصب بين يديه صبّاً كما يُصبّ أعداؤ الطعام : وسار نحو حجّة والمخلافة في ستين الف راجل فاستولى على حجّة والمخلافة ومخلافيهما^(١) في يوم واحد اتفاقاً لم يتفرق لأحد قبله ولا بعده . وانتجدت هذه الفعولات على يحيى بن حمزة أخذ حصن منابر والخصوص التي يجمع جميعها بقيمة هنئة . ثم أخذ السلطان نور الدين جميع ما قد كان صالحهم عليه من البلاد العليا . وهي البوء والاسناد^(٢) والخشب والخارد ومطرة . ولما رجع السلطان من سفره المذكور مؤيداً منصوراً وصل إليه الأمير جعفر بن أبي هاشم والشيخ حسام الدين حاتم بن علي الحيد من جهة الأشراف فأصلحوه على البلاد التي قد استفتحها لا معارض له فيها . وعاد إلى تهامة . وكان السلطان نور الدين عند مسيرته إلى حجّة ومخلافة قد أمر الأمير أسد الدين محمد بن الحسن بالخروج لمنع الأمير شمس الدين أحمد بن عبد الله بن حمزة أن أراد نصرة عمه . فخرج الأمير أسد الدين فحط بالجنات . وكان الأمير شمس الدين بالطرف وكان يوم قارن وهو من مشاهير الأيام العظام .

ولما رجع السلطان نور الدين من غزوته إلى المخلافة قال الأديب جمال الدين

محمد بن حمير :

هنيئت بالنصر لما جئت في لجيء مظلاً بالرُّدُّينيات والقُضب
ومرحبا يا رسول الملك وإن غاب السماكان والجسوزاء لم تغبِ

(١) في العسحد وقره العيون وحصونها وهو الأصوب

(٢) كما في العقد الشمين ، وفي العسحد وقرة العيون ، والأخناد ، ولم يتحقق مكانه .

غزوت مبين اذ هاجت شقاشقها
فاليوم قلحاح لا يرغو بها جل
وفي الرديني ألفاف من العرب
والذهب لو نطحنه الشاة لم يثب
وهي قصيدة طويلة

ثم ان الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة وأولاده اعترفوا بالخطأ واعتذرنا الى مولانا السلطان نور الدين فأعاد عليهم حجة والمخالفة وحصونها . وهكذا شيم الملوك يأخذون قهراً ويغسلون عفواً :

وفي سنة ٦٣٥ خرج السلطان نفسه قاصداً مكة المشرفة في ألف فارس وأطلق لكل جندي يصل اليه من أهل مصر المقيمين في مكة ألف دينار وحصاناً وكسوة . ومال اليه كثير من الجند . ثم أمر الشريف راجع بن قتادة فواجهه في أثناء الطريق . فحمل اليه النقارات والكوسات . واستخدم من أصحابه ثلاثة فارس . وكان يسايره على الساحل . ثم تقدم إلى مكة : لما تحقق الأمير جبرئيل وصول الملك المنصور بنفسه واتته عيونه بصحة ذلك وقاربيه الشريف راجع أحرق ما كان معه من الحوائج خانة والفرشخانة والانتقال وتقدم نحو الديار المصرية . وكان السلطان يومئذ في السرين . فلم يشعر حتى جاءه نجائب من الشريف : فقال البشارة يا من لا يهزمه الأمير جبرئيل وأصحابه : فقال له السلطان : من أين جئت فقال : من مكة . قال : ومتى خرجمت قال : أمس العصر . فاستبعد السلطان ذلك فقال : ما أمارة ذلك . فقال هذا الكتاب من الشريف راجع . فعجب السلطان أشد العجب من مسيرو وأمر الأمراء الماليك أن يرموا ما عليهم على البشير . فألقوا عليه من ذلك ما أثقله . وسار السلطان من فوره إلى مكة ودخلها معتمراً في سنة رجب .

قال صاحب العقد : أخبرني من أثق به أن مولانا السلطان نور الدين دخل
مكة معتمراً ثمانين . وكل ذلك في غير أيام الحج .

ولما وصل الأمير جبرئيل الى المدينة مدینة الرسول صلی الله علیه وسلم لقیه الخبر بوفاة السلطان الملك الكامل محمد بن أبي بکر بن أيوب صاحب الديار

المصري . فندم كل من كان معه من العسكر لما لم يملاوا إلى الملك المنصور وكان الأمير جبرائيل أشجع أمراء مصر . ولما دخل السلطان نور الدين مكة أنفق على عساكره وتصدق بأموال جزيلة . وجعل رتبة في مكة مئة وخمسين فارساً . وجعل عليهم ابن الوليديَّ وابن التعزَّى . فأقاموا في مكة . وفي هذه الواقعة يقول الأديب جمال الدين محمدُ بن حمير رحمة الله عليه :

ما ضرُّ جيران نجد حيثما بعدوا لو أنهُم وجدوا لي مثل ما أجدُ
ومن أباح لأهل الدمتين دمي ما فيه لا ديةٌ منهم ولا قودُ

وفيها يقول :

مثل النجائب في القفر الذي اخذُ قل للقصائد حتى وادملي وخدبي
جنوده وعن القوم الذي حشدوا قضي الحديث عن المنصور ما فعلت
وهم كذلك جنودٌ ما لها عددٌ لقيتهم بجنود لا عديد لها
حتى السماء رأوها غير ما عهدوا فزلزل الرعبُ أيديهم وأرجلهم
فعاد ثعلب^(١) قفر ذلك الأسدُ ولوا وكان الذي يلقى بهمأسداً
لا ذا كذلك ولا كالخنصر العضدُ ومن يلوم أميراً فرًّا من ملك

وفي هذه السنة توفي الفقيه الصالح محمد عمر بن موسى بن عبد الله الجبرتي بلدًا القرشي نسباً . وكان فقيهاً كبير القدر شهير الذكر عالماً عاملاً . اخذ عن جماعة في مواضع شتى . وكان أخذه بعدن عن الفقيه ابراهيم القرطي ثم لما طمع الجبال اخذ عن جماعة . منهم عبد الله بن عبد الرحمن البريبي وغيره وكان صاحب كرامات ومكاشفات . درس في مسجد السنة مدة طويلة . فتفقه به جماعة من الأكابر ومن الأصغر . ومن جملة من اخذ عنه من المشاهير عمر بن سعيد العقبي وغيره . ولا يعرف له شيخ غيره في الفقه خاصة .

وحكي بعض تلامذته قال : كنت أولى خدمة الفقيه محمد بن عمر فخر جنا معه يوماً إلى الغيل لاغسل له ثيابه بحضره . فبينا أنا وهو كذلك اذ اقبل فقيه من أهل

(١) وفي الأصل الخطي « يعلب » .

المشرق يقال له الخضر وهو يمشي حافياً ونعله في يده . فلما رأه الفقيه تبسم . وقال لي يا فقيه هذا فلان قد جاء بريد السلام علىَّ . قلت لها حمله على المشي حافياً . قال كراهة ان يطأ على ما بناه فخر الدين بن رسول . وعن قريب يعني بنو رسول محله ويقعد فيها مدرساً . ثم وصل الفقيه الخضر المذكور الى عند الفقيه محمد بن عمر المذكور . وتسلما مسالة مرضية . ثم تباحثا ساعة في بعض مسائل الفقه . ثم تواجهوا وعاد الخضر في طريقه التي جاء منها . ثم لم تطل المدة حتى بنا بنو رسول المدارس وطلبوها الفقيه الخضر ورتبوه مدرساً في المدرسة الرابية . ثم ان الفقيه محمد ابن عمر انتقل من جبلة الى قرية من مسارق الجند . يقال لها الحمرا . فأقام فيها مدة ثم انتقل الى وادي عميد فسكن في قرية يقال لها الظفير . وكان كثير الاجتماع بابن ناصر والفقية حسين العديني . والاقامة معهما بقرية الذنبين . فتوفي بها في السنة المذكورة . وحضر الفقيه عمر بن سعيد دفنه في جماعة من أصحابه رحمه الله تعالى . وفي سنة ٦٣٦ رجع السلطان نور الدين من مكة الى اليمن وأقام ابن الوليدي وابن التعزّي في مكة كما ذكرنا حتى انقضت السنة المذكورة والله أعلم .

وفي سنة ٦٣٧ وصل الأمير شيخة صاحب المدينة الى مكة المشرفة في ألف فارس . وخرج عسكر السلطان نور الدين من مكة وأخلوها له . وفي هذه السنة تسلم السلطان نور الدين حصن الكمييم وطلع صنعاء مرة ثانية . فأتاه خبر قتل الأمير نجم الدين أحمد بن أبي زكريٰ . وأتاه الخبر بهزيمة العسكر من مكة .

قال صاحب العقد الشمين : حدثني من أثق به من شاهد الحال قال ما رأيت اربط جاشاً ولا أطلق وجهاً من السلطان نور الدين وقد أقبل اليه العسكران مغلوبين مهزومين فلم يتلعثم ولم يتوقف في خبر كسرهم واصلاح أمرهم بالخليل والعدد والملابس والنفقات حتى عادوا أحسن حالاً وأجمل قشرة مما كانوا عليه .

ثم ان السلطان نور الدين رحمة الله عليه جهز ابن النصري والشريف راجح الى مكة في عسكر جرار . فلما سمع بهم الشريف شحة وأصحابه خرجوا من مكة هاربين . فتقدمن شحة الى مصر . وكان سلطانها يومئذ الملك الصالح نجم الدين

أيوب بن الملك الكامل . فجهز معه عسيراً فيهم علم الدين الكبير وعلم الدين الصغير .

وفي سنة ٦٣٨ وصلت العساكر المصرية إلى مكة المشرفة فأخذوها وحجوها بالناس .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الصالح أبو محمد الحسن بن راشد بن سالم بن راشد بن حسن . وكان فقيهاً كبيراً وإماماً جليلًا . تفقه بمحمد بن أحمد بن جديل سهفنة . ودرس بالمصنعة مدة . فتفقه به خلق كثير منهم القاضي بهاء الدين محمد بن سعيد وإخوته وابن عمهم قاضي القضاة محمد بن أبي بكر . وعنده أخذ الخطيب علي بن عمر العبيدي وأبو بكر بن ناصر . وكان وفاته في سلخ جمادى الأولى من السنة المذكورة . وتوفي الفقيه الصالح الفاضل عبد الله بن أحمد بن أبي القسم بن أحمد بن أسعد الخطابي . وكان فقيهاً ماهراً معاصرًا لعلي بن الحسن الأصبهي . وتفقه بمحمد بن مضمون ومحمد بن أحمد بن جديل . وامتحن بقضاء السحول والمشير ووحاظة . وكان يسكن قرية الجعامي التي كان يسكنها الإمام زيد الفايسي . لأنه تزوج في ذريته ثم صار إلى هدافة . وتزوج في ذرية الميشم أهل الحجفة وأصله من عرب يقال لهم بنو خطاب بخاء معجمة يسكنون حازة القحمة . وكان وفاته بهدافة في القرية المذكورة . وتوفي الفقيه الصالح أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل المأربني . وكان رجلاً مباركاً فقيهاً ذاكراً للفقه له مروءة . وواصل بلده ذي اشراق . وتفقه بالقاضي مسعود . وتزوج بابنته في حياته فكان أولاده منها . وقيل للقاضي مسعود كيف تزوج المازنى وهو رجل فقير . فقال أرجو ببركة العلم أن يكون كافياً لي ولأولادي فكان كما قال . وكان يصدع بالحق ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر . وكان مدرساً بالمسجد الذي بناه الأمير بدر الدين الحسن بن علي بن رسول على تربة والده الأمير شمس الدين بقرية عكار .

ويروى انه صلى يوم الجمعة بذى جبلة . ثم خرج من الجامع يريد بيته . وكان يسكن بذى مُحدان مواضع من وقف المسجد المذكور . فلما صار في الطريق لقيه رجل راكب على بغلة حسن ومعه عدة غلمانٍ . فظنه وزيراً او قاضياً او بعض الكبراء من غلمان الدولة . وكان السلطان نور الدين يومئذ في قصر عَوْمَان . فسأل الفقيه عن صاحب البغلة حين قابله فقيل له هذا طبيبٌ يهوديٌّ يخدم السلطان في هذه الوظيفة . فانقضَّ عليه الفقيه واجتذبه من البغلة التي هو عليها والقاء على الأرض وخلع نعله وضربه به ضرباً موجعاً شديداً . وجعل يقول : يا عدوَ الله وعدو رسوله لقد تعديت طورك وخرجت عن واجب الشرع فينبغي اهانتك . ثم تركه وقد بلغ منه مبلغاً . فقام اليهوديٌّ ورجع الى باب السلطان وهو يستغيث وقد قلب عمامته . فقيل له من خصمك . فقال الفقيه محمد المأربي . فأرسل مولانا السلطان نور الدين رحمة الله عليه رسولاً يسأله عن القصة . فلما جاء الرسول قال له الفقيه سلم على مولانا السلطان وعرفه انه لا يحمل له ان يترك اليهود يركبون البغال بالسرورج ولا يحمل لهم ان يترأسوا على المسلمين ومتى فعلوا هذا فقد خرجنوا عن ذمة الاسلام عليهم . فرجع الرسول بالجواب الى السلطان عن الفقيه والسبب . فلما سمع السلطان ذلك قال لليهوديٌّ . تقدم مع الرسول الى الفقيه ليعرِّفك ما يجب عليك من الشرع فتفعله . ثم قال للرسول . قل للفقيه يسلم عليك السلطان ويجب ان تعرِّف هذا اليهودي ما يجب عليه في الشرع ومتى جاوزه فقد بريء من الذمة . فقال له الفقيه . يجب عليك كذا وكذا ولا تفعل الا ما هو كذا وكذا ومتى تعديت وجب عليك النكال وحل دمك . فانصرف اليهوديٌّ ورجع الرسول الى السلطان فأخبره بما كان من الأمر . فقال له : إياك ان تتعدى ما أمرك به الفقيه فتقتل ولا ينفعك احد فان هذا حكم الله وشرع رسوله صلى الله عليه وسلم . فانصرف اليهودي الى منزله . ولم يزل الفقيه على التدريس في المسجد المذكور الى أن توفي في سنة ٦٣٨ .

وفي سنة ٦٣٩ استولى السلطان نور الدين على حصن يُعين ومنيف والسواء بعد

أن قتل عمار بن السبائي^(١) . وكان عمار مطيناً ممتنعاً على حصونه . فوفد اليه الأديب محمد بن حمير الشاعر المشهور . فأقام على باب داره ساعة من نهار فلم يأذن له فكتب اليه رقعة يقول فيها :

بالباب أصلحك الله امرؤ لسن
أمضّه السير والدلنج والشهر
وافى الى أرض خولان فصادفها مثل القتادة لا ظل ولا ثمر

فلما وقف على رقعته وقع على ظهره كتاباً يقول :

بل كالغمامه فيها الظل والشمر

ثم اذن له فاكرمه وانصفيه وأقام عنده أياماً ثم انصرف عنه فلقيه جماعة من عبيد
عمار فنهبوا وأخذوا ما معه . فاتهم عماراً ووقع في خاطره انه الذي امرهم بذلك .
ثم قدم على السلطان نور الدين فانشده في مجلس الشراب .

ما شاق قلبي أحداج وأكوار
ولا أسائل أهل النجد إن نجدوا
قد يزار الذئب اذا لا حوله أسد
سررت باليمين الخضراء حين صفت
وكان فيها عظاريد زعانفة
لكن بقي فردٌ ثُلُولٌ تعاب به
ان قلت لم يبق سلطان سوى عمر
او قلت لا قصر الا قصر دملوءة
او قلت ما أحسن العشار من جئة
فخذ يُيَنَا ولا تقبل معاذره
لم يتفق قط سلطانان في بلد

ولا أسائل أهل العجم إن نجدوا

أهلاً للذئب اذا لا حوله أسد

سررت باليمين الخضراء حين صفت

وكان فيها عظاريد زعانفة

لكن بقي فردٌ ثُلُولٌ تعاب به

ان قلت لم يبق سلطان سوى عمر

او قلت لا قصر الا قصر دملوءة

او قلت ما أحسن العشار من جئة

فخذ يُيَنَا ولا تقبل معاذره

لم يتفق قط سلطانان في بلد

(١) أصلحنا هذا من العسجد

ما غبت الا رمى بالعين دملؤة وظل ينشد والأقداح دوار
وابن المحلي يئيه بملحمة كلها اتفقا طبل ومزمار
مولاي لا تختقره فابن ملجم قد عدى بحيدر والغدار غدار
بشس الخبيثة تحت الفرش قملة والسد شر كمين تحته الفار

وفي هذه السنة جهز السلطان نور الدين جيشاً كثيفاً الى مكة المشرفة مع الشريف علي بن قتادة . فلما علم العسكر الذي في مكة من المصريين كتبوا الى صاحب مصر طلبوا منه مادة . فأرسل اليهم بالأمير مبارز الدين علي بن الحسين بن بوطاس وابن التركاني ومعهم مئة وخمسون فارساً . فلما علم الشريف علي بن قتادة بوصولهم أقام بالسرير وأرسل الى السلطان نور الدين يعرفه صورة الحال فتجهز السلطان نور الدين بنفسه الى مكة في عسكر جرار وخزانة جيدة وعزم شديد فلما علم أهل مصر بقدومه ولوا هاربين وأخرموا دار الملكة بمكة على ما فيها من عدة وسلاح . فدخل السلطان نور الدين مكة وصام بها شهر رمضان من السنة ٦٣٩ المذكورة . ووصل الأمير مبارز الدين علي بن الحسين في عدة منبني عممه واصحابه راغبين في خدمة السلطان . فأنعم السلطان نور الدين عليهم وكساهم جميعاً . وأرسل السلطان نور الدين الى الشريف صاحب ينبع . فلما أتاه أكرمه وأنعم عليه واستخدمه واشتري قلعة ينبع وأمر بخراها حتى لا يبقى قرار للمصريين . وأبطل السلطان نور الدين عن مكة سائر المكوسات والجبايات والمظالم وكتب بذلك مربعة وجعلت قبالة الحجر الأسود ورتب في مكة الأمير فخر الدين السلاخ وابن فiroز وجعل الشريف أبا سعد بالوادي .

وفي ٦٤٠ توجه السلطان نور الدين من مكة الى اليمين . وفيها مات الخليفة المستنصر وتولى الخلافة بعده ولده المستعصم بالله أمير المؤمنين أبو أحمد . وهو الذي يدعى له على سائر المنابر الى وقتنا هذا من سنة ثمان وتسعين وسبعينة . وفيها وصل حاج العراق الى مكة وكان قد انقطع حاج العراق عن مكة سبع سنين فلما يحجج

فيها أحد من العراق من سنة اثنين وثلاثين الى سنة أربعين . فلم يصل امير الحاج العراقي الى مكة كسا البيت وجعل^(١) الذهب والفضة على البيت وتصدق بصدقه كبيرة في مكة .

وفي هذه السنة توفي الفقيه العلامة الإمام أبو الحسن علي بن قاسم بن العليف ابن هيس بن سليمان بن عمرو بن نافع الحلمي الشرأحيلي . وكان إماماً كبيراً عالماً عاملاً محققاً مدققاً . وبه تفقه غالب فقهاء عصره من غالب نواحي اليمن . وله مصنفات مفيدة . منها كتاب الدرر في الفرائض . وله مختصر سماء الدرر . بين فيه بعض مشكلات التنبيه سيرها الى بغداد صحبة الإمام رضي الدين الصغاني . وأجاد عنها جماعة من علماء بغداد . وأجاد عنها ايضاً محمد بن يوسف الشويري . وأجاد عنها هو ايضاً . فكان جوابه أرضي الأجوبة كلها . وأصله من حكماء حرض وقدم زبيد بعد ان تفقه على الفقيه ابراهيم بن زكريا . ثم لما قدم زبيد اخذ عن الفقيه عباس بن محمد . ثم طلع الجبال فقصد ذي اشرف . فأدرك القاضي مسعوداً وأخذ عنه . ومن أعيان أصحابه بزبيد محمد بن الخطاب وعمر بن عاصم وابراهيم بن القلقل وعبد الرحمن بن المبارك البجلي وعمر بن مسعود الابنان^(١) وحسن الشرعي وعبد بن أحمد من السهولة . قال الجندي : ولقد اخبرني الثقة انه خرج في درسه ستون مدرساً . وكان يحفظ التنبيه غيباً ولا يزال حاملاً له . ومقبلاً عليه . فقيل له انت تحفظه فلم تحمله . فقال احتاج به على أهل المرأة . وكان راتبه في كل يوم سبعاً من القرآن اخذ ذلك عن شيخه ابراهيم بن زكريا . وكان ذا ورع شديد . لوزم على قضاة زبيد . ولوزم على التدريس فامتنع . ورسم عليه اياماً فلم يجب الى ذلك . وكان فقيراً يعدم ما يقتاته وفضلة أكثر من ان يمحصى . وكانت وفاته يوم الخامس من شهر رمضان من السنة المذكورة بزبيد . وقبره في

(١) في المسجد ، ونثر عليها .

(١) الابناني .

الناحية الشرقية من مقبرة باب سهام . معروف مشهور ويترى بالدعاء عنده . ولما توفي في التاريخ المذكور خلفه ابنه احمد . وكان فقيهاً مبزاً فراس ودرس الى أن توفي يوم الجمعة تاسع ربيع الآخر من سنة أربع وستين وستمائة . ومن تلامذته ابراهيم بن علي القلقل بقافين مكسورتين بينهما لام ساكنة . وكان فقيهاً حقيقةً جليل القدر وله فتاوى^(١) تدل على فقهه وسعة علمه . لوزم على تدريس المتصورية بزبيد . فامتنع فرسم عليه . فأقام في الرسم اياماً . وكان من أجل الفقهاء قدرأ . واليه تنسب القرية المعروفة ب محل القلقل غربي مدينة زبيد قاله الجندي والله أعلم . وتوفي الفقيه العالم أبو محمد عبد الله بن زيد مهدي العريقي من أعرق أيامه وهي قرية قريبة من حصن الشذف ، وهي بضم الهمزة وفتح الياء المثناة من تحت ثم ألف ثم ميم مفتوحة وآخره هاء كان فقيهاً دقيق النظر ثاقب الفطنة اتصح له في بعض المسائل ما لم يتضح لغيره . فلم يقلد فيها امامه . فانكر عليه علماء وقته اذ لم يطيقوا الانكار على غيره من يقول بقوله كامد وداد و كانوا يعظمونه ويشتون عليه . وكان مشهوراً بالعلم والصلاح ومصنفاته تدل على غزاره علمه وجودة نقله . وله عدة مصنفات في الفقه والأصول وكان جيد الفقه . توفي في السنة المذكورة في جامع الصردف معتكفاً . وكان كثير الاعتكاف به بعد خلو الصردف من الساكن . وفيها توفي الفقيه أبوسعید محمد بن احمد بن مقبل الدھینی كان فقيهاً فاضلاً تفقهه بأبيه وهو أحد مدرسي المدرسة المتصورية بالجندي . وتفقه به جماعة من أهلها وعاد الى بلده فتوفي بها في السنة المذكورة وقبر الى جنب قبر أبيه والله أعلم . وفي سنة احدى وأربعين تسلم السلطان نور الدين جبل حفاش وهو من معاقل اليمن المشهورة في الجاهلية والاسلام . وفيها توفي الفقيه الفاضل عبد الرحمن بن محمد بن ابراهيم بن عبد الله بن محمد بن زكريا في بداية الأمر ثم تلميذه وابن عميه محمد بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن زكريا . فلما توفي محمد بن يوسف خلفه في التدريس هو وأخوه عبد الله بن محمد بن ابراهيم . وكانت وفاة الفقيه عبد الرحمن في السنة

(١) فتاوى

المذكورة . وتوفي ابن عمه محمد بن يوسف سنة خمس وعشرين وستمائة والله أعلم . وأما جده ابراهيم بن عبد الله بن محمد بن زكريا . فكان فقيهاً عالماً محققاً مدققاً ورعاً زاهداً . تفقه بأبيه عبد الله بن محمد ثم بالطويري . وتفقه به جمع كثير من التهائم والجبال وهو أكثر الفقهاء المتأخرين اصحاباً حتى نقل الثقة عن الفقيه اسماعيل بن محمد الحضرمي انه قال لبني زكريا على غالب فقهاء اليمن منه أو كما قال ، فإن غالب طرقوهم في الكتب المسماة عليهم . وانتشر عنه الفقه في اليمن انتشاراً متسعاً . فمن اعيان تلامذة الفقيه ابراهيم بن عبد الله المذكور موسى بن علي بن عجلب وعبد الله بن جعمان وعلي بن قاسم الحكمي وعلي بن أبي قاسم ومحمد بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن زكريا وغيرهم . وكان ورده في كل يوم سبعاً من القرآن واقتدى به في ذلك جمع كثير من أصحابه وكانت وفاته في سنة سبع وستمائة والله أعلم .

وفي سنة ٦٤٢ تسلم السلطان نور الدين حصن سماء في بلاد خولان . وفي ذلك يقول التاج بن العطار المصري وكان شاعر الملك المنصور رحمة الله عليه :

ما سماء الدنيا على ابن علي ببعيد فكيف أرض سماءه
ملك يومه لفتح مبين في الأعادي وليله للتلاوة

واستولى على بلاد علوان الجحدري وطرد إلى بلاد خولان الشامية .

واستولى على جميع اليمن الأعلى والأسفل ما خلا ذمرمر وبيت ردم وثلا وتلمص وظفار وكحلان بن تاج الدين والطويلة .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الصالح عبد الله بن محمد بن ابراهيم بن زكريا وكان فقيهاً ماهراً في التدريس وهو المشار إليه في العلم والفضل والزهد ولما توفي في التاريخ المذكور خلفه ابن عمه محمد بن عمر بن يحيى بن زكريا . وكان فقيهاً فاضلاً وخطيباً كاملاً ولـي خطابة زيد سنتين وتوفي فيها في السنة المذكورة والله أعلم . وفي سنة ثلـاث وأربعين توفي الفقيـه المقرـئ أبو بـكر بن أـسعد بن حـسين . وكان فـقيـهاً

صالحاً مقرأة القرآن فبلغ السلطان نور الدين خبره فاستدعاه في شهر رمضان ليشفع به فشفع به ليلتين أو ثلاث ليال . ثم مرض فلما اشتد به المرض عاد إلى بلده فتوفي بها في السنة المذكورة والله أعلم . وفي سنة أربع وأربعين توفي الفقيه العالم الإمام الفاضل القاضي أبو الخطاب عمر بن أبي بكر بن عبد الله بن قيس بن أبي القسم بن أبي الأعز النحوي اليافعي المعروف بالهزاز . وكان فقيهاً صالحاً وهو أحد القضاة المترعين تفقه بأخ له اسمه عبد الله غاب عنى تاريخه . ولما امتحن القاضي المذكور بقضاء تعز سار فيه السيرة المرضية . فكان إذا مات أحد وله أولاد صغار أمر من يجهزه ويقضى دينه . فإذا فضل شيءٌ من تركته أمر المؤذن أن يصبح على سطح جامع المغزبة المشرف على السوق ألا ان فلان بن فلان توفي إلى رحمة الله تعالى . وخلف من المال كذا وكذا ومن العيال كذا وكذا ومن الدين كذا وكذا فقضى الدين وبقي للعيال كذا وكذا فقدر لهم الحاكم في كل شهر كذا وكذا . ثم إذا انفق عليهم في كل شهر امر المنادي ينادي ألا أن اليتيم فلان بن فلان قد صرف من ماله كذا وكذا . وكان الناس يعرفون أموال الأيتام ومع من هي وما يُصرف منها في كل شهر وما بقي لكل يتيم . وهذا أمر لم يسبقه إليه أحد من القضاة ولا لحقه فيه أحد وأصابه في آخر عمره الفالج . فلذلك قيل له الهزار ولم يزل على القضاء المرضي إلى أن توفي في تعز ليلة الخميس لثمان بقين من شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة . وكان ميلاده لبعض وستين وخمسة . وأصل بلد العُقيرة . ولما توفي في التاريخ المذكور قبر عند حول مجير الدين عند مرباع البقر في سوق مدينة تعز . وكان له اخ يسمى يوسف كان فقيهاً أيضاً توفي قبله بثمانية أيام . وأما مجير الدين فكان اسمه كافور التقي . وهو أحد خدام سيف الإسلام الملك العزيز طغتكين بن أيوب وكان يتعانى القراءة ومحبة أهلها وكان يحب العلماء ويسعد الظن بهم . وله اشتغال بطلب العلم الشريف وكان شيخاً في الحديث . وقد روى عنه جماعة من الفقهاء وهو الذي ابتنى المدرسة المعروفة بالمجيرية في مدينة تعز هنالك يزار ويترى بالدعاء عنده . ولم يقف على تاريخ وفاته رحمه الله تعالى .

وفي ٦٤٥ استولى السلطان نور الدين على بلد العوادر وحصونهم . وبلغه عن الأمير أسد الدين بن أخيه أمور غير مستحسنة . فاستدعاه إلى جُوَّة فأتاه . فلما صار أسد الدين في الجُوَّة تخوف من عمه خوفاً شديداً فرجع هارباً . فلما بلغ السُّحُول وجد الأمر قد بلغ إلى الأمير ناجي صاحب السُّحُول أن يمنع أسد الدين من طلوع النَّقْيل فأشرف عليه ناجي من طاقة بيته وقال له : إرجع إلى عمك فلا سبيل لك إلى النَّقْيل . وكان ناجي المذكور من ناصحاء الدولة المنصورية فتحير الأمير أسد الدين وضاق ذرعاً وخشى من غائلة عمه . وكان الأمير أسد الدين يصاحب الورد بن ناجي فطلبه وأعلمته بما هو فيه من الأمر وأنه خائف من عمه فسلك به الورد بن ناجي طريق القفر ووصل به إلى ذمار من طريق وصاب . وكان دخوله ذمار في أول سنة ست وأربعين وستمائة .

وفي هذه السنة أعني سنة خمس وأربعين . توفي الفقيه الصالح يحيى بن فضل بن سعيد بن حمير بن جعفر بن أبي سالم الملبي^(١) . وكان مولده ليلة الاثنين لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة خمس وثمانين وخمسين . وكان يتفقه بأبيه وغيره وفتح له في العلم فارتقا فيه إلى درجة عالية وحاز منه نصياً وافراً حتى قال الفقيه عمر بن سعيد العقيبي نفعنا الله به لو سئل أبو بكر عن علم الروح ما هو لأفتقى به . وكان رحمة الله من العلماء البرزين توفي ليلة الاثنين التاسع من شهر ربيع الأول من السنة المذكورة . وتوفي الفقيه الإمام العالم أبو محمد علي بن عبد الله بن الفقيه محمد بذى جبلة . وكان فقيهاً بارعاً مستطيراً الذكر بالعلم والخير . تفقه بأخيه أحمد وبالفقيه اسماعيل الحضرمي . وأنحد عن ابن عمه يحيى بن عمر بن عثمان بن الفقيه محمد بن حميد . وعن علي بن أبي بكر بن الفقيه محمد بن حميد وتفقه به جماعة من أهل تعز وهي قضا تعز . فكان ذا سيرة مرضية إلى أن توفي يوم الجمعة عيد الفطر من السنة المذكورة والله أعلم .

(١) تقدم له ذكر في ص ٥٠

وفي سنة ٦٤٦ قام الإمام أحمد بن الحسين القاسمي فأقامه الزيدية . وكان قيامه في ثلا في نصف شهر صفر من السنة المذكورة . وبث الدعوة في جميع الأقطار . فأجابه خلق كثير من ناحية اليمن . وأمر بالمحطة على حصون المخلافة . وكان واليها يومئذ القاضي شهاب الدين عمارة بن علي الأصبهاني من قبل السلطان نور الدين . وكانت حصون المخلافة يومئذ بأيدي الشرفاء أولاد يحيى بن حمزة فلما قام الإمام أحمد بن الحسين راسله الامير أسد الدين على نصرته والقيام معه . فأجابه إلى ذلك . وأقام الفتنة على عمه . فاقتضى الحال طلوع السلطان نور الدين لحرها وقتها . وكان لا يملُّ الحرب فتجهز وطلع إلى صنعاء . فلقيه ابن أخيه الامير أسد الدين إلى ذمار . فاستعطفه واعتذر إليه فرضي عنه وسار بين يديه إلى صنعاء فدخلها يوم الحادي والعشرين من شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة . فأقام بها إلى يوم الأحد من شهر جمادى الأولى وخرج من صنعاء وحط تحت حصن كوكبان في موضع يقال لدى الهدادى . ثم طلع الضلع وحط في الرُّبُجَام إلى حوشان . وتوسّم المادة والتنفس على حصون المخلافة . فحال دون ذلك السواد الاعظم من أهل المغرب . فعاد من الرُّبُجَام إلى حوشان . وكان الإمام في ثلاً فكان القتال في العقاب تحت حصن ثلاً . وفي بعض الأيام يكون القتال تحت حصن من حصون المصانع . فوّقعت بينهم حروب عظيمة . منها اليوم المعروف بيوم العقاب . قتل فيه من عسكر الإمام تسعون رجلاً بالشباب . وكان أمير القتال يومئذ مبارز الدين علي بن الحسين بن بروطاس . تولى القتال بعد ذلك الامير أسد الدين . والسلطان في مخطته بحوشان . ثم جهز الإمام عسكراً إلى بلدبني شهاب . وكان مقدم العسکر الامير عبد الله بن الحسن بن حمزة . فحط في حدة وسناع وخالف معه بنو شهاب وبنو الراعي واهل حضور فنهض السلطان نور الدين إلى بلدبني الراعي . وكانوا قد عمّروا موضعًا يُقال له حجر الجراد في جبل حضور فأخرجه ورتب في جبل حضور عسكراً من الرجل . ومال إليه جماعة من بنو الراعي . وذلك في شعبان من السنة ٦٤٦ المذكورة . ثم سار إلى جهة بنو شهاب فاتلف زروعهم . ووقع هنالك

حروب كثيرة ورجع السلطان الى صنعاء فدخلها يوم الجمعة الثاني من شهر رمضان من السنة ٦٤٦ المذكورة .

ثم جهز السلطان ابن أخيه أسد الدين الى بلاد هداد في السابع والعشرين من شهر رمضان . فاستولى على مصنعة بنى حوال فقتلهم في شوال وقتل أهل علانة في ذي القعدة وأخرب بشار في آخر ذي القعدة . وخرج العسكر المنصوريُّ من صنعاء الى غيغان فقتلوا جماعة من أهل غيغان في ذي القعدة أيضاً . ورجع الأمير أسد الدين الى صنعاء فأقام بها أياماً . وخرج السلطان نور الدين من صنعاء الى بلدبني شهاب في اليوم التاسع والعشرين من ذي الحجة فحط في الحقل غربي صنعاء وأمر العسكر فأحرروا زروع حدة وسنان ووقعت الحرب هنالك .

وفي هذه السنة ٦٤٦ المذكورة عزل السلطان نور الدين الأمير فخر الدين السلاخ عن مكة وأعماها وأمر المسيب عُوضه بعد أن ألزم نفسه مالاً يؤديه من الحجاز بعد كفاية الجند وقود مئة فارس في كل سنة . فتقدم الى مكة برسوم السلطان فدخلها وخرج عنها الأمير فخر الدين السلاخ فأقام ابن المسيب اميراً بمكة سنة ست وأربعين والتي بعدها فغير في هذه المدة جميع الخير الذي وضعه السلطان نور الدين وأعاد الجيارات والمكوس بمكة وقلع المريعة التي كانت للسلطان كتبها وجعلها على زرم و واستولى على الصدقة التي كانت تصل من اليمن وأخذ من المجد بن أبي القاسم المال الذي كان تحت يده لمولانا السلطان الملك المظفر وبنى حصنًا بنخلة يُسمى العطشان واستحلف هذيلًا لنفسه ومنع الجندي النفقة فتفرقوا عنه ومكر مكرًا فمكر الله به .

ولما تحقق الشريف أبو سعد منه الخلاف على السلطان وثبت عليه وأخذ ما كان معه من خيل وعدد وماليك وقيده وأحضر أعيان أهل الحرم وقال : ما لزمته إلاً لتحققني خلافه على مولانا السلطان فلعلم أنه أراد أن يهرب بالمال الذي معه الى العراق وأنا غلام مولانا السلطان والمال عندي محفوظ والخيل والعدد إلى أن يصل الى

مرسوم السلطان فيه . فوردت الأخبار بعد أيام يسيرة بوفاة السلطان .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الفاضل أبو العتيق أبو بكر بن محمد بن ناصر بن الحسين الحميري نسباً وكان فقيهاً زاهداً ورعاً متقللاً عن الدنيا لا يلبس إلا ما يغزله حريمه من العطب الذي يجلب من تهامة ويكره عطب اليمن . ويقول بلغني انه قد اغتصبها الملوك : ثم متى كمل اعطاه نساجاً تحقق دينه وأمانته لئلا يخلطه بغierre . وكان له حول لا يأكل إلا منه لأنه ورثه من أهله . وكان لا يقص ثيابه بل ما تقدم منها جعله عمامة . وما كان جديداً جعله رداءً . وكان إذا أقبل إلى المسجد بالذنبين أنار المسجد . حتى ان الذي يطالع في الكتاب يجد النور على كتابه فيرفع رأسه ليرى سبب ذلك فيما يرى الا الفقيه قد دخل المسجد ومناقبه كثيرة . وكان تفقه بالحسن بن راشد المقدم ذكره . وأخذ عن أبي الحديد وابن جديلة ومحمد بن أسعد بن طاهر بن يحيى وغيرهم . وتفقه به جماعة منهم منصور بن محمد الأصبهي عم الفقيه محمد الأصبهي وعبيد بن أحمد الشبامي . وعنده أخذ محمد بن أحمد بن جديلة ولد شيخه . وكان فقيهاً حقيقةً . وله شعر مستحسن . ومن شعره قوله :

السوطة في دبر الحلال محـرم
مخالف في خمسة أحكام
اذن وتعيين وحلّ مطلق
والفيء والاحسان في الاسلام

وكان في عصره رجل من الصوفية متعاني الرقص اسمه عطية يسكن قرية البهادر يقول ان النبي صل الله عليه وسلم كان يرقص سمع الفقيه ذلك عن شقيقه عليه فقال قصيدة في ذلك المعنى منها قوله :

نبشت ان بهادرأ ظهرت به لعب الوليد معلمـاً بزفير
حاشـي لأحمد ان ان يرى متلاعبـاً وعـطـيـةـ في ذاك غـيـرـ خـبـيرـ

ويروى أنه أصبح يوماً في حلقة تدريسه فجاءه بعض أصحابه فقال له رأيت في المنام كأن فوق رأسك حمامات كثيرة مجتمعات . وبينهن طائر له عليهن تميز

بالمخلقة والصورة . فبيينا أنا اتعجب منه ومنهن اذ به قد غاب عنهن وظنني أنه نزل في الأرض فحين فقدته الحمام اخذت في التفرق . فقال الفقيه أنا الطائر والحمام أصحابي . ثم قال استعدوا للموت وأوصي ولم تطل مدةه بعد ذلك فتوفي بعد أيام قلائل . وكانت وفاته يوم الخميس عاشر شهر ربيع الأول من السنة المذكورة رحمة الله تعالى .

وفي سنة ٦٤٧ هـ نهض السلطان نور الدين من محطة بالحقل إلى مخلاف صداء . فأخرب زرعه وتقدم إلى بيت نعامة وفيه الشرفاء وعسكرهم وبنو شهاب وبنو الراعي وأهل حضور إلى قرية داعر . فحاربهم السلطان هنالك وقتل جماعة منهم وأخرب القرية . وذلك في المحرم من السنة المذكورة . ولما كان يوم السابع عشر من المحرم المذكور طلع عسكر الإمام أحمد بن الحسين حصن كوكبان على حين غفلة من أهله . فلما استقلوا في رأسه خرج عليهم المرتبون فقتلوهم أربع القتل . وكان الإمام قد أغاث بكرة ذلك اليوم إلى كوكبان ووقف تحت الحصن فلما قتل عساكره عاد إلى حصن ثلاًّ من فوره وعاد مولانا السلطان نور الدين إلى صنعاء فأقام بها إلى يوم الثاني عشر من شهر صفر . ووصل إليه الأمير أحمد بن يحيى بن حمزة فخرج إلى لقائه فاكرمه ودخل به صنعاء وانعم عليه بحصن بكر .

ثم تقدم السلطان إلى جهة اليمن فحط في قرة العين يوم الثلاثاء الثالث من شهر ربيع الأول وجعل طريقه على نعم لقتال من فيها . وكان فيها الأمير عز الدين محمد بن الأمير شمس الدين احمد بن الإمام عبد الله بن حمزة والأمير أبو هاشم بن صفي الدين . فحاربهم العسكر المنصوري وقتل من عساكرهم جماعة . ثم تقدم السلطان إلى جهران ومعه الأمير أسد الدين محمد بن الحسن بن علي بن رسول مشيعاً له فاجتمع أهل بكيل وأهل عاثين وأهل الصبيح وأهل تلك النواحي وعسكر الإمام . ومقدموهم الشريف الضياء وكانوا نحو عشرة آلاف راجل ومسة وخمسين فارساً وأرادوا أن يمنعوا السلطان من التوجه إلى ناحية بكيل وركزوا في نجد النوبة .

فهزمهم العسکر المنصوري وقتل منهم كثيراً واخرب عاثين والصبيح وكان ذلك في شهر ربيع الآخر سنة ٦٤٧ .

وفي سنة ٦٤٧ وصل الاميران موسى وداود ابنا عبد الله بن حمزة الى صهر في خيل ورجل . وكان في صنعاء أستاذ دار الأمير أسد الدين وهو عز الدين المهندس ومعه رتبة . فحارب الشريفين وطردهما من صهر . وعاد الأمير أسد الدين الى صنعاء من ذمار بعد نزول السلطان نور الدين الى اليمن فلزم أهل البلاد وعسکر الامام نقيل الغابرة ومنعوه من الطلوع الى صنعاء فطلع عليهم قهراً بالسيف وهزمهم وطلع صنعاء ثم خرج بعد ذلك الى الكمييم في لقاء الخزائن فاجتمعت سنجان والبلاد كافة وعسکر الإمام وهموا بأخذ الخزائن وكانوا نحواً من أربعة آلاف راجل ومئة وخمسين فارساً فقتلتهم وهزمهم جميعاً . ثم خالفت عليه البلاد وافترق عسکره من غزو العرب وهربوا الى الإمام ولم يبق الأئمليمه . فيما اكتثر بشيء من ذلك ولا خطر له على بال . وكانت الحرب بينه وبين الشرفاء سجالاً على قلة عسکره وإقبال الناس على الإمام . ثم كانت وقعة قارن بين الإمام أحمد بن الحسين وبينبني حمزة . فقتل منبني حمزة طائفة وأسر طائفة وكان يوماً مشهوراً . وهو يوم الأربعاء ١٤ من شهر شوال من السنة المذكورة .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الصالح عبد الله المأربی وكان فقيهاً مشهوراً صالحًا ورعاً تفقهه بعمر بن سعيد العقبي وكان صالحًا تقىًّا ولما توفي في التاريخ المذكور ودفن ووقف شيخه على قبره ساعة وهو مصفع الى القبر ثم قال بشرني والله يا تاج بشرني يا تاج فسأله بعض أصحابه عن موجب ذلك فقال لم أر من سبق الملوك قبل أن يسألاه غير هذا . وكان الفقيه يلقبه بالتاج وكانت وفاته في رجب من السنة المذكورة . وفيها توفي الشيخ أبو موسى عمران الصوفي وكان من أعيان مشايخ الصوفية صاحب الشيخ عليا الحداد بحق صحبته للشيخ عبد القادر الجيلاني . وكان لزوماً للسنة نفوراً عن البدعة متعلقاً بأذيال العلم وله كرامات كثيرة . ويروى انه اشتغل يوم الجمعة بصلوة

فلم يزل في قيام حتى فاتته الجمعة وانقضت فلزム الخلوة واعتكف فلم يزل في قيام وصيام حتى وافته الجمعة الأخرى . وكانت وفاته في السنة المذكورة .

وفي هذه السنة استشهد السلطان نور الدين رحمة الله عليه في قصر الجندي ليلة السبت التاسع من ذي القعدة . وثبت عليه جماعة من ممالikeه فقتلواه . وكان قد استكثر من الماليك حتى بلغت ممالikeه البحريه الف فارس . وقيل ثمانية . وكانوا يحسنون من الفروسية والرمي ما لا يحسنها ممالike مصر وكان معه من الماليك الصغار قريب منهم في العدد خارجاً عن حلقتهم وعساكر امرائه . ويقال ان الذي شجعهم على ذلك وآنسهم ووعدهم بما اطمأنوا اليه نفوسهم ابن أخيه أسد الدين محمد بن الحسن بن علي بن رسول . وذلك انه كان مقطعاً صناعه من قبل عمه المنصور ثم أراد ان ينزعه منها ويجعلها لولده شمس الدين يوسف المظفر . فعزَّ ذلك كثيراً على أسد الدين فعامل الماليك على قتل عمه فقتلواه في التاريخ المذكور فلم ير أسد الدين بعد قتل عمه يوم سعد ابداً . تجري المقادير على خلاف التقادير .

ويروى أنه لما راجع السلطان نور الدين رحمة الله عليه من حرب الامام ودخل مدينة الجندي وصل اليه رسول من ملك الهند قبل وفاته بيومين او ثلاثة أيام . فحضر في مجلس السلطان وأدى رسالة مرسله . فأكرمه السلطان وأنعم عليه . فلما خرج قال لترجمانه . قد قرب أمنه الا أنه أبو ملك وجـد ملك ومن ذريته ملوك . ثم قال قوله بالعجمي فوجده . يأخذها ذو شامة من بعده ويلتقى بها مسعد من بعده^(١) لا تنقضي من نسله وولده .

وكان السلطان نور الدين ملكاً كريماً حادقاً حليماً حسن السياسة سريع النهضة عند الحادثة وكان شريف النفس عالي الهمة فارساً شجاعاً مقداماً محارباً لا يمل الحرب . ومن الدلائل على ذلك طرد العساكر المصرية عن مكة المشرفة مرة بعد

(١) عبارة المسجد : ثم قال قوله بالعجمية لوحده ترجمانه شرعاً . يأخذها ذو شامة في خده - ويلتقى بها مسرع من بعده - لا تنقضي عن نسله وولده .

آخرى . ولم يقنعه استقلاله باليمن بعد أن كان نائباً لهم فيها بل قاتلهم عن مكة وطردهم عنها وعن الحجاز . واستقال عدّة من عساكرهم . ومن استقاله من الأمراء الأمير مبارز الدين علي بن الحسين بن برباس والامير فيروز الذي ذريته الأمراء بنو فيروز أصحاب إب قال الجندي : ويقال ان الأمراء بنى فيروز (لعله) تدبروا إياً من زمن قديم يعني من قبل أيام الملك المنصور . والله أعلم .

ولما قتل السلطان نور الدين في مدينة الجند ولم يكن يومئذ أحد من اولاده حاضراً بل كان الملك المظفر في المهاجم واخوته والدتهم في حصن تعز بسبب جهاز المست عازبة ابنة السلطان الملك المنصور عروساً على شريف من أهل مكة فانتقلت بهم الى الدملؤة فاجتمع بنو فيروز وحملوا السلطان في محمل وقصدوا به تعز فدفونه في المدرسة الأتابكية بذي هزيم لكونه كان مزوجاً على بنت الأتابك سنفر المعروفة ببنت محمد . وكان مهاناً السلطان الملك المظفر رحمة الله عليه يعرف ذلك لهم ويشكرهم وحمل لشمس الدين طبلخانة وأخاه

三

لن يسكن معها مساحة فيها يزرعه فسكن الناس معها حتى صارت هنالك قرية جيدة وانتفع الناس بها نفعاً عظيماً . قال علي ابن الحسن الخزرجي . وأظنها إنما سميت النوري نسبة اليه لكونه الذي أحى ذلك الموضع وكان يلقب نور الدين كما ذكرنا . والله أعلم . وابتلى بين المدينتين حصوناً كثيرة ومصانع ورتب فيها الرجال . وأثارها هنالك الى عصرنا هذا وأمر بعمارة البرك وهو جبل متصل بالبحر فيها بين مكة واليمن ورتب فيه العساكر الجيدة لمحاربةبني أيب . وأرسل الشيخ معيد بن عبد الله الأشعري صاحب رفع الى الشيخ موسى بن علي الكناني صاحب حليٌ ابن يعقوب بأن يتصدى لمحاربةبني أيب . وكان موسى بن علي الكناني من يضرب به المثل في الجود والكرم . فلما وصل اليه الشيخ معيد برسالة السلطان نور الدين سمع وأطاع . وقال : أي شيء تحملني من ضيافة هذا الرجل يعني معيداً . فقداد اليه خمسين فارساً فقادها معيد بأسرها الى السلطان نور الدين . فأثنى عليه عنده وقال صاحب هذه النفس يصلح لأن يجري عليه اسم الأمير فأجرى عليه اسم الإمارة من ذلك الوقت .

وكان للسلطان نور الدين من الولد ثلاثة رجال وهما المظفر والمفضل والفائز . وكان المظفر أكبرهم . ظهر في أيام إمارة أبيه في مكة المشرفة سنة تسعه عشر وستمائة وقيل سنة عشرين وستمائة وهو الذي تولى الملك بعد أبيه وكان أبوه قد أقصاه وقدم أخيه عليه موافقة لأمهما بنت حوزة وكانت قد غلت عليه حتى أنه استحلف العسكري لابنه المفضل وهو أصغر من المظفر .

وكان شاعره التاج بن العطار . وهو أحد فضلاء أهل مصر والأديب محمد بن حمير أحد فضلاء أهل اليمن فاجتمعا يوماً في مجلس الشراب . فقال له ابن العطار يا مولاي إني شاعرك من الديار المصرية وأراك تفضل ابن حمير عليٍّ وتنعم عليه أكثر مني . فقال له السلطان انه حاضر القرىحة سريع البديهة وأنتم يا أهل مصر وإن كنتم أهل فضل وأدب فانكم تبطئون . ثم التفت الى ابن حمير وقال له . ما تقول :

فالتفت ابن حمير الى ابن العطار وقال ارجلاً :

متبعشر بعامة معقدة لو بعشرت ملت الفضاء خميرا
وابوك عطار فما بال ابنه يهدي الصنان الى الرجال بخورا
قال وكان به شيء من ذلك . فضحك السلطان نور الدين وقال : أجبه
فافحم . وحضر في مجلس الشراب يوماً عند السلطان نور الدين وكان عنده يومئذ
ابن أخيه الأمير أسد الدين . وكان للأمير أسد الدين شاعر من أهل المشرق يقال له
علي بن أحمد فجعل أسد الدين يثنى على شاعره المذكور . فقال السلطان نور الدين
لابن حمير ما تقول . فقال ارجلاً :

أنا البحر فياضاً بكل غريبة أحل بها المنصور دراً وجوهرا
وما ان أبيالي عن عليّ بن أحمد وعن شعره ذقن ابن أحدي المسك^(١)
فقال له السلطان نور الدين : وما منعك من قافية الراء . قال خوف ابن
أخيك هذا : وكان ابن حمير شاعراً فصيحاً جيد القرية حسن البديهة وهو القائل في
 مدح مولانا السلطان نور الدين حيث يقول :

أنت الملوك وأنت البحر يا عمر قد قيل جاور لتنغسي البحر أو ملكاً
ما شاد ما شدت لا جن ولا بشر ما حاز ما حزت لا عرب ولا عجم
أو فاخروا فبك الأجداد تفتخر إذا الجدود بهم أبناؤهم شرفوا
فلا يغرنك ان غابوا وإن حضروا والكل أنت وفيك السر أجمعه
كما بأحمد عزت كلها مضر عزوا بعزك أولاهم وآخرهم

وقال أيضاً يمدحه من قصيدة أخرى

قل للقوافي قفي على عمر إياك أن تخدعني فتخدعني

(١) القافية في الأصل هي « الخرا » .

حلي المكان الرفيع ترتفعي ولا تخلي الوضعية تتضاعي
ومن خدت ناره فان أبا احمد نيرانه على اليفع

وكان السلطان نور الدين حنفي المذهب ثم انتقل منه الى مذهب الشافعى .

قال الجندي في تاريخه : أخبرني شيخي أحمد بن علي الحراري بأسناده عن الإمام أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الفشلي المحدث بزبيد وكان أحد شيوخ المنصور - أخبرني السلطان نور الدين المنصور من لفظه انه كان حنفي المذهب فرأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه وهو يقول له يا عمر صر إلى مذهب الشافعى . أو كما قال : فأصبح ينظر في كتب الشافعى ويعتمد مذهبه . وكان يصحب الشيخ والفقىء صاحبى عواجه وهما من بشارة بالملك . وصحب الفقىء محمد بن إبراهيم الفشلي . وقرأ عليه وكان يحب العلماء والصالحين . وأثاره وأفعاله حميدة رحمة الله تعالى .

الباب الثالث

في أخبار الدولة المظفرية وفتحها

قال علي ابن الحسن الخزرجي : لما توفي مولانا السلطان الملك المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول في التاريخ المذكور سار المالك بأجمعهم إلى محروسة زبيد ثم ساروا منها إلى فشال : وكان فيها الأمير فخر الدين أبو بكر بن الحسن بن علي بن رسول مقطعاً بها من عمه السلطان الشهير نور الدين عمر بن علي بن رسول فلقبوه الملك المعظم وحلقوا له وقصدوا مدينة زبيد . وكان فيها يومئذ ذات الستر الرفيع الدار الشمسي كريمة مولانا السلطان الملك المظفر والدته والطواشى تاج الدين بدر الملقب بالصغير . وكان مسجوناً في سجن زبيد حبسه بنت حوزة لكونه كان محب الملك المظفر فأخرجته الدار الشمسي من السجن وأعطته مالاً جزيلاً . فاستخدم الرجال وأمرته باغلاق أبواب المدينة وحفظها وحراسة أسوارها . فرتب المقاتلين على الدرب وحارب المالك والأمير فخر الدين على كره من أمير المدينة وناظرها . وكان الأمير يومئذ ملوكاً اسمه قيمار والناظر غريب يعرف بالشرف . وكان السلطان الملك المظفر يومئذ غائباً في إقطاعه بالمهجم وكان غير طيب النفس من والده لما قدم عليه أخويه المفضل والفاتئ . وكانت أمها بنت حوزة قد استحالته وغضبت عليه وأقصت ولده السلطان الملك المظفر وكريمه الدار الشمسي عن أبيها حتى أنه حلف العسر لولده المفضل . فهمّ السلطان الملك المظفر تلك السنة بالخروج عن اليمن والسير إلى الخليفة المستعصم بالعراق . فلما بلغه الخبر بوفاة والده شق عليه واثنى عزمه عن الخروج من اليمن وتحير في أنه ضاق ذرعاً لما عرض

له من الحوادث العظيمة والخطوب الجسيمة من فقد والده وانحياز المهايلك بأسرهم الى ابن عمه فخر الدين وحضارهم لزيد وأسد الدين على صناعة وأعمالها وقيام الإمام أحمد بن الحسين في البلاد العليا وانتشار صيته واستيلائه على معظم البلاد العليا وحضارتها واستيلاء أخيه المفضل والفائض على الحصون والمداين والخزائن ولم يكن في يده إلا قائم سيفه إلا أن القلوب مملوءة بمحبته .

فقام مشمراً وجمع من معه من العسكر واستخدم من العرب خيلاً ورجالاً .
وخرج من المهاجم باشارة الشيخ أبي الغيث بن جمبل وسار إلى زيد بحدٍ وجذٍ وتوفيق وسعد . وكان من دلائل سعادته أنه لما عزم على المسير أمر بتحميل آلة وخزانته فلما شرعوا في التحميل أخرجوا صندوقاً مملوءاً ذهباً ووضعوه ورجعوا للآخر . فمر رجالان من العرب فاحتملوا الصندوق الأول . فلما خرج الخزانون بالصندوق الآخر فقدوا الأول فلم يجدوه فوقفوا متثيرين فانتهتى العلم بذلك إلى السلطان فطلب مشائخ العرب وأمرهم باقتقاء الأثر : فخرجوا من فورهم يطلبون الأثر فما برحا يقصّون الأثر حتى وقفوا على أثر مبرك الجمل الذي حمل عليه الصندوق فوقفوا ينظرون يميناً وشمالاً فرأوا موضعًا هنالك على غير هيئة غيره : فنبشوه فوجدوا الصندوق ما فضّ له خاتم فحملوه ورجعوا به فكان هذا من أعظم دلائل الفتح والسعادة .

وكان خروج السلطان من المهاجم في عساكره المنصورة في ٢٨ من ذي القعدة سنة ٦٤٧ ولم يزل المحطة والمحاصر على زيد إلى أن علموا أن السلطان قد صار في الطريق قاصداً زيداً فارتغعوا حيثئذ ولما خرج السلطان الملك المظفر من المهاجم إلى زيد كان كلما مرّ بقبيلة من العرب استخدم خيلها ورجلها وسار في خدمته من رؤساء العرب علي بن عمران القرابلي والشيخ محمد بن زكري الحدباني والشيخ أحمد بن أبي القاسم وكانشيخ مشائخ سردد وحضر الفقيه يحيى بن العمك وكان مقدم الرماة : وخرج الشيخ زكري بن القرابلي على هجين راكباً : فقال له الشيخ علي ابن

أبي بكر السودي وكان يلقب مخلص الدين وهو وزير مولانا السلطان . ياشيخ ذكري تكون من أكبر الجندي وترك على هجين فقال وحق رأس مولانا السلطان لاركبن بغلة فخر الدين ان أنعم الله بها على مولانا السلطان . قال له : قد أنعم الله بها عليه^(١) . تال : فسوف ترى وكان جملة عسکر مولانا السلطان مئة وخمسين فارساً وألفي راجل وكان فخر الدين في ستمائة من الماليك وألف راجل وما صار السلطان في أثناء الطريق لقيه بدوال من قال له هذا فخر الدين في الجم الغفير على عدوة الوادي قال فنهنه العسکر فركب السلطان حصاناً شديداً اشقر وأخذ قناة في يده . وكان فارساً حسناً فعطف رأس حصانه وقال يا عرب أين تفرون عننا . أما ترضون أنفسنا بأنفسكم ثم جعل يقول أنا يوسف^(٢) . قال : فوالله لقد رأيتم في عسکر يتزايد الى الاقدام كما يتزايد البحر .

ولما علم الأمير فخر الدين ومن معه من الماليك بمصير السلطان الملك المظفر نحوهم اضطربوا اضطراباً شديداً وعزم فخر الدين على طلوع الجبل واللحاق بأخيه الى صنعاء فاجتمع رؤساء الماليك وأعيانهم الذين لا ذنب لهم وهم الأكثر وكتبوا الى مولانا السلطان كتاباً يطلبون فيه الذمة فاذم لهم السلطان على ان يلزموا الأمير فخر الدين والجماعة الذين قتلوا السلطان فأجابوا على ذلك ولزموا الأمير فخر الدين وهو في خيمته وقطعوا طنباً من أطنابه وكتفوه به وساروا بآجعهم الى السلطان بعد أن لزموا الجماعة الذين قتلوا السلطان هذه رواية الجندي وقال صاحب العقد الشمين كان السبب في لزمه ان فخر الدين لما علم بمصير مولانا السلطان نحوه كاتبه وراسله وبذل له الطاعة وتسلیم الماليك وهو يقول :

لا تجمعوا علينا بين قتل أبينا وخروج الملك من أيدينا فامثلوا أمره واستمعوا قوله وقيدوا فخر الدين وساروا به اليه .

(١) في المسجد : عليك .

(٢) في المسجد : أنا يوسف أنا يوسف

وحكى صاحب العقد الثمين أيضاً قال . وسمعت من مولانا السلطان يقول : كان السبب في لزم الماليك للأمير فخر الدين انهم خرجوا من المحطة يتطلعون الأخبار فوفاهم بريد الأمير فخر الدين ومعه كتب منه اليينا بما يسعهم ، فعادوا إلى المحطة ولزموه ووصلوا به تحت الحفظ .

وكان الأمير شمس الدين علي بن يحيى العنسي ظاهره مع السلطان وباطنه مع الأمير أسد الدين وأخيه . وكان شاعراً فصيحاً كريماً واصله من عنس قبيلة من مدحج فكتب إليه الأمير أسد الدين يحيى فيه على القيام ويحرضه على فكاك أخيه فخر الدين وفيه يقول :

لوكنت تعلم يا محمد ما جرى
ترمي بها دربي تعزز على الوعى
لا بد ان تنجي اخاك حقيقة
ان ابن برباس تكن فرصة
صح يا الحمزة نأت وانخص احدا
لشنتها شعث التواصي ضميرا

يعني الإمام أحمد بن الحسين والغالب عندي انه إنما يعني الأمير شمس الدين أحمد بن الإمام المنصور عبد الله بن حمزة فإنه كان يؤمن برئيس بني حمزة . والله أعلم .

لما وصل الماليك بالأمير فخر الدين إلى السلطان الملك المظفر أذم عليهم وأنهم من نفسه كثيراً . وسار يريد محروسة زبيد فكان دخوله زبيداً في ١٠ ذي الحجة سنة ٦٤٧ في موكب عظيم وعليه جلالة الملك وأبهة السلطنة فلما قعد على السساط واستقر في دار الملك قامت الشعراً بالمدائح يهنئونه بالملك فأنشد الشعراً شيئاً كثيراً وقام الفقيه سراج أبو بكر بن دعاس من جملة الحاضرين يهنيء السلطان بما فتح الله عليه . فقال :

فانظر ضياء الشمس قد ملأ الملا
 فاليوم أصبح بالملظف اكحلا
 رزئت برضى واستعاضت يذبلا
 غم الورى وأشاه صبح فانجل
 جيد العلا حال وكان معطلا
 اضحتى الزمان به اغرس محجلا
 فاستجلها ان العرائس تختلى
 متضرعاً لقدرها متبتلا
 وتميس في حلل المفاخر والحل
 كفؤ سواك ولا تزيد تبدلا
 رحماً ولم تشهر عليها منصلا
 وسعى فضلً عن الطريق وضلا
 باه عليك ولست فيه مؤهلا
 للمحمد الأسياف في هام الطلا
 وفلا بحد السيف ناصية الفلا
 نكبا بريع منه هبت شمala
 ما أنفك في نسب المفاخر أولا
 والله يعطي عبده ما أملأا

ان غاب افق الملك عن أفق العلا
 او كان جفن الملك امسى ارمدا
 لا تحزع الدنيا لفقد مليكتها
 ما كان رزء الملك الا غيبةاً
 بالملك عاد الكسر جبراً واثنى
 هي دولة غراً وهذا مالك
 لم يرض غيرك يا أبا عمر لها
 ما زلت معترضاً بنعمة ربه
 أو ما تراها في زيد تزدهي
 امهورتها وفي الصداق لها لها
 جاءتك طائعةً ولم تهزز لها
 قل للذي رام التملك جاهلاً
 ما انت والملك الذي لا سره
 ارجع الى كأس الطلا ودع العلا
 ولصاحب الجيش الذي سد الفضا
 وأعاد ريحك حين هبت أزيها
 اولي الورى بالملك والده الذي
 هي دولتي وأنا الذي املتها

ولما قبض السلطان الملك المظفر على الأمير فخر الدين ودخل مدينة زبيد كما
 ذكرنا واستقر ملكه فاجتمع له عسكر أبيه واحتملت حواصل التهائم وانشرح صدره
 وطابت نفسه استأنذه مشايخ العرب في الرجوع الى بلادهم فقعد لوداعهم في قاعة
 سيف الاسلام ودخلوا عليه للوداع فوهب للشيخ زكري بن القرابلي بغلان من دواب
 الأمير فخر الدين يسمى الدراج ووهب للشيخ علي بن عمران القرابلي بالقصرية

وكتب للشيخ محمد ابن أبي زکری بلعسان وکساهم وانعم عليهم وأحسن جوائزهم
فادوا الى أوطانهم فرحين مسرورين .

وفي سنة ٦٤٨ استولى السلطان الملك المظفر على تهامة بأسرها وأطاعه أهلها
وحملت اليه حواصلها وخرج من مدينة زبيد الى عدن فسار طريق الساحل فاستولى
عليها وعلى لحج وأبين في صفر من السنة ٦٤٨ وتسلم حصن يُنْ ومينف وحصون
بلاد المعافر جميعها في صفر من السنة وكان أول بلد دخله من البلاد جباء فلقى
القاضي محمد بن اسعد الملقب بالبهاء واحتطب له بها فهي أول بلد احتطب له فيها
من الجبال .

ثم خط على حصن تعز في شهر ربيع الأول من السنة ٦٤٨ وكانت محطة في
الموضع بدار السعيدة وهو بالحبيل فيها بين المجاهدية وعسق وكتب الى الشيخ علوان
بن سعيد الجحدري يطلب منه رجالاً من مدحج فوصله بجيشه جرار فأقام حاصراً
للحصن الى أن تسلمه في شهر جمادى الأولى من السنة ٦٤٨ بخديعة منه وذلك انه
قبض في يوم من الأيام بريداً جاء من المفضل والدته من الدملؤة الى أمير الحصن
وزمامه وكان أمير الحصن يومئذ علم الدين الشعبي والزمام استاذ يقال له عنبر فلما
قبض البريد اخذ ما معه من الكتب وفضها وامر من زور على الخط حتى اتقنه ثم
كتب الى الأمير علم الدين الشعبي على لسان المفضل والدته ان يقبض الزمام
ويسجهه وكتب الى الزمام بمثل ذلك وجعلت اوراقه بين اوراق البريد ووهب للبريد
ما أرضاه ووعده بالخير وتقدم البريد بالكتب الى الحصن فلما قبض الأمير والزمام على
ما كتب به اليه هم كل واحد منها بصاحبها و كانوا متتصافين ثم انها اجتمعا واطلع
كل واحد منها على ما عنده فاتفقا على أن يكتبا معاً إلى المظفر ويتوثقا لأنفسهما منه
فعلاً وسلماً اليه الحصن في جمادى الأولى من السنة ٦٤٨ ف يجعل زمام خادماً
لبنت أسد الدين وكان خادماً فيه خير ونان الشعبي عنده حظوة عظيمة ثم انه أقطعه
صنعاء فلم يزل بها الى أن توفي وقيل أقام السلطان حاصراً للحصن نحو ستة أشهر

فليها طال مقامه كتب الى خالتة بنت حوزة يسألاها ان تسلم اليه حصن تعز ويكون ولده الأشرف معها وأخوه وامها رهائن عندها وأرسل بهم اليها فكتبت الى الأمير بتسلیم الحصن اليه فتسلمه منه .

ثم تسلم حصن حب في رجب من السنة ٦٤٨ وفي ذلك يقول الأديب جمال الدين محمد بن حمير حيث يقول :

وَانْ مَلِكَ وَليٌ فَذِي دُولَةِ ابْنِهِ
أَغَارَهَا مِنْ بَطْنِ مَلْحَاءِ غَافِقِ
مَجْلَةِ الْأَرْسَاغِ وَاضْحَىَ الغَرَرُ
وَنَادَتْ زَبِيدَ يَا مَظْفَرَ مَرْحَبَاً
أَصَاءَ بَكَ النَّادِي وَقَرَ بَكَ الْمَقْرَ
وَسَارَ إِلَى حَبٍ وَحَبٍ يَحْبِهُ
وَمَا حَبٌ يَعْصِيهِ وَلَوْ شَاءَ مَا قَدِرَ
حَصْنُونَ أَتَتْهُ وَهِيَ بِالشَّرْعِ إِرْثَهُ
وَبِالسَّيفِ لَيْسَ السَّيفُ إِلَّا مَنْ قَهَرَ

وفي أثناء هذه المدة المذكورة اتفق الإمام أحمد بن الحسين والأمير شمس الدين أحمد بن الإمام عبد الله بن حمزة وقصدوا الأمير أسد الدين محمد ابن الحسن إلى صنعاء فخرج منها وطبع حصن برأس وكان خروجه من صنعاء يوم الثاني من جمادي الأولى من السنة ٦٤٨ ودخل الإمام صنعاء يوم السابع من الشهر المذكور ودخل معه كافة الأشراف وأجابته القبائل واستولى على صنعاء واعماها ثم على ذمار وجهاتها وكان الأمراء الحمزيون معه وهو غير واثق بهم وهم كذلك .

قال صاحب العقد الشمين وأقام الإمام في صنعاء نحواً من سنة والأمير أسد الدين في برأس يغاديم بالقتال ويرأوحهم وقد اجتمعت عليه العرب مع الإمام فلما طال عليه الأمد واشتد عليه الأمر راسل الأمير شمس الدين أحمد ابن الإمام على أن يصلح بينه وبين الإمام فأشار عليه الأمير شمس الدين بالرجوع إلى مولانا السلطان وملازمته والارتسام تحت أمره ثم التقى الأمير أسد الدين والأمير شمس الدين إلى الجبوب واتفقوا على أن الأمير شمس الدين يسعى في الصلح بين الأمير أسد الدين

وبين الإمام وأن الإمام يجهز الأمير أسد الدين إلى اليمن لحرب ابن عمه السلطان الملك المظفر فإذا صار قريباً من السلطان سعى من سعي في الصلح بينه وبين السلطان فاتفق الأمر على ذلك وسعى من سعي في الصلح بينه وبين الإمام فاصطلحوا على ذلك واتفقوا وانتظم الأمر وتجهز الأمير أسد الدين وسار في صحبة الأمير أحمد بن علوان وغيره من بنى حاتم وجهز الإمام معه أيضاً الأمير عبد الله بن سليمان بن موسى في مئة فارس وخرج الأمير أسد الدين في عسكر عظيم ولم يزل سائراً حتى حط في الشوافي فلما علم به السلطان الملك المظفر خرج في عسكنره حتى خط مقابلاً له فسعى بينهم في الصلح بتوحاتهم وغيرهم حتى انتظم أمر الصلح وكان اللقاء في الموعدة وركب السلطان فرسه المشمر وأقبل في جلال ملكه واحتفال جنده وكثرة عسكنره وأقبل الأمير أسد الدين يمشي راجلاً فلما قرب ترجل له السلطان وتسلماً وهما راجلان ثم ركب السلطان وسار الأمير أسد الدين قدامه راجلاً وحمل الغاشية بين يديه حتى دخل على السياط فلما بلغوا المرتبة الشريفة قال السلطان للأمير أسد الدين بسم الله يا أمير فقال : حاشاك يا مولانا هذا موضعك وموضع أبيك وهذا موضعك وموضع أبي . ثم انتظم الأمر على ما شرعوه من الصلح وخرج له من الأنماع العمييم ما هاله حتى قال ليت شعري هل أبقى مولانا السلطان في خزائنه شيئاً .

ثم ان السلطان رحمة الله عليه جهز مادة مئة فارس الى صنعاء وجعل مقدمهم النايف اليحيى ثم ورد أمره على الأمير أسد الدين بالعود الى صنعاء فسار مبادراً في عسكنره وأصحابه ولما بلغ الإمام العلم بذلك جهز عسكنره الى نقليل الغابرية وظن أنهم يعنون عسكنر السلطان من طلوع النقليل فلم يقم عسكنره في وجه العسكنر المظفر في ساعة واحدة فلما علم الإمام بوصول أسد الدين في العساكر المظفرية خرج من صنعاء الى سناع بعد ان اخرب قصر الأمير أسد الدين وقصر أخيه الأمير فخر الدين وترك السيد الحسن بن الوهاس الحمزى وأخاه وغيرهما من الأشراف والعرب رتبة في ظبوة فقصدتهم الأمير أسد الدين في العساكر السلطانية فأخذهم برقباهم وأطلعهم

حصن براش، ثم طلع السلطان صنعاء في ذي الحجة من سنة ٦٤٨ وفي سنة ٦٤٩
رجع السلطان من صنعاء إلى اليمن وفيها تسلم حصن التعكر في أول المحرم سنة
٦٤٩.

وفي آخر الشهر المذكور وصل العلم بقدوم الأمير بدر الدين الحسن بن علي
ابن رسول من مصر وقدوم أخيه فخر الدين أبي بكر بن علي بن رسول فأوجب ذلك
الصلح بين السلطان وبين الإمام فاصطلحا.

ثم ان مولانا السلطان كتب إلى كافة النواب بالتهائم باكرام عمّيه والقيام
بحالهما وكتب إلى عمه المعروفة بالنجمية وهي يومئذ بالتعكر يقول لها ان رأيت ان
تلقى اخوتك فافعلي ففرحت بوصولها فرحاً شديداً لأنها كانت تبرُّ أهلها خاصة
والناس عامة وكان محمد بن خضر قد صار من خلف السلطان وأمه زهراء بنت الأمير
بدر الدين وكانت من أعيان النساء حازمة لبيبة وهي التي ابنت المدرسة النسوية إلى
بني خضر بقرية الجبابي وفيها قبرها وقبورهم وكان محمد بن خضر قد أساء إلى
السلطان وخالف عليه خلافاً ظاهراً ثم عاد عن ذلك فقال له السلطان يا محمد انزل
مع جدتك والق جديك فنزل مع الدار النجمي وجهزها السلطان اتم جهاز ولما نزلوا
نزل السلطان بعدهم فلقي عميه في حيس فخرجوا في لقائه فلما توجهوا ترجل بعضهم
لبعض وتسلموا ثم ركبوا خيولهم ودخلوا إلى مدينة حيس فلما استقرّ بهم القرار أمر
السلطان بالقبض على عميه المذكورين بدر الدين وفخر الدين وعلى محمد بن خضر
وقيدهم وطلع بهم مقيدين ثم تمثل بقول الأول^(١) :

اقول كما يقول حمار سوء
وقد ساموه حملاً لا يطيق
كما أن الأمور لها اتساع
واسع والأمور لها اتساع
واما ينقضي عنى الطريق

(١) لعل هنا سقطاً ففي المسجد وقرة العيون. وطلعوهم إلى حصن نزع تحت الحفظ فساروا بهم يومئم فلما دخلوا من باب الحصن قال الأمير بدر الدين قبحك الله من قلعة خرحاً منك مقيدين ورحنا إليك مقيدين ثم الع .

فلما دخلوا دار الأدب المذكور وجدوا فيه الأمير فخر الدين الصغير أبا بكر بن الحسن بن علي بن رسول وكان أول من سجن منهم فكتب الأمير شمس الدين علي بن يحيى إلى الأمير شمس الدين يتحقق له ما كان من الأمر وفي أثناء ذلك يقول :

ودادي ذلك الود القديم وعهدي ذلك العهد القديم
وبين جوانحني مما أراه جحيم منه تحرق الجحيم
وقلت قدوم بدر الدين فيه لنا فرح فما نفع القدوم

بلغ خبره إلى مولانا السلطان فاغضى عنه وكان يكرمه ويقطعه الاقطاعات الفيسة ولا يظهر له شيئاً مما يبلغه . وفي هذه السنة ٦٤٩ تقدم المجد بن أبي القاسم بالرسالة الشريفة المظفرية إلى المواقف المطهرة العباسية ببغداد وقيل كان الرسول إلى بغداد الأمير عز الدين جعفر بن أبي القاسم فسار على طريق براقيش إلى العراق واتخذ الأدلة من الbadia وسلك طريق الرمل على الرواحل البحرية فحكي ابن أخيه انهم ساروا من براقيش إلى العراق أربعة عشر يوماً فلما حضر مقام الخليفة ببغداد عرض الكتاب وقرأه الخليفة المستعصم ودعا مولانا السلطان الملك المظفر فأمر الخليفة ان يكتب له منشوراً وولاًه العهد .

ثم قال الخليفة انظروا كم جائزة صاحب اليمن فقالوا عشرة آلاف دينار فقال عز الدين بن أبي القاسم وكم جائزة صاحب مصر فقالوا أربعين ألفاً فقال لا اقبل لمخدومي دونها فقال له الوزير ان اقليل مصر أكبر من اقليل اليمن فقال عز الدين ما كان في اليمن من نقص فان اوصاف مخدومي يجبره فقال الخليفة لقد سررنا بمقاتلك ثم التفت إلى الوزير وقال اخبروه بجائزة صاحب مصر .

ثم كتب الخليفة إلى السلطان كتاباً يأمره فيه باستئصال الامام أحمد ابن الحسين وأكد الوصية على الأمير عز الدين في ذلك ثم سار ابن أبي القاسم وسار معه رسول

ال الخليفة فلما وصل الى السلطان البسه الخلعة وقرأ له المنشور وولاه العهد بوكالة المستعصم له في ذلك وسلم له الاجازة وأقام في دار الضيافة فحمل له السلطان ما يستغرق الجائزة وغيرها .

ولما قتل الامام احمد بن الحسين كما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى كتب مولانا السلطان الى الخليفة يعلمه بذلك فلما بلغ الرسول برافق لقيه الخبر بقتل الخليفة ودخول التتر ببغداد .

وفي هذه السنة اصطلاح السلطان الملك المظفر واخوه المفضل والفائز واقطعهما لحجًا وابين .

وفي آخر السنة كان وصول رسول الخليفة الى مكة المشرفة بكسوة الكعبة وتشريفة المظفر الذي تقدم ذكرها وبالنيابة المذكورة فكسا البيت وتقدم الى اليمين فوصل الى السلطان بالتشريفة والنيابة .

وفي سنة ٦٥٠ اصطلاح الإمام والأمير أسد الدين محمد بن الحسن بن علي بن رسول . ودخل الأمير أسد الدين في طاعة الإمام وباع عليه حصن براش بمئتي ألف درهم وانتقض ما بين الإمام والسلطان من الصلح وذلك في رجب من سنة ٦٥٠ . وسيّره في عسكر جرار الى ذمار وجهز معه عسكراً من قبله وجعل عليهم الشري夫 عز الدين هبة بن الفضل العلوي . فلما اتصل العلم بمولانا السلطان جرد لهم الطواشي تاج الدين بدراً والأمير شمس الدين علي بن يحيى . فوقع بين الأمير شمس الدين علي بن يحيى وبين الطواشي تاج الدين مشاجرة فرجع الأمير شمس الدين علي بن يحيى الى الأبواب الكريمة الشريفة وسار الطواشي تاج الدين وحده في العساكر المظفرية . فلما رأى الأمير أسد الدين والشريف عز الدين هبة بن الفضل ما ها لهم من العساكر المظفرية هربوا الى السواد ولزموا الجبل وأرسلوا الى الإمام يطلبون منه المدد فأمدتهم بالأمير شمس الدين احمد بن الإمام وجيع العرب من بنى شهاب وسنحان وأهل حضور وغيرهم فحصل بينهم وبين العساكر المظفرية عدة وقائع

ظهرت فيها بسالة الملائكة . ثم إن الإمام تابع الامداد اليهم ولم يترك أحداً من القبائل الاً جهزه اليهم . فلما رأى الأمير أسد الدين تكاثف عسكر الإمام وتواتر الامداد اليه ادركته الحمية العربية وعطفته الأواصر اليعربية فانذر الطواشى تاج الدين وصوب له العودة وقال له : انك اذا رجعت بهذا العسكر سالماً وافراً طلع به مولانا السلطان فلا يقوم في وجهه واحد . فعاد الطواشى الى ذمار ثم سار الى اليمن .

وفي هذه السنة استولى السلطان على حصن الدملوَّة . وكان سبب ذلك أنه أرسل بولده الأشرف واحته وامها وبالطواشى ياقوت الى خالته بنت حوزة وجعلهم عندها رهائن . فساسوا الأمر وعاملوا الرتبة وقيل : بل طلعت الدار الشمسي كريمة مولانا السلطان مغاضبة لأبيها وشاكية منه الى اخويها وخالتها بنت حوزة وأظهرت الشكوى من أبيها^(١) المظفر . وكان معها الطواشى ياقوت وأقامت عندهم أياماً وهي تستميل الخدام وتصلح أحواهم وتستخدم الرتبة الى ان احكمت الأمر . ثم قيل لبنت حوزة إن البقرة الفلانية في الجئة ولدت عجلأً برأسين . فأرادت النزول الى الجئة لتنظر البقرة وعزمت على الدار الشمسي ان تنزل معهم . فاشتكت مرضًا فلم تنزل فنزلت بنت حوزة وأولادها . فلما نزلوا أوقد الطواشى ياقوت النار في رأس الحصن . وكانت الامارة بينه وبين السلطان الملك المظفر ان يوقد ناراً في أعلى الحصن فلما رآها السلطان نزل من فوره وكان السلطان يومئذ في حصن حبّ . وقيل في تعكر . فركب في مئة نفر وسار فقطع اكثراهم في الطريق . وثبت معه جماعة منهم النقيب منصور . فلما صار السلطان قريباً من باب الحصن نزل والنقيب منصور قائم بين يديه . فقال من هذا : فقال عبدك منصور . فتفاءل به حينئذ وانعم عليه وكساه ورفع مرتبته وولاه بعد ذلك بعض الجهات .

قال المصنف رحمه الله : وكان النقيب منصور رئيساً كاملاً هاماً عاقلاً ولم

(١) لاخيها .. من أخيها

تزل الرياسة في ولده وولد ولده إلى يومنا هذا . وكان منهم الأمير شجاع الدين عمر ابن يوسف بن منصور . انتهت به الرياسة إلى أن صار نائب السلطان الملك المجاهد في المملكة اليمنية بأسرها . ومنهم الأمير عز الدين هبة بن محمد بن أبي بكر بن يوسف بن منصور . وكان أميراً بزيد مدة طويلة . وسنذكر من لا بد من ذكره . ولما وصل السلطان إلى باب الحصن بالدماء وجد أخاه الفائز قائماً على باب الحصن ولم يفتح له . فقال له : هكذا تضيرون الحصون لا معنا ولا معكم . وساق عنه ففتحوا له الباب فدخل ودخل معه من وصل حينئذ من غلائه وخدمه . وكان ذلك يوم التاسع عشر من ذي القعدة . وقيل يوم الخامس والعشرين منه في السنة المذكورة .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الإمام العامل أبو الحسن علي بن مسعود بن علي بن عبد الله بن المحرم بن أحمد الساعي ثم الكتبى . وكان إماماً كبيراً ذا فنون كثيرة . واشتغل في أول عمره بالقراءات السبع حتى أتقنها . وتفقه في قراءته بحرار ثم عاد إلى بلده وقصد الفقيه أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن نزيل إلى جبل تيس فقرأ عليه المذهب ثم ارتحل إلى جبأ فأخذ البيان عن الفقيه أبي بكر بن يحيى وأخذ عن أبي بكر الحجوري . ثم عاد إلى المخلافة فرأس بها ودرس فلما ظهر الإمام عبد الله بن حمزة وغلب أمره في تلك الناحية خرج الفقيه المذكور في جمع من الطلبة نحو من ستين طالباً وقصد تهامة فأقام بها مدة . فلما توفي الإمام عبد الله بن حمزة وهدأت الفتنة عاد الفقيه إلى بلده المخلافة أيضاً فلبث بها مدة . وقدم الشيخ الصالح أبو الغيث بن جميل إلى بلد الفقيه وابتني هنالك رباطاً وأقاماً متعاضدين فلما ظهر الإمام أحمد بن الحسين واشتدت شوكة الزيدية انتقالاً عن المخلافة وعاد إلى تهامة . فنزل الشيخ أبو الغيث مع الفقيه عطاء وهو الذي تنسب إليه القرية المعروفة ببيت عطاء وتوفي في التاريخ الذي يأتي ذكره ونزل الفقيه عند تلميذه الفقيه عمرو وسلم ينزل هنالك إلى أن توفي في السنة المذكورة . وكان إماماً جليل القدر تفقه به خلق كثير . وانتشر

عنه الفقه في جهة حجة وغيرها انتشاراً عظيماً . ولما تولى كما ذكرنا وصل الشيخ أبو الغيث معزياً به إلى تلميذه الفقيه عمرو ومن حضر من أهله وكان زاهداً ورعاً يروى أنه ما قبض ديناً ولا درهماً ولم يتأهل بأمرأة فقط . فقيل له في ذلك فقال يشغلني عن العلم أو كما قال . ويروى أن حلقته كانت تجمع ثمانين متفقهاً أكثرهم ذو فقر وحاجة وإيثار . ويحكي أنه حصلت عليهم أزمة فتضروا بها ضرراً عظيماً . فعلم بذلك بعض أهل القرية ولم يكن في قدرته ما يقع موقعاً من كفایتهم فبعث بقرص من الطعام لشخص منهم فاثر ذلك الشخص به صاحباً له ثم آثر ذلك الشخص به آخر ثم آثر الآخر آخر حتى عاد القرص إلى الذي حصل له ابتداءً فأخذه ووصل به إلى الفقيه وأخبره بالأمر فاعجبه ذلك وقال الحمد لله الذي جعل في أصحابي صفة من صفات أصحاب الصفة وانصار نبيه صلى الله عليه وسلم حيث قال تعالى « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » . ثم جمع الدراسة وقسم القرص على عدد رؤوسهم لقمة لقمة .

وفي سنة إحدى وخمسين رجع الأمير أسد الدين بن معه من العسكر إلى البلاد العليا وفسد ما بينه وبين الإمام . وذلك أنه لم يحصل له من قيمة براش الأشياء السير ولم يف له الإمام بما عاهده عليه من أمر البلاد . فسار نحو البهيمة^(١) في طريق المشرق . وكان في صحبته الأمير علي بن وهاس في جماعة من خيله حتى بلغ عمقين وعمدان وجُرْزان وهي أودية بالشرق . فضاقت عليهم المسالك هو والأمير علي بن وهاس واشتدت بهم الحال وقصدتهم العساكر المظفرية ولم يروا بدأً من قصد الشيخ علوان بن عبد الله الجحدري على ما بين الأمير أسد الدين والشيخ علوان بن عبد الله الجحدري من العداوة والبغضاء في أيام الدولة المنصورية . فلما نزلوا عليه لقيهم بالرحب والسعنة وانزلهم في العروسين وحمل اليهم الضيافات وأجارهم . فقصدتهم السلطان وحط في بلاد الشيخ علوان وانحرب منها مواضع

(١) في المسجد : سحو رداع ، ولا معنى للكلمة التي في المتن

كثيرة واحرق مواضع اخرى . ولم يزل الشيخ علوان يلاطف السلطان ويراجعه ويسائله الذمة للأمير أسد الدين حتى اذم له على يده . فقال الشيخ علوان في ذلك وكان من فصحاء العرب :

سلام على السدار التي في عراصها
أناخوا علينا نازلين وفيهم طوال القنا والمشرفية والجرد
ليوث شری خاضوا الرمال فذلّوا مقاولها فارتاع من خوفهم نجد
رموا موضع الشمس احتساباً لانف
الى أن سری البرق الياني لاما
فرمّوا له بزل الركاب على الوجى
يقودهم الملك الذي في يمينه
تحف به القوم الذين سيوفهم
رأوا مورداً عذباً فلما دنوا له
قضى أسد الدين القضاء برمحه
فجاش عليهم للمظفر عارض
همام أبي ان يسلم الملك فانبرى
يسوّقهم سوق السحاب يجثها
أكارم كانوا لي عدوًّا فاصبحوا
فقلت لهم في فرع تيماء فانزلوا
مددت لهم ظل العروسين دائمًا
فشكراً لمن أدنى ركب محمد
فاصبح أرباب الزعامة حولنا
ملوك دنا بعض لبعض فاصبحت
وأسدًا إلى أسد تدانست فصدها
فمن لفخار العرب مثل ومن لها

معاهد قوم لا يذمّ لهم عهد
سأمانيهما موتٌ على العز أو حمد
بدملؤة الغرّا التي ما لها ندٌ
وقادوا اليه الخيل من فوقها الأسد
عوارف منهن المنية والرفد
عقائق حمر لا يلائمها غمد
وقد أشروعوا قلن المقادير لا ورد
إلى علم زهر النجوم له عقد
له البيض برق والطبول به رعد
وحوليه أرباب الزعامة والجناد
نسيم الصبا حتى ألم بنا الوفد
ينادون يا علوان هل ذهب الحقد
ألا مرحباً هذا السموأل والفرد
بسقطت لهم ايدي الرخاء الذي مدوا
إليه واهداء لي الفلك والسعد
وما رابني منها الوعيد ولا الوعد
كتائب عزمي وهي بينهم سد
على حنق ما بينها الأسد الورد
كمثل مقامي في المكاره إن عدوًا

فحسبني إني الحرُّ من آل يعرب وإنني لمن آوى إلى كنفسي عبد
 ولما أذم السلطان الملك المظفر للأمير أسد الدين كما ذكرنا نزل الأمير أسد
 الدين فيمن معه من أصحابه إلى السلطان فلقيه بالموسعة فأكرمه وأنصقه وسار الأمير
 أسد الدين مائشياً بين يدي السلطان بسيفه على عاتقه . فلما دخلوا على السماط وقف
 وخدم . ثم إن السلطان حمل إليه أموالاً جليلة وأمده بعسرك كثيف . وأمره بالمسير
 إلى صنعاء . فسار أسد الدين في العسكر إلى صنعاء فعلم به الإمام فخرج من صنعاء
 ودخلها أسد الدين . ثم طلع السلطان إلى صنعاء في رجب من السنة المذكورة وطلع
 صحبته الأمير علم الدين علي بن وهاس فحط في درب عبد الله . وكان الإمام يومئذ
 في ساع فخرج من ساع فاخرب السلطان ساع وبساتينها وعاد إلى اليمن فتسلم
 حصن دروان من الشيخ الورد بن محمد بن ناجي . وفي هذه السنة قتل الشرييف أبو
 سعد بمكة وكان مدة ولايته عليها أربع سنين إلاً شهراً . فدخل بنو عمته إلى داره
 فقتلوه في وسط الدار وكان الذي قتلهم حماد بن حسن وحج الناس في ذلك العام وأقام
 بمكة . وفي هذه السنة اختلف الإمام والأمير شمس الدين أحمد ابن الإمام عبد الله
 ابن حمزة وبنو عمته من بني حمزة واستصرروا بالسلطان فأثر السلطان على الأمير أسد
 الدين^(١) يوم الخامس من ذي الحجة وقد وصلت الخزائن السعيدة إليه فالتقى الأمير
 شمس الدين في براقش بعد أن رجع الأمير شمس الدين من مأرب ثم ساروا جميعاً
 فخطوا على الزاهر فاخذوه . وأخربوه .

وفي هذه السنة توفي الشيخ الصالح المشهور أبو الغيث بن جميل الملقب
 بشمس الشموس . قال بعض العلماء وهذا لقب على لقب باستحقاق وكان في
 بدايته قاطع طريق وكان سبب توبته أنه صعد شجرة ي يريد أن ينظر السفر إذا أقبلوا
 فيينا هو على الشجرة يتأمل الطريق إذ سمع قائلاً يقول يا صاحب العين عليك العين
 فوغر ذلك في قلبه فنزل عن الشجرة مستكnen القلب ونفسه تنازعه في الإنابة . فلم

(١) هنا سقط في العسجد وقرة العيون : بمناصرتهم فخرج أسد الدين يوم الخميس الخ .

يجد لذلك غير الشيخ أبي الحسن علي بن عبد الملك بن أفلح بزبيد فوصل اليه وعرض عليه أمره وسألة أن يأخذ عليه اليد فأخذ عليه اليد وألزمها الخدمة للزاوية فأقام يخدمها بالخطب والماء وفي بيت الخلاء دهرأ ثم تقدم المراوعة بعد ذلك الى الشيخ علي الأهدل فأقام عنده أياماً هذهب فيها تهذيباً مرضياً فكان يقول خرجت من ابن أفلح لؤلؤة عجماء فثقبني الأهدل . ثم طلع الجبال الشامية بعد ذلك فظهر له فيها أحوال خارقة فيها إليه عالم عظيم من العامة والرؤساء وصحابه جماعة من الفقهاء .

فلم يظهر الإمام عبد الله بن حمزة وقوى أمر الزيدية بالجبال الشامية نزل الشيخ إلى تهامة ونزل بنزوله الإمام الفقيه علي بن مسعود المذكور أولاً فسكن الشيخ أبو الغيث رحمه الله مع الفقيه عطا على كره من أهله . ثم قام الإمام أحمد بن الحسين وببلغه أن الشيخ مقبول الإشارة مسموع القول كتب إليه طمعاً في ميله وميل أهل تهامة كتاباً صدره « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأننا مسلمون » . ثم قالقصد يا شيخ الاجتماع على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والسلام . فلما وصل الكتاب مع بعض الشيعة قال الشيخ لرجل من أصحابه اقرأ كتاب الشريف . فلما قرأه وفرغ من قراءته قال لهُ الشيخ اكتب « ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون . الحمد لله فالق الأصبح . ومرسل نسيم الرياح . الى فسحة مبدأ عالم الأسباخ والصلوة والسلام على سيد الأنام ومصباح الظلام وعلى آله وصحبه السادة الكرام . (أما بعد) فقد وصلنا كتاب السيد الشريف يدعونا لاجابته ولعمري إنها طريق سلكها الأولون وأقبل عليها الأكثرون . غير أنا نقرمنذ سمعنا قوله تعالى « له دعوة الحق » لم يبق فيها متسع لاجابة الخلق . فليس لأحد منا أن يشهر سيفه على غير نفسه ولا أن يفترط في يومه بعد أمسه . فليعلم السيد قلة فراغنا لما رام وليحيط العذر والسلام » فذكروا ان رسول الشريف وقف مع الشيخ وبعث بالكتاب رسولاً . ويروى أنه كتب اليه الشيخ احمد بن علوان الذي يأتي

ذكره فيها بعد إن شاء الله تعالى كتاباً يقول فيه : أما بعد فاني أخبرك .

جزت الصفوف الى الحروف الى الهجا حتى عرفت مراتب الابداع
لا باسم ليلي استعين على السرى كلا ولا ليل تقل شراعي
فأجابه الشيخ أبو الغيث بن جمبل : من الفقير الى الله تعالى أبي الغيث ابن
جميل اغذى نعمة الله في محل الحضرة أما بعد فاني أخبرك .

حلَّ في الاسم القديم باسمه واشتقت الأسماءُ من أسمائِي
وحبانِي الملك المهيمن وارتضى فالأرض ارضي والسماءُ سمائي

يا ابن علوان أبت المراهم الشافية ان تقع على جرحك الخبيث حتى تعدم بمرر
العقاقير . وكان الشيخ رحْمَهُ اللَّهُ كَبِيرُ الْقَدْرِ شهير الذكر صاحب ترقية ومجاهدة قلَّ أن
يُوجَدَ لَهُ نظير . وفضائله أكثر من أن ينحصر واشهر من ان تذكر . ومن كلامه قوله
شكوتك الى ما في يديك دليل على قلة ثقتك بالله ورجوعك في حال الشدة الى
المخلوقين دليل على أنك لا تعرف الله وفرحك بشيء تناله من الدنيا دليل على بعده
من الله . وقد قيل ان هذا من كلام أبي يزيد البسطامي أو أحد نظرائه والله أعلم .

وسائل الشيخ رحْمَهُ اللَّهُ عن المستحق لاسم الصوفي فقال هو من صفات سره من
الكدر وامتلاً قلبه من العبر وانقطع الى الله عن البشر واستوى عنده الذهب
والملدر .

وسائل مرة أخرى عن ذلك فقال الصوفي من كان بعهد الله موفياً . ومن دعائه
اللهم اني أسألك يا روح روح الروح ويا لب لب اللب ويا قلب قلب القلب هب
لي قلباً أعيش به معك فقد خلقت كلَّ ما هو دونك لأجلك فاجعلني من شئت من
هذه الجملة .

وروي عن الفقيه الامام الصالح إسحاق بن اسحاعيل الحضرمي انه
قال جرى بيبي وبين بعض أصحاب الشيخ أبي الغيث بن جمبل كلام من أجله فقلت

له قد كان الشيخ يخطئ في بعض كلامه في المجالس فقال لا وانكر عليًّا انكاراً شديداً فلما كان الليل رأيت الشيخ بعد العشاء تملأ لي صورته فقال لي أخطئنا كثيراً ووقدنا كثيراً ولكن قلت من العزائم وصفحت عنا الجرائم وسامني البدع الموصوفون بضرهم الاَّ من كان فيه اربع خصال ان يكون الله لا له للناس لالنفسه سالكاً طريقة وهي طريقة واحدة تبارك اسم ربك ذي الحلال والاكرام . ثم قال لي احضر بنات الطريق فانهن يلتمسن اللمححة والنظرة . فسئل الفقيه عن بنات الطريق فقال هي الكرامات التي تعرض للسلوك في طريقه الذي لاحظها حجب عن مقصوده . وكانت وفاة الشيخ ^(١) على الحال المرضي عازفاً عن السيرام منذ مدة نهار الأربعاء لخمس بقين من جمادى الأولى من السنة المذكورة . وترتبته مشهورة في بيت عطا وهي قرية من أعمال سردد وجعل عليه التاجر بن الخطيباً قبة عظيمة والله أعلم .

وخلف الشيخ فيروز وكان فيروز كبير القدر وهو من أصحاب الشيخ محمد ابن أبي بكر الحكمي صاحب عواجه . وكانت وفاته في سنة الثنتين وتسعين وستمائة وفي هذه السنة المذكورة ايضاً توفي الأديب جمال الدين محمد بن حمير الشاعر المشهور . وكان أوحد شعراء عصره وهو من شعراء الدولة المنصورية وكان يصاحب الشيخ والفقير صاحبى عواجه وله فيها عدة قصائد وشعره فيها وفي غيرها كثير مشهور متداول وله ديوان شعر جيد وهو عزيز الوجود . ورأيت بخط الفقيه الامام العلامة أبي العباس أحمد بن عثمان بن بصيص النحوي بيتبين من الشعر وهما :

اما قصائد قاسم بن هتيم ^ل فمداقها احل من الصهباء
هو شاعر في عصره فطن ولكن ابن حمير اشعر الشعراء
ويقال ان هذين البيتين لابن سحبان قالهما وقد سئل أي الشاعرين المذكورين
أفضل . وكانت وفاة ابن حمير في مدينة زيد ودفن في مقبرة بباب سهام شرقى قبر
الشيخ الصالح مرزوق ابن حسن الصوفي بينهما الطريق هنالك الى قرية المخريف

(١) موضع كلمة غير ظاهرة في الاصل .

وغيرها من وادي رم و الله اعلم .

وفي سنة اثنين وخمسين سار الأمير أسد الدين محمد بن الحسن بن علي بن رسول . والأمير شمس الدين أحمد بن الإمام المنصور عبد الله بن حمزة والعساكر المظفرية الى مدينة صعدة . وكان الإمام أحمد بن الحسين يومئذ في صعدة فلم يكن بأسرع من دخول الأميرين المذكورين في العساكر المظفرية الى مخلاف صعدة فهرب الإمام الى علاف . وجعل السيد الشريف الحسن بن وهاس ذمة في صعدة في نصف العسكر وسار في النصف الثاني الى علاف فأقامت المحطة على صعدة نحواً من شهر . والشريف شمس الدين والأمير أسد الدين يغاديانهم ويروا حانيم القتال حتى انقطعت عنهم المادة . وفي أثناء هذه المدة فقتلت عين الشريف جمال الدين علي بن عبد الله بن الحسن بن حمزة . ثم فتحت صعدة وأسر الشريف السيد الحسن بن وهاس . وكانت المدينة محشوة بأهلها فنهبت منها أموال جمة وأخذت منها غنائم عظيمة وأخذوا سبعين رأساً من الخيل وأجار الأمير أسد الدين أجزل الناس وستر النساء . وشحن براش صعدة شحنة عظيمة . ورتبوا في صعدة الأمير عز الدين محمد ابن الأمير شمس الدين أحمد بن الإمام وهبة بن الفضل ورجع الأميران الى صنعاء . وفي ذلك يقول الأمير عز الدين عزان بن سعيد بن بشر بن حاتم على لسان الأمير شمس الدين أحمد بن الإمام متداحاً السلطان الملك المظفر بقصيدة من القصائد الطنانة وهي :

سلام مشوق وده ما تصرما
سلام كنشر الروض باكرة الحيا
فاضحى انيقاً مشرقاً متبسماً
يخصك من قربِ وإن كنت نائياً
ويهدي تحياتي فرادى وتواماً
فيما أهيا الملك المظفر والذي
حمى قصبات الملك أن تتهدمأ
وقد جنَّ ليل الحادثات واظلماً
ويا دافعَ الجلىً اذا الخطب بهم
اويا مخجل الانسواء والبرق خلب
اذا جاد برقٌ من نوالٍ واسجناً

وجدت فلم تترك على الأرض معدماً
 ولو أنه يرقى إلى الجو سلماً
 ايشك أخباراً وإن كنت أعلمها
 لاستجدى الأخبار كي اشفى الظما
 حللت به عقداً من الهم مبرماً
 واقتضي لبانات النفوس وانعما
 وتقم على اسم الله ثدع متمنها
 تهب بها ريح الصبا ان تبسما
 يضيق به رحب الفضا حيث يمها
 ويطوي رباها محراً ثم محراً
 طنين ذبابٍ عندهُ ان ترناها
 ونذكر عهداً كان فيه تقدماً
 وجئنا المراثي وهو كان محراً
 تبارى كأمثال الشموس تهتها^(١)
 كان شعاع الشمس منها تسنا
 تبادر بالترحاب اذا كنْ وجماً
 ولا قائم إلا تولى وأحجاها
 وكانت سكارى قبل ذاك ونوماً
 شقيقك محمود الثنا مانع الحما
 على مثل حد السيف لا تخشها
 به الشر إلا كف ثم تبسما
 غداً مجدهم فوق السماك خنيماً
 ولا أرضي إلاك ركبًا ومحنا

ملكت فلم تفخر ونلت فلم تطل
 وصلت فلم تترك عليها معانداً
 إليك أبا المنصور أهليت أحرواً
 وإنني لما أوليتني من صنائع
 واستنهض العزم ألمعید وطلما
 لأنقم ثاراً او لآكبت حاسداً
 فشمر لشيد المجد اذا نت أهلها
 فلم يبق في الأقوام إلا حثالة
 نهضنا بجيشه منك يطمو عباه
 يهول بقاع الأرض شرقاً ومغرباً
 ويعشى لظمى الحرب العوان كانه
 نزلنا بوادي الجوف نرعى جهله
 فلما قضينا نحوه كل حاجة
 صعدت بنا أعمال صنعة صنحاً
 ولاحت على الأقطار اعلام يوسف
 وصاحت طيور السعد في كل وجهة
 فلا ملك إلا وأرخي قياده
 ولا حي إلا استيقظوا بعد هجعة
 والله در الأريحي محمد
 فوالله ما جشتته للمة
 ولا قلت مهلاً يا خليلي وقد بدا
 فيما ابن الملوك الغر من آل جفنة
 لأنت صفي السود إذا نت أهلها

(١) في المسجد تبارى كمثل السراحين سهماً ، وهذا أولى

إلى أن نزور جنة الخلد فاعلمها
مؤكدة لم أخش في ذاك مأثماً
ومن طاف بالبيت العتيق واحرما
وأعطيت ملكاً يملأ الأرض والسماء
ولسو لم أذق من بارد الماء مطعماً
وليس سوى الدنيا مراداً ومعنى
عليها ولا في رفضها متندما
ولم اذكر نجداً ولا أبرق الحما
فلله ملكاً ما اعزَّ واكرما
حاماً وأعلامها سماكاً ومرزاً
وان هو لم يدع ابتدأ وتكراً
ولا زال مأوى للوفود ومتمنى

ولا يقطعنْ بيني وبينك قاطعْ
حلفت برب الناس حلفة صادق
وبالمصطفى جدي وبالمرتضى أبي
لو اني رأيت الدين الله خالصاً
لما سمحت نفسي بدين محمد
فلي رأيت الحق ملقى زمامه
تنكسرت عن تلك السبيل ولم اتعج
وعُدت لشيد المجد أرعى سوامه
ويامت محمود الطرائق يوسف
لقد فخرت غسان منه بجاجو
مجيئاً إلى داعي التكرم والندى
فدام قرير العين في خفصن عيشه

ولما عاد الأميران شمس الدين وأسد الدين إلى صنعاء بن معهما من الأسرى
كان دخولهم صنعاء يوم الجمعة الثاني عشر من شهر ربيع الأول من السنة
المذكورة . ولما دخل شهر شعبان من السنة المذكورة وصلت الخزائن السعيدة
والأوامر الشريفة المظفرية بخروج الأمير أسد الدين صحبة الأمير شمس الدين إلى
الظاهر فتجهز الأميران وخرجوا بالعساكر المنصورة المظفرية وقصدوا بلاد حاشد وهو
خلاف ابن وهاب فخبروا فيها مواضع ثم نهضوا إلى مصنعةبني القديم فأخذوها
ونهضوا إلى البون ثم إلى الظاهر فأخذوا موضعًا يسمى البرق . ثم قصدوا الإمام
أحد بن الحسين إلى موضع من بلاد حمير يسمى الهجر وكان قد جمع جموعاً كثيرة إلى
نقيل الحصبات وأمرهم بحفظ ذلك الموضع . ففرق الأميران عساكرهما في جوانب
النقيل فقطعوا الطريق على عساكر الإمام وهزموهم هزيمة شنيعة وقتلوا منه مقتلة
عظيمة . وكان في جملة من قتل الفقيه حميد بن أحمد المحلى وكان من علماء الريدية

وفضلاً عنها ولهُ من التصانيف الجامحة والرسائل المفردة إلى الملوك والعلماء ما ليس لأحد قتل معهُ من الفقهاء والشيعة كثير واسر شمس الدين أحمد بن يحيى بن حزرة وكان من حلفاء الإمام علي بن حزرة وهرب الإمام بعد أن أشرف على الهاك ثم تحصن في حصن حلب المصانع . ثم رجع الأميران إلى الظاهر وأرادا التقدم إلى جوب فاختلَّ عليهما العسكر ففُقلوا إلى صناعة في شهر رمضان من السنة المذكورة .

وفي هذه السنة أخرج الشري夫 حماد بن حسن من مكة اخرجه الشري夫 راجح وأبو ثني وإدريس فأقام بها راجح ثلاثة أشهر ثم أخرجها ولده غانم وأقام بها إلى شوال فأخرجها منها أبو ثني وإدريس فأقاما بها شهر شوال

وفي شوال جهز السلطان الأمير مبارز الدين الحسين بن علي بن بوطاس الى
مكة المشرفة في مئة فارس فلقيه الأشرف على باب مكة فكسرهم وقتل منهم جماعة
ودخل مكة وحج بالناس . وفي شوال أيضاً تجهز الأمير شمس الدين أحمد بن الإمام
عبد الله بن حمزة الى الأبواب الشريفة السلطانية هو واخوه داود بن الإمام وجماعة من
بني حمزة وكان السلطان يومئذ في محروسة زبيد . فلما وصلوا خرج السلطان في
لقائهم وأكرمهم وانصفهم وكان له من المقابلة والاتحاف ما لم يسمع بمثله وضررت
 لهم الخيام والمطابخ على باب الشبارق من زبيد مدة إقامتهم فاجتمعوا بالسلطان ثلاثة
 أيام وكانت إقامتهم شهراً وأطل عيد الأضحى وهم بالباب الشريف

وقال الأمير شمس الدين يدح السلطان الملك المنظفر رحمهما الله :

لعلَّ الليلِ الماضيات تعودُ
عفَا منزلَ ما بينَ نهانٍ واللوى
وكانَتْ به العينُ الغوانِي اوانساً
تجرُّ أنابِيب الرماحِ ومنيتي
فيَ دارنا بينَ العَيْنَةِ والحمى
فكيفَ يُمْكِنُ أَصْحَى ظفارِ محله

متى تلتقي بالتهمين تجود
على مثل ما لاقيتهُ بجليل
جوى واشتياقاً ليس فيه مزيد
بنشر نحيات هنَّ صنعهود
وبين براشٍ لي هنَّ عهود
قريب ولا نجح الرجاء بعيد
منيب ولا يخشي الهوان طريد
مجامع لا يشقى هنَّ وفود
عليهنهنَّ من نسيج العفاف برود
بنار ولا بين الرجال حقدود
وبسرى حوض لست عنه اذود
بحور وحلماً كالجبال ركود
إلى الأفق أيدينا ونحن قعود
وأعلن منهم كاشفٍ وحسود
مالك لم تنظم هنَّ عقود
عليهم إذا استشهدتهنَّ شهود
وكم اختلفت سحبٌ وسحن نجود
لنا أبظرتهم والطلول جحود
ذلكنا وأنا سادرون سمود
كما سنَّ في قتل الحسين يزيد
كأنَّا نصارى ملةً ويهدون
علمت بأنَّ الهم ليس يعود
ملسوُّ ولا واهي البدون يليد

هواي بنجلو والمنى بتهمة
وان فتى دامت مواثيق عهده
ولما شرى البرق الشامي هاج لي
فهل لجنوب الرياح ان تلشم الثرى
على أربع بين الصعيد وصعدة
مشاعر حج الطالبين فلا الأذى
كرمن فلا يخشى النوائب عندها
ملاعب امهار الجياد وملتقى
وابراج أشباء المها في كناسها
نعمنا بها أيام لا البغي نافث
ظلامي فيها للورى غير فالص
وقومي قوم السروع جن^(١) وفي الندى
فتحن نطول الناس عزاً وتنتهي
إلى أن دعا داع إلى البغي للورى
ودل على الحلم قومي وأسست
وانسخر إحسانى الذين جلودهم
فكם مات من قوم فحيوا بحلمنا
بسطنا على العرب المكارم بسطة
ولما صبرنا ظنت الناس أننا
فيما سنَّ فيما الناس إلا ظلامة
لقد انكرتنا الناس كل فضيلة
ولما قصدت الملك ذا التاج يوسف
دعوت فلباني فتى لا مزبد

(١) في العقد حينه . وهو أصوب

ومالي لا أرخي الركاب الى ذري
والقيت كفي في أنامل لم تخن
وما ابن أبي حفص بدون الذي دعا
أعاد اليه ملك غمدان وابتني
مكارم سنتها الملوك وي يوسف
فسوحك مقصود وكفك قاهر
صبرت على حمل العظائم فانتهت
وفي كل يوم أنت تبدو على العدى
سبيل فتى لا الموت يطرق همه
ويعلم ان الدهر ليس ب دائم
انخنا بك الآمال وهي ركائب
وقد كنت عريت الرواحل برهة
وداويت لابن العم داءً وجده
فادنيت من أمواج بحرك غمرة
وحف بسرجي الترك والعرب فاغتندي
كذا يستعيد الحر بالحر واثقاً
بن نصر المظلوم في كلماته
فدم في ظلال الملك ما هبت الصبا

بـ الشهـب شـهـب والـصـعـيد عـهـودـاً ولـم تـخـلـف هـنـّ وـعـودـاً
لـهـ الـحـمـيرـيـ الـمـلـكـ وـهـوـ فـرـيدـاـ مـفـاخـرـاـ فـيـ الدـنـيـاـ هـنـّـ خـلـودـاـ
لـأـثـارـ ماـ سـنـ الـمـلـوـكـ يـشـيدـاـ وـجـدـكـ مـنـصـورـ وـأـنـتـ حـمـيدـاـ
إـلـيـكـ العـلـىـ انـ الصـبـورـ سـعـيدـاـ
بـ خطـبـ وـتـبـلـيـ فـيـ النـدـيـ وـتـعـيدـاـ
وـلـاـ الموـتـ فـيـهاـ يـتـقـيـ فـيـحـيدـاـ
وـانـ خـلـودـ الـمـكـرـمـاتـ مـفـيدـاـ
لـأـرـسـائـهـاـ لـطـفـ الـإـلـهـ يـقـودـاـ
وـاطـرـقـتـ حـتـىـ لـاـ يـقـالـ مـرـيدـاـ
عـلـىـ الصـبـرـ يـنـمـوـ خـطـبـهـ وـيـزـيدـاـ
أـصـولـ بـهـاـ فـيـمـنـ بـغـىـ فـيـبـيدـاـ
بعـونـكـ^(١) رـكـنـيـ الـيـوـمـ وـهـوـ شـدـيدـاـ
بـربـ لـهـ كـلـ الـمـلـوـكـ عـبـيدـاـ
بـنـصـرـ لـهـ أـهـلـ السـمـاءـ جـنـوـدـاـ
وـمـاـ جـنـّـ فـيـ جـنـحـ الـظـلـامـ رـعـودـاـ

ولما عزم الأمير شمس الدين على الرجوع الى بلاده حمل اليه السلطان من الأموال والخيول والكساوي والطرف ما لا يعلمه الا الله . واقطعه مدينة القحمة وجهز معه مئة فارس من الماليك والحلقة فتقدم الأمير شمس الدين الى الجوف واستراحه . وكانت له وقفات عظيمة وفي هذه السنة توفى الفقيه ابو عبد الله محمد بن

(١) في المسجد : بعزك

يحيى بن إسحاق بن علي بن إسحاق العياني ثم السكسكي . وكان فقيهاً فاضلاً تفقه
 بأخيه أبي بكر بن يحيى بن إسحاق المقدم ذكره وأخذ عن الإمام سيف السنة . وكان
 جداً صالحًا يغلب عليه الاشتغال بكتب الحديث . وكانت وفاته لثلاث بقين من
 شعبان من السنة المذكورة . وفيها توفي الفقيه أبو السعود بن الحسن بن مسلم بن
 علي بن عمر المفضل الممداني . وكان فقيهاً ماهراً تفقه بابن مضمون وأبي عبد الله
 العمرانيين وأخذ عن علي بن أبي بكر التباعي . وارتخل إلى عدن وأخذ بها عن
 القاضي ابراهيم بن أحمد القرطيسي . وكان زميلاً في القراءة حسين العدینی وسفین
 الأبینی ولدته أبو بكر والسبتی الشحری وغيرهم . وهو والد الفقيه حسين صاحب
 الفراوی وأحد شيوخ القاضی عبد الله العرشانی . ودرس بعکار بعض المبادیء الى
 أن توفي في ذی القعده من السنة المذكورة . وفيها توفي الشیخ الإمام ابو الربيع
 سليمان بن موسی بن سليمان بن علي بن الجون الأشعري الفقيه الحنفی . وكان فقيهاً
 فاضلاً عارفاً بالفقه والنحو واللغة وعلم الأدب . وله مصنفات حسان منها شرح
 المهرطاشية وهو شرح جيد سماه الرياض الأدبية يروى أنه صنفه وهو ابن ثمانی
 عشرة سنة . وكان أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر . ولما ظهرت السبوت في زبيد
 وعمل فيها المنكر هاجر إلى الحبشة فأقام بها إلى أن توفي في السنة المذكورة في قرية
 يقال لها رون بضم الراء الأولى . ولما توفي في التاريخ المذكور كتب الفقيه أبو بكر
 بن دعاً إلى الفقيه أبي بكر بن حنكاس يعزّيه عنه بآيات يقول فيها :

غير أنا نقول ما دامَ فِينَا نَجْلُ عَيْسَى لَمْ نُرْزَّفِ نَجْلَ مُوسَى
 وَلِعُمْرِي يَوْسَى عَلَيْهِ وَلَكُنْ بِبَقَاءِ الْإِمَامِ ذَا الْجَرْحِ يَوْسَى

وفي سنة ثلث وخمسين جمع أشراف مكة جمعاً عظيماً وقصدوا الأمير مبارز
 الدين الحسين بن علي بن برتاس وحاصروه في مكة حصاراً شديداً ودخلوا عليه مكة
 من رؤوس الجبال وقاتلهم في وسط مكة فكسروه وقتلوا جماعة من أصحابه ولزموه
 فاشترى نفسه منهم وعاد إلى اليمن هو والجناد الذين كانوا معه .

وفي سنة أربع وخمسين توفي الطواشى تاج الدين بدر بن عبد الله المظفرى . وكان ذا همة عالية ونفس أبيه وكان خادماً للحررة بنت حوزة إلا أنه كان متظاهراً في أيام السلطان نور الدين بحب المظفر فأمرت به سيدته فحبس في حبس زبيد فلم يزل إلى أن وصل العلم بقتل السلطان نور الدين فلما علم بذلك خرج من السجن فهراً على السجان وصار إلى والده السلطان الملك المظفر وكرمه . وكانوا عليهم يومئذ في زبيد فحضرن والدة السلطان وأخته على القيام بحفظ زبيد . واستخدم الرجال وحفظ الأبواب وبعض مفاتيح أبواب المدينة وشاجر الوالي يومئذ . وكان الوالي الذي في زبيد اسمه قايماز وشمر تشميراً تماماً . وقاتل المهايلك عن^(١) منها فلما دخلها الملك المظفر أحسن اليه وحمل له طبلخانة وقطعه اقطاعات جيدة . وكان شجاعاً فارساً عاماً رئيساً حسن السيرة له آثار محمودة . ومن مآثره الحسنة المدرسة التي بزبيد المعروفة بالتأجية وهي التي تسمى في وقتنا هذا بمدرسة المبردين وإنما سميت بذلك لأن المبردين كانوا يعملون البرادع عندها وهي مختصة بالفقه . وله أيضاً المدرسة المعروفة بمدرسة القراءات بزبيد وقفها على قراء القرآن السبعة . وفيها مدرسة للحديث النبوى . وفي كل مدرسة من هذه المدارس الثلاث مدرس وطلبة وإمام ومؤذن في أوقات الصلاة الخمسة ووقف عليهم وقفًا جيداً يقوم بكفاية الجميع منهم . وله أيضاً دار مضيف لاطعام الطعام فيه شيخ ونقيب وقييم لاطعام الواردين وإمام ومؤذن للقيام بالصلوات الخمس في أوقاتها . وله وقف أيضاً يقوم بكفاية الجميع وجميع ذلك بزبيد . وله في الجبل مدرسة في قرية الوجيز .

وكانت وفاته في مدينة تعز في شهر ربيع الأول من السنة المذكورة تحقيقاً وقيل تقرباً . ويقال انه مات مسموماً والله اعلم .

وفيها توفي الفقيه الصالح عبد الرحمن بن علي بن اسماعيل بن ابراهيم بن

(١) غير ظاهرة في الأصل الخطى وغير موجودة في المسجد عبارة الجندي وشهر في الحرب عند مجىء المهايلك وفخر الدين إلى زبيد ولم تحفظ زبيد عنهم إلا بهمته .

حديق وكانت ولادته سنة تسعين وخمسة . وكان فقيهاً نبيهاً عارفاً محققاً قائلاً بالحق
عاملاً به .

ويروى ان السلطان نور الدين عمر بن علي بن رسول وجبت عليه كفاره
جماع في شهر رمضان بالنهار . وكان يومئذ في الجندي فأمر الوالي ان يجمع له الفقهاء
من الجندي وأعماها فاستدعهم الوالي فحضرها وحضرها فقيه من جملتهم فقد لهم
السلطان قعوداً خاصاً ودخلوا عليه جميعاً فلما اطمأن بهم المجلس سئلوا عن المسألة
فأجابوا بما يجائب عليه سائر الناس . ولم يتكلم الفقيه عبد الرحمن معهم بشيء في
ذلك فقيل له لم لا تتحدث كما تتحدث الجماعة فقال اشتاهي اعرف صاحب المسألة
فقيل له هو مولانا السلطان فقال لا يجزيه الا صوم شهرين وأما الإطعام والاعتكاف فلا
يجزيه . فنافر الفقهاء الحاضرون في ذلك فقال الغرض بالكفارة حسم مادة
معاودة الذنب ولا تنحسم مادة معاودة الذنب في هذا الفعل من مولانا السلطان الا
 بذلك فاعجب به السلطان . والله أعلم .

وفيها توفي الفقيه الصالح أحمد بن محمد الشكيل بن سليمان بن أبي السعود
الطوسى . وكان مولده سنة ثمان وخمسين وخمسة وفي سنة ولادته توفي صاحب
البيان . وكان المذكور فقيهاً عارفاً صاححاً ذا دعوة مستجابة تفقه بأحمد بن مقليل . ثم
بالحسن بن راشد من العماقي . ثم بأحمد الصواري ونسخ بيده عدة كتب واشترى
ذلك ووقفها على طلبة العلم بيده من ذريته وغيرهم . وتزوج امرأة منبني أمين
من أهل العماقي وهي أم ولديه مسعود وعبد الله . وكانت وفاته في صفر من السنة
المذكورة . وقبره مشهور مقصود للزيارة وطلب الحاجات يسمع ليلة الجمعة فيه من
يقرأ القرآن في كثير من الأوقات . وكان ولده مسعود بن أحمد من عباد الله الصالحين
عارفاً بالفقه ورعاً زاهداً عابداً لم يعرف له صبوة .

ويروى أن جماعة من أترابه تذاركوا النساء وهو حاضر معهم فقال أما
تستحون من الله عن نظرهن فوالله ما أكاد أحدق لون أمي . ولم يزل على احسن

حال واكملا سيرة الى ان توفي قبل أبيه يوم الأحد لاحدي عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة من سنة اثنين وأربعين وستمائة والله أعلم .

وفي سنتها خمس وخمسين وقع قحط عظيم فارتفع سعر الطعام ارتفاعاً كلياً في صنعاء وصعدة والظاهر ومات كثير من الناس جوعاً . وأقام ستة أشهر فأكل الناس الكلاب والسباع .

وفي هذه السنة اجتمع علماء الزيدية وفيهم الشيخ محمد بن أحمد بن الرصاص فعابوا على الإمام أحمد بن الحسين اشياءً من سيرته وطعنوا عليه وانكروا أفعاله انكاراً عظياً فأمر باحافتهم فلحقوا بالغارب . وقيل خرجوا من جوب على وجه الغضب الى بلاد صفي الدين فأرسل الإمام اليهم الحسن بن وهاس ليسمع ما عابوا عليه فقال له خواصه لا ترسله اليهم فانهم يستميلونه فخالفهم وأرسله . فلما وصل اليهم ناظروه فاستولوه وصار واحداً منهم فاجتمعوا كلتهم وصار رأسهم فكتابهم الأمير شمس الدين أحمد بن الإمام يطلب منهم الاتفاق على حرب الإمام فأجابوه الى ذلك فسرّ سروراً عظياً وخرج من صنعاء وطلعوا اليه من المغارب فاجتمعوا بالبون وصارت كلتهم واحدة واجعوا على قتاله بعد أن سألهو المناظرة فيها عابروه من سيرته . فكتب الأمير شمس الدين الى مولانا السلطان يعلمه بميل الشيعة عن الإمام واستمدّ بالمال فأرسل اليه بمئة ألف درهم مع الشريف علم الدين حمزة بن الحسن فوافاهم بالمال قبل الوجعة بساعة فكانت الكاشات^(١) مطروحة بين الخيام حتى كان ما كان .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الإمام البارع عبد الله بن محمد بن قاسم بن محمد ابن أحمد بن حسان الخزرجي الأنباري وكان فقيهاً صالحأً تفقه بمحمد بن حسين الأصاوي وأخذ عنه شرح اللمع لموسى بن أحمد بن يوسف الأصاوي كما أخذه عن مصنفه . وأنذر عن الشيخ يطال بن أحمد وعنده أخذ أحمد بن محمد الوزيري المستذubb وهو أحد شيوخ الشيخ أحمد بن علي السردي ودرس بذري هزيم في

(١) في المسجد بالسين المهملة

المدرسة التي أحدثها الطواشى نظام الدين مختص . وكانت وفاته ليلة الجمعة ثامن عشر رمضان من السنة المذكورة . وفيها توفي الصالح ابو عبد الله محمد بن علي بن منصور المعروف بحزب بكسر الحاء المهملة وسكنى الزاي وأخره باءٌ موحدة . وكان فقيهاً صوفياً ناسكاً سعيداً صلى الصبح بوضوء العشاء ثلاثين سنة وتوفي على الطريق المرضي صبح يوم الجمعة الخامس عشر من جمادى الآخرة من السنة المذكورة . والله أعلم .

وفي سنة ست وخمسين اجتمع الأشراف والشيعة على قتال الإمام أحمد بن الحسين وكان اجتباهم بشوابة فخرج الإمام في عسكره ومضى من حصن مدع نحوهم . وكان ظاهر الأمر من الفريقين اللقاء للمناظرة لا للحرب . فحط الإمام في موضع قريب منهم يقال له المنظر فوق قرن سينوان فاعتراضه طلائع الأشراف دونها ووقع الطراد وتذمرت عليه الأشراف من كل جانب وفشل عسكره ولم يثبتوا وكانوا ثلاثة فارس ونحوه من ألفي راجل وكان بتو حمزة يومئذ ثمانين فارساً وأربعين راجلاً . فلما رأى الإمام انهزام عسكره عدل إلى موضع قريب منه فاستقام فيه وظن الناس يقاتلون عنه فهربوا عنه وأسلموه فريداً فعقرت فرسه حينئذ وتولى قتلها رجالة ظفار ولم يباشر شمس الدين فيه ضربة ولا طعنة . ولما قتل رحمة الله عليه قطعوا رأسه وجاؤوا به إلى الأمير شمس الدين والى ابن الرصاص وسائر فقهاء الشيعة . ثم حمل بعد ذلك إلى ظفار وطيف به الحصون والأسوق ثم ان الأمير علي بن موسى بن عبد الله امر بتکفينه ودفنه في المشهد فصلده عن ذلك أهل المشهد فقبر تحت حصن القاهرة في موضع الکتف والأربال حتى أمر الأمير شمس الدين بانزاله إلى شوابة وقبره مع جثته فقبر في موضع يسمى المشرعة^(١) من غيل شوابه فأقام في ذلك الموضع ثلاث سنين . ثم نقل إلى ذيبيين فهو هنالك إلى يومنا هذا وقبره معروف يزار ويتبرك به .

(١) في المسجد يقال له الشرعة

قال الجندي واحبر الثقة ان موضع قبره الأول بشواية يوجد عنده رائحة المسك . وكان قتله الأربعاء سلخ شهر صفر من السنة المذكورة ويقال انه قتل في اليوم الذي قتل فيه الخليفة المستعصم في بغداد . قال الجندي . وكان الخليفة المستعصم قد كتب الى السلطان الملك المظفر يأمره بأحمد بن الحسين حين بلغه ظهوره وإقبال الناس عليه ووعده على ذلك اقطاع مصر . وكان الإمام أحمد بن الحسين رحمة الله امثل أئمة الزيدية المتأخرین علیماً وعملاً جوداً وكرماً . وللقسم بن هتيميل فيه غرر المدائح الحسان موجودة في ديونه

ولما قتل الإمام أحمد بن الحسين كما ذكرنا في تاريخه المذكور كتب الأمير شمس الدين أحمد بن الإمام عبد الله بن حمزة الى السلطان الملك المظفر كتاباً يخبره فيه بذلك وأرسل بالكتاب رسولًا على الفور معجلاً وكانت نسخة الكتاب : بسم الله الرحمن الرحيم يجدد الخدمة ويشكر النعمة لله تعالى ثم للمقام السلطاني خلد الله ملكه . وينهى صدورها من المصف بشواية ورأس أحمد بن الحسين بين يديه . (شعر)

وأبيض ذي تاج اشاطت رماحنا بمعترك بين الفوارس اقتتا
هوى بين أيدي الخيل اذ فتك به صدور العوالى تنضح المسك والدماء
ولما كان يوم الجمعة ثالث قتل الإمام دعا الشرييف ابو محمد الحسن بن بائعة
من وهاس الى نفسه الإمام فباعيه الشيعة والاشراف وبعض عامة الزيدية . وتأخر
الباقيون . فلما بايعه من ذكرنا سار الى صعدة وسار أيضاً الأمير شمس الدين على اثر
الوقعة الى الجوف ثم الى جهة صعدة في كافة اصحابه واقسم هو والشريف حسن بن
وهاس الخصون والبلاد نصفين .

ولما علم السلطان بياعة الحسن بن وهاس خرج في عساكره المنصورة الى
الموسعة . ثم أرسل الأمير أحمد بن علوان الى الأمير شمس الدين أحمد بن الإمام الى
صعدة وقد ظن به الظنون فرجع الأمير أحمد بن علوان بما أرضاه من العلم فرجع الى
تعز المحرونس .

وفي هذه السنة جهزَ السلطان عساكره المنصورة صحبة الأمير مبارز الدين الحسن بن علي بن رطاس إلى مخلاف حجة . فاستولى على بعض حصونها .

وفي هذه السنة اشتد القحط والغلاء بعد قتل الإمام أحمد بن الحسين ، ومات كثير من الناس ولا سيما فقهاء الزيدية والمحزيين ، وكان أول من مات منهم الأمير شمس الدين أحمد بن الإمام عبد الله بن حمزة . وكان سيد المحزيين في زمانه لا يساميه أحد منهم في رئاسته ولا سيادته . توفي في شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة . وقيل الثالث عشر من جمادى الأولى . وكانت وفاته بصعدة فتولى رئاسة المحزيين بعده أخوه الأمير نجم الدين موسى بن الإمام عبد الله بن حمزة فلم يلبث أن هلك بعد أخيه شمس الدين . ثم مات أخوهما الحسن بن الإمام عبد الله بن حمزة ومات طائفة من أولاد وهاس سليمان وعبد الله والمؤيد وإبراهيم . فقام برئاسة المحزيين الأمير صارم الدين داود بن الإمام واتفق هو والإمام الحسن بن وهاس مدة خالف عليها محمد سليمان بن موسى بن داود بن علي بن حمزة وسليمان بن حمزة . فهال إلى خدمة مولانا السلطان . ولما رجع الأمير مبارز الدين بن رطاس من مخرج حجة إلى الأبواب السلطانية جهز السلطان إلى حجة أيضاً الأمير شمس الدين علي بن يحيى في جيش كثيف . وكان فيها الأمير أبو الحسن أحمد بن قاسم بن عم الإمام أحمد ابن الحسين . فلما وصل الأمير شمس الدين علي بن يحيى إلى مفرق وهرن واد بين المخلافة وحجة كتب الأمير شمس الدين علي بن يحيى إلى الأمير أبي الحسن أحمد بن قاسم بيتاً واحداً وهو :

ابا حسن ما جئت مفرق طالباً لفرق لكن غير مفرق اطلب
فأجابه الفقيه نظام الدين قاسم بن أحمد الشاكري على لسان الأمير أبي الحسن
أحمد بن قاسم بيت واحد وهو :

ابا حسن قد يجلب اليوم ما ترى وقد ربما احتكت بالافعاء عقرب

ولم يلبث الأمير شمس الدين علي بن يحيى ان رجع الى الأبواب الشريفة السلطانية وسلم السلطان حصن اشیح في ذي الحجة من السنة المذكورة ثم أمر السلطان بالمحطة على حصن الكميم . فحط عليه الأمير أسد الدين محمد بن سليمان بن موسى والأمير شمس الدين علي بن يحيى في العساكر السلطانية .

وفي سنة تسع وخمسين تسلم السلطان حجة وحصونها وحصن الرّبعة وسلم هداد وفيها تسلم حصن الكميم . وكان الأمير أسد الدين محمد بن سليمان بن موسى قد مال الى خدمة السلطان كما ذكرنا . وبنى في موضع يسمى الروق في بلادبني ضرار فضاق الأمير محمد بن الحسن بن علي بن رسول منه . فأخذ ملوكه الأمير جمال الدين اقوس الألفي فحط على الروق حتى كاد يأخذه ثم طلع مولانا السلطان الى مخلاف ذمار فأخذ براش^(١) فهراً بالسيف فآخر به واستأسر ولد الأمير أسد الدين في جماعة كبيرة . ثم أخذ الروق واخر به ايضاً . ولما حالف الأمير أسد الدين محمد بن سليمان بن موسى على الإمام الحسن بن وهاس استولى على الجوف . فسار اليه الأمير صارم الدين داود بن الإمام في عسكره والأمير علم الدين علي بن وهاس في عسكر أخيه . وكان محمد بن سليمان في سوق دُعَام . فلما وصله العسكر قاتلهم فكسروه ودخلوا عليه الدرب فهراً فالتجأ الى دار فيه فدخلها فدخل عليه الحسن بن محمد الجحافي فقتله وثار بأبيه محمد بن حجاف . وكان سليمان بن موسى قد أسر محمد بن حجاف في جماعة من أصحابه ثم ضرب أنفاسهم صبراً . فظفر ابنه في هذا اليوم بمحمد بن سليمان فقتله بأبيه . وكانت جملة القتلى في هذه الواقعة نحواً من مائة رجل . ولم يلبث الأمير صارم الدين داود بن الإمام والإمام الحسن بن وهاس ان افترقا وصار بينهما تباعد اشد التباعد .

وفي هذه السنة وقعت الزلزلة في صنعاء يوم الرابع من ذي الحجة ولم تخترب شيئاً . ثم وقعت زلزلة اخرى بالغرب اخربت^(٢) جبالاً وهدمت مواضع كثيرة .

(١) في المسجد . براش العرش

(٢) في المسجد أحدث حنلاً

وكان في الثاني والعشرين من ذي الحجة أيضاً .

وفي هذه السنة تولى السلطان أمر الحرم الشريف وعمارته . وأقام منارة وخدمته وجوامك خدامه .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الصالح أبو الحسن علي بن الحسين الأصبهي وكان فقيهاً أصولياً نحوياً لغويَاً كامل الفضل عارفاً بال الحديث والتفسير . ولد سنة سبع وسبعين وخمسة . وتفقه ب محمد بن جديل من أهل سهنة ويحيى بن فضل وغيرهما . ولما ابتنى السلطان الملك مدرسته التي في مغاربة تعرّف فيها مدرساً فهو أول مدرس ترتب فيها . ثم لم يقف بها غير أشهر قلائل وتوجع فرجع إلى السحول . وكان يسكن قرية يقال لها المعير بعين مهملة ورائين مهملتين بينهما ياءً ساكنة على وزن مفيعيل وهو ناحية من نواحي المخادر . وتوفي بها في السنة المذكورة وحمل على أعناق الرجال إلى المحفد ودفن قبلى المدرسة . وقبره أشهر من ان يزار . ويجد الزائر عند قبره رائحة المسك خصوصاً ليلة الجمعة .

قال الجندي وهو أول من سن الأذان لمن يسد اللحد على الميت وقد اعتمد ذلك كثير من الناس . قال وسألت شيخنا أبي الحسن الأصبهي عن معناه فقال هو معناه عن الفقيه أبي الحسن علي بن الحسن الأصبهي وكان فقيهاً عالماً ولعله أخذ من الأذان في أذن المولود ويقول أول خروجه من الدنيا وهذا أول خروجه إلى الآخرة . وتفقه به خلق كثير منهم عمر السهوي وأبو بكر بن عبادي وغيرهما وله مصنفات في الأصول منها كتاب صمنه الرد على الزيدية وكتاب ضمنه الرد على من يكفر تارك الصلاة .

قال الجندي رحمه الله قرأته على محمد بن أبي الرجا بروايته عن مصنفه المذكور . ويروى عنه انه قال حججت سنة بلغني ان الشيخ أبي الغيث قد تكلم بتفسير القرآن على المشكك منه فانتخب من وسيط الواحد عشر مسائل واستثبت حقائقها . فلما رجعت من الحج مررت ببيت عطا فدخلت على الشيخ فوجدت

الناس يتغدون والشيخ قاعد على سرير في طرف الرباط فامرني النقيب بالقعود والغداء ففعلت . ثم لما فرغ الناس وتفرقوا قلت اريد أن أسأل الشيخ ففتشت أول مسألة فلم أجده الثانية ثم الثالثة حتى أتيت على العشر فكأني لم أحط بشيء منها علماً والشيخ مطرق فحين لم أجده شيئاً رفع الشيخ رأسه إلى ثم قال لي تأدب بعض الناس . فغلب على ظني انه عناني فقمت اليه فقبلت كفه واستأذنته في السفر فاذن لي فسافرت .

وفي سنة ثمان وخمسين طلع السلطان صنعاء في المحرم أول السنة المذكورة . وكان الأمير أسد الدين محمد بن الحسن بن علي بن رسول في ذمومه فطلب من مولانا السلطان ان يجهزه الى حضرموت فساعدته الى ذلك وزوجه فخرج الى الجوف فلقيه حصن بن محمد بن حجاف وعبد الله بن منصور بن ضيغم فطلبوه منه النصرة على آل راشد بن منيف فأجابهم فكانوا حلف مولانا السلطان فوقعت الحرب بينهم فقتل طوق بن حمدان في جماعة من آل راشد . فلما اتصل العلم بمولانا السلطان ضاق صدره على الأمير أسد الدين وتعذر على الأمير أسد الدين المسير الى حضرموت فتوجه نحو ظفار الأشراف فأقام فيه أياماً ثم خرج الأمير صارم الدين داود بن الإمام في عساكره والأمير أسد الدين محمد بن الحسن فيمن بقي من مماليكه وقد كان لحق أكثرهم بالسلطان وتأهبوا لحرب الإمام الحسن بن وهاس فالتحقوا بعاصف فانهزم أصحاب الإمام وثبت هو ثباتاً حسناً وقاتل قتالاً شديداً . وكان فارساً شجاعاً من الشجعان المشهورين فانهزم عنه أصحابه ولم ينهزم . وكان لا ينهزم أبداً وكذلك أسر ثلاث مرات هذه المرة الثالثة وفي كلها يأسره الأمير أسد الدين محمد بن الحسن وهذا من عجائب الاتفاق .

فلما أُسر الإمام كما ذكرنا سجنه الأمير صارم الدين داود بن الإمام فأقام عند في الأسر عشر سنين . ثم اخرجه بعد عشر على ما سند ذكره إن شاء الله وأقام السلطان في صنعاء ونواحيها الى شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة ثم بعده الى اليمن وترك

الأمير شمس الدين علي بن يحيى في صنعاء مقطعاً بها وباعها لها فلم يقم إلا قليلاً حتى وصل الأمير أسد الدين محمد بن الحسن فحط في المدورة فوق الحمراء وكان يغير إلى صنعاء فأغارت خيله عشية إلى صنعاء فخرج العسكر لقتالهم فقتل مملوكه الأمير جمال الدين أقوس الألفي أصيب بسهم . وكان الذي رماه الأشرف أحد مماليك أسد الدين أيضاً ولكنه قد صار من جملة العسكر السلطاني . وكان الألفي أحد الشجعان المشهورين بالشجاعة والكرم .

ولما علم السلطان بما كان من أسد الدين جهز الأمير علم الدين سنجر الشعبي مغبراً إلى صنعاء فارتحل أسد الدين من محطةه ولحق ببلاد الأشراف ولم تقم له راية بعد ذلك . وأعاد الأمير علم الدين المحاط على براش وبقي الأمير أسد الدين يتربداً من ظفار إلى طفرا ثم لحقته مصرة شديدة حتى انه باع ثيابه ثم كتب إلى السلطان كتاباً يقول فيه :

فإن كنت مأكولاً فكن انت آكري والأ فأدركتني ولما أمرت
فأمر السلطان علي بن يحيى والأمير عبد الله بن العباس إلى الأمير أسد الدين فيما زال به حتى نزل معهما إلى السلطان وإنما أرسل إليه السلطان الأمير شمس الدين علي بن يحيى لما يعلم بينهما من المحبة والصداقة فلما وصل الأمير شمس الدين إلى الأمير أسد الدين بكى عنده وتالم من القبض على أبيه و أخيه فقال له لعلك في القرب انفع لهم من بعد . ولعلنا ننتظر فرصة من الدهر فنكون كذا وكذا فنقل ذلك إلى السلطان . وكان السلطان يومئذ في محروسة زبيد . فلما وصلوا زبيد أمر السلطان بالقبض عليه وعلى علي بن يحيى فقيدهما وأرسلهما إلى حصن تعز فقال في ذلك القاضي سراج الدين أبو بكر بن دعا .

ما دار في تلك الأيام ذا أبداً كلام ولا دار للأقوام في خلد
ان الكسوف جميراً والخسوف معاً في ساعة في نزول الشمس في الأسد

فلما دخل الأمير أسد الدين على أبيه وعمه وأخيه وابن عمه وابن اخته محمد بن خضر جعلوا يعاتبونه وينهاصمونه فقال لهم يا قوم لا تكونون مثل أهل جهنم كلما دخلت أمة لعنت اختها . فلم يزالوا في السجن حتى توفوا إلى رحمة الله تعالى . ولما قبض الأمير شمس الدين علي بن يحيى كما ذكرنا . وكان مقطعاً في صنعاء طلع الطواشى نظام الدين مختص عقب ذلك فأقام في صنعاء ورجعت المحاط على فده وبراش وظفر .

ثم طلع بعد ذلك فiroز فأقام أياماً قلائل . ثم طلع الأمير هبة بن الفضل مستخلصاً للأموال فاستخلصها على أتم ما يكون . ثم تسلم الحصن حصن حيرة في شهر رجب . وكان بناء بنو وهاس فاخرب بعد التسلیم ثم تسلم حصن فدة في ذي الحجة من السنة المذكورة .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الصالح أبو الخطاب عمر بن مسعود بن محمد بن سالم الحميري نسباً الابيني بله . وكان فقيهاً صالحًا متورعاً متغفلاً ملازماً للسنة تفقه بـ محمد بن اسماعيل الحضرمي وعلي بن قاسم الشكمي وبطّال بن أحمد الركيبي وعلى بن عمر الحضرمي وابراهيم بن علي بن عجیل وغيرهم . وعرف بصحفته الخضر كثيراً . وكان مدرساً بـ ذي هزيم بالمدرسة النظامية وتفقه به جمع كثير . ويقال انه خرج من أصحابه اربعون مدرساً منهم محمد بن سالم البابه وابراهيم بن عيسى الجندى ومحمد بن محمود السفالى وسعيد بن انعام من مصنعة سير وغيرهم . ولم يزل على الطريق المرضي الى ان توفي رحمة الله عليه في الثامن من شوال من السنة المذكورة وقبر في مقبرة صيّنة في ناحية من نواحي مدينة تعز ولما توفي في التاريخ المذكور خلفه تلميذه سعيد بن منصور بن محمد بن أحمد الجيشي بـ جيم وياء مثناة من تحتها ساكنة ثم شين معجمة . وكان والده يلقب بـ انعام واصل بـ لده مصنعة سير . وكان فقيهاً تلقفاً درس بعد شيخه في المدرسة المذكورة الى ان توفي سنة أربع وسبعين وستمائة وقبر الى حنب قبر شيخه ابن شيخه عبد الله بن الفقيه عمر بن مسعود فلم تطل

مدة فتوفى في سنة خمس وسبعين والله أعلم .

وفي سنة تسع وخمسين تسلم السلطان رحمه الله حصن عضدان في المحرم من السنة المذكورة . ثم تسلم حصن براش في رجب من الشريف أحمد بن محمد العلوي وعوضه عنه المصنعة وعزان من بلاد حمير وما لاعطاه إياه . وفي شهر رمضان من السنة المذكورة طلع الأمير علم الدين سنجر الشعبي إلى صنعاء مقطعاً لها ولأعماها وقد تأهب الركاب العالي إلى مكة المشرفة لأداء فريضة الحج فخرج من حصن تعز في شوال من السنة المذكورة . وكان له من الصدقات إلى مكة في البحر والبر ما لا يعلمه الا الله

وكان رحمه الله يسير في البر والراكب تسافره في البحر بالعلوفات والأطعمة فلما قارب مكة حرستها الله تعالى خرج الشريفان عنها إدريس بن قتادة وأبو غني ابن أبي سعد بن علي بن قتادة خوفاً منه ثم دخل مكة في عساكره وجنوده داعياً مليباً خاشعاً متضرعاً عاري الرأس والجسد حتى قضى حق الطواف . ثم تقدمت العساكر والجنود فحطت في الحجون ولم تزل إلى أن قضى ما يجب عليه من الوقوف بعرفة فوقف في ناحية الصخرات وطلعت أعلامه الشريفة وأعلام صاحب مصر فقال له الأمير عز الدين محمد بن أحمد بن الإمام هلا اطلعت أعلامك يا مولانا السلطان قبل أعلام المصريين فقال له أترائي أؤخر أعلام ملك كسر التر بالأمس وأقدم أعلامي لأجل حضوري ثم مضى في حجه حتى أنه ثم قصد البيت الشريف وحلَّ له ما حرم عليه . ولم يزل مدة إقامته بمكة يصلي المغرب على قبة زمزم ثم يطوف وارداً وصادراً وخدم البيت الشريف وأخذ المكسحة وتأبط القربة وغسله ثم ضممحه بالغوالي الفاخرة .

مقام يحق لذى الكبرى وَ أَنْ يَبْلُهُ^(١) بالخصوص
رأينا به الملك رب الفخار أبا عمر رذا النوال الهموع

(١) مكذا في الأصل الخطي وهو مختل الورن ولم يكن موحداً في المسند .

خشوعاً مروعًا لتسوى الإله وما كان من قبله بالمروع

ثم أقام في مكة عشرة أيام بعد الحج يفرق الصدقات المبرورة حتى وصلت صدقاته إلى كل منزل بمكة وعمت جميع الحجاج على اختلاف انواعهم وجهز حاج مصر بالانعام العام والأزواد والماكب وكسا لبيت المعظم وأنعم على رؤساء الحرم بالتشريفات ونشر على البيت الذهب والمقصة .

ولما أزمع الرحيل تقدمت الاستباق المباركة إلى البئر المعروفة بالبيضاء ثم ودع البيت باكيًا مستعتبراً وعاد سعيداً مقبولاً ولم يزل يواли البر وينشر العرف في كل محطة حتى وصل بلاده .

وفي هذه السنة توفي الفقيه العالم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مصباح بن عبد الرحيم الأحولي العنسي . وكان مولده سنة سبع وخمسين أخذ عن اسماعيل بن سيف السننو عن محمد بن مضمون وأبي حديد وغيرهم . ثم لما سمع بعمر ارتحل إليه فوجده قد توفي قبل قدومه بقليل . فدخل بلد يزد فأخذ عن الفقيه محمد بن ابراهيم اليزدي ثم عاد إلى جبلة فأقام بها يبيع العطر وهو يستغل بقراءة الكتب . فلما ابتنى الدار النجمي المسجد الذي تنسب إليهم في جبلة جعلوه مدرساً فيه حتى توفي . وعند أخذ جمع كبير وقصد من الأماكن البعيدة لعلو سنده وغزر روایته . وكان رجلاً صالحًا لما أهل له من التدريس . ومن أخذ عنه الفقه عمر بن سعد العقبي . ولم تزل ذريته يتوارثون تدريس المسجد بعده لا يعسر ذلك عليهم وكانت وفاته لأربع بقين من ذي القعدة من السنة المذكورة .

وأما عمر المذكور الذي كان في الهند وقصد الفقيه زيارته كما ذكرنا فكان اسمه رتن براء مفتوحة وتاء مثناء من فوقها وأخره نون وهو على وزن وثن مفتوح أوله وثانية . قيل انه توفي سنة إحدى عشرة وستمائة في جزيرة بالهند تسمى فروزاً أخبرني من أثق به أنه وجد هكذا مكتوباً بخط الفقيه الإمام القطب أحمد بن موسى بن

عجيل . قال حكى لي من حضر موته في التاريخ المذكور قلت وأما الحفاظ فلا يشتبه .

وقال الحافظ الذهبي لا حقيقة له في الوجود . وان صح وجوده فانه شيطان يبدو للناس ليفتتهم . لأن مثل هذا تواتر الدواعي الى نقله وتواتر الأخبار عنه . هذا لفظه بعينه ذكره في كتابه المغني والله أعلم .

وفي هذه السنة توفي الفقيه أبو الحسن علي بن أحمد بن الحسن الحواري . وكان مولده في مدينة زبيد وبها تفقه ثم صار الى عدن وصاحب الفقيه ابراهيم السردي وأخاه ثم لما توفي انزله قبره بعد أن اضطجع فيه قبله وكأنه فعل ذلك تأسياً بما فعله النبي صلى الله عليه وسلم بأم علي بن أبي طالب حين أراد دفنها . وهو من أخذ عن الصغاني وكانت وفاته في السنة المذكورة . وقيل في سنة ثمان وخمسين والله أعلم .

وفي سنة ستين وستمائة رجع السلطان من حجته المبرورة فدخل مدينة زبيد في أحسن زی وأكمل آلة وذلك في شهر صفر من السنة المذكورة . وكان الشريف يحيى بن محمد السراجي قد دعا الى نفسه في ناحية حضور وما والاها في آخر سنة تسع وخمسين وستمائة فأجابه أجزل اهل تلك الناحية . فخرج اليه الأمير علم الدين سنجر الشعبي مواثباً له فانهزم العسكر الى المغرب وعاد الأمير الى صنعاء فسار الشري夫 يحيى الى بلدبني فاهم فامسکوه وسلموه الى الأمير علم الدين فكحله في ذي الحجة من السنة المذكورة سنة ستين وستمائة .

وفي هذه السنة توفي الفقيه علي بن عمر بن مسعود وكان فقيهاً جيداً صالحًا ولـي قضاء صنعاء برهة من الزمن وكان الفقيه عمر بن سعيد أخيه لأمه .

فاستعنـى السلطان نور الدين فأعفاه وحج في آخر عمره . فلما رجع من الحج الى مدينة زبيد . فتوفي بها في صفر من السنة المذكورة . وفيها توفي الفقيه الصالح

سعيد بن الفقيه منصور بن علي بن عبد الله بن اسها عيل ابن أبي الخير بن مسكين .
وكان في نهاية من الزهد والورع والعبادة مع الاشتغال بالقراءة .

قال الجندي اخبرني الفقيه الخبير بأحوال الناس من أهل جيله خاصة قال كان
هذا سعيد بن منصور مصاحباً لابن مصباح واتفقا على ان من كان لهُ في شيءٍ من
الكتب سماع اسمعهُ صاحبه وانتظم ذلك بينهما . وكان بين الفقيه سعيد وبين الفقيه
عمر بن سعيد صحبةٌ ومؤاخاةٌ ومعاقدةٌ ان من مات منها قبل صاحبه حضره الآخر
وتولى غسلهُ والصلاحة عليه . فلما مات الفقيه سعيد في بلده دلال . وكان قد أوصى
ان يرسل الى الفقيه رسولًا يعلمُه بموته عندما يموت . فلما توفي بادر الوصي ارسل
رسولاً الى الفقيه عمر بن سعيد يعلمُه بموته . فلما بلغ الرسول الطريق لقى الفقيه
عمر بن سعيد مقبلاً . فلما واجه الرسول قال له مات الفقيه قال نعم .

ومن كراماته ما يروى ان زريعاً الحداد . وكان زريع من الصالحين المتورعين
دخل على الفقيه سعيد بن منصور يوماً عقب عيد عرفة فقال يا سيدِي رأيت ما أحلَّ
المحج هذه السنة فنظره الفقيه نظرة بازورار ففهم الحاضرون المعنى فوقف
مستحيياً ثم جعل الفقيه يغاظل الحاضرين بكلام آخر ففهم الحاضرون المعنى فوقف
حتى انصرف الحاضرون جميعاً عن مجلس الفقيه . ثم قال له يا سيدِي سبحان الله
نحن نحبكم وصحبناكم ويجصل لكم هذا النصيب الوافر ولا تشركوننا فيه ولا في
بعضه . فأراد الفقيه مدافعته بالكلام وانكار ما أراد فلم يقبل من الفقيه ذلك الكلام
وكان يأنس بالفقيه كثيراً ثم قال له سألك بالله يا سيدِي إلا ما أخبرتني كيف تفعلون
هل هو طيران أم خطوة أم ما ذلك . فقال الفقيه هو شيءٌ لا يستطيع تكييفه وإنما هو
قدرة الله تعالى يختص برحمته من يشاء من عباده وبالله التوفيق .

وفي هذه السنة توفي الشیخ الرئیس الماجد علوان بن عبد الله بن سعيد
الجحدري ثم المذحجي المعروف بالکردی لقباً وكان قيلاً من اقیال الیمن وأوحد
أعيان مشايخ الزمان . وكان كريماً شجاعاً مقداماً مطعاماً مطعاناً عفيف الأزار مجتهداً

في طلب الأجر والثناء وملك ناحية عظيمة من شرق اليمن وهي حجر ونواحيها وتغلب على حصون كثيرة منها العروسين ووعل والتورة ونعمان شرق الحند وحارب ملوك الغزّ ولم يظفروا منه بطالٍ . وكان السلطان نور الدين في مدة قد حط عليه عدة محاط بالقطعين من أمرائه وطبخاناتهم اذا جاء وقت ما يضربون التوبة ترتع الأرض وترتعب النفوس فيقول علوان لقومه يا مدحٍ لا تفزعوا فاما هي جلوسد بقر . وله قصيدة في التأليب على حرب السلطان نور الدين يقول فيها :

من تاب عن حرب نور الدين من جزع فانني عنه ما عمرتُ لم أتبِ

وكاتب السلطان الملك الكامل الى الديار المصرية وسائل منه الاعانة في حرب نور الدين فأعانه بأموال جمة . ولم يزل السلطان نور الدين يتلطف به ويبذل فيه الرغائب حتى أتي به اليه أسيراً فحبسه في حصن حب فلما صار في السجن أكثر التضرع الى الله تعالى والدعاء بالخلاص فيقال إنه رأى في النوم قائلاً يقول له ادع الله بهذه الكلمات : اللهم اني اسألك بما اهمت به عيسى من معرفتك وما علمته من أسمائك التي صعد بها الى سماواتك وما علمته من ربوبتك ووحدانيتك إلا فككت اسرى برحمتك وكرر ذلك حتى حفظه فلم يزل يدعو بهذا الدعاء أياماً حتى اطلقه الله وأعاد اليه حصونه .

ومن محسناته انه كان متى بلغه ان يتيمة قد بلغت الزواج ولم تتزوج ولم يُرغب فيها خطبها هو واحضر لها مالاً له قدر فإذا خلا بها طلقها وربما يطلقها قبل ان يخلو بها فترغب من بعده إما للهلال أو شحاعاً على زواجه لها بعده وكان هذا دأبه . ولما توفي السلطان نور الدين في تاريخه المذكور وطلع ولده السلطان الملك المظفر من تهامة استعان به على أخذ تعز فأقبل اليه بنحو من عشرين الف رجل من مذحج . وكان شاعراً فصيحاً حسن الشعر ومن شعره قوله :

والله لا استوطنت ارضًا ترها مسك اذا حظي بها مقسم^(١)

(١) مهضوم كما في الجندي

والرُّزقُ مِنْ أَفْقِ السَّمَا مَقْسُومٌ
وَكَذَا الْلَّيَالِيُّ السُّودُ وَهِيَ هُمُومٌ
فَوْقَ التَّرَابِ فَحَسْبِيَ الْقِيَوْمُ

وعلامُ أُوطنِهَا وَعَرَضِيَ وَافِرُ
لَا آمِنُ الْأَيَامُ وَهِيَ مَعَارَةُ
وَإِذَا الْلَّيَالِيُّ اخْلَفْتُنِي بِالَّذِي
وَمِنْ شِعْرِهِ قَوْلُهُ إِيَّاصًا

بِحُكْمِهِ وَالْمَلِكِ فِي آيَةِ الْمَلِكِ
فَكِيفَ اعْتَرَاضِي قَوْلَهُ الصَّدْقِ بِالشَّكِ
فَرَاحْتُكَ الْعَظِيمَ لِكَ اللَّهِ فِي التَّرَكِ
وَتَسِيرْهُمْ فِي جَلَةِ الْبَحْرِ بِالْفَلَكِ
وَمَفْنِيهِمْ بَعْدَ النَّكَاثِرِ بِالْمَلِكِ
إِلَى مُثْلِهِ لَكُنَّ إِلَى مَنْصُوفٍ تَشْكِي

إِذَا كَانَ قَوْلُ الْحَقِّ وَالْحَقِّ قَوْلُهُ
مَعْزٌ لِمَنْ شَاءَ الْمَذْلُونُ لِمَنْ يَشَا
وَنَفْسُكَ فَاتَّرَكَهَا عَنِ الْهَمِّ وَالْأَذَى
فَهَا الْأَمْرُ إِلَّا لِلَّذِي صَرَرَ الْوَرَى
وَمَوْجَدُهُمْ مِنْ غَيْرِ وَجْدَانِ سَابِقِ
وَلَا تَشَكُّ مَا لَاقِيتُ مِنْ غَيْرِ مَنْصُوفٍ

وَلَا تَابَ وَحْسِنَتْ تَوبَتِهِ قَالَ يَعَاتِبُ نَفْسَهُ :

يَكُونُونَ فِي عَصْرِ الشَّبَابِ الْغُرَانِقِ
نَظَرَتْ وَذَاكَ الغَيِّ غَيْرَ مُفَارِقِ
تَكُونُ بِأَحَدِ الْحَالَتَيْنِ مُوَافِقِي
وَأَنَّكَ مِنِي طَالِقٌ وَابْنٌ طَالِقٌ
وَكُمْ مِثْلِهِ قَدْ قَلَّتْهُ غَيْرَ صَادِقٍ
وَأَيِّ طَالِقٌ لِلنِّسَاءِ الطَّوَالِقِ
فَقَالَ وَمَنْ هُوَ قَلَّتْ ذُو الْطُولِ خَالِقِي
تَضَعُّ وَبَادِرُ نَحْوَ كُلِّ مَنَافِقِ

وَقَدْ كَانَ ظَنِي الغَيِّ وَاللَّهُو إِنَّمَا
فِلَمَا أَتَانِي الشَّيْبَ وَانْقَرَضَ الصَّبِيُّ
فَقَالَ بَلِ لَكَنْ رَأَيْتَكَ رِبِّيَا
فَقَلَّتْ لَهُ لَا مَرْحَبًا بَكَ بَعْدَهَا
فَقَالَ سَمِعْنَا مَا حَلَّفْتَ بِهِ لَنَا
فَقَلَّتْ أَمْنَ بَعْدَ الطَّلاقِ فَقَالَ لِي
فَقَلَّتْ لَهُ لِي مِنْكَ جَارٌ يَجِيرِيَنِي
فَوَلَى لَهُ مِنِي صَحِيْحٌ فَقَلَّتْ لَا

وَشِعْرُهُ كَثِيرٌ وَدِيَوَانُهُ مَجْلِدٌ ضَخِيمٌ وَالْغَالِبُ عَلَيْهِ الْجَزَالَةُ وَهُوَ عَزِيزُ الْوُجُودِ
وَكَانَتْ وَفَاتَهُ فِي السَّنَةِ الْمَذَكُورَةِ عَلَى أَصْحَاحِ مَا قَيْلَ وَقَبْرٌ فِي مَوْضِعٍ مِنْ بَلْدَهُ يَعْرَفُ
بِالْمَرْخَامَهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وفيها توفي الفقيه الصالح أبو بكر العتيق أبو بكر عبد الله بن محمد بن عمر بن محمد بن أبي عمران الملقب بالصوفي . وكان فقيهاً زاهداً صالحاً ورعاً متفناً متყناً درس بيده ثم درس بيده صهبان ولم يزل بها حتى دنت وفاته فعاد إلى بلده فتوفي بها في السنة المذكورة والله أعلم .

وفي سنة إحدى وستين تسلم السلطان حصن الجاهلي اشتراه من الشريف احمد بن قاسم القاسمي في شهر ربيع الأول . ثم تسلم حصن الشوا في شهر رجب من السنة المذكورة . ثم تبارت العساكر المنصورية في شوال إلى حصن ذمرمر فكانت محطة في الحصن الأبيض ومحطة في الحصن الأحمر ومحطة في أكمة ابن سنية ومحطة في الهمامة . ووصل الأمير عز الدين محمد بن أحمد بن الإمام والأمير عز الدين هبة بن الفضل وبذلوا لأهل ذمرمر مائة ألف دينار وحصن برash وحصن فده ووادي ضهر وغير ذلك من الكسي والانعامات فلم يقبلوا فأصابهم مرض لم يسمعوا بهاته كان إذا أصحاب أحداً سقطت أضراسه كلها في قيم بعد ذلك نحواً من خمسة عشر يوماً ثم يموت . فهلك منهم طائفة في مدة يسيرة .

وفي هذه السنة أرسل السلطان بكسوة البيت وكسوة الحِجْرَة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام . وفيها توفي الفقيه الإمام أبو عبدالله محمد بن إبراهيم بن علي بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفشلي . وكان فقيهاً كبيراً محدثاً مولده في الرابع عشر من شعبان سنة خمس وثمانين وخمسين وباحد وعشرين جماعة من الأكابر كالشريف أبي حديد وأبن حرب وآباء الموصلين وغيرهما وارتقل إلى مكة والمدينة وأخذ عن أعيان المشايخ هنا لك كابن أبي الصيف وعمر بن عبد المجيد القرشي وغيرهما . وأخذ عنه كثير من أهل اليمن وغلب عليه علم الحديث فكان إماماً فيه وهو أحد مشايخ أبي الحسن بن منصور ومن أخذ عنه أحمد بن علي السردي وغيره . وكانت له مكانة عند الملك المنصور نور الدين ثم عند ولده السلطان الملك المظفر . وسمع عليه عدة من كتب الحديث . وكانت وفاته يوم الأربعاء عاشر شهر رمضان

من السنة المذكورة . ركب دابته يوماً في مدينة زبيد يريد بعض حوائجه فمررت الدابة عند كلب فنبحها فجفلت منه فوق الفقيه من ظهرها على الأرض ميتاً في التاريخ المذكور .

أما والده ابراهيم الفشلي فكان رجلاً صالحًا ذا عبادات وكرامات وهو شيخ الشيخ احمد الصياد الذي كان يدلle على الطريق الى الله تعالى بحيث حكى صاحب سيرته عنه انه قال لما فتح الله عليٌّ بما فتح لم يسلم لي الفقهاء والمسايب غير هذا الشيخ ابراهيم الفشلي انه اخي وقسيمي في الدنيا والآخرة وكان يثنى عليه ثناءً حسناً هكذا ذكر مؤلف سيرة الشيخ احمد ابي الخير الصياد نفع الله بهم أجمعين .

وفيها توفي الفقيه أبو العباس أحمد بن محمد بن الفقيه ابراهيم بن أحمد الوزيري . وكانت ولادته سنة اثنتين وتسعين وخمسين وعشرين شهراً نشوء البدو ولم يشتغل بشيءٍ من العلم حتى بلغ عمره أربعين سنة . وكان اذا بلغ الى ابن عمه أحمد بن عبد الله بن أسعد بن ابراهيم لم يكدر يصافحه ولا يتربكه يدنه منه ويطوي عنه حصر الطهارة حتى جاءه يوماً بالغ ابن عمه في التحرز منه وأظهر له ذلك فقال له ليم تفعل هذا معي فقال له يغلب على ظني انك لا تتحرى من نجاسة وانك جاهل لا تعرف ما ينبغي لك اجتنابه . فلما سمع مقالة ابن عمه هذه دخله غيظ عظيم وخرج فللحاق بعبد الله بن محمد الحساني الخزرجي المقدم ذكره أولاً فتفقه به ثم عاد الى ابن عمه فأكمل عليه قراءة كتب الفقه . فلما عزم ابن عمه على الحج الى بيت الله الحرام استنابه على التدريس فدرس بالوزيرية وعنه اخذ جماعة كثيرون منهم ابن النحوى وابن البانه من أهل تعز وحسن بن علي من أهل إب وغيرهم وكانت وفاته في سلخ ذي القعدة من السنة المذكورة . حكى تاريخ وفاته صاحب العطایا السنیة . ولم يذكر الجندي له تاريخاً والله أعلم .

وفيها توفي الأديب سعيد وكان رجلاً صالحًا عابداً له بعض اشتغال بالكتب

والقراءة ولم يزل على أحسن سيرة إلى أن توفي في سلخ شهر ربيع الأول من السنة المذكورة فحضر دفنه خلق كثير لا يكادون يحصرون منهم الفقيه عمر بن سعيد العقبي والشيخ علي صاحب المداحنة . وكان دفن الأديب سعيد في آخر النهار في قرية يقال لها الفراوى بفتح الفاء فبات أكثر الناس في القرية . وكان أهل بيته فقراء لا يملكون شيئاً فأتاهم من الجيران تورة فيها لحوح وقدرة فيها زوم . وكان الفقيه عمر بن سعيد والشيخ علي صاحب المداحنة من أ Rossi هنالك تلك الليلة فتقلد أحدهما بكفاية الناس من ذلك اللحوح وتケفل الآخر بكفايتهم من ذلك الزوم . فقام أحدهما على إباء اللحوح والآخر على إباء الزوم ولم يزالا يطعنان الناس حتى صدروا كلهم عن كفايتهم والله أعلم .

وفي هذه السنة توفي القاضي أبو عبد الله محمد بن أسعد بن عبد الله بن سعيد القرى المذحجي العنسي بنون بعد العين وقبل السين . وكان فقيهاً عارفاً بالفروع والأصول وله في كل منها تصنيف مفيد . وولي قضاء عدن برهة من الدهر . وكان موصوفاً بالورع وجودة الفقه غواصاً على دقائقه عاملاً به .

قال الجندي سمعت شيخي أبا العباس أحمد بن علي الحراري يذكر هذا الرجل وبشيء عليه ثناءً بليغاً . وكان من أدركه وقرأ عليه وأخبرني أنه كان يعجبه الاختلاط بالفقهاء والمواصلة لهم . وكان مدرس عدن والمعيد بها والطلبة يصلون بكرة كل يوم إلى بابه ويحضرون مجلسه فيلقاهم بالبشر والاكرام . فإذا اطمأن بهم المجلس جعل يلقي عليهم المسائل من الكتب التي يتعانون قراءتها فمن وجده ذاكراً شكره ووعده بالخير وحثه على الاجتهاد . وكان ذا مكارم أخلاق وكرم طباع قل ما قصده أحد إلا أتحفه بما يليق بحاله . وكان كثير الصدقة متنتزهاً عما يتهم به كثير من الحكماء وكان كثير الصدقة على الفقراء والمساكين في كل يوم بدينار خبز . وكانت وفاته في عدن يوم الثلاثاء لاثني عشرة ليلة بقيت من السنة المذكورة وقبره في القطيع رحمه الله .

وفي سنة اثنتين وستين تسلم السلطان الحصون الحمزية . وتسلم مدع من بنى وهيب وعوضهم حصن بيت أنعم وماً أشترطوه . فطلع الأمير علم الدين الى مدع بعد أن دخلته العساكر المظفرية . وفيها من المقدمين الحسن بن بهرام ومحمد بن زريع وغيرها . وقد كان الأمير صارم الدين داود بن الإمام أقام الشريف الحسين ابن محمد القطبري واستمد به رجاء منه أن يتتنفس على أهل ذمرمر وعلى أهل مدع فلم يتفق له ذلك فلم يكن للإمام ما عوّده الله من النصر والظفر فلما قبض الأمير علم الدين حصن مدع وقبض الوهبيون حصنهم والمال الذي اشترطوه . وهو ستون ألفاً سقط في أيدي الأشراف ورأوا انهم قد ضلوا . ثم وردت الأوامر الشريفة على الأمير علم الدين الشعبي بالتقدم الى براقيش والزاهر وأخذها وكان تسليمها في ذي القعدة من السنة المذكورة . ووصل العسكر المنصور صعدة في ذي الحجة منها .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الصالح القاضي أحمد بن ثامة . كان من أهل العبادة والصلاح وامتحن بقضاء الضحى ومرض مرضًا شديداً وكان يخرج أوقات الصلاة بين اثنين يستعين بها في الخروج ليصل إلى الجماعة فصل يوماً الظهر واضطجع بعد الصلاة فغلبتُ عينه فنام حتى دخل وقت العصر فأيقظوه للصلاة فوجدوه قد مات . وكان يوم وفاته في السنة المذكورة .

وفيها أيضاً توفي الإمام العلامة أبو العباس أحمد بن عبد الله بن أسعد بن إبراهيم الوزيري بلداً الأنصاري نسباً وكان فقيهاً ماهراً تفقه بأبيه عبد الله بن أسعد ودرَس بالوزيرية بعد ابن مضمون وبه سميت الوزيرية لطول إقامته في تدريسيها وإقامة ابن عمه أيضاً . ثم أراد الحج فسافر إلى مكة المشرفة في أيام السلطان نور الدين بعد أن استخلف ابن عمه احمد بن محمد بن إبراهيم الوزيري المذكور أولاً . فلما قضى الحج وعاد أحب سكتى زبيد فسأل من السلطان نور الدين إن يأذن له في سكنها فاذن له في ذلك فاستوطنه وجعله مدرساً في المنصورية العليا بزبيد فأخذ عنه عدة من أهل زبيد منهم عمر بن عاصم وغيره . ومن أخذ عنه يحيى بن زكريا ولم

يزل مقىًّا في مدينة زبيد إلى أن توفي في السنة المذكورة ودفن في مقبرة باب القرتب
فكان له أربعة أولاد أفقهم سليمان سكن مخلاف شرعب . وكان فقيهاً صالحًا زاهدًا
ورعًا تفقه في بدايته بأبيه ثم بالفقيه اسماعيل بن محمد الحضرمي وأخذ عن أبيه الخير
ابن منصور وعن السلطان علاء السكري وكان يقول شعراً حسناً .

ومن شعره ما قاله في الزهد وهو قوله :

سبيلك في الدنيا سبيل مسافر ولا بد من زاد لكل مسافر
ولا بد في الأسفار من حمل عدة ولا سبأ ان خفت سطوة قاهر

وفي هذه السنة توفي الأمير بدر الدين الحسن بن علي بن رسول في السجن
ودفن عند أبيه بعكار بوصية منه وكان فارساً شجاعاً مقداماً لا يوجد له نظير في عصره
وشهرته تغنى عن وصفه وهو الذي بنى المسجد بعكار عند تربة أبيه شمس الدين علي
بن رسول ووقف عليه وقفًا جيداً ورتب فيه إماماً ومؤذناً ومدرساً ودرسةً وقبأ . وكان
وقفه يقوم بكفاية الجميع وإطعام من هم وفده إلى المسجد وهو باق إلى الآن والله
أعلم .

وفي سنة ثلاثة وستين قبض محمد بن الوشاح الشهابي . وفي شهر شعبان
منها تسلم السلطان حصن ذمر من سلمه أهله لما أصابهم من الجهد والمشقة فطلبوها
الرفاقة والذمة ونزلوا إلى الأبواب السلطانية فأعطياهم السلطان ستة وعشرين ألفاً
وتصدق عليهم بحضور فلدة . وفي شهر رمضان تسلم السلطان الفيص الكبير ثم
 وسلم براش الباقي من محمد بن مفضل الوهبي في شهر ذي الحجة وفي هذه السنة توفي
الفقيه العالم أبو يحيى عثمان بن الفقيه يحيى بن الفقيه فضل وكان فقيهاً متادباً بارعاً
له محفوظات كثيرة وبديهة حسنة وكان حاضر الجواب نظماً ونثراً وكان شاعراً فصيحاً
محسناً ومن شعره قوله :

طوبى لمن عاش بعض يوم ونفسه فيه مطمئنة

وَلَا لَهُ فِي الْمَلَأِ عَدُوٌّ وَلَا خَلْقٌ عَلَيْهِ مُنْهَىٰ

وحضر يوماً مع جماعة من الفقهاء على طعام صنعه لهم الأمير شمس الدين علي ابن يحيى العسني وكان بين ذلك الطعام صحفة ملوءة لحواً وزواماً فناقت نفس الفقيه إليه أكثر من غيره فكان يديه إلى الصحفة وكانت الصحفة على بعد منه فقال :

بَعْدَ الْلَّحْوَ عَنِ الْفَقِيهِ الْأَوَّلِ عَثَمَانَ بْلَ خَيْرِ الْبَرِّيَّةِ عَنِ يَدِ
فَأَجَابَهُ الْفَقِيهُ مُرْتَجِلاً :

تَرَدَّ الْمَرَاسِمُ إِنْ أَرَدْتَ بِنْقَلِهِ وَيَطْوُلُ مِنْكَ الْبَاعَ إِنْ قَصَرْتَ بِي
فَقَامَ الْأَمِيرُ مُسْرِعاً مِنْ مَكَانِهِ وَاحْتَمَلَ الصَّحْفَةَ بِمَا فِيهَا وَوَضَعَهَا بِيَدِ الْفَقِيهِ
ثُمَّ لَا انْقَضَى الطَّعَامُ قَالَ الْأَمِيرُ شَمْسُ الدِّينِ لِلْفَقِيهِ يَا سَيِّدِي أَنِي رَأَيْتُكَ تَحْبُّ الْلَّحْوَ
وَقَدْ وَهَبْتُ لَكَ الْجَرْبَةَ الْفَلَانِيَّةَ تَكُونُ بِاسْمِ الْلَّحْوَ فَاقْبِلْهَا مِنِي فَقَبَلَهَا وَكَانَتْ تَسْوِي
أَلْفَ دِينَارٍ . فَرَحِمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بْنَ يَحْيَى مَا كَانَ أَلْطَفُ شَهَائِلَهُ وَأَجْزَلُ نَائِلَهُ وَأَكْثَرُ فَضْلِهِ
وَفَضَائِلِهِ . وَكَانَتْ وَفَاتَهُ الْفَقِيهُ عَثَمَانُ الْمَذْكُورُ يَوْمَ الْأَحَدِ لِثَلَاثَ بَقِينَ مِنْ رَمَضَانَ مِنْ
السَّنَةِ الْمَذْكُورَةِ . وَلِمَا تَوَفَّى الْفَقِيهُ عَثَمَانُ فِي التَّارِيخِ الْمَذْكُورِ خَلْفَهُ ابْنُهُ يَحْيَى بْنُ عَثَمَانَ
ابْنُ يَحْيَى بْنِ فَضْلٍ وَكَانَ مُولَدُهُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ لِخَمْسٍ خَلَوْنَ مِنْ صَفَرِ السَّنَةِ سَبْعَ عَشَرَةَ
وَسَمِئَةَ وَكَانَ فَقِيهَّا وَرَعَا دِيَّا نَقَالاً لِلْفَرُوعِ عَارِفًا بِهَا نَزَلَ مِنْ بَلْدَهُ إِلَى ذِي جَبَلَةِ
فَدَرَسَ فِي الْمَدْرَسَةِ الشَّرِيفَةِ . وَكَانَ يَطْلَعُ بَلْدَهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ يَقْفَى فِيهَا شَهْرَيْنِ أَيَّامٍ
إِنْتِقَالَ الْغَلَةِ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى جَبَلَةِ وَقَدْ اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ وَقْفُ الْمَدْرَسَةِ الْمَذْكُورَةِ فَيَصْرُفُ لَهُ
النَّاظِرُ نَفْقَتَهُ فِي السَّنَةِ فَيَرِدُ مِنْهَا نَفْقَةُ شَهْرَيْنِ لِأَجْلِ غَيْبَتِهِ عَنِ الْمَدْرَسَةِ فَقِيلَ لَهُ يَوْمًا أَنَّ
الْمَدْرَسَيْنِ قَبْلَكَ كَانُوا يَغْبِيُونَ أَكْثَرَ مَا تَغْبِيُ ابْنُهُ وَيَأْخُذُونَ نَفْقَةَ السَّنَةِ كُلُّهَا فَقَالَ لَا
تَسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ . وَكَانَ يَصْرُفُ مَا يَقْتَضِيهِ مِنْ النَّفْقَةِ عَلَى
الْمُحْتَاجِينَ مِنَ الْطَّلَبَةِ وَفِيهَا يَطْلَبُهُ ابْنُهُ أَهْلُ الْدِيَوَانِ فِي خَرَاجِ أَرْضِهِ وَتَوَفَّ رَحْمَهُ اللَّهُ فِي

النصف من صفر سنة ثمان وسبعين وستمائة

وفي هذه السنة توفي الشيخ الصالح علي بن أحمد الرميمة وكان شيخاً مباركاً يصحب الشيخ مدافعاً ولزم طريقة العزلة في جبل صبر . قال القاضي محمد بن علي أخبرني الشيخ علي بن الرميمة ان أكله في السنة اثنا عشر زبدياً يكلفه أهله على ذلك . وكان الزبدي التعزى يومئذ ثمانية أرطال قال وهذا القدر يأكله الواحد المنفرد في شهر واحد . وكان صاحب مكاشفات وكرامات ظاهرة .

حكى القاضي محمد بن علي رحمه الله قال كان الشيخ عبد الله بن عباس قد بعثه الملك المظفر رسولاً إلى مصر وبعث معه الأمير المعروف بابن الداية فلما صارا في مصر وصل العلم أن عبد الله بن عباس توفي إلى رحمة الله تعالى وكان يصحبني فمررت ببابه فسمعت في بيته البكاء فطلعت إلى الشيخ علي بن أحمد الرميمة وأخبرته بوفاة ابن عباس فغفا وغاب ساعتين ثم رفع رأسه اليه وقال لم يمت إلا ابن الداية وأما الشيخ ابن عباس ففي عافية فانزل وأخبر بذلك أهله فنزلت مسرعاً وخبرتهم ثم بعد أيام وصل الخبر بموت ابن الداية ولم يزل هذا الشيخ على الطريق المرضي إلى أن توفي يوم الجمعة بعد صلاة الضحى وهو الخامس والعشرون من رمضان من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الصالح المشهور أبو الخطاب عمر بن سعيد بن أبي السعود بن أحمد الهمداني العقبي . وكان مولده سنة عشر وستمائة . وكان عملاً عاملاً ورعاً فاضلاً عابداً زاهداً جاماً لطريقه العلم والعمل موفقاً في كبره وصغره . روي عنه أنه قال خرجت يوماً أريد المعلامة وأنا صغير يتيم ومعي كسرة خبز فلما صرت في الطريق من ذي عقيب وجبلة أكلت شيئاً من الكسرة التي معني فلقيني شخص حسن الهيئة فقال لي أنت فقيه وتأكل بالنهار فاستحييت من كلامه فكان غالب أيامه صائماً وكان غالباً أصحابه يرون أن سبب مواطبه على الصيام من أجل ذلك ونفقه بمحمد بن عمر الخبري المذكور أولاً وأخذ عن غيره كمحمد بن

مصباح وارتحل الى وصاية فأخذ بها شرح اللمع لموسى الاصلبى عن الفقيه أبي بكر الحناجي اخذه له عن المصنف وأخذ عنه شيئاً من كتب الحديث وكان يحفظ جامع البخاري من الصحيح عن ظهر غيب وقرأ البيان على العقى عبد الله بدار يزيد في أيام القاضي أسعد وحج سنة فمرّ في طريقه بالشيخ أبي الغيث بن جمبل فسلم عليه وسألة ان يسمح له على صدره ولما دعوه سأله ان يصدق في فيه فبصق له ثم سافر فقيل للشيخ كيف أنت والجبل فقال رجلاً كاماً .

قال الجندي ولقد سمعت جماعة من العلماء وغيرهم مجتمعين على زهده وورعه وكمال عبادته وحسن فقهه وصيانة عرضه وكان كثير الصيام لا يفتر غير الأيام المكرورة ثم لا يأكل من الأطعمة إلا ما يعرف حله . وكان شديداً في الطهارة وبالغاً فيها وكان اذا أراد الاغتسال نزل في قميصه في حائرة عظيمة فيغمض فيها مرتين او ثلاثة ثم يخرج الى صفا هنالك فلا يبرح يصلي عليه حتى تجف ثيابه وامرها في الطهارة شديد . قال ولقد رأيت الصفا الذي كان يصلي عليه فرأيت في موضع سجوده اثراً ظاهراً قال وخبرني ابو بكر بن احمد الماربي عن الفقيه عبيد بن صالح عن الفقيه عمر بن محمد بن مصباح أنه رأى والله محمدأ وقد توفي في طريق الحج بمدينة حلي بن يعقوب فقال له ما فعل الله بك فقال غفر لي وادخلني الجنة ويل للمتقشفين ويل للمتقشفين . فقلت هل رأيت ف قال نعم ويل للمتقشفين ويل للمتقشفين فقلت له كيف هو قال بخير ويل للمتقشفين ويل للمتقشفين فسألته عن الفقيه عمر بن سعيد المذكور وكان قد توفي فجعل يعظم ويصف ما اعطاه الله ويقول في أثناء ذلك ويل للمتقشفين ويل للمتقشفين فقلت له هو اكثرا المتقشعين فقال نعم لكنه قشف ظاهره وباطنه لكنه قشف ظاهره وباطنه يجعل يكرر ذلك مراراً . ويروى أن رجلاً وصل الى الفقيه أحمد بن جديل وقال له يا سيدى الفقيه رأيت قبل التعرك نوراً من الأرض صاعداً حتى خرق السماء فما ذلك يا سيدى فقال له ذلك القطب ويوم يموت ترتج الأرض لموته .

قال الجندي وخبرني جماعة من اصحابه انهم كانوا يتذكرون ذلك ويقول بعضهم بحضره الفقيه ربي انه أتى فيتسم الفقيه ويقول وربما . فأخبرني جماعة لا أنهم منهم أحداً في ذلك ان الرجفة كانت وقت الظهر من يوم الجمعة والناس يتذهبون للصلوة . وكانت وفاة الفقيه ليلة السبت بين المغرب والعشاء لليلتين بقيتا من ذي الحجة آخر شهور السنة المذكورة . وقبره على مرمى بيته ومسجده وقربته أكثر الترب بقصدأ في الزيارة قل أن ينقطع الزائرون عنها ليلاً ونهاراً .

وما يحکي أن بعض الطلبة من المتصرين كان كثير التردد الى الفقيه والصحبة له وربما كان سبب موته شرق بشيء من الشراب فوصل من نعاه الى الفقيه فأخبره بحاله الذي مات عليه فقال لأصحابه بسم الله سيروا بنا الى هذا الصاحب فوافقوه بظهورهم دون بواطفهم فلما صاروا في أثناء الطريق التفت الفقيه اليهم وقال للذى يتحقق انه أكثرهم كراهة لذلك يا فلان يا فلان اما يقام على الساقط وأما غيره فينحو برجليه . وكراماته كثيرة مشهورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الكبير زريع بن محمد بن عبد الواحد بن مسعود بن عبد الله الباقي الهمданى . وكان فقيهاً كبيراً فاضلاً وأهله من أبين وكان أبوه محدثاً تفقه زريع بمحمد بن اسماعيل الحضرمي وبعلي بن قاسم الحكمي . وكان صاحب روایات وأخبار مستحسنات . وكانت له كرامات ظاهرة وأسانيد عالية وعنده أخذ ابن الرسول في بدايته . وكانت وفاته في السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه أبو العباس بن علي وكان فقيهاً بارعاً تفقه بتهمة على الفقيه اسماعيل بن محمد الحضرمي وبه سمي ولده وذكر ان ببركة دعائه حصل لابنه اسماعيل ما حصل وذلك انه لما أخبره بولادته وانه سمه اسماعيل لذكائه فقال له المفقيه اسماعيل بارك الله فيه . وكانت وفاة الفقيه المذكور في مصنعةبني قيس في السنة المذكورة .

وفي سنة أربع وستين تقدم الأمير فخر الدين بكتمر القلاب في العساكر المنصورة فحط على المصنعة وزان فاستنجد الأمير فخر الدين بن عبد الله بن يحيى بن حمزة . والأمير شجاع الدين أحمد بن محمد بن حاتم بالشريف مطهر واستنجد به أيضاً أهل بيت ردم لما لزم محمد بن الوساح فطلع الشريـف مطهر إلى حصن الطويلة . وخرج الأمير علم الدين الشعبي فحط في الرجام وجهز العساكر إلى المغرب وجبل تيس فاستفتحها وعمر موضعـاً فوق الطويلة يسمـى غراب واكن وأقامت^(١) على الطويلة نحوـاً من سبعة أشهر . وفي شهر جمادى الأولى تسلم السلطان حصن المصنعة وحصن عزان . وأنعم على الأمير بن فخر الدين عبد الله بن يحيى بن حمزة وشجاع الدين أحمد بن محمد بن حاتم ثلاثين ألفاً فسلماً الحصين وأي حصين هـما منكـبي الشوامـخ الـيمـنية . وروقـى المصـانـع الـحمـيرـية لم يـقـمـعـ أحـدـهـا قـامـعـ ولا طـمـعـ فـيـهـاـ منـ الـمـلـوـكـ طـامـعـ . وقد كان الأمـيرـ جـمالـ الدـينـ فـليـتـ حـطـ عـلـيـهـاـ فـيـ عـساـكـرـ مـصـرـ وـالـيـمـنـ ثـمـ لـمـ يـكـدـ يـنجـحـ بـنـفـسـهـ الاـ بـعـدـ أـنـ نـهـيـتـ الـمحـطةـ وـماـ فـيـهـاـ مـنـ التـجـنـيقـاتـ وـالـزـرـدـخـانـةـ وـالـتـرـوـجـ^(٢)ـ وـالـحـواـيـجـ خـانـهـ بـعـدـ أـنـ أـنـفـقـ عـلـيـهـاـ مـسـتـيـ أـلـفـ مـئـقـالـ ذـهـبـاـ . وـكـانـ تـسـلـيـمـهـاـ وـتـسـلـيـمـ رـدـمـانـ اـيـضاـ فـيـ جـمـادـىـ الـأـولـىـ مـنـ السـنـةـ الـمـذـكـورـةـ ثـمـ تـسـلـيـمـ السـلـطـانـ بـعـدـهـاـ الفـصـ الصـغـيرـ فـيـ شـهـرـ رـمـضـانـ . ثـمـ تـسـلـيـمـ حـصـنـ بـيـتـ أـرـدـمـ^(٣)ـ اـيـضاـ فـيـ ذـيـ الـقـعـدـةـ . ثـمـ تـسـلـيـمـ الـقـفـلـ وـشـمـسـانـ مـنـ بـنـيـ شـهـابـ . ثـمـ الـلـجـامـ فـيـ الـقـعـدـةـ اـشـتـرـاهـ مـنـ أـوـلـادـ الشـرـيفـ سـلـيـمانـ بـنـ مـوسـىـ .

وفي هذه السنة توفي الأمير الكبير شجاع الدين عباس بن عبد الجليل بن عبد الرحمن التغلبي . وكان أميراً كبيراً واصـلـ بـلـدـهـ جـبـلـ ذـخـرـ بـفـتـحـ الذـالـ المعـجمـةـ أـيـضاـ وـآـخـرـهـ رـاءـ . وـكـانـ ذـاـمـالـ جـزـيلـ وـجـاهـ عـرـيـضـ وـكـانـ أـكـثـرـ مـالـهـ مـنـ التـجـارـةـ وـكـانـ أمـيرـاـ فـيـ مـدـيـنـةـ زـبـيدـ وـتـأـمـرـ فـيـ عـدـنـ وـلـهـ آـثـارـ حـسـنـةـ . وـكـانـ أـكـثـرـ النـاسـ صـدـقـةـ وـمـعـرـوفـاـ . وـكـانـ

(١) في المسجد : وأقام الحرب على الطويلة الح ..

(٢) السروج

(٣) هو بيت ردم

اذا اقبل الحجاج من الحج و هو في بلده و مرروا عليه كسامح و يعطيهم ما يوصلهم الى بلدتهم و ان كانوا من البلد التي هو فيها اعطائهم ما يزيلون به وعثاء السفر . وقد يتشبه ناس بالحجاج في زيهم و يأتون اليه فيعطيهم ما يليق بحالهم . وله من الآثار الدينية مدرسة زبيد عمرها ابنة محمد بعد موت أبيه وهي الدار التي كان أبوه يسكنها . وله أيضاً في قرية السلام مسجد يعرف بمسجد عباس وهو غربي تربة الشيخ الصالح علي بن الغريب وله مسجد في قرية أبيات حسين ومدرسة في بلدة ذخر في موضع يعرف بالحبيل بضم الحاء المهملة وفتح الباء الموحدة . وله في كل موضع من هذه المراضع وقف جيد يقوم بكفاية المرتدين فيه وكانت وفاته بزبيد في السنة المذكورة .

وفيها توفي الفقيه الصالح أبو الربيع سليمان الملقب بالجخنيد بن محمد بن أسد
ابن همدان بن يعفر بن أبي النهى . وكانت ولادته سنة اثنين وستمائة وكان والده
فقيهاً فاضلاً تفقه بمحمد بن الحافظ على ابن أبي بكر العرشاني واصل بلدتهم رية
الملاخي . وعنده أخذ ابنته سليمان وكانت وفاة الوالد بقرية العدن من بلد صهبان في
سنة خمس وعشرين وستمائة . وأما ابنته سليمان فكان فقيهاً جليلاً سيداً نبيلاً امتحن
بقضاء مدیني اليمن زبيد وعدن ثم عُوْفي من الجميع وعاد إلى بلده ثم انتقل إلى ذي
أشرف وكان عابداً زاهداً مقصوداً مشهوراً باستجابة الدعاء وكان الفقيه عمر بن
سعيد العقيبي كثيراً ما يزوره ويأمر أصحابه بزيارته وكانت له كرامات يجل قدرها
عن الحصر وببركته وأشارته عمل الطواشى نظام الدين مختص المظفرى من مطاهر
الجامع بذى اشرق . وكانت وفاته رحمة الله عليه على الحال المرضي ظهر يوم الأربعاء
النصف من شهر صفر من السنة المذكورة رحمة الله وقبر بالعدينية حيث قبر بنو الإمام
وهي بفتح العين وكسر الدال المهملتين وسكون الياء المثناة من تحت وفتح السون
وآخرها تاءً تائيث وهي مقبرة كبيرة شرق القرية ذي اشرق قبر فيها جمع كثير من
الأفضل والأ chiar رحمة الله تعالى .

وفيها مات الفقيه الصالح المشهور أبو بكر بن محمد بن رشد بضم الراء وفتح الشين وكان هو وأخوه فقيهيـن صالحـين وغلـب علـيهـما الزهدـ والعبـادـة ويقال ان قدومـهـما إلـى زـبـيدـ كان قـبـلـ قدومـ الـحـضـارـمـ ورـغـبـاـ فيـ صـحـبـةـ الشـيـخـ الصـالـحـ عـلـيـ بنـ مـرـتضـيـ خـلـيـفةـ الشـيـخـ الصـالـحـ مـحـمـدـ بـنـ أـبـيـ الـبـاطـلـ الصـوـفـيـ نـفـعـ اللـهـ بـالـجـمـيعـ .ـ وـتـوـفـيـ أـخـوـهـ عـمـرـ بـنـ مـحـمـدـ بـنـ رـشـدـ بـعـدـ بـسـنةـ وـذـلـكـ فـيـ سـنـةـ خـمـسـ وـسـتـيـنـ وـسـتـيـةـ وـهـوـ جـدـ الفـقـيـهـ المـشـهـورـ مـحـمـدـ عـبـدـ اللـهـ الـحـضـرـمـيـ أـبـوـ اـمـهـ .ـ

وفيها توفي الفقيه الامام البارع أبو العتيق أبو بكر بن عيسى بن عثمان الأشعري المعروف بابن حنکاس العلامـةـ الحـنـفـيـ المشـهـورـ وـكانـ فـقـيـهـاـ عـالـمـاـ إـلـاـ إـمـاماـ فيـ الـمـذـهـبـيـنـ وـكـانـ مـنـ صـدـورـ الـفـقـهـاءـ تـفـقـهـ بـالـشـرـيفـ عـثـمـانـ بـنـ عـتـيقـ الـحـسـيـنـيـ وـغـيرـهـ وـكـانـ أـوـحـدـ اـهـلـ عـصـرـهـ اـجـتـهـادـاـ فـيـ طـلـبـ الـعـلـمـ وـنـشـرـ الـمـذـهـبـ حـتـىـ قـبـلـ لـوـلـمـ يـوـجـدـ مـلـاتـ مـذـهـبـ أـبـيـ حـنـيـفـةـ فـيـ الـيـمـنـ .ـ وـيـرـوـيـ أـنـ أـتـىـ عـلـىـ كـتـابـ الـخـلـاـصـةـ ثـلـاثـيـةـ شـرـفـ وـأـنـتـهـتـ إـلـيـ رـئـاسـةـ اـصـحـابـ مـذـهـبـ الـإـمـامـ أـبـيـ حـنـيـفـةـ رـحـمـهـ اللـهـ .ـ وـكـانـ يـقـرـيـءـ اـهـلـ الـمـذـهـبـيـنـ وـاجـتـمـعـ عـلـىـ صـلـاحـهـ الـمـؤـالـفـ وـالـمـخـالـفـ .ـ فـمـنـ أـحـسـنـ مـاـ ذـكـرـ مـنـ سـيـرـتـهـ اـنـ مـنـ دـرـسـ مـاـ رـوـيـ نـائـمـاـ قـطـ فـيـ رـمـضـانـ لـيـلـاـ وـلـاـ نـهـارـاـ وـاـصـلـ بـلـدـهـ الـعـنـبـرـةـ قـرـيـةـ مـنـ قـرـىـ الـوـادـيـ زـبـيدـ قـرـيـبـةـ مـنـ الـبـحـرـ وـهـيـ التـيـ خـرـجـ مـنـهـاـ عـلـيـ بـنـ مـهـدـيـ وـلـاـ اـبـتـنـىـ السـلـطـانـ نـورـ الـدـيـنـ الـمـدـرـسـةـ التـيـ فـيـ زـبـيدـ التـيـ خـصـ بـهـ أـصـحـابـ الـإـمـامـ الشـافـعـيـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ وـقـفـ لـهـ هـذـاـ فـقـيـهـ فـيـ بـعـضـ الـطـرـقـ وـقـالـ لـهـ يـاـ عـمـرـ مـاـ فـعـلـ بـكـ أـبـوـ حـنـيـفـةـ اـذـ لـمـ تـبـنـ لـأـصـحـابـ مـدـرـسـةـ كـمـاـ بـنـيـتـ لـغـيرـهـ فـأـمـرـ بـيـنـاءـ الـمـدـرـسـةـ الثـانـيـةـ وـجـعـلـ فـيـهـاـ مـوـضـعـاـ لـأـصـحـابـ الـإـمـامـ أـبـيـ حـنـيـفـةـ وـمـوـضـعـاـ لـأـصـحـابـ الـحـدـيـثـ النـبـوـيـ وـكـانـ خـطـيـباـ مـصـقـعاـ وـشـاعـرـاـ مـفـلـقاـ .ـ وـمـنـ شـعـرـهـ فـيـ سـنـ الـحـدـاثـةـ مـاـ اـنـشـدـهـ سـبـطـهـ عـمـرـ بـنـ عـلـيـ حـيـثـ يـقـولـ :

زـبـيدـ وـدـعـ شـرـقـ الـبـلـادـ وـغـربـهـ وـلـاـ تـحـدـثـ عـنـ عـرـاقـ وـلـاـ مـصـرـ أـجـلـ نـظـرـاـ فـيـهـاـ تـعـانـيـ خـرـيـدةـ مـلـيـحةـ مـاـ بـيـنـ التـرـائـبـ وـالـنـحـرـ

بلاد بها فاح النسيم معنبراً واعقب مسك الليل كافورة الفجر

وتفقه به جماعة كمحمد بن علي الصديقي وابن أبي سوادة وعلي ابن عمر وعمر بن علي العلوى وهو ابن بنته ومحمد بن عمر الأبح . ولما كان يوم الاثنين السابع عشر من شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة احتضر بعد أن مرض أياماً فحضره من أصحابه جمّع كثير وذلك بعد طلوع الشمس فسألهم عن اليوم ما هو فدعا بطعام فأكله ثم قال لصهره علي بن عمر العلوى ارفع صوتك انت والجماعة بلا اله الا الله فقالوا يا فقيه اذا لم نذكرك ذكرتنا قال نعم فهملوا وجعل يتلو خواتيم سورة يس من قوله (أو ليس الذي خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم الآية) وجعل يكرر ذلك ثلاث مرات رافعاً بها صوته ثم تشهد عقيب ذلك وفاضت نفسه وصلي عليه ظهر ذلك اليوم وحضر دفنه جمّع عظيم حتى قبل لم يكدر يتأخر عن حضور دفنه أحد من أهل زبيد .

ويروى أن بعض أهل زبيد رأى شخصاً من أهله كان قد توفي قبل ذلك بستين . فلما توفي الفقيه أبو بكر بن حنكاس ودفن كما ذكرنا رأى الرجل الذين من أهل زبيد قريبه في النوم فقال له ما فعل الله بك فقال حبست منذ مت مع جماعة فلما توفي الفقيه أبو بكر بن حنكاس شفع فينا فاطلقنا وغفر لجميع من في المقابر ببركة قدومه رحمة الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه أبو عبد الله محمد بن عمر العلوى وكان مولده سنة ثمانين عشرة وتفقه بابن حنكاس المذكور كما ذكرنا وكان فقيهاً فاضلاً له تفضُّل ومسكارم أخلاق . توفي بعد شيخه بأربعة أشهر . في تاسع شهر شعبان من السنة المذكورة . وهو جد ابن الأبح وعقبه كثير في زبيد والله أعلم .

وفيها توفي الفقيه الصالح أبو الحسن علي بن سيا بن اسماعيل بن الحسين الواسطي . وكان فقيهاً فاضلاً قدم تعز أولاً وانحدر عنه جماعة شتى من كتب الحديث منها قريب العهد المروي عن المعمر بالهند ثم سافر إلى الجند لغرض الرجبيه بها

فأخذته بطيهً وتوجع فلما أحس بثقل المرض طلب جملًا وحمل عليه فلما صار الجمل على باب الجندي برئ فضريوه فلم يقم فقال بخ لكم يا أهل الجندي هذا علامه موتي وقد وعدني ربي ان يغفر لي ولن قبر حولي . ثم أعيد الى الموضع الذي نزل فيه أولا وهو المدرسة الشقيرية فتوفي مبطوناً غريبًا لبضع وعشرين ليلة مضت من رجب من السنة المذكورة وقبره تحت جبل صرب مشهور مزار رحمة الله .

وفي سنة خمس وستين وستمائة قتل الأمير فخر الدين بكتمر القلاط وكان السلطان الملك المظفر قد أمره بمعارضة الظاهر وجراً معه مئة فارس وخمسين راجل فقصدته الأشراف بنو حزرة فقتلوا وقتلوا معه جماعة من أصحابه الذين كانوا معه وكان ذلك في شعبان . ولما قتل في التاريخ المذكور انحاز أصحابه الباقيون الى براقيش فبرز أمر مولانا السلطان على الأمير علم الدين الشعبي بالتقدم الى جهة الظاهر في عساكره وطلعت عساكره المنصورة الى جهة حجة ووقعت هنالك حروب عظيمة وتفاقم الأمر فاقتضى الأمر الرشيد والرأي السديد طلوع الملك الأشرف عمر بن يوسف الى جهة حجة لاطفاء نار هذه الفتنة فخرج في عساكره المنصورة حتى حط في الذنائب في محطة جده الملك المنصور ثم وجه المقدمين من العساكر الى حجة فحضرها حصن مبين وكان فيه الشريف مُطهر . فلما اشتد عليه الحصار خرج مرفقاً واستولى العسكر المنصور على الحصن فأمر الملك الأشرف حينئذ بحرابه فخرج بحراباً كلباً ثم صرخ همه بعد فتح مبين الى حصن المخلافة في ذي الحجة منها وهي الموقر وقراضة والعكاد وكحلان والغرانيق الثلاثة وكان فتحاً عظيمًا له في حجة والمخلافة لم يكن لاحد قبله من الملوك الا بلده المنصور رحمة الله عليها . وكان فتح حجة في شهر رمضان من السنة المذكورة وفتح المخلافة في ذي الحجة منها .

وفي هذه السنة المذكورة تقدم السلطان الى بلد الجحافل دثينه وما والاها وكانوا قد أفسدوا فقتل منهم جماعة واذعن الباقيون ونزلوا عن الخيل ورهنوا وظهر حسن طاعتهم ورجع السلطان من بلادهم مظفراً منصورة .

فقال القاسم بن هتميل يدح السلطان الملك المظفر يوسف بن عمر يهنته

بالظفر :

ما صدَّ سامركم عن ذلك السمر
وان بخلتَ بشرح الكل فاختصر
من مسکهن حواشي ذلك العطر
ما علمت ولا موَهَت في خبر
الا وأنت من السواشي على حذر
اعطانها لتعاطي ذلك الشمر
من ظلها الطلق او من مائها الخضر
فبعثت قلبَيَ منها بيعة الغرر
قتلي فلم تبق في قلبي ولم تذر
في قدها فهي بين الطول والقصر
عن أمها وأبها قوة الخضر
ونورها أنها ليست من البشر
من صورة الشمس أو من صورة القمر
قلبِ قساوته أقسى من الحجر
اصمتك بالرمي عن قوس بلا وتر
فيها بموت الضنى من ميته السعر
الي الطباع ولا تنظر الى الصور
فاطلب من الله واطلب من يدي عمر
بطفراه نقصوا وزناً عن الظفر
كزينة الخيل بالأوضاح والغرر
الاً مسومة الأظفار بالظفر
ترى المصانع والغيطان منه بشمسي العداوة ليل السرى نهر

قل يا نسيم لاهل الضال والسمر
واشرح حديث الغضا والنازلين به
وهات عن عطرات الحي ما حملت
نشدتك الله لا ورَيت عن خبر
فتحت رمرك سُرُّ ما غمت به
ما كان من شرحة الوادي اهل عصرت
وهل نشجن قلوب الهم غلتها
يا صفة الغبن غرَتنى جويرية
باتت تروعنى بالبين طالبة
خوطئه القد لا طول ولا قصر
جنبه في مغيب الشمس يحبها
حورية شهدت آيات بهجتها
كأنما هي في تركيها خرطت
جسم أرق من الخمر الشمول على
اذا رمى طرفها عن قوس حاجبها
ما أطيب العيش لولا علة حكمت
فجانب الناس وانظر في تفاصيلهم
فان طمعت برزق من يدي ملك
مولى الملوك الذي لو أنهم وزنوا
أغرِ بالشرف العلوى زينته
مظفرٌ ما أتت من وقعة يده

من بعد همته إلا إلى سفر
 ما سار آل رسول الله في السير
 امضى من الموت أو امضى من القدر
 تلقى على الفلك الدوار لم يدر
 بالعدل دولة قحطان على مصر
 هذا خليفة ذي القرنين والحضر
 عنها ملوكبني العباس والتر
 فقد وجدت جناحاً طائراً فطر
 كابن النبي وأما قدّ من دبر
 اهملتها كانت الأحادي من الكبر
 بطاعن لي بها تخلو عن الخور
 من الدأدي ببضم البيض والغرر
 ان الزجاجة لا تقوى على الحجر
 تردي وتبرق في رعله بلا مطر
 فاعجب على حمرٍ منهم على حمرٍ
 عور العيون ومن للعمي بالعور
 لك الحكومة في الأنثى وفي الذكر
 الأغيار في الملك محروساً من الغير
 جراحة من أمير غير مؤثر
 ما كان منه جميل الصبر كالصبر
 فإنه إن رغا يرغو من الدبر
 لا تقصدُ عير وجه الله في النظر
 ينسيك مذهبها موشية الخير
 وبس من الخبر الموثي مذهبة
 وفي هذه السنة المذكورة توفي الشيخ الصالح العارف بالله أبوالحسن احمد بن

لا يستريح ولا يفضي به سفر
 هدي كهدي رسول الله متبع
 وعزمه كل حدّ من صرامتها
 لو أن هيته أو بعض هيته
 أحى التتابع والأدواء فاشتملت
 وجال في الأرض حتى قال ساكنها
 ان الخلافة قد آمنت وقد فنيت
 وان طلبت مطهراً للتي عصلت
 هذا قميصك إما قدّ من قبل
 فانهض لعذرتها واعلم بانك ان
 وما اظن قناعة الدهر ان عجمت
 يهني ثانية ان الله عوضها
 غر الجحافل حصنها وما علموا
 أرسلت صاعقة في غيم بارقة
 فسلموا الخيل واعتاضوا بها حمراً
 اعميهم فتمنوا انهم خلصوا
 جاءوك يا شمس ارسالاً وقد بذلوا
 اسمع بقيت مصاناً عن منافسة
 اني امرؤ في فمى ماءً وفي كبدى
 قد ذقت من غصص الدنيا وفجعتها
 ان جرجر العود فانظر ما بغاربه
 وانظر إلىَّ بعينِ منك راحمة
 والبس من الخبر الموثي مذهبة

علوان الصوفي صاحب يفرس قرية من نواحي جبا . وكان مولده في قرية عقاقة
 بضم العين المهملة وألف بين قافين وآخر الاسم هاءً وهي قرية من قرى جبل صبر
 معروفة ونشأ في قرية تعرف بذى الجنان من جبل ذخر ولم يزل على ترفة ورعونة على
 ما جرت عليه عادة اولاد الكتاب لأن والدته كان كاتباً للملك المسعود بن الملك
 الكامل . ثم شب شباباً حسناً فكان قارئاً كاتباً عارفاً بالنحو فاضلاً في اللغة والكتابة
 وشعره وكلامه في التصوف دليل على ذلك . وذكر بعض نقلة أخباره انه دعته نفسه
 وهو شاب الى قصد باب السلطان والتعرض للخدمة وخرج من قرية ذي الجنان
 وسار نحو باب السلطان فبينما هو سائر في أثناء الطريق اذ بطائر اخضر قد وقع على
 كتفه ومد منقاره الى فيه ففتح فمه فصب في الطائر شيئاً فابتلعه الشيخ ثم عاد من
 فوره الى بلده فلزم الخلوة اربعين يوماً فلما كان يوم الحادي والأربعين خرج من المعبد
 وقعد على صخرة يتبعّد فانقلب الصخرة عن كف فقيل له صافح الكف فقال ومن
 أنت فقال أبو بكر فصافحه فقال له قد نصبتك شيئاً وإلى ذلك أشار في شيء من
 كلامه الذي يخاطب به أصحابه حيث يقول وشيخكم أبو بكر الصديق ثم القى له
 الحب في قلوب الناس والوجهة وظهرت له كرامات كثيرة وتحكم له جمع كثير ثم
 ارتحل الى الشيخ أبي الغيث بن جميل فأخذ عنه اليدي أيضاً وبالبسه الخرقة الشريفة
 وكان أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ولا يخاف في الله لومة لائم . وكان يقول شعراً
 حسناً ومن شعره من قصيدة طويلة يحيث فيها السلطان على العدل وحسن السيرة
 هذا :

يا ثالث العُمرَيْن إفعِلْ كفعلها
 ولتفق فيه منك السر والعلن
 واستبق عدلاً يقول الناظرون له
 نعم الملك ونعم البلدة اليمن
 عمار عليك قصورات مشيدة وللسرعية دور كلها دمن
 وصنف كتاباً في الوعظ نحى فيه منحى ابن الجوزي فلذلك يقال له جوزي
 اليمن وله في التصوف فصول كثيرة يتكلم فيها على لغات شتى . وقيل لبعض
 العارفين من اين كان الشيخ يعرف تلك اللغات وهو عربي ولم يعرف له خروج عن

بلده فقال كانت روح الشيخ أحمد مهبطاً لأولياء الله وهم لغات كثيرة يتكلمون بها على لسان الشيخ فينطق بها كما يقولون . وكان الشيخ أشوق إلى كلامه من سامعيه . وكان متى علم أن في السامعين لكلامه من لا يفهمه قال معرضأ به يا واقفاً في الماء وهو عطشان . وفي آخر الأمر تأهل بأمرأة من أهل يفرس فسكن معها وترك قريته ذا الجنان ولم يزل بها حتى توفي ليلة العشرين من شهر رجب من السنة المذكورة ودفن على باب المسجد وهو القبر الملتصق بالمسجد على يسار الداخل إليه وكان له ولد يسكن ذا الجنان وكان على طريق مرض إلى أن توفي عشرة شهر شوال من سنة خمس وسبعمائة رحمة الله تعالى .

وفي هذه السنة أيضاً توفي الفقيه الإمام العالم البارع أبو عبد الله بن أبي بكر بن الحسين بن عبد الله الزوقري الركيبي المعروف بابن الخطاب لأن أباه كان يسكن قرية النويدرة التي هي على باب سهام من مدينة زبيد وكان يبيع الخطب فيها . وكان ميلاد الفقيه في آخر المائة السادسة وتفقه بالفقيhe علي بن قاسم الحكمي واطلع على علوم شتى وكان فقيهاً بارعاً أصولياً فرعياً حسانياً مفسراً محدثاً مقرئاً يقرأ القراءات السبع وكان يقول أنا ابن عشرين ليس لي مناظر في شيء منها .

ويروى أن بعض الأكابر من أهل زبيد عمل وليمة وطلب أكابر الفقهاء فحضرها وحضر من جملتهم الفقيه علي بن قاسم وتأخر ابن الخطاب المذكور وطال بطؤه عن حضور الجماعة ثم وصل بعد ذلك والناس جميعهم في انتظاره فأقبل يميس عليه ثياب مرتفعة فقصد صدر المجلس غير محتفل بأحد فقال شيخه علي بن قاسم ما هذا العجب مع هذا الصبي فنقل إليه المجلس ما قاله الفقيه . فقال متمثلاً بقول أبي الطيب :

ان اكن معجباً فعجب عجيب لم يحمد فوق نفسه من مزيد
ثم قال وكيف لا أعجب وأنا ابن عشرين علمأ لا أجد من يناظرني في شيء
منها فنقل الكلام إلى الفقيه علي بن قاسم فقال شغله الله فكان من أمره ما كان . ولما
تفقه ابن الخطاب وبرع على أهل عصره انتقل من قرية النويدرة إلى مدينة زبيد

وتزوج بنت شيخه علي بن قاسم الحكمي وحاز مسجد الأشاعر على أصحاب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه وأقام يدرس فيه وإذا دخل وقت الصلاة يأمر المؤذن بالأذان ثم يبادر إلى أداء الصلاة في أول وقتها فتتعب من ذلك أصحاب الإمام أبي حنيفة وكان لا يكاد يوجد إلا مدرساً لعلم أو مقبلاً على صلاة وكان غالب تدريسه في مسجد الأشاعر وتارة في المسجد الذي عند بيته وهو المسجد المعروف بمسجد الأمير فخر الدين في حافة الخبازين شرقي الموضع المعروف بالدرك ولم يزل هذا دأبه برهة من الزمان فلما كان ذات يوم من الأيام استدعى بأخيه أبي الحير بن أبي بكر الخطاب الذي هو جدبني الخطاب الموجودين في قرية التویدرة فقال له يا أخي اني رأيت البارحة ربي تعالى فقال لي يا محمد أنا أحبك فقلت يا رب من أحببته ابتليته فقال لي استعد للبلاء وأنت يا أخي فكن على أهبة من امري . ثم انه خرج في يومه ذلك إلى مسجد الأشاعر بزبيد فصل فيه العصر مع الجماعة ثم رجع إلى بيته مسرعاً فلما صار في أثناء الطريق غشي عليه فمر به الفقيه اسماعيل بن محمد الحضرمي وهو في تلك الحال فاکبَ عليه وقبله بين عينيه وقال أهلاً بك يا محبوب ثم حمل إلى بيته وكان ذلك وهو ابن خمس وعشرين سنة وكانت زوجته بنت شيخه الفقيه علي بن قاسم الحكمي فسخ عليه نكاحها واشتري له من ماله جارية وخطبته زوجته فقالت لا أريد به بدلاً حياً ولا ميتاً فكانت الجارية تخدمه وتقوم بحاله وتحفظه في ساعة غفلاته ووطئها فولدت له ابنتين عاشت احداهما إلى سنة احدى وعشرين وسبعينه . وكان من أكثر الناس حفظاً للآثار والأخبار والأشعار وكان الطلبة من أهل عصره وأصحابه يقرؤون عليه في الأوقات التي يكون فيها معاوناً وكان يقول شرعاً حسناً .

قال الجندي اخبرني والذي يوسف بن يعقوب قال كنت أحب هذا الفقيه على ما أسمع عنه وأكره أن أراه وهو على ما بلغني عنه من الحال فجاءني بعض الأصحاب يوماً وقال لي أريد ان تذهب معي الى الفقيه محمد بن الخطاب لاسلم عليه وكان الرجل يصحبه ايضاً فرافقته وسررت معه اليه فلما دخلنا عليه سلمنا فرد علينا السلام

رداً حسناً ثم قال للرجل يا محمد هل جئتنا بشيء فقال ما جئت الا بنفسي فقال مرتجلأً :

أتانا أخ من غيبة كان غابها وكان اذا ما غاب نشده الربا
فقلنا له هل جئنا بهدية فقال بنيبي قلت نطعمها الكلبا
قال الجندي ونحو ذلك ما أخبرنا الشيخ أبو الحسن علي ابن الشيخ الفاضل
منصور بن حسن عن أبيه قال دخلت أنا والمقرى محمد بن علي بن الفقيه محمد بن
أبي بكر الخطاب فسألته المقرى عن مسألة في الحيض مشكلة فأبانت له ثم انشدَّ :
لو علمنا مجئكم لبذلنا مهج النفس او سواد العيون
وفرشنا على الطريق خدوداً ليكون المرور فوق الجفون
وأوصافه الحسنة جمة كثيرة لا يمكن استيعابها . وكانت وفاته بزبيد وقبر في
مقبرة باب سهام وقبره معروف مشهور مزار ويترک به وعنده قبره قبر رجل من
التابعين وقيل من الصحابة والله أعلم .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الصالح ابن إبراهيم بن صالح بن علي بن أحمد
العثري وكان فقيهاً صالحاً وعاصر الخضرى المعروف بالبرهان وولي قضاء تهامة أجمع
فكان قضاوه مرضياً وكان على يده عمارة الجامع المظفرى باللهجى فى أيام الملك المظفر
وكان من أهل الدين والدنيا ومن يأخذها من وجهها ويضعها فى مستحقها كثير البر
والمعروف وله مكارم أخلاق وكان يضرب به المثل فى الكرم وكان فى حلقة تدریسه
أكثر من مئة طالب وكانت له مروعة وشفقه على الأيتام .

ويروى أنه كان يعمل في النصف من شعبان من الحلوى شيئاً كثيراً يفرقة على
الأيتام وعلى الضعفاء وعلى الخواص من أصحابه ولا يدع فقيهاً في البلد إلا واسمه
شيء من ذلك ومكارمه أكثر من أن تحصي . ولم يزل على الحال المرضي إلى أن توفي
في شهر جمادى الأولى من السنة المذكورة رحمه الله تعالى ولما توفي رحمه الله في التاريخ
المذكور صار القضاء الأكبر بعده إلى الفقيه اسماعيل بن محمد الخضرمي وخلفه في
رئاسة البيت ابن أخيه علي بن محمد بن إبراهيم بن صالح والله أعلم .

وفيها توفي الفقيه العالم أبو محمد عمرو بن علي بن عمرو بن محمد بن عمرو بن اسعد بن أبي جعفر بن عباس السباعي . وكان يلقب بمظفر الدين ووُلد في بلدبني شاور سنة ثمان وثمانين وخمسة . وصاحب الفقيه علي بن مسعود المقدم ذكره وتفقه به ثم طلع الجبال وقصد جما فادرك الشيخ أبا بكر بن يحيى فأخذ عنهُ غربيي الهروي ثم قصد مصنعة سير فقرأ فيها على الحسن بن راشد مسند الإمام أحمد بن حنبل وهو من أخذ عن ابن أبي الصيف وابن أبي حديد وغيرهما من الكبار ثم قصد مصنعة سير مرة أخرى في سنة ثمان وخمسين وستمائة فأخذ القضاة عنه بها شيئاً من مسند الإمام أحمد بن حنبل . ولما انتهى في الفقه انقطع عن شيخه علي بن مسعود وهو إذ ذاك ببيت خليفه عند الشيخ عمران بن قبيع القرابلي فاشترى موضعًا عند أبيات حسين وابتني فيه مسكنًا واذرع ما زاد على موضع البناء وكان قد تزوج بابنته أخي شيخه علي بن مسعود وبورك له في النزارة منها بركة ظاهرة . وكان تزويجه بها سنة ثمان وعشرين وستمائة .

ويروى أن الفقيه المصري خرج من بلده وقد صار فقيهاً فقصد زبيد وناظر فيها فقهاءها فلم يجد عندهم مقتعاً فتمثل بقول الأول :

لما دخلتُ اليمنا رأيت وجهي حسنا
أَفِ لَهَا مِنْ بَلْدَةٍ أَفْقَهَ مِنْ فِيهَا أَنَا

ثم عاد من فوره وكلما مرّ بفقيئه قصده وناظره حتى أتى بيت حسين فأراد الاجتماع بالفقىئه علي بن مسعود فقصد مدرسته وهو إذ ذاك مقيم مع تلميذه هذا عمرو بن علي السباعي . وكان أول من لقيه عمرو بن علي فظن أنه الفقيه علي بن مسعود ففاتحه السؤال فلم يزل عمرو يحييه ويستزيله حتى تم سؤاله ثم ألقى عليه عمرو سؤالات أجاب عن بعضها وتأنخر عن بعض . فقال له الفقيه عمرو كيف ترى وجهك الآن اشارة الى البيت الذي بلغه أنه تمثل به إذ كان قد بلغهم تمثيله به . فقال يا سيدي المعذرة إلى الله ثم إليك يا أبا الحسن فعلم الفقيه عمرو وأنه لم يعرفه وإن في ظنه أنه الفقيه علي بن مسعود . فقال إنما أنا بعض تلامذة الفقيه علي . وأما الفقيه

علي فهو ذاك في محراب المسجد فأقدم اليه فقدم اليه وقد علم أنه لا طاقة له به . وقال في نفسه إذا كان هذا درسي من درسته فكيف يكون المدرس؟ ثم دخل على الفقيه وسلم عليه . وسأل منه الدعاء . وكان عمرو كبير القدر معظماً عند أهل العصر . وكان شيخه علي بن مسعود يشي عليه ثناءً حسناً ويقول هو أكثر أصحابي أخذداً عنى وهو الذي لقبه بمحضر الدين وأعطاه كتبه في آخر الأمر واستخلفه على تدريس أصحابه فدرس واشتغل بالفقه والعبادة . وتفقه به جمـع كثـير من أهـل تـهـامـة والجـبالـ . ومن تـفـقـهـ بـهـ اـبـنـهـ مـحـمـدـ بـنـ عـمـرـ وـعـلـيـ بـنـ اـبـرـاهـيمـ وـأـحـمـدـ بـنـ عـلـيـ بـنـ هـلـالـ وـلـمـ يـزـلـ عـلـىـ الـحـالـ الـمـرـضـيـ فـيـ التـدـرـيـسـ وـالـفـتـوـىـ إـلـىـ أـنـ تـوـفـيـ عـصـرـ يـوـمـ الـأـرـبـاعـةـ لـاـنـتـتـيـ عـشـرـةـ لـيـلـةـ خـلـتـ مـنـ جـمـادـىـ الـأـوـلـىـ مـنـ السـنـةـ الـمـذـكـورـةـ رـحـمـهـ اللـهـ تـعـالـىـ . وـفـيـهاـ تـوـفـيـ الشـيـخـ الصـالـحـ أـبـوـ مـحـمـدـ عـيـسـىـ بـنـ حـجـاجـ الـعـامـرـيـ الغـيـثـيـ نـسـبـةـ إـلـىـ الشـيـخـ أـبـيـ الغـيـثـ أـوـلـاـ وـهـوـ أـحـدـ أـصـحـابـهـ وـأـصـلـهـ مـنـ عـرـبـ يـقـالـ لـهـ بـنـ عـامـرـ يـسـكـنـونـ جـبـلاـ تـحـتـ حـصـنـ الـشـرـفـ الـمـذـكـورـ فـيـ بـلـدـ وـصـابـ وـهـوـ عـلـىـ قـرـبـ مـنـ سـوقـ الـمـجـمـعـ وـبـلـادـهـ تـعـرـفـ بـبـلـادـ أـسـلـمـ وـكـانـ الشـيـخـ عـيـسـىـ صـاحـبـ كـرـامـاتـ وـصـاحـبـ حـالـ وـمـقـالـ وـصـاحـبـ تـرـبـيةـ وـعـلـمـ مـنـ عـلـومـ الـصـوـفـيـةـ وـكـانـتـ وـفـاتـهـ فـيـ شـهـرـ جـمـادـىـ الـأـوـلـىـ مـنـ السـنـةـ الـمـذـكـورـةـ رـحـمـهـ اللـهـ تـعـالـىـ .

وفي سنة ست وستين تسلم السلطان حصون علوان الجحدري وهي العرائس . وفي شهر جمادى الآخرى من السنة المذكورة وردت الأوامر الشريفة على الأمير علم الدين سنجر الشعبي بالتقدم الى صعدة فخرج اليها في خمسة فارس وثلاثة آلاف راجل فحط في الجوف ثم تقدم نحو صعدة وجمع الأمير صارم الدين داود بن الإمام كافةبني حمزة وعسكراً غطياً فيها عسكر بن مفتخر وفيهم من الرجل ما لا يحصى كثرةً وركزوا في نقيل العجلة وهو موضع وعر ما فيه إلا طريق واحدة فحفظوا تلك الطريق بالخيل والرجل فلما وصل الأمير علم الدين الى النقيل المذكور حط في أسفله ضحوة نهار وتغدى وغدى الناس جميعاً ثم وقف الى الظهيرة ورتب الأمير ابن نور في مشتى فارس وألف راجل في المحطة ثم لبست الخيل وطلعت النقيل

فلم يجد احد فيه مسلكاً لضيقه وو عارته وكثرة العساكر فيه فلما رأى الأمير علم الدين سنجر الشعبي ذلك تقدم في كتيبة عظيمة من فرسان الخيل وأجود الرجال وطلع من موضع آخر فما شعروا حتى صار معهم مستدراً لهم فلقى الأمير علم الدين حمزة ابن الحسن بن حمزة . وكان يومئذ فارسبني حمزة غير مدافع فكان أول من صرخ منهم ثم انكسر عكس الأشراف وقتل عسكر ابن مفتخر . وكان فارساً شجاعاً فولوا مدبرين وأخذت طبلخاناتهم وسار العسكر المنصور في أثرهم فهال الأمير داود بن الإمام الى براش صعدة ودخل الأمير علم الدين صعدة وقدامه رأس الشريف حمزة ابن الحسن بن حمزة ورأس عسكر بن مفتخر وأخرب في صعدة عدة مواضع وخرج الى مخاليفها فآخر بها أيضاً ونهب الناس كل من وجده في مخلاف صعدة ثم عاد الى صعدة فأقام فيها أياماً ثم قفل الى صنعاء ظافراً منصوراً .

وفي هذه السنة أمر السلطان بتحليمة بباب الكعبة بالذهب والفضة على يد ابن التعزي . ووصل رسول صاحب مصر إلى اليمن بالمكاتبات والهدايا فتوفي الرسول باليمين في آخر السنة المذكورة .

وفي هذه السنة توفي الفقيه صالح بن علي بن اسماعيل الحضرمي . وكان فقيهاً صالحًا عابداً زاهداً ورعاً تفقه به أحمد بن سليمان الحكمي ومحمد بن ابراهيم الشكر وغيرها . وكانت وفاته رحمة الله تعالى عليه في سلخ شهر شعبان من السنة المذكورة . وفيها توفي الطواشي نظام الدين ختص المظفر . وكان مولى لغازي بن جبريل ثم خدم مع السلطان نور الدين فجعله أتابك ولده المظفر فرباه أحسن تربية وأدبها أحسن أدب . ولما صار أمر السلطنة الى السلطان الملك المظفر حمل له طبلخانة وأقطعه إقطاعاً جاماً . فكان كفؤاً لما ندب اليه . وكان شجاعاً مقداماً، عالي الهمة . وكان راغباً في طلب الأجر وبقاء الذكر كثير الصدقة . وابتني عدة مدارس وآثاره باقية الى عصرنا هذا . ومن مآثره المدرسة النظامية في زبيد ثم المسجد المعروف بمسجد السابق النظامي نسبة الى عبد له . ثم مدرسة بذي هُزيم ناحية من نواحي تعز . وله مدرسة في ذي جبلة . وأخرى في موضع تعرف بالوحص بفتح الواو

وسكنون الحاء المهملة وآخره مهملاً أيضاً وهو موضع قريب من حصن بحرانه والله أعلم .

وفي سنة سبع وستين تسلم السلطان حصن براش صعدة من الأمير عز الدين محمد بن الأمير شمس الدين أحمد بن الإمام بعد أن رهن الأمير عز الدين ابنه وابنته . ثم ورد الأمر على الأمير علم الدين سنجر الشعبي بالمحطة على ثلاً فحط عليه محاطاً كبيرة وذلك في شهر ربيع الأول من السنة المذكورة وأخذ التعبة قهراً بالسيف ورتب فيها من يحفظها .

وفي هذه السنة سار الأمير موسى بن الرسول والأمير مغلطاي أحد الملوك البحرينية في عسكر من الباب الشريف مع الأمير عز الدين محمد بن أحمد بن الإمام للمحطة على تلمص . فلما اشتد الحصار على ثلاً وتلص اجتمع الأشراف والعلماء من الزيدية على الأمير صارم الدين داود بن الإمام وسألوه ان يخرج الحسن بن وهاس للنصرة به على رفع هاتين المحطتين . فأخرجه على كره منه فخرج به الشريف علي بن عبد الله بن طيار الى حصنه الميقاع فلما اجتمعت عساكرهم قصدوا صعدة فثبتوا التي على تلمص فانهزم مغلطاي بالملك الى فللة . فأغارتهم خولان وساروا بهم طريق تهامة . وأما موسى بن الرسول فتخارف بقوم من العرب يريدون نجران فعلم به الأشراف فتبعوه حتى أدركوه معهم فقتلوا وعمّة تحت حصن تلمص في نصف شهر جمادى ورجع الأشراف من صعدة فجمعوا جموعاً عظيمة وقصدوا علم الدين الشعبي الى ثلاً فنزل من المحطة وكان سبب نزوله أن المكان وعر والخيل لا ينفع فيه فخاف على الرتب فنزل وأنزلهم فدخل الأمير جمال الدين علي بن عبد الله ثلاً في رجل كثير وانحاز الأمير علم الدين الى شيماء وسار منها الى صنعاء فدخلها في شهر رمضان من السنة المذكورة . ثم خرج الأمير علم الدين الى الظاهر الأعلى والأسفل فآخر بها خراباً كلياً وعاد الى صنعاء .

وفي هذه السنة حج صاحب مصر وهو السلطان الملك الظاهر ركن الدين أبيرس البندقداري من الديار المصرية الى مكة المشرفة رحمه الله تعالى . وفيها توفي

الأمير نجم الدين عمر بن يوسف الزرين وهو أخو الملك المظفر لأمه . وكان أميراً كبيراً ذا همة عالية وسيرة حسنة .

ومن أثاره المدرسة المعروفة بالعمرية في مدينة تعز نسبة اليه وكانت وفاته في صفر من السنة المذكورة . والله أعلم . وفيها توفي الفقيه الإمام أبو محمد الحسن بن القاضي أبي الحسن علي بن عمر بن محمد بن علي بن قاسم الحميري . وكان شديد الاجتهاد في طلب العلم ومطالعة كتبه حتى ذكر الفقيه أنه أقام سنة يصلى الصبح بوضعه العشاء ولم يكن يسأل عن طعام ولا شراب حتى يؤتى به ولا يستغل بأهل ولا ولد .

قال الجندي اخبرني الثقة أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم قد جاءه في جماعة منهم الإمام الشافعي فاستحبى وقال يا رسول الله بم استحققت هذه الزيارة فقال باجتهادك في طلب العلم وتبعك الأسانيد العالية . وكان فقيهاً مباركاً رحلاً في طلب العلم روى شرح ابن يونس للتبية عن محمد ابن عبد الله بن الحسن الأنصارى الخزرجي عن المصنف . وببلغه أن الفقيه محمد الهرمل له رواية سندها قريب من رسول الله صلى الله عليه وسلم فارتحل اليه فلما وصل اليه أخذ الرواية عنه فقال له ابن الهرمل نحب أن نسمع عليك البيان فأجابه إلى ذلك فكان وقت ان يسمع يقعد هذا الفقيه على السرير ويقعد ابن الهرمل دونه فإذا كان وقت القراءة هذا الفقيه يقعد ابن الهرمل على السرير ويقعد هذا الفقيه دونه وكان وقت القراءة البيان قد يرفع الفقيه محمد رأسه إلى السقف فيرى حنشاً خرجاً رأسه من السقف وهو مثل المستمع ولا يزال هذا دأبه حتى تنقضي القراءة فاخبر الفقيه به الجماعة فقال ابن الهرمل هذا رجل من فقهاء الجنقرأ على التبية والمذهب وهو الذي سألني أن أسألك اسماعنا البيان ولما قدم الشيخ علي بن بشير الواسطي مدينة الجن وصار إلى تعز أخذ عنه هذا الفقيه .

قال الجندي وذيل طبقات ابن سمرة ومن تعليقه أخذت تاريخ جماعة من الفقهاء فكانت وفاته في شهر ربيع الأول من السنة المذكورة .

وفيها توفي الفقيه الصالح أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن اسعد وكان فقيهاً صالحًا ورعاً زاهداً ولد على رأس عشر وستمائة. وكان صاحب كرامات وأثار مشهورات . وكان رصيناً في دينه وعقله لا يأخذ العلم إلاًّ عن من خبره وتفقهه بابن ناصر وي عمر بن الحداد .

ويروى أنه قدم عليه البلد رجل غريب متظاهر بالعلم ومعرفته وعرض للفقيه وأصحابه ان يقرئهم فقال له الفقيه أنا لا آخذ العلم الا عن من تحققنا دينه وأمانته وأنت غريب علينا ربما اوقتنا في محظور من حيث لا نشعر . ولم يأخذوا عنه شيئاً . وكان شديد الورع عظيم الزهد قليل الكلام الا في مذاكرة العلم وذكر الله تعالى وبه تفقه جماعة منهم محمد بن أسد الجعيم وابو بكر بن احمد التباعي وغيرهما .

ولما تحقق السلطان الملك المظفر صلاحه زاره الى منزله بسهرنة ودخل مدینته وسأل ان يطعمه شيئاً فدخل الفقيه موضعًا من بيته وانخرج له وللقاضي البها خبراً من بر ولم يكن يعهد معه شيء فأكل السلطان والقاضي ما اكلا ثم اخذا شيئاً ليتبركا به ويطعمواه من أحبابه . ثم خرجا فخرج الفقيه لوداعهما الى الباب ولم يكن يعهد معهم . وكان اذا مثى أطرق الى الأرض ولا يلتفت يميناً ولا شماليًا . توفي ليلة الجمعة أول وقت العشاء في شهر شعبان من السنة المذكورة .

وفيها توفي الفقيه سراج الدين أبو بكر بن عمر بن إبراهيم بن دعاوس الفارسي نسباً وكان أدبياً فاضلاً فقيهاً في مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه . ونال حظوة من السلطان الملك المظفر وابتلى مدرسة في مدينة زبيد خص بها أهل مذهبة لم تكن تخلو من مدرس وهي التي تعرف بالدعاسية فيها بين سوق المنجارة والسوق الكبير وكان شاعراً فصيحًا وله شعر رائع توفي في مدينة زبيد مهجوراً من السلطان لإدلال حدث منه على السلطان في حقه وحق وزيره البهاء فطرد من تعز الى مدينة زبيد فأقام بها إلى أن توفي في جمادى الآخرى من السنة المذكورة والله أعلم .

وفي سنة ثمان وستين تجهز الأمير علم الدين الشعبي الى صعدة فدخلها يوم

الثالث من صفر من السنة المذكورة . وفي شعبان منها وقع الصلح بين السلطان والأشراف ببني حمزة .

وفيها توفي الفقيه الفاضل أبو زكريا يحيى بن زكريابن محمد بن أسعدبن عبدالله ابن الكلالي ثم الحميري وكان فقيهاً فاضلاً تفقه في بدايته باهل الملحمة ثم تفقه بالحسن بن علي وأخذ البيان عن عبد الله الهمданى وأخذ عن اسحق الطبرى و محمد ابن ختار الروادى و درس في المدرسة المعروفة بالغرابية في مدينة تعز إنشاء السلطان نور الدين وكان فقيهاً عارفاً بالفقه نقاً توفي يوم الأحد لحادي عشرة ليلة بقية من شهر رمضان من السنة المذكورة .

وفيها توفي الفقيه العلامة عبد الله بن يحيى بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن لبيب الهمدانى نسباً وكان مولده سنة تسعين وخمسة تقريراً . قاله الجندي وأدرك احمد ابن ابراهيم الاكتشىبي أحد أصحاب الشيخ الإمام يحيى ابن أبي الحير وسمع عليه البيان فانتشر عنه سماع البيان بالسند العالى فاستدعاه السلطان الملك المظفر فأخذ عنه بحضور القاضى بهاء الدين وبعض اهله . وسئل له يوماً فقال له يا فقيه لكم سمعت البيان فقال لخمس وعشرين سنة فقال وعلى ابنكم ف قال علي ابن حمس وثمانين سنة وكان عمره حين سأله تسعين سنة تقريراً . فقال له بعض الفقهاء ومتى كانت قراءتك فقال ستة عشرة وستمائة . ولما ابنتى الشيخ علي بن محمد بن عبد علي الحميري مدرسة في قرية الحجر بضم الحاء المهملة وسكن الجيم جعل هذا الفقيه مدرساً بها فكان الناس يأتون إليها ويأخذون عنه فيها .

ويروى عنه أنه قال مرة كنت أيام طلبي العلم كثيراً ما أرى النبي صلى الله عليه وسلم ولقد أعرف مرة أني كنت سائراً إلى الشيخ الذي أنا أقرأ عليه فاشتقت إلى رؤية النبي صلى الله عليه وسلم فمللت عن الطريق ونمت فرأيتها صلى الله عليه وسلم ثم أنا الآن لم أجده ذلك وكان يتأسف على ذلك . وكانت وفاته في قرية مسورة بفتح الميم وسكنوں السين المهملة وهي تحت حصن بيت عزر رحمة الله تعالى . وقيل عاش إلى نصف وثمانين والله أعلم .

وفيها توفي الشيخ الصالح أبو الحسن علي بن عبد الله المعروف بصاحب المقداحة وكان من أعيان العباد ومشاهير الزهاد .

قال الجندي أخبرني الفقيه العارف بكثير من أحوال الناس ان هذا الشيخ كان في بدايته راعياً لغنم له في بعض نواحي المشيرق . وكانت له زوجة فبينا هما ليلة على سقف بيتهما إذ أقبل فقير إليها ف وقالت المرأة لزوجها قم الى هذا الفقير واعتذر إليه فأنا قد تعشينا وليس معنا شيء نطعمه منه فقام الشيخ مبادراً فامسكت رجلاته فدخل في نفسه ان ذلك حال من الفقر فغير نيته وعزم على تلقيه وادخاله المنزل ثم قال لأمرأته قومي اطبخي لنا شيئاً نأكله فكرهت فأخذ عوداً لها ليضر بها فcameت فصنعت لهم شيئاً وأتت لها به فأكل الشيخ والفقير وهما يتحادثان فلما فرغوا مسح على رأس الشيخ وصدره ثم ودعه وسار ثم ان الشيخ عزم على الحج فأعطى زوجته بعض الغنم الذي معه وباع الباقى فترود بشمنه وسار الى مكة . فلما قضى الحج عاد الى بلده عازماً على خدمة الفقراء في بعض الرباط فقدم الجندي وبها عدة من المشايخ أصحاب الأحوال والكرامات فقصد شيئاً منهم يعرف بعد الله بن الرميش بضم الراء وفتح الميم وسكنى المثناة من تحت وآخره شين معجمة ونسببني الرميش في بنى مسكين . قال الجندي فالزم خدمة الرباط فذكروا انه امتحنه ولم يحكمه وأراد اختباره كما جرت العادة من المشايخ ظهر له منه أمور كثيرة وأحوال خارقة فاراد ان يحكمه فقيل له إنه ليس من أصحابك انا هو من أصحاب الشيخ أبي الغيث فقال له يوماً يا علي تقدم الى الشيخ أبي الغيث فاصحبه فهو شيخك فبادر ونزل تهامة . فذكروا ان الشيخ أبي الغيث كان يقول لأصحابه يقدم عليكم رجل كبير القدر من هذه الجهة في هذه المدة ويشير الى الطريق فجاء منها فكان الفقراء يخرجون كل يوم الى تلك الجهة يتلقونه فلما كان اليوم الذي وصل فيه خرجوا يتلقونه فوقفوا حتى احرقهم الشمس فلما دخلوا البيت قدم الشيخ علي فدخل الرباط فلما رأه الشيخ رحب به وحكمه من ساعته وقد كان على معلوم حصله في نظر الشيخ الرميش له بالجندي فازداد بنظر الشيخ أبي الغيث حسناً حتى كان من أعيان الطريق يقولون

نساجة صاحب المقداحة الرميش وقصارة الشيخ أبي الغيث . ثم عاد الى الجبل بعد مدة وقصد مسجداً خراباً في موضع يعرف بالمقداحة فاعتكف فيه ولم يكن يومئذ فيه ساكن اما يأتيه الرعاء احياناً . فلما علم به الناس اتوه وسكنوا عنده وبنوا له المسجد . ثم بنوا له رباطاً وتحكموا على يده فرباهم احسن تربية بالزمام الصيام والقيام والزهد والورع واقبل الناس على الشيخ من كل ناحية بالفتוחات الكثيرة فكان يقبلها ولا يبيت عنده شيء منها . واجتمع عنده جمع كثير ولازموا الجمعة والجماعة وساروا في طريق القوم والشريعة ولم يتتجاوز الشريعة منهم احد . ظهر في أصحابه جماعة اخيار وكان لا يميز نفسه على أصحابه فإذا وصل فتح وصل الى الصغير منهم كما يصل الى الكبير ومناقبه اكثرا من ان تخصى . ولم يزل على الطريق المرضي الى أن توفي ليلة الثلاثاء لست بقين من جمادى الآخرى من السنة المذكورة والله أعلم رحمة الله تعالى .

وفي هذه السنة توفي الامام الصالح أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن علي الهرمل وكان من أعيان الفقهاء وفضلاهم يسكن العطفة قرية بين كدرسهام والعجمة وهي بكسر العين المهملة وكان من كرام الفقهاء وذوي الاحسان فيهم يقوم بالمنقطع من الطلبة . ويروى انه لما توفي بكى عليه في أربعين بيته فسئلوا عن سبب ذلك فقالوا كان يقوم بكفايتنا ولا يعلم بنا أحد . وكان ورعاً شديداً الورع .

يروى ان الفقيه اسماعيل بن محمد الحضرمي قدم عليه في بعض الايام فنزل عنده في جماعة من اصحابه فسأله عن صابون ليغسل به ثيابه . فقال له منذ سمعت ان الغز يطروحن الجلجلان على الناس كرهت الصابون والغسل به فلا اغسل ثيابي الا بالحطم . فقال الفقيه اسماعيل لا اصحابه لقد فاق علينا هذا الرجل بورعه . وله مصنف في الفقه سهء التحفة ضمه زيادات الوسيط على المذهب يدخل في مجلدين يوجد مع اهل شجنيه . وهو الذي قرأ البيان على الفقيه حسن بن علي الحميري . وكان بعض فقهاء الجن يسمع لقراءته وقد تقدم ذكر ذلك . وكان مشهوراً مذكوراً وامتحن بالعمى في آخر عمره وأعاد الله عليه نور بصره . وكانت وفاته ليلة الاثنين

لثمان خلون من رجب من السنة المذكورة في قريته المذكورة بعد ان تفقه به جماعة منهم علي الصريدح وعلي بن احمد الحجفي وعلي بن عبدالله العامري واسعيل بن علي الرقاني وجماعة كثيرون والله اعلم .

وفي سنة تسع وستين قتل الشريف ادريس صاحب مكة وترتب بعده فيها ابو يحيى بن ابي سعد بن علي بن قتادة والياً فقام بها الى أن توفي في شهر ربيع الآخر من سنة سبعين .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الصالح ابو عبدالله الحسين بن ابي السعود بن الحسن بن مسلم بن علي الهمданى . وكان ميلاده سنة خمس وعشرين وستمائة فسلك طريق العبادة حتى توفي على ذلك . وكانت وفاته لليتين مضتا من شعبان من السنة المذكورة . وحضر دفنه خلق كثير أحصى القراء فيهم فكانوا سبعين . وكان له من الولد ثلاثة اكبرهم محمد مولده لليتين خلتا من ذي الحجة آخر سنة اثنين وخمسين وستمائة . وكان صاحب قراءات ومسموعات وغلبت عليه العبادة . وكان من اكثر الناس تلاوة للقرآن مع الزهد والورع الى ان توفي على ذلك ليلة الاثنين لخمس بقين من شهر ربيع الاول احد شهور سنة تسعين وستمائة . والثانى احمد مولده يوم الاحد تاسع ذي الحجة من سنة احدى وستين وستمائة . وكان فقيها مجتهداً محصلاً ورعاً زاهداً تفقه بمحمد بن ابي بكر الاصبجى وكان كثير التردد الى الفقيه ابي الحسن علي بن احمد الاصبجى ويراجعه فيما يشكل عليه من المسائل . وكانت وفاته ليلة الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة من سنة سبع وتسعين وستمائة . والثالث ابو القاسم مولده في رجب سنة ثلاث وستين صاحب الفقيه ومال الى طريقة التصوف وصاحب الشيخ عمر القدسى وتحكم على يده ونصبه شيخاً . وكان على حال مرض من سعة الاخلاق وايناس الوارد والاشغال بطالعة الكتب والبحث عن فوائدها الى ان توفي في شهر رمضان سنة ثلاث عشرة وسبعين رحمة الله عليهم اجمعين .

وفي هذه السنة ايضاً توفي الفقيه الفاضل عثمان بن محمد بن سوادة الحضرمي

الحنفي وكان فقيهاً فاضلاً وهو من اتراب الفقيه أبي بكر بن حنکاس ومعيناً معه وبه تفقه الفقيه يحيى بن عطية وغيره وكانت وفاته يوم الاثنين الحادي عشر من رجب من السنة المذكورة . وفي سنة سبعين وستمائة ورد الأمر العالى باعادة المحاط على ثلا مرة ثانية فكانت المحطة على الجنات فحضرها أهل ثلا وضيقوا عليهم واجهدهم حتى ايقنوا بالهلاك . وتسلم السلطان حصون المصانع باعه عبد من عبادهم يسمى محمد ابن نفيل .

وفي هذه السنة قام الامام ابراهيم بن احمد بن تاج الدين الهدوى وكان قيامه في ذي الحجة منها ودعا الى نفسه فاجابه أهل حضور وبنو الراعي وبنو شهاب وغيرهم من بلاد عنس وزبيد . ونهض الشرفاء والامام الى جبل يسمى ضيّنا^(١) وكان الامير علم الدين في الجنات فنهض لمحطته وحط تحت حصن كوكبان ونهض الشرفاء من محطتهم الى حارة بنى شهاب .

وفيها توفي الفقيه ابو عبدالله محمد بن عمر القاضي عمر المراز المقدم ذكره . وكان مولده يوم الخميس ثامن عشر شوال من سنة احدى وستين وستمائة . وكان موسوماً بالفقه والدين والعبادة والزهد والورع ولوزم على ان يتولى القضاء بعد ابيه فامتنع . وكان السلطان الملك المظفر يجله ويعتقد صلاحه وربما زاره الى بيته سراً وكان يستدعي دعاوه كثيراً . وله مصنفات رحمة الله في الفقه وتوفي بعد صلاة الظهر من يوم الاثنين لاربع بقين من شوال من السنة المذكورة رحمة الله . ولما علّم السلطان الملك المظفر بوفاته كتب الى اولاده يسألهم ان يدفنوه في التربة التي هي قبل جامع عدينة تعز ففعلوا ولم يكن يدفن فيها الا خواص بنى رسول من القرابة والسراري والاولاد الصغار وخلف عدة من الاولاد النجباء انتهت اليهم الرئاسة في الدولة المؤيدية وسوف يأتي ذكرهم ان شاء الله .

وفيها توفي الفقيه الفاضل يحيى بن سالم بن سليمان بن الفضل بن محمد بن عبد الله الشهابي ثم الكندي انتقل به ابوه من بلد بنى شهاب الى ذي جبلة فاستوطنهما

(١) في المسجد يسمى ضيّناً بالخشب .

وتفقه بها ابنه يحيى المذكور وانخذ عن محمد بن عبدالله الماربى وكان اول من رتب مدرساً في المدرسة الغرابية وكان فقيهاً فاضلاً له مروءة وكرم نفس وكان يصاحب الرشيد شاد الدواوين في صدر الدولة المظفرية . فلما توفي الرشيد نُقل إلى السلطان ان مع هذا الفقيه مال الرشيد فطلوب باثنى عشر ألف دينار وصُور فلم تطل مدته بل توفي غيظاً في المدرسة المذكورة عشي الثلاثاء لليلتين بقىتا من شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة رحمة الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الامام البارع ابو علي يحيى بن ابراهيم بن العمك . وكان من اعيان العلماء وكان في اول امره رئيساً على قومه يركب الخيل ولا يشتغل بشيء من طلب العلم . وكان سبب اشتغاله بطلب العلم انه خطب امرأة من بنى خطاب هي ابنة الفقيه ابي بكر بن خطاب فامتنع الفقيه ابو بكر من تزويجه ايها وقال له لست كفينا لها فانك رجل جاهل فأنف من قوله فاشتغل بطلب العلم حتى صار إماماً واشتغل بفن الادب وبرع في النحو واللغة والنسيب والعروض وغير ذلك . وكان من يضرب به المثل في حسن الجوار والوفاء بالذمم وله في ذلك اخبار يطول شرحها . وكان شجاعاً مقداماً كريماً جواداً شاعراً فصيحاً حسن الشعر له في السلطان الملك المظفر عدة مداائح وصنف كتاباً كثيرة في النحو وغيره . ومن مصنفاته في الادب كتاب الكامل في العروض والقوافي وهو كتاب جليل والكافي ايضاً . وكتبه احسن ما صنف اهل اليمن تحقيقاً وتدقيقاً .

ومن شعره ايضاً ما قاله في مدح السواد وهو هذا :

اعد لي حديثك يوم الكثيب
وسلّي به عن فؤادي الكثيب
عشية سوداء قد اقبلت
تسارقني لحظها من قريب
وقد امنت رصدة الكاشحين
وسمع الوشاة وعين الرقيب
تبعدت لنا من خلال البيوت
تحرر فضل الرداء القشيب
أرتنا النقا والقنا مائلاً
قام القضيب وردف الكثيب
كمثل الغزال الغريب الربيب
مولدةً من بنات الموال

فما لائمي ابداً بالمصيبة
 وما ذاك لو أنصفوا بالمعيب
 به الله من حسن سرّ عجيب
 ولا كان يسكن وسط القلوب
 لا حسّن النقش طرس الاديب
 أما المسك اطيب من كل طيب
 بحمد الشباب وذم المشيب
 ولا السكف ما لم يكن بالخضيب
 ولا كل عينٍ كعينِ المحب ولا كل قلب كقلب الحبيب
 وكان جاماً بين رئاستي الدين والدنيا معظماً عند الملوك . يروى انه كان في
 قريته رجل غريب مستجير به منتب اليه فهم الرجل بسفر الى بعض الاماكن
 فاكتفى دابة من بعض قربة الشيخ الى موضع غرضه وسافرا معاً فلما صارا في اثناء
 الطريق قتلهُ الرجل الذي اكرى عليه الدابة واخذ ما معهُ وعاد الى القرية كأنه لم
 يفعل شيئاً فبلغ خبرهُ الى الفقيه يحيى فتعجب من ذلك وأقام اياماً فلما كان يوم الوعد
 والناس جميعاً في السوق امر بلزم القاتل فلزم وجيء به مربوطاً فامر بقتله فقتل في
 السوق على رؤوس الاشهاد ولما اشتغل الفقيه يحيى بطلب العلم ظهرت ثمرة
 اجتهاده خطب ابنة الفقيه ابي بكر بن خطاب وراجعته في زواجه فزوجه إياها
 وولدت له عدة اولاد ولم تزل عنده الى ان فرق بينهما الموت . وكانت وفاة الفقيه
 رحمة الله في السنة المذكورة وقيل في التي بعدها والله اعلم .

وفي سنة احدى وسبعين أرسل الامام ابراهيم بن احمد بن تاج الدين الشرييف
 جمال الدين محمد بن عبدالله الى حضوره وبلد بنى شهاب وبلاط بنى الرايعي فتلقوه
 بالطاعة . وكان وصوله اليهم في سبعة نفر فصل بالناس أول جمعة في سبعة آلاف .
 وفيها خالف الأشراف الى سليمان بن موسى مع الإمام وهم في أهل جهران وكان
 السلطان رحمة الله قد أقطعهم نواحي ذمار ثم تسلم منهم اللجام وقامت معهم علياءً

الزيدية في تلك الناحية فساروا في جموع عظيمة الى ذمار فدخلوها قهراً وقتلوا جماعةً من الرتبة الذين كانوا فيها وخرقوا الباقين وأخرجوها خراباً كلياً . وكان ذلك في شهر جمادى الأولى من السنة المذكورة . وسار الامام ابراهيم والامير صارم الدين داود بن الإمام والامير عز الدين محمد بن شمس الدين وسائر الأشراف يريدون حدة وسناعا^(١) فمروا على السبحة^(٢) ولم يكن في صنعاء إلا ابن نجاح في مئة فارس من عسكر السلطان وكان الشعبي وعسكره في محطة بالجنات خوفاً على رتب ثلا فانصرف الأشراف من صنعاء فلما كان آخر الليل دخلها الاسدية وكانوا تسعين فارساً نقاوة عسكر صنعاء وفرسانهم فطلع الشعبي في بقية عسكره فمر على المحاط التي على ثلا فقوها وسار الى شبام ومن شبام الى صنعاء وحصل بينه وبين الأشراف قتال عظيم وجمع الأشراف جمعاً عظياً وسار بهم علي بن عبدالله فارتفاع عن ثلا . وسار بعصره قاصداً الذروة وفيها الورد بن ناجي ولم يكمل عماراتها فهجم عليهم آخر الليل فاخر بها وعاد الى اصحابه بصنعاء . فاقتضى الحال طلوع الركاب العالي الى ناحية ذمار فلما وصلها اقبل اليه اهل تلك الناحية رغبةً ورهبةً في شعبان من السنة المذكورة . فاقام في ذمار اياماً وامر بعمارة درها . ثم سار يريد صنعاء فحط في درب عبدالله وانحاز الاشراف الى بيت خنبص فطلع عليهم الامير علم الدين الشعبي فكانت وقعة بيت الفاهم قتل الاشراف بنو صفي الدين وجماعة من عسكر الاشراف . وكان ذلك في ذي القعدة من السنة المذكورة . ثم تقسم السلطان الى صنعاء في الميدان في ذي الحجة .

وفي هذه السنة بعث السلطان بكسوة البيت المعظم على يد قاسم بن محفوظ . وفيها توفي الفقيه الفاضل ابو الحسن علي بن الحسين البجلي وكان فقيهاً محققاً عراساً على دقائق الفقه عارفاً به كثير الاشتغال به تفقه به جماعة من اهل عصره . وكان كريماً جواداً شريف النفس عالي الهمة وكان كثير السعي في حواجز الاصحاب والقادرين

(١) حدة وسناعا .
 (٢) على السبحة هو ما يقال له اليوم باب السبح .

من الطلاب وربما قدم على أخيه الفقيه محمد بن خسین وكان اذا عותب في ذلك يقول :

تلک بنات المخاض راتعةٌ
العود في کوره وفي قتبه
لا يستفق من مضاض رحلته من راحة العاملين في تعبه
وكف بصره في آخر عمره . وكانت وفاته في ذي الحجة من السنة المذكورة
رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الشيخ الصالح فیروز صاحب الشیخ ابی الغیث بن جمیل . وكان
کبیر القدر شهیر الذکر . وكانت يدہ للشیخ محمد بن ابی بکر الحکمی صاحب
عواججه . وبعد وفاة شیخه صاحب الشیخ ابی الغیث صحبة مخصوصة وكان من اکابر
الصوفیة واهل الكرامات فيهم . ولما حضرت الشیخ ابی الغیث الوفاة استخلف
الشیخ فیروز في رباطه وعلى اصحابه فقام بذلك قیاماً مرضیاً الى ان توفي في السنة
المذکورة .

وفي سنة اثنتين وسبعين دخل السلطان المظفر صنعاً وكان دخوله يوم
الثامن عشر من المحرم فاقام بها ونهض الاشراف الى حضور وأجلب معهم اهل
حضور كافة وحطوا على عزان واجهدوا من فيه ووقع الخطاب على تسليم عزان
وسلامة من فيه من العسكر فنزل العسكر وقبض الاشراف الحصن . ووصل عقیب
ذلك احمد بن جابر وشرع صلحآً بين الاشراف وبين السلطان خاصة ثم الامام وكافة
الناس عموماً . فتقدم السلطان الى اليمن في شهر ربیع الاول من السنة المذکورة ثم
جرد عساکره المنصورة لقصد بیت حنبص فأخذ قهراً ووجد العسكر فيه خمراً كثیراً
فكسروا اوعيته واراقوه فقال غازی بن المعما :

ولما فتحنا بیت حنبص عنوة وجدنا به الادواج ملأی من الخمر
وعند أمیر المؤمنین عصابة يقولون^(۱) بالبيض الحسان وبالسمير
فإن تكون الاشراف تشرب خفية وتنظر للناس التنسك في الجهر
وتأخذ من خلع العذار نصيتها

(۱) کدا في المسجد ولعل صوابه يقولون .

وكان فتح بيت حنচس يوم الجمعة سلخ شهر ربيع الأول من السنة المذكورة ولما دخل العسكر السلطاني بيت حنচس كما ذكرنا انهزمت الاشراف من حلة وسناع فاخر بها السلطان خراباً شنعواً وقطع اشجارها وكانت فيها اشجار قديمة لها مقدار مئتي سنة فما ترك فيها شيئاً . ويقال ان شجرة لوز عقرت فوجد فيها لوح من رخام مكتوب فيه غُرست سنة اربعين من الهجرة . وامر السلطان بعارة الجبل المسمى قرن عتر وسأه ظفاراً وشحنه من اصناف الشجر ونهض بمحطته الى الصافية قافلاً الى اليمن في شهر جمادى الآخرى من السنة المذكورة وسار الامير علم الدين الشعبي صحبة رکابه العالى الى ذمار فوقف الامير علم الدين في ذمار وتقدم الرکاب العالى الى اليمن .

وفي هذه السنة خالف الامير الحسام بن البديلي في براقيش وتغلب عليها وكان والياً بها فجرّد له السلطان الامير علم الدين الشعبي وامر الامير اردم بالوقوف في صنعاء وتقدم علي بن حاتم صحبة الامير علم الدين الى براقيش فراسل الحسام بن البديلي وقع عليه فعله ووعده بعطف مولانا السلطان عليه وما زال به حتى اخذ له شيئاً من الصدقات السلطانية وحصلنا من حصون بنى الراعي يسمى المصنعة وتسلم الامير علم الدين براقيش وعاد الى صنعاء ثم اصطلاح السلطان والامام وسائر الاشراف وكان الصلح عن السلطان للامير محمد بن حاتم بن عمرو بن علي الهمданى^(١) . واتفق للاشراف مخرج الى نجران عقب الصلح فقتل فيه الامير علم الدين علي بن وهاس قتلته يام .

وفي هذه السنة توفي الشيخ عبد الوهاب بن يوسف بن عزان العربيي وكان شيخاً رئيساً من اعيان الرؤساء شجاعاً مقداماً كريماً جواداً مهيباً عند الاعداء . وكان يتولى بلد العوادر بمال معلوم يحمل الى السلطان . وكان يفعل الخير كثيراً ابتنى مدرسة في حصن الظفر ووقف عليها وقفاً جيداً ورتب فيها مدرساً ودرسة وكان متحناً بشرب المسكر فقدم مرة زائراً من بلده للفقيه عمر بن سعيد العقّيبي فلما دخل عليه

(١) في العسحد ، وكان المشرف على السلطان - الامير محمد بن حاتم بن عمرو بن علي بن حاتم .

المسجد ربط منديله في رقبته ثم الى رجل الفقيه وقال لا افتحه حتى تعطيني عهداً على التوبة وذمة من الشراب فراوده الفقيه على الترك فلم يفعل فاجابه الى ذلك وعاهده على التوبة . وكان ذلك في شهر رمضان فكان ذلك سبب توبته .

ويروى انه لما كان يوم العيد هم بشراب شيء من الخمر كان قد ادخله لذلك اليوم فامر باحضار شيء منه فلما صار الكأس في يده واهوى به الى فمه احس في ظهره بضرب السياط كأنها النار فرمى بالكأس من يده وركض الاناء الذي فيه الخمر برجله فكسره وامر من حينئله صائحاً يصيح في بلده بتحريم الخمر وشدّد في شربها تشديداً عظياً ولم يشرب بعدها مسكوناً . وحج في هذه السنة المذكورة سنة اثنتين وسبعين وستمائة . فلما انقضى حجه خرج يريد زيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة على ساكنها السلام . فلما دخل المدينة ووقف موقف الزائرين من التربة الشريفة سمعه جماعة يقول يا رسول الله انا جارك من العود الى الظلّم اللهم لا تُعدني اليه . فتوفي عائداً من الزيارة على رجليه من المدينة فحمله اصحابه ورجعوا به بالمدينة وقبره في البقيع بين اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في السنة المذكورة رحمة الله تعالى .

وفيها توفي الشيخ ابراهيم بن محمد بن حجر وكان مشتغلاً بشيء من القراءة ثم غلت عليه العبادة والتسك فسكن مكة وأقام بها الى أن توفي في شوال من السنة المذكورة . ويروى انه اعتمر في السنة التي توفي فيها في رجب وشعبان ستين عمرة وفي رمضان خاصة ستين عمرة حكى ذلك الجندي في تاريخه .

وفي سنة ثلاثة وسبعين حصل قحط عظيم في البلاد ومات من الناس عالم لا يحصى وأكل الناس الميتة . وفي شهر ربيع الآخر أخذ حصن كوكبان جماعة من الحالين واستولوا عليه فارتفع رأس كل مفسد وهاج الناس للخلاف .

وفي هذه السنة توفي الفقيه أبو الحسن احمد بن يحيى بن الفقيه محمد بن مضمون وكان مشاركاً في العلم ولكن اشتغاله بأمور الدنيا أكثر . وكان مشهوراً بالكرم وكثرة إطعام الطعام حتى افنى من ماله جملة مستكثرة فبلغ علمه الى الأمير

شمس الدين علي بن يحيى العنسي فادركته عليه شفقة . وكان يصحبه فدخل عليه يوماً زائراً له مع جماعة من الفقهاء وكان قد أعلم بحاله فلما أراد الناس الخروج من مجلس الأمير استوقفه الأمير فلما خلا المكان قال له يا فقيه بلغنا عنك انك كثير التفريط لما في يديك وأنت فقيه ودخلتك قليل من وجه حلال وما خرج عنك لا يكاد يقع لك عوضه الا بشقة واظنك تريد الاقتداء بنا ولا ينبغي لك ذلك لأننا نحن محسولنا كثير من غير كلفة يسهل علينا خروجه كما يسهل علينا دخوله ثم وبخه على فعله وحذرته من مرارة الفقر والفقير ساكت مطرق ثم قال له احب ان تعاهدنا انك لا عدت الى شيء من هذا فقال له الفقيه استخير الله الليلة وآتيك غداً ان شاء الله بما قويت عليه عزيمتي . فلما كان تلك الليلة صلى صلاة العشاء ثم صلى صلاة الاستخاراة ونام فرأى قائلاً يقول له يا فقيه أحد انفق فانك من وقعي شح نفسه فلما أصبح غداً الى الأمير فاخبره بمنامه وما قيل له وانه باقي على ذلك الأمر فبكى الأمير وقال في أي صورة ما شاء ركبك ولم يزل على حاله الى أن توفي في السنة المذكورة تقريباً كما قال الجندي .

وفيها توفي القاضي الأجل الصالح عيسى بن الفقيه علي بن الفقيه محمد ابن أبي بكر من مفلت بضم الميم وفتح الفاء واللام المشددة وآخره تاء مثناة من فوتها . وكان فقيهاً هرعاً دينناً عفيفاً وهو أحد من تعدد الفقهاء من حفظة المذهب وواله القاضي أبو بكر بن أحمد قضاء الجندي فأقام بها قاضياً خمساً وأربعين سنة لم يذكر عنه ما يذكر عن غيره من نقص الحكم . ولما أراد السلطان الملك المظفر زوج الحرة مريم ابنة الشيخ العفيف استدعاه فلم يعقد له حتى استكمل شرائط العقد ولم يت-Sahel في شيء من ذلك . فاعجب السلطان بذلك وقال لو كان متـ Sahelـاً في شيء من حكمه لـ Sahelـ معنا . فكان عندهاً معظماً وكانت جامكيته من جزية اليهود في الجندي وهي خمسة عشر ديناً . وكان كثيراً ما يـ دـان ولا يـ دـان من أهل الجنـ دـ تـورـعاً وـ كان لهـ أـرضـ قـرـيبةـ مـنـ الجنـ دـ وأـرضـ بـيـلـدـهـ ثـابـتـةـ مـنـ هـاـ ماـ يـقـومـ بـكـفـاـيـتـهـ وـ كانـ الغـالـبـ عـلـىـ حـالـهـ المـسـكـنـةـ وـ الـضـعـفـ . وـ تـوـفـيـ مـدـيـوـنـاـ نـحـواـ مـنـ سـتـمـئـةـ دـيـنـارـ وـ كانـ عـمـرـهـ أـكـثـرـ مـنـ مـئـةـ سـنـةـ لـمـ يـتـغـيرـ

له عقل ولا احتل له فهم وكان يحضر المجالس الفقهية والماكب الملكية يستضاءء برأيه وينتفع بعلمه الى ان توفي ليلة الأربعاء الحادي عشر من شهر جمادى الأولى من السنة المذكورة رحمة الله تعالى .

وفي سنة أربع وسبعين خرج الأمير علم الدين الشعبي الى مخلاف ذمار لقبض الواجبات السلطانية وترك المالك الأسدية جميعهم رتبة في صنعاء مع ابن العلاب وسار مع الأمير علم الدين منهم رجل واحد فوقع بين ذلك الرجل وبين الداوي أحد ماليك الأمير علم الدين خصمه على شراب فقتله الداوي في مسير الأمير علم الدين الى ذمار وهرب القاتل فلما علم المالك الأسدية بقتل صاحبهم قاموا وقعدوا وكانوا قد اعجبتهم نفوسهم فخالقو على السلطان واستولوا على صنعاء وقبضوا على موجود الشعبي وذلك في الرابع والعشرين من شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة . وكانت بوا الإمام والاشراف بالوصول اليهم فوصلهم الشريف علي بن عبد الله يوم السابع والعشرين من الشهر في سبعة آلاف راجل وكان في جبل حضور ثم جاء الإمام والأمير صارم الدين داود بن الإمام والأمام عز الدين محمد بن الأمير شمس الدين وسائر الأشراف فدخلوا صنعاء يوم الخامس من شهر جمادى الأولى وأقاموا في صنعاء وركب الإمام يوم الجمعة الى جامع صنعاء ورقى منبره واذن المؤذن في منارته حي على خير العمل وخالطهم من الجذل والعجب امر عظيم .

ولو علموا عقبى الأمور لقابلوا اوائلها بالحزن واطرحوا العجب ولكن المقدور يلوى بذى الحجى فيسلبه ان حم آراءه سلبا وكانوا جميعاً على عزم الخروج من صنعاء الى ذمار وربما طمعوا فيها خلف ذمار ثم ان الأمير علي بن عبد الله ركب في بعض الأيام الى الأمير صارم الدين بن الإمام فتراجعوا في أمورهم فقال الأمير داود اني رأيتكم يا هؤلاء الشرفاء مذ دخلتم صنعاء ملتم الى الراحة والدعة وانفسكم تحدثكم بالخروج من صنعاء الى ذمار ثم الى اليمن ومناسبة السلطان . وهذا رأي فاسد . فلو نظرتم في أموركم أولا ثم نظرتم بعد ذلك الى الخروج من صنعاء الى ذمار كان اصوب فلا تغتروا بحديث هؤلاء الغرّ

الذين قد صاروا في جيشكم فوالله لو قد شموا ريح الملك المظفر وشاموا برقة لقد
بانت لكم دخيلة امرهم ثم اني استفهمكم هل رأيتم احداً وصلنا من همدان وهم
الجزء الواffer وهل أحد يردهم عن صناعه بعد اخلاقتنا عنها ألم يأمر اليهم ان يوكتبوا
الينا فقالوا نحن لا نوكتب حتى يجوزوا بلادنا فجزناهم وما أتانا احد منهم وكذلك
سنحان هل هذا إلا تربص وترقب واستطلاع لما يأتي من ناحية اليمن والملك المظفر
لا يترك بلاده ولا مديته وما الذي شغله عن المبادرة والطلوع فانظروا في أمركم .
فقال لهُ الأمير علي بن عبد الله النظري أمورنا كلها اليك ونحن بين يديك فقال والله
انكم لترمون عن قوس واحد الامام منكم والمأمور والعربى والغزى فقال ما الرأى
الذى تأمرنا به وما هو الأصوب فقال الصواب ان قبلتموه أحد وجهين . أما الأول
فنقف في صناعه ونحن بثلاثمائةفارس نصبح كل يوم قرية من قرى همدان وسنحان
حتى يدخلوا في طاعتني اذلة وهم صاغرون . وأما الوجه الثاني فنخرج الى حافظ
ونخلص صناعه ونخر بها فنحن بثلاثمائةفارس وخمسة آلاف راجل اي قبيلة ملنا عليها
أخذناها ونحن نعود الى معقل وحرز حرizer . ومع ذلك لا يقدم علينا أحد ولا يدخل
أحد الى صناعه ونحن على هذه الصفة . ثم قاما وخرجا الى الإمام فلم يكن عقيب
ذلك الا الخروج الى ناحية جهران وتبطيل آراء الأمير صارم الدين فبرز الإمام الى
الميدان ثم نهض الجميع منهم الى بئر الخولاني ثم نهضوا الى العمري تحت الكمييم
فلما خيموا بالعمري أمر الإمام على الأمير علي بن راشد بن خالد بن عطوة ان يتقدم
الى خدار ويستنهض حاله الشيخ الحسام بن الفضل في كافة أصحابه من سنحان
فتقدم حيثئل الى الشيخ المذكور فلما وصل اليه وأخبروه برسالة الإمام فقال مالنا تأخر
عن الوصول الى الإمام فأمسى عنده فلما كان بعد مضي شطر من الليل وصل رسول
من السلطان الملك المظفر بكتاب الى الشيخ الحسام بن الفضل وإذا فيه صدورها من
العقل ونحن على المسير الى صناعه ان شاء الله تعالى ونحن نشعركم الوصولينا
ونحذركم الاغترار بهؤلاء الشرفاء فسقط في يد الشيخ الحسام بن الفضل ودخل على
علي بن راشد فايقظه من منامه واقفه على كتاب السلطان وقال له قم وتقديم الى الإمام

واحبّهُ بهذا فما بقي لنا اليه وصول . فلما وصل علي بن راشد إلى الإمام اخبارُ الخبر
 فطلب الإمام كافة الشرفاء واحبّهم الخبر فاضطربوا وقالوا للأمير صارم الدين ماذا
 ترى فقال قد أشرت عليكم في صنعاء فلم تقبلوا وانا اليوم لا أمركم بالإقدام ولا
 أمركم بالاحجام ان أقدمتم لم تأمنوا الكسرة وان أحجمتم فهي كسرة الأحجام ولكن
 ارحلوا هذه الساعة قبل تشيع الخبر بطلوع السلطان فنهض الجميع منهم من
 العمري وانحدروا في نقيل العابرة وشاء الخبر بوصول السلطان فاضطربوا وتحيروا
 فعادت الماليك الى صنعاء ثم تقدم الشرفاء فحطوا في معبر ونهضوا الى أفق بكرة يوم
 الخميس وكان غرضهم النهوض بكرة يوم الجمعة الى الجبجب فخرج الأمير عز
 الدين في ستين فارساً يستطلع الخبر فجاءوا وقد حط الركاب العالي في ذمار فاغارت
 خيلهم على أطراف المحطة فأمر السلطان ان لا يخرج اليهم أحد وحرم على الناس
 الركوب . فعاد الأشراف الى مخطتهم بأفق وقالوا وصلنا الى السلطان فما خرج علينا
 أحد والغالب ان المحطة ضعيفة فأمسوا في مخطتهم مسرورين فلما كان صبح يوم
 الجمعة لم يشعروا حتى أطل عليهم فارس من الخيل فركبت الأشراف وما شكوا أنها
 غارة لأجل غارتهم بالأمس فركب الأمير صارم الدين في نحو من أربعين فارساً وأمر
 الناس بالوقوف حتى يعود فيها كان أسرع من عودته فاجتمعوا اليه وقالوا لهُ ما الخبر
 فقال هذا الملك المظفر في عساكره وكتابيه بعدى فقالوا فيها ترى قال ما أرى الا الصبر
 وال الحرب فانهُ يوم عصيّب . ثم طلب اهل أفق وقال لهم اخبروني أين عوره بلدكم
 فقالوا لهُ اذا لرمته هذه الأكمة لم تخش حالاً فقال أنا الزم الأكمة وأمر الإمام أن يقف
 في الحصن فان وقع كسرة كان بعيداً عن القتال . وإنما ما كان من أمر السلطان فانهُ لما
 حط في ذمار وصل اليهُ الأمير عزم الدين الشعبي وقال لهُ يا مولانا السلطان اليوم يوم
 الجمعة وهو لاء العرب لا يستحيون الصلة الا بعد الإمام . فإن تأخر عنهم مولانا
 السلطان الى بعد الجمعة اجتمع معهم من العسكر ما لا ينحصر وكانت حرّتهم
 أشد . فقال لهُ السلطان دعهم فإننا لا نريد سفك الدماء يوم الجمعة وفي أي حالة

(١) نقيل العابرة

كانوا فانهم مهزومون فلم يقبل منهُ الشعبي ما قال بل قام من عنده وجمع عسکرٌ وأخذوا عدتهم وجعلوا طريقهم على باب خيمة السلطان . فأرسل السلطان اليه أن يقف فلم يفعل بل سار في عسکره نحوهم . فنهض حيئاً السلطان وأمر العسکر بالركوب وسار نحو أفق فأقبل علم الدين الشعبي فقصد الأكمة التي فيها الأمير داود بن الإمام ثم أقبلت العساكر يتلو بعضها بعضاً ثم أطل السلطان على الجبل الأسود في شرذمة من عساكر وجندو فكأنما اشتمل الجبل بشوب أبيض غطى جوانبه كلها . ولما قصد الأمير علم الدين الأكمة بعسکره انهزمت الأشراف وحصلت العساكر على الغنيمة العظيمة ونجا الأمير صارم الدين داود بن الإمام وكافة الحمزين بعد مشقة شديدة ثم أحاطت العساكر المنصورة بالإمام في الحصن فأسروه وقتلو طائفةً من كان معهُ منهم الأمير أحمد بن محمد بن حاتم ووزير الإمام القاضي ابن أبي النجم وتمزق الشرفاء في تلك الأودية وتركوا محطةً بما فيها ونزلوا عن خيولهم وتركوها قياماً تضطرب في أرستانها ووصل العسكر بالإمام وسائر الأسرى إلى السلطان فلما وصل الإمام إلى السلطان وهو مكشوف الرأس سلم وهنأ بالظفر فهناه السلطان بالسلامة وأكرمهُ وأنسهُ وأمر بستر رأسه . وكان قد همَّ به جماعة من الملاليك فزجرهم السلطان وشتمهم وأركبه بغلةً فكان يسير بيته وبين الصاحب بهاء الدين حتى دخل به حصن تعز فأودعه دار الأدب . فلم يزل به معززاً مكرماً يحمل إليه في كل يوم عشرة دنانير ملكية والطعام بكرة وعشية والكسوة لهُ ولمن معه من حريرٍ وخدمٍ بقدر كفایتهم . فقال لقد كان لنا في سلم السلطان غنىًّا عن حريره وكتب على باب مجلسه هذى منازل سادة اجواد و محلٌ جود شاملٌ وايا د قصر الخورنق والسدير مقصر عندهُ ذو الشرفات من سنداد ولم يزل على الاعتزاز والاكرام في مجلسه إلى ان توفي في التاريخ الذي يأتي ذكرهُ ان شاء الله تعالى .

وفي هذه الواقعه يقول القسم بن علي بن هتيميل مدح السلطان الملك المظفر

بوأت حزب الله دار قرار وأحلَّ حزب الله دار بوار

ما حربها موضوعة الأوزار
جرار نحو الجحفل الجرار
الاً رمت شرراً على الأشجار
كالشعب أو كبغاث أو ذي قار
لك في سروج الخيل والأوكار
بعد المشقة كالخيال الساري
ركضاً على قدر من الأقدار
لاقت سليم بجانب الثثار
بالأمس في عصر بيوم ذمار
بعمى قلوبهم عن الأ بصار
دالاً وأى هزيمة ودمار
بالموت طاروا عنه كل مطار
هرباً عن المهرات والأمهار
بالغيث فانقضت إلى الأوكار
مذ أقبلت نكست على الأدبار
جنينة الإبراد والإصدار
تحت السنور جبة البقار
بالكر لا بالفقر خوف العار
عنه السوابق أيا إحصار
في الحصن لا متخفياً في الغار
أحداً يقاتل من وراء جدار
لم يتعى بصفائح الأحجار
شرفاً بأفضل حوطته وجوار
قهراً ويقتل نازلاً بجوار

ووضعت أوزار الذنوب بوعرة
مشبوبة الطرفين تردي الجحفل الـ
شنعاء ما حس الفوارس جرها
هي كالنقار الصعب أو كحنين أو
راوحت بين الموكبين لراحة
وسريت في غسل الدجنة طاوياً
عجلأً إلى الحرب العوان فحيها
لaci بنواهادي ومحزنة ضعف ما
أنسيتهم ما سن عمك فيهم
عميت قلوبهم ففضلت سراهم
طلبووا ذمار فرد سعدك ذاما
حقوا بسيدهم فلما ايقنا
صبووا السياط على قوارح خيلهم
فكأنهم شهب البرزة تبللت
نكصوا عن الإقبال من ملمومة
شمسية عمرية علوية
شهباء محكمة العفاص كأنها
فنجوا وابراهيم يأمر نفسه
حتى إذا حمي الوطيس وأحصرت
حملته مرة روحه متھصناً
لم يلق من يلوي عليه ولم يجد
وإذا الصفاح البيض لم تمنع بها
فأسرته مستسلاً وحفظته
جد يفض شبا الصفا برجاته

في الصبر ان لطمة ذات سوار
 بشاشة وسكينة ووقار
 ورضي علي وجعفر الطيار
 لكساه ثوبه ذلة وصغار
 وتركته خبرا من الأخبار
 وثمود كان هلاكهم بغزار
 رجعت عليه مشورة المختار
 جو العراق وفرحة الأمصار
 يقضي على بايه هناك وقار
 بالأسر فض لطيمة العطار
 ملك الملوك ومالك الأحرار
 شر وفي نقض وفي إعمار
 طفلاً وليس نكاحها بشغار
 أبصارنا في الشمس والأقمار
 ما ليس في بشر من الأبشر
 فخر وكل الناس من فخار
 من راشر ويُين من عمار
 منكم ولم يك حاذراً بحدار
 لحضارة ما بات في عقار
 يعجزك ملك تلمص وظفار
 منصور سيد يعرب ونزار
 ولما أسر الإمام ابراهيم كما ذكرنا أراد الأشراف أن يقيموا ابن وهاب بعده
 إماماً فكره فقال الحاي^(١) في ذلك قصيدة يدح بها السلطان الملك المظفر

(١) كذا في الأصل من غير نقط في المسجد ، الجباني الكاتب .

أقبلت في لحب تسد فضاءَهُم
 من خلفهم وأمامهم يتجلجل
 والى ابن وهاس أتوا من فورهم
 مستنهضين قيامهُ فاستعجلوا
 فأجاهُم وإذا تكون عظيمة ندعى لها أين الامام الأول^(١)
 ولما راجع السلطان من ذمار أمد علم الدين بمال جزيل فسار إلى صنعاء وكانت
 طريق الاشراف يوم هزيمتهم المغارب ولحقتهم مضرّة شديدة وساروا إلى حصن
 ردمان المعروف بالخواлиين وكان في يد الشريف علي بن عبدالله فاقاموا فيه مدةً والأمير
 صارم الدين يراسل الامام مطهر بن يحيى ويستدعيه الامامة . فلما وصل اليه ألمته
 القيام بالأمامية فدعا إلى نفسه فأجابه كافة الزيدية . فاقام الاشراف مدةً في بلدبني
 شهاب على غير قاعدة ثم حصل عقب ذلك بين السلطان وبين الامير صارم الدين
 مراسلات افضت إلى الصلح فيما بينهما فاخذ الامير صارم الدين والامام مطهر
 والشريف علي بن عبدالله وتصوراً^(٢) انهم يحفظون الحصون ويحاربون فيها فكان
 الامير علي بن عبدالله مختلف فيها بين الحصون فتارةً في كوكبان وتارةً في ردمان
 وأخرى في القاهر وعزان .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الفاضل أبو عبدالله محمد بن علي بن اسماعيل
 الحضرمي . وكان كبير القدر شهير الذكر من كرام الفقهاء وخيارهم وكان جواداً
 كريماً . يروى انه ما سأله سائل شيئاً من الدنيا فرده ورما لقمه السائل فأعطاه بعض
 ثيابه حتى انه كان يأتي عليه وقت يعجز فيه عن الخروج من عدم الشياب . ويروى
 انه عاهد الله لا رد سائللاً قط . حكى انه سأله سائل يطلب شيئاً فدخل منزله فلم يجد
 الا الطعام الذي تطبخه الخادمة فأخذنه بناائه وذهب به إلى السائل فأعطاه اياه . وكان
 الفقيه اسماعيل يعظمه ويقول هو ازهدنا وأعلمنا وأورعنا وامتحن بحصر البول
 فكان يقل مجالسة الناس لذلك . وكانت وفاته رحمه الله في زبيد يوم رابع المحرم من
 السنة المذكورة .

(١) في المسجد بعد هذا البيت قال ابن الموصل : في السجن

(٢) وتصوروا لهم كذلك في المسجد .

وفيها توفي الفقيه الفاضل سعيد بن منصور بن محمد بن احمد الجيши بالجيم
واللياء المثناء من تحتها والشين المعجمة وهو الذي يقال له سعيد بن أنعم وكان أبوه
يلقب بأنعم وكان فقيهاً محققاً درس بعد شيخه عمر بن مسعود في مدرسة ذي هزيم
وأصل بلده مصنعة سير وكان حسن السيرة وتوفي في السنة المذكورة وقبره عند شيخه
المذكور في مقبرة صينة رحمة الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه ابو عبدالله محمد بن احمد بن ابي بكر بن موسى المعروف
بالحرف . تفقه ابن الرسول وكان قاضياً في ناحية من نواحي أبين وتوفي بها في هذه
السنة المذكورة رحمة الله تعالى .

وفيها توفي القاضي اسعد بن مسلم . وكان من اهل الدين والمرؤة شهد له
بالخير أعيان زمانه . ويروى انه اجتمع برجل زمانه عمر بن سعيد العقيبي وسلیمان
الجندي رحهم الله تعالى في بيته فباتا في صلاة وقيام وركوع وسجود . وبات القاضي
نائماً قال الفقيه عبيد السهولي وكنت معهم ليتلذذ فتحيرت هل أوقفهما في الصلاة
والقيام أو أوقف القاضي في النوم وبقيت متربداً فأوجز الفقيه صلاته ثم سلم وقال لي
يا فلان ان صاحبك هذا من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فلا تعلمبه بذلك
وتزوج بابنة القاضي مسعود بن علي فاتت له بابتين وابن تزوج إحداهما القاضي بهاء
الدين والآخر اخوه حسان ولم يزل القاضي اسعد على أحسن سيرة الى ان توفي يوم

الاربعاء العشرين من شهر صفر من السنة المذكورة رحمة الله تعالى .

وفي سنة خمس وسبعين وستمائة تسلم السلطان حصن الريشة في ذي الحجة من
السنة المذكورة . وفي هذه السنة توفي الفقيه الفاضل عبدالله ابن الفقيه عمر بن
مسعود بن محمد بن سالم الحميري وكان فقيهاً عالماً عاملاً كاملاً مبرزاً في جميع انواع
العلوم درس بعد ابيه بمدرسة ذي هزيم الى ان توفي رحمة الله عليه في السنة
المذكورة .

وفي سنه سبع وسبعين حط الامير علم الدين الشعبي على الحصون الخصورية
وهي القاهرة وعزّان فاستمد الشريف علي بن عبدالله بالاشراف فلم يمده احد منهم
إلا الإمام مظہر بن يحيى فانه جمع جمعاً عظيماً وقصد الشعبي الى محطة وكان

بالرّعلا . فوصلت عساكره القاهر . وعجزوا عن قصد علم الدين الى المحطة . فلما رأوا امورهم الى نقصان طلب الامير جمال الدين علي بن عبدالله لقاء الامير شمس الدين علي بن حاتم وتحدث معه في أمر الصلح . فقال الامير جمال الدين خذوا لي من مولانا السلطان مئة الف دينار واعطوني رهينة منكم في تسليم المال . ولم يزل الى ان اتفقوا على تسليم الفي دينار ويخرجون من الحصون ويسلمونها فانعقد الامر على ذلك . وصاحت الصوائح لهم بالذمة . وسلموا كافة الحصون الحضورية وفي شهر رمضان تسلم السلطان حصن ردمان . وخرج من فيه من الاشراف وعاد الشريف علي بن عبدالله على الظاهر والامام الى المغرب .

وفي هذه السنة توفي الشيخ والفقیه الامام العارف بالله ابو الفدا اسماعيل بن الفقیه الصالح محمد بن اسماعيل بن علي بن عبدالله بن اسماعيل بن احمد بن ميمون الحميري اليزني نسبة الى ذي يزن الملك المشهور . وكانت ولادة الفقیه اسماعيل يوم التاسع من ذي الحجۃ من سنة احدی وستمائة ويروى انه لما تزوج أمّة قيل له يا محمد يأتيك ابنان محدث الاول بفتح الدال . والثاني كسرها . وكان تفقه بابيه وعمه علي بن اسماعيل . ثم أخذ عن جماعة من الكبار كيونس بن يحيى والبربان الحصري وغيرهما . وكان نقالاً لفروع الفقه غواصاً على دقائقه . ولهم مصنفات مفيدة . منها شرح المذهب وغيره . ثم ارتحل الى زبيد لغرض الزيارة في طلب العلم . فتزوج بابنته الفقیه ابی بکر بن حنکاس المقدم ذکرہ وبابنته الفقیه ابی الخیر الذي سيأتي ذکرہ فيما بعد ان شاء الله تعالى وغلب عليه حب استیطان زید . واجتمع به السلطان الملك المظفر غير مرّة وسمع عليه البخاري . وولي القضاء الاکبر في تھامة فأقام فيه نحو سنة فاستختلف في القضاء من وثق بدينه وورعه واشترط على كل قاض الا يحكم الا بمحضر من الفقهاء . فيقال انه خوطب يا اسماعيل رضيت بالنزول عن التسمی بالفقه الى التسمی بالقضاء او كما قيل . وقيل بل كان كثير التردد الى تربة الشيخ الصالح احمد بن ابی الخیر الصیاد . وكان قد يجد عندها دليلاً على صلاح حاله فنوجي هنالك بذلك فعزل نفسه من القضاء . وعما يروى عنه

انه دخل بيت قاضي زبيد . وكان من خواص اصحابه وزوج أخته . فوجد في بيته ثياباً من الخنزير . وكان لا يعرف معه شيئاً من ذلك . فقال له من أين لك هذه الثياب فقال من بركتك يا ابا الذبيح فقال ذبحني الله ان لم اعزلك ثم عزل نفسه بعده . وكان مبارك التدريس انتفع به خلق كثير من فقهاء اليمن . ومن عجيب ذلك ما روي عن الفقيه الصالح محمد بن معطن . وكان من الفقهاء الزهاد قال كنت في بلدي فعرض لي ان اقرأ النحو فرأيت في المنام قائلاً يقول لي اذهب الى الفقيه اسماعيل الحضرمي واقرأ عليه النحو فعجبت من ذلك لانه لم يشتهر بمعروفة تامة في النحو . ثم قلت قد حصلت الاشارة فعزمت على السفر من بلدي وهي قرية الرقبة من قرى وادي رمع . فسافرت حتى دخلت الضاحي . فوجدت الفقيه في حلقة التدريس من اصحابه . فلما رأني سلمت عليه فرد عليَّ ورحب بي وقعدت بين اصحابه . فقال لي يا فقيه قد اجزتك في جميع كتب النحو فأخذت ذلك بقبولي وعدت بلدي فيها طالعت شيئاً من كتب النحو الا عرفت مضمونه ببركة الفقيه رحمة الله تعالى ونفع به .

قال الجندي : واخبرني الثقة عن الفقيه حسن الشرعي انه سمعه يقول رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في منامي ليلة من الليالي فقلت يا رسول الله من اوليات الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . فقال لهم الدراسة فلما كان الليلة المقبلة رأيته صلى الله عليه وسلم . فقلت يا رسول الله اي الدراسة هم قال لهم درسة الفقه التنبيه والمهدب . فقلت يا رسول الله درسة القرآن قال اولئك اصفياء الله . وكانت وفاة الفقيه نفع الله به يوم التاسع من ذي الحجة من السنة المذكورة رحمة الله تعالى . وفيها توفي الفقيه الامام البارع ابو عبدالله محمد بن الحسن الصمعي وكان فقيهاً فاضلاً عارفاً مفتيناً وغلب عليه فن النحو . وله فيه مصنفات كثيرة مفيدة . وله مصنف في العروض وتفقه به جماعة . وهو الذي درس قبل السراج في المدرسة المنصورية بزبيد . وله عبارات مرضية توفي في السنة المذكورة رحمة الله تعالى . وفيها توفي الفقيه الفاضل ابو عبدالله محمد بن ابي بكر بن حزابة بضم الحاء

المهملة وفتح الزي والباء الموحدة . وكان تفقهه بأبي شعبة المذكور آنفًا وأخذ شيئاً من الأصول عن البيلقاني . وكان سبب تفقهه أنه اشتري وعاءين من الارز من الفقيه أبي بكر بن حجر فاكل أحدهما . ثم لما فتح الوعاء الآخر وجده أبو بكر بن حجر أحسن من الأول . فاسترجع وقال بعتك ما لمن أره فلا يصح البيع . فحملته الآنفة على قراءة الفقه فقرأ على أبي شعبة . ثم ان أبي بكر بن حجر حدث معه حادث سرور استدعي شيئاً من الزعفران . وكان الزعفران يومئذ معروضاً لا يوجد إلا عند ابن حزابة المذكور . وكان عطاراً فوصل الفقيه أبو بكر بن حجر اليه وعوّل عليه في شيء منه فأجابه إلى ذلك وباعه أمناناً معلومة من غير نظر الزعفران ثم استدعي بوعائه فلما فتحه قال يا فقيه بعتك ما لمن أره فالبيع فاسد . فتوقف أبو بكر بن حجر . وناوله الفقيه دراهمه فأخذها وهم بالرجوع بغير قضاء حاجة . فذكره ابن حزابة بما فعل معه يوم الارز ثم باعه مراده من الزعفران ولم يرده خائباً . وكانت وفاة ابن حزابة قبل وفاة شيخه أبي شعبة ب أيام قلائل في السنة المذكورة والله أعلم .

وفيها توفي الفقيه البارع أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر بن حسن بن علي الفارسي بلداً التميمي نسباً . وكان أصل بلدته من بلاد فارس دار جرذ بكسر الجيم وسكنون الراء وآخره ذال معجمة . كانت فيها تقدم دار ملك فارس . وكان أهل هذا الرجل بيت وزارة ملوك فارس قاله الجندي . قال ونسبتهم ترجع إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه وارتخل والد هذا الفقيه المذكور من بلد فارس إلى مكة المشرفة فجاور فيها ست عشرة سنة . ثم قدم عدن فتدرّسها وظهر له فيها الولد المذكور . فلما أراد الولد الاشتغال قرأ على البيلقاني الفقه والمنطق والأصول وأخذ عن الصغاني اللغة . وأخذ عن الشريفي الطبع والمنطق والموسيقى وعلم الفلك وبه اشتهر . وله فيه مصنفات عديدة وله في الموسيقى كتاب دائرة الطرب ورسالة فيها . وكتاب في وضع الالحان . وكتاب التبصرة في علم البيطرة وآيات الانفاق في خواص الأوقاف . وكتاب في معرفة السموم . وكانت وفاته في السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفي سنة سبع وسبعين توفي الامير الاجل الكبير أسد الدين محمد بن الامير الكبير بدر الدين الحسن بن الامير الاجل الكبير شمس الدين بن علي بن رسول الغساني وكان من اكملبني رسول في الدين والشجاعة والكرم وعلو المهمة وكان أسدًا قويًا شديداً وبقوته يضرب المثل . وكان يقبض على الركاب الحديد فيضم بعضه الى بعض . وهو الذي رمى الهالال الذي على منارة صناعه بدبوس من حديد فأسقطه عن مستقره . وكان كريماً جواداً . قل ما قصده انسان الا وأن الله مقصوده . وأجزل عطاه ورفده وله من الآثار الدينية مدرسته التي في مدينة إبٍ . ومدرسته التي بالجباري وفيها قبره وقبور جماعة من ذريته . وبنى سداً في قرية قرفة . ووقف على الجميع اوقافاً جيدة تقوم بكفاية الجميع . ولما سجنه ابن عمه السلطان الملك المظفر اشتغل بالقراءة فكان يستدعي الفقهاء الى موضعه فيقرأ لهم ويحسن اليهم لا سيما الفقيه احمد بن علي السردي . فانه كان رئيس المحدثين يومئذ في مدينة تعرّ . فقرأ عليه عدة من مسموعات الحديث . ونسخ عدة من الكتب والمصاحف والمقدمات ووقفها في عدة من الاماكن ولم يزل على احسن حال الى ان توفي يوم الثالث عشر من ذي الحجة من السنة المذكورة رحمه الله تعالى . وله عقب كثير . واولاد من خيرة اولاد الامراء . وكان افضل اولاده ابو بكر . كان كاملاً عاقلاً متأدباً يقول الشعر حسناً . ومن شعره قوله :

إذا لم أُقْسِمْكَ المُسْرَةُ وَالْأَسْىُ ولم اجد الوجد الذي انت واجد
ولم اسهر الليل الطويل كآبةٌ فما انا مولود ولا انت والد
وهذان البيتان من قصيدة له كبيرة كتب بها الى ابيه وهو في السجن رحمة الله
عليهما . وفيها توفي الفقيه الفاضل ابو بكر بن يوسف المكي الحنفي وكان فقيهاً
جليل القدر مشهوراً ورعاً راضياً من الدنيا بالكافف وكان عالي الهمة شريف النفس
عالماً مشهوراً نحوياً لغويًّا متأدباً مترسلاً عارفاً بالطب شيخه في ذلك ابو سواده .
وكان يقرى اهل المذهبين كما كان شيخه .

قال الجندي اخبرني الثقة من اصحابه انه قال له يوماً على قرب من وفاته رأيت

كأن القيامة قد قامت وحضرت الأئمة بين يدي الله تعالى . وهم ابو حنيفة ومالك والشافعي واحمد بن حنبل . فقال الباري جل جلاله . اني أرسلت اليكم رسولاً واحداً بشرعية واحدة فجعلتموها اربعاً ردوها عليهم ثلاث مرات فلم يحبه احد . فقال له احمد بن حنبل يا رب انت قلت وقولك الحق لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صواباً . فقال له تكلم فقال يا رب من شهودك علينا قال الملائكة قال يا رب لنا فيهم القدح . وذلك انك قلت وقولك الحق . «واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة . قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء» فشهادنا علينا قبل وجودنا . فقال الباري جل جلاله اشهد عليكم . فقال يا رب كانت جلوتنا لا تنطق في الدنيا وهي تنطق اليوم مغصوبة . وشهادة المغصوب لا تصح فقال الباري جل جلاله انا اشهد عليكم . فقال يا رب حاكم وشاهد فقال الله تعالى اذهبوا فقد غفرت لكم . ثم لما كان في السابع عشر من شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة . رأى بعض اخيار اهل زبيد ان منارة مسجد الاشاعر قد سارت من مكانها حتى خرجت من المقابر وتغييت فيها فتوفي الفقيه بعد ذلك وخرج الناس لدفنه فرأى الرائي ان للفقique قبراً في الموضع الذي غابت فيه المنارة فعلم انها عبارة عن الفقيه رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل أبو عبدالله محمد بن سالم بن علي العنسي بنون بين العين والسين المهملتين . وكان يُعرف بابن البانه تفقهه بعمر بن مسعود الأبيسي وبالوزيري وأخذ عن المقدسي . واتهم في دينه ولم يزل مهاجراً للفقهاء منافراً لهم حتى أمكنه الدخول على البهاء وهو يومئذ متولي الوزارة والقضاء فحلف له انه ما تغير عن معتقده وأوقفه على كتاب صنفه في معتقد السلف فقبل منه بعض قبول . وكانت وفاته ليلة الفطر من السنة المذكورة . وقيل يوم عيد الفطر قبل الصلاة من السنة المذكورة والله أعلم .

وفيها توفي الفقيه الفاضل ابو عبدالله محمد بن مسعود بن ابراهيم بن سالم بن أبي الحسن بن محمد الضحاوي وكان مولده في النصف من شعبان سنة ثاني عشرة

وستمائة وتفقهه في بداعته بابن يعيش وبعبد الله بن عبد الرحمن وأخذ درجة الفتوى
بعدهما وارتحل إلى عدة من الأماكن في طلب العلم . وكان رجلاً صالحًا فاضلاً
بارك التدريس خرج من أصحابه ثلاثة نفر تفقه بهم خلق كثير وأجمع الناس على
صلاحهم وعلمهم وحسن فقههم وربما قدمهم الناس عليه وهم صالح بن عمرو
وبعد الله الحساني وابو بكر بن العزاف فكان يفتخر بهم ويقول ليس لأحدٍ من أهل
العصر مثل هؤلاء الثلاثة . أما ابن العزاف فمتقن للفقه وأما صالح فمتقن للفرائض
وأما الحساني فهو الفاضل بعدهما . وكانت وفاته ببني السفال في السنة المذكورة
رحمه الله تعالى .

وفي سنة ثمان وسبعين كان فتح مدينة ظفار الجبوبية وقتل صاحبها سالم بن
ادريس وقتل معه يومئذ نحو من ثلاثة رجال وأسر خلق كثير . وكان السبب في ذلك
حدوث مجاعة عظيمة وقحط شامل وقع في بلد حضرموت . فأقبل صاحبها إلى سالم
ابن ادريس وطلبوه منه ما يدفعون به كلب تلك السنة عنهم وسلموا اليه مصانع
حضرموت وحسنوا له ذلك ورغبوه فيه فأجابهم إلى ما طلبوه وخرج معهم إلى
حضرموت ل تمام ما قد شرعا فيه وهو أمر لم يسبق إليه أحد من آبائه ولم يعلم دهاهم ولا
مكرهم . فلما أخذوا منه جميع ما طلبوه سلموا اليه المصانع فقبضها وعاد إلى ظفار .
ورأى أنه قد افلح وانجح . وإن حضرموت قد صارت تحت يده وفي قبضته . فلما
رجع إلى ظفار مال أهل حضرموت ميلةً واحدةً إلى مصانعهم وأخذوها طوعاً وكرهاً
ولم يكن دونها حائل يحول بينهم وبينها فاصبح لا مال ولا بلد وكاد بذلك اسفاً على
تضييع امواله في غير مواضعها فاتفق من القضاء المبرم أن مولانا السلطان الملك المظفر
رحمة الله عليه ندب سفيراً إلى ملك فارس بهدية جيدة وصحبه جماعة من التجار
فصرفتهم الريح عن طريقهم ورمت بهم إلى ساحل ظفار فقبضهم سالم بن ادريس
وقبض ما معهم من الهدية والاموال والبضائع وسولت له نفسه أن هذا جرمان ما فات
عليه في حضرموت فراسله السلطان بذلك وكاتبه وقال له لم يجر بذلك عادة من
أهلك ونحن نحاشيك من قطع السبيل وانت تعلم ما بيننا وبين والدك وما بيتنا

وبينك والمكانة بينما غير انا نتأدب بآداب القرآن الكريم قال الله تعالى (وما كنّا
مُعذّبين حتى تَبْعَثَ رَسُولًا) فازداد غلظةً وجهًا ورجع الجواب يقول فيه هذا
الرسول واين العذاب وغير ذلك من الجهل ثم لم يكن بعد ذلك الا انه أفسد
صاحب الشحر راشد بن شجيبة وحمله على العصيان فما الي هرباً من الخراج الذي
عليه لصاحب اليمين وكان عليه خراج معلوم يحمله في كل سنة الى الخزانة المعمورة
فكان حتفه في سوء رأيه :

والامر لله رب مجتهدو ما خاب الا لأنه جاهد
ومتّق والسهام مرسلة يحيص عن حائض الى صارد

فخرج الامر عقب ذلك الى والي عدن وهو الامير شهاب الدين غازي بن
المعمار بالتقدم الى ساحل ظفار بالشوانى والرجال فوصل ظفار ولم تكن حرب طائلة
ثم عاد الى عدن المحروسة . فلما رجع ابن المعمار من ظفار نهض سالم بن ادريس
وسوّلت له نفسه الغارة على ساحل عدن ولم يكره ذلك صاحب الشحر . فوصلت
غارتة في البحر الى الساحل ساحل سالم بن ادريس يومئذ في الجند فاستنكر
الناس ذلك الامر من سالم بن ادريس اذ لم يقدم على مثله صاحب الهند ولا الصين
ولا ملوك فارس فاستشاط السلطان غيظاً وخرج امره بعمارة الشوانى والراكب
والطرايد وانواع مطاييا البحر وتقدم ركابه العالى الى ثغر عدن المحروس وانفق من
الذهب والفضة ما يزيد على عدد الحصى وجهز الامراء والمقدمين والعساكر المنصورة
من الخيل والرجل وملأ البر والبحر خيلاً ورجالاً وازواداً وسارت العساكر ثلاث فرق
فرقة في البحر وهم معظم الرجل فيهم الشيخ فارس بن ابي المعالي الجزائري والشيخ
محمد بن محمد بن ناجي والشيخ الهمام بن علي بن غواص المليكي وشمس الدين بن
المكبوس والشيخ بدر الدين حسن بن علي المذحجي وهو اكثراهم جيشاً . وكان
المقدم على اهل البحر الامير سيف الدين سنقر الترنجي نقيب الماليك البحريه .
وسارت الفرقه الثانية مع الشيخ بدر الدين عبد الله بن عمرو بن الحيد وهم العرب
وكانوا اثنالاثمئة فارس ساروا على طريق حضرموت قهراً على رقاب اهلها وهي مشحونة

بقلاع بنى الحبوضي واحلافهم ولم يكن في تلك الجهة من احلاف السلطان الا أبا شماخ والشيخ عمرو بن علي بن مسعود وفيهم ايضاً ميل الى بنى الحبوضي .

قال صاحب العقد الشمين وبلغني ان الشيخ بدر الدين عبد الله بن عمرو بن الحيد واصحابه ما فارقوا الحرب ليلةً واحدةً حتى عبروا حضرموت وما زال أصحابه يتخللوفون عنه حتى وصل الى ظفار الحبوضي في مئة فارس وثلاثة عشر رجلاً بعد خمسة اشهر من يوم خرجوا من صنعاء . وسارت الفرقة الثالثة عن طريق الساحل وهم أربعين فارس من المهاлиك البحريه وحلقة السلطان . وكان مقدم المهاليك الأمير حسام الدين لؤلؤ النويري وهو أمير العلم المنصور والمقدم على الحلقة الأمير فيروز وكان المقدم على الجميع الأمير شمس الدين ازدمر استاذ دار وقال له السلطان أنت تقتل سالماً إن شاء الله تعالى فاني رأيت فيما يرى النائم ان حيةً عظيمةً خرجت الى من كوة قتلت لك اقتتلها يا ازدمر فقتلتها وعدت الى مقامك . وكانت طريق الأمير شمس الدين صعبة وعرة لأنها في شواهد الجبال وجبار من كثب الرمل فكان يسير هو ومن معه أضعف السير والراكب في البحر تسير معاشرة لهم فإذا بعُدْت بهم الطريق عن الساحل تعبوا وضاقت أحواهم حتى يدور بهم الطريق الى الساحل فيستريحوا لأنهم يتناولون من المراكب ما أرادوا من الطعام والتمر وسائر الحبوب والحوائج خنانات ثم أنواع السلاح من القنا والسيوف والزرد والبيض والخفاتين والقسي والسهام والتراس والأوضاف ومن نعال الخيل واللجم وسائر أنواع العدد على اختلاف أحواها من المجنينات ستة بجميع عددها وألتها ورجالها وأحجارها . وقال بلغني أنه رسب عليهم في البحر الف قطعة والقطعة عبارة عن الجوالق العظيمة من أنواع الشحن فما فقدت ثم كانت الاسواق في البحر قائمة كأعظم ما يكون من أسواق المدن وفيها من أصناف الطباخين والخبازين وأرباب الصناعات ولم تزل كل فرقة تسير على حسب ما يمكنهم من السير حتى جمع الله بينهم في يوم واحد على بندر ريسوت . هكذا ذكر صاحب العقد الشمين فأقبلت مطاييا البحر من الشوانى يقدمها الحواسك والسنابيق كأنها العقبان . ثم أقبلت الطراريد وهي المركب الأعظم

وقد امها السفن وكأنها بعض الملوك والسيوف مسلولة والأعلام منصوبة والطلبات خانات راجفة . وفي هذه الطريدة الخزانة السعيدة وبلغها أربعين ألف . وأما القماش من البندقي والسوسي والموصلي والزبيدي شيء لا يحيط به الحصر فله دره من ملك ملأت البر والبحر كتائبه وسعت العرب والعجم مواهبه ورغائبه وبالله أنه أحق بما قال عمرو بن كلثوم التغلبي حيث يقول :

ملأنا البر حتى ضاق علينا وظهر البحر مملوء سفيننا .

ولما اجتمع العساكر المنصورة في بندر رسوب كانت الخيل خمسينية فارس والرجل سبعة آلاف راجل فقال بعضهم لبعض قد رأيتم ما نحن فيه من انفاق الأموال وركوب الأهوال والتواتي حينئذ منا عجز وخور ولم يبق إلا الحزم والعزم فساروا حتى بلغوا عوقد وهي محلة من محل ظفار فارجف عليهم بأن خيل حضرموت وصلت إلى ظفار وكذلك خيل البحرين فتدامروا فيها بينهم وقالوا إنما جئنا للقتال لا لغيره وain تعزّ منا ولم يكن ظفهم أن سالم بن ادريس يبرز اليهم فيما بيننا هم كذلك إذ أقبلت عساكر ظفار يقدمها سالم بن ادريس فلما رأهم العساكر المنصورة تأهبا للقاء فصف لهم على بعد من المدينة وصفوا له . فكان الشيخ عبد الله بن عمر بن الجنيد واصحابه في الميسرة وكانت الحلقة في الميمنة وكان الأمير شمس الدين ازدرم في القلب ولم يكن بأسرع من ان التقوا واصطدموا صدمةً واحدةً فجالت العساكر المظفرية جولة واحدة ابتلعت منها نحوًا من حسين فارساً . ثم كانت المزينة في نجا من أهل ظفار الا من استأسر قتل منهم نحوًا من ثلاثة قتيل وأسر منهم نحوًا من ثمانين أسير وأخذ من العبيد ما شاء الله . وقتل سالم بن ادريس فيمن قتل ولم يكن له قاتل معروف واستيق الناس إلى باب ظفار .

وكان الأمير شهاب أحمد بن ازدرم قد تركه أبوه في المحطة فجاء العلم منه ليلاً الى أبيه والأمراء مجتمعون على باب المدينة بان رأس سالم بن ادريس قد صار عنده .

وقيل بل عرف اخوه موسى مصحفه وملوظته^(١) فقال هذا مصحف اخي وما أظن
اخي الا مقتولاً فطلبوه بين القتلى فوجدو قتيلاً فحمل وقبر بعد ان أخذ رأسه .
وكانت الواقعة يوم السابع والعشرين من رجب من السنة المذكورة .

وطلب أهل ظفار الذمة فأذم لهم الأمير شمس الدين ازدمر ودخلت الأعلام
السعيدة المظفرية مدينة ظفار يوم الأحد الثامن والعشرين من الشهر المذكور . ووقع
العفو عن الناس كلهم ولا يؤخذ لأحد منهم شيءٌ واحتطب الخطباء على منابر ظفار
بالألقاب الشريفة المظفرية يوم الجمعة الثالث من شهر شعبان . وتسلم العسكر
السلطاني مدينة شباب في حضرموت يوم الثامن من شهر رمضان وبضم كافة بنبي
المحبوضي يوم السادس والعشرين من شهر رمضان من قصر ظفار وأرسل بهم الأمير
شمس الدين ازدمر الى الأبواب الشريفة فأمر السلطان بحملهم الى زبيد فلم يزدروا
تحت الصدقات السلطانية حتى انقض آخرهم ولم يبقَ منهم احد في وقتنا هذا .

ولما فتح السلطان رحمة الله مدينة ظفار في التاريخ المذكور كما ذكرنا وقتل سالم
بن إدريس ارتعدت الأقطار القصية هيبةً للسلطان وامتلأت من خوفه قلوب ملوك
فارس وأصحاب الهند والصين لما رأوا من علوّ همته وعظيم نعمته . فأرسل صاحب
عمران بهديته فرسين ورمحين الى الأمير شمس الدين ازدمر وهو يومئذ في ظفار
ووصلت هدايا صاحب الصين ووصل صاحب البحرين الى زبيد ورتب الأمير
شمس الدين ازدمر في ظفار نائباً وهو الأمير سيف الدين سنقر الترنجي وجعل
الحسام التوريزي معه وعده من مشايخ العرب ومقدمي الرجل وعاد الى اليمن .
وقال صاحب السيرة المظفرية مدح الملك المظفر من قصيدة طويلة منها هذا :

فاسأله به الأيام فهو عقیدها والعلم فهو مصنف ومؤلف
واسأله شباب وحضرموت ومن بها أو عيد يوسف صادق أم مخلف
أم راضها بالسيف أغلب لم ينزل للحق ينصف والأعادي ينسف
إذ أصبحت بيقاع حريم خيله كالطير للمهج الكرائم يخطف

(١) في العقد الشمين وجبه

فيه لعوج الطغاة مثقف
 إلا بسيف أبي المهد تقطف
 لوأنه خلف الكواكب يقذف
 كالشمس من كل المطالع تشرف
 فرق وأخرى في حديد ترسف
 بل في مواهبه تهون وتضعف
 نهر وليس يضره من يعرف
 بالسيف لا تحصى ولا هي تحصف
 تبدو فتكر في النجوم وتعرف
 بفظل بابك شملهم متالف
 ألسنتهم أمنت من يتخوف
 للذنب تغفر والشدائد تكشف
 لما عصوك ولم تُضع من خلفوا
 قال صاحب العقد الشمين وقال اخوه كندة مهئاً للسلطان الملك المظفر رحمة

يرمي العدى بشواطئ كل مثقف
 فهناك ما بقيت لغى هامة
 من لا يفوت عليه نيل مرامه
 هو في الأبعد للأقارب حاضر
 ومن الملوك الصيد تحت لوائه
 ليست ظفار بمعظم في ملكه
 كالبحر ليس يزيد في أمواجه
 اظفار بدع من مدائن حازها
 أم تلك بدع من حصون شواهق
 القت بساحتك الرجال ملوكها
 أدنيت قاصيهم ففككت أسيرهم
 هي عادة لك من قديم لم تزل
 كم من ملوك قد أضعت دماءهم

الله عليه :

« بسم الله الرحمن الرحيم (فانتقمنا من الذين اجرموا وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) مطالع صدق بالنصر نورها . وتبشير صدق تضاعف على العالمين سرورها . وسطوات ملك دفع من البدعة باطلها . وجيوش نصر عقدت الأرض لشراق قساطلها . وهدمت من ربوع البغي منازلها . حتى حللت الخسار . ونزلت بوائق البار . بين نهض فلم يقدر . وزاحم فلم يصبر . فالحمد لله الذي حبا لولانا المقام الأعظم السلطاني العالمي العاملبي الجوادي الرحيمي الملكي المظفرى خلد الله ملكه في عصور الأزمان ومعاطف الملائكة هذا الفتح المبين . واحمد بسيفه نار المبطلين .

وليس بيكر لم ير الناس مثلها ولكن عوانٌ كان مثل لها قبل

و حين وردت البشارة وضج الحق للمرتابين . وا زدادت طمأنينة قلوب
المطمئنين .

جاءت من البحر تسرى بين أمواج
أودى بها الملك الصنديد ذو التاج
يأتى في البحر أنسواج بأنفواج
بحفل لجب الأصوات عجاج
وكل نهر حموم السد معاج
لفرط أين وتهجير وادلاج
بحراً من الرمل الا أنه ساج
وكشر شدِّ و الجام وأسراج
ما في البطون من افلاء وامشاج
ما كان سالمها بالسالم الناجي
نصالكم من دم الأجواف ثجاج
به الغواية نهجاً شرّ منهاج
وصار ولأج حرب غير خرّاج
والرأس في كل ارض فوق معراج
ولا مضاهاة بين الدرّ والعااج
لا زالت الشغور معمورة . والجيوش مؤيدة منصورة . وعقود التهاني منتظمة
السلوك . والجنود المظفرية قافلة بجمجم الملوك . ما همر ركام . وسجع على
فروع الأيك حمام » .

ولما افتتحت ظفار كما ذكرنا انقادت حضرموت فجعل السلطان اميرها محمد
ابن محمد بن ناجي فأقام فيها مدة ثم رجع الى تعز فقيل له كيف عاملت اصحاب
حضرموت قال لما حللت بشباب زاحميي رجل يقال له يمانى أعظمهم رجالاً فجمع
عسكراً عظيماً لقتالي وجمعت أيضاً عسكراً لقتاله وطاولته في الحرب حتى أنفق ما كان

عنه من صامت وناطق ولم يبق عنه شيء وكنت استمد من مولانا السلطان فلما لم يجد شيئاً ينفعه على من معه وصلني بنفسه فلما أanax بعيته على باب داري ودخل الحاجب يستأذن له فقلت له يصل . فلما دخل علي قال لي اعلم اني لما أردت الخروج اليك اشهدت جماعة اهل بيتي اني على ذمة ابن رسول وذمتك يا محمد قال فقلت له وها عليك ثم اكرمه واحسنت اليه وجعلت له موضع يكفيه وعاد الى اهله عل احسن حال فجري على ذلك النمط أربعة أقوام أحاربهم حتى يؤدوا انفسهم الي وبعد ذلك لم يرفع رأسه الي أحد من اهل حضرموت .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الفاضل أبو محمد سعيد بن أسعد بن علي الحراري واصل بلدة قرية المشرح في رأس وادي نخلان وكان حافظاً لكتاب الله تعالى تعلم في ذي اشرف وكان حسن الصوت والخط فاستدعته الدار النجمي الى ذي جبلة فصار معلماً عندهم . وكان السلطان الملك المظفر مختلف اليهم في أيام امرته فحصلت بينهم وبينه معرفة فلما صار الملك اليه سأله من عمته الدار النجمي أن تؤثره به ففعلت فجعله معلماً لولده الأشرف فنان نصبياً وافراً من الدنيا وكان كثيراً ما يصدّه عن أمور غير لائقة . فلما توفي ترحم عليه الأشرف وقال لقد كان يرددنا عما لا يليق بنا . وهو الذي عمل الحوض الأسفل من النقبتين وجراً اليه الماء . وكان الغالب عليه الخير وصاحب الفقيه اسماعيل الحضري وأمثاله . وكانت محاضره عند الأشرف جيدة وتأهل بأمرأة من اهل السمكر واستوطنها . ولم يزل بها الى ان توفي في شهر شوال من السنة المذكورة وكان له ثلاثة أولاد أكبرهم عمر خدم الأشرف سنتين . ثم صحب الفقيه أبا بكر العزي الآتي ذكره وشغف به فترك الخدمة وتزهد وبعد ذلك سلك الطريق المعتادة . واشتغل بالزراعة وغيرها الى ان توفي لعشر بقين من جمادى الأولى من سنة سبع وسبعينه . وكان أخوه اسمه علي بن سعيد وكان كثير التلاوة للقرآن . واعتزل الناس حتى توفي سنة ست عشرة وسبعينه . وكان اسم ابنته الثالث محمد رحهم الله . وفيها توفي الفقيه الفاضل ابو زكرييا يحيى بن عثمان بن يحيى بن فضل بن أسعد بن حمير بن جعفر بن أبي سالم الملطي . وكان ميلاده آخر

نهار الجمعة الخامسة من شهر صفر من سنة سبع عشرة وستمائة . وتفقه بأبيه . وكان فقيهاً خيراً كاماً عارفاً ورعاً فاضلاً . واليه انتهت رئاسة التدريس بعد إيايه وكان ذا دين وورع وزهد وفضل وكرم نفس درس في المدرسة الشرقية في جبلة وكان يطلع بلده أيام الحصاد فيقف شهرين هنالك . ثم يقطع من نفقته في المدرسة نصف الشهرين بغيته عن المدرسة . واذا قبض ما يستحقه اثنا يصرفه على المحتججين من طلبة العلم . ولم يزل على أحسن سيرة الى أن توفي في النصف من صفر من السنة المذكورة . رحمة الله تعالى .

وفي سنة تسع وسبعين كانت الفرحة السعيدة فاستدعى السلطان رحمة الله الأмир علم الدين سنجر الشعبي الى محروسة زبيد . واستدعى كافة الأشراف الحمزيين الى أبوابه السعيدة . فلم يصل منهم الا الأمير جمال الدين علي بن عبد الله ابن الحسن بن حمزة . والأمير عز الدين محمد بن الأمير شمس الدين أحمد بن الإمام المنصور عبد الله بن حمزة . واعتذر الأمير صارم الدين داود بن الإمام وسائر الشرفاء . فلم يزل الأمير عز الدين والأمير جمال الدين على الأبواب الشريفة بسبب الفرحة كما ذكرنا . فقبض الأمير صارم الدين داود بن الإمام عبد الله بن حمزة حصنيهما . وكان لعز الدين تعز صعدة . فطلع الصاحب بهاء الدين محمد بن أسعد العمراني محاكيً للأمير صارم الدين داود فحط بالحنات بالبسون وكان الأمير صارم الدين بالمصنعة الجبل المطل عليها . فكانا يلتقيان على الثالث والرابع . والأمير علم الدين في صنعاء فلم يتم بينهم أمر ورأى الصاحب من تعجرفهم وادلامهم بكشة عساكرهم وسوء فعالهم ما غاظه فكتب الى السلطان يعلمه بذلك . فرد جواب السلطان يقول ان لم يدخلوا فيها قد شرطوه فانبذ اليهم وأشعارهم النقض فتوقف الصاحب عن النقض رجاء ان يعودوا ويرجع الى اليمن .

وفي هذه السنة استعاد السلطان حصن كوكبان من الحوالين بحصن ردمان واثنين وعشرين ألفاً . وفيها توفي الفقيه الفاصل أبو الحسن أحمد بن اسعد الأصبهي الفقيه الخطيب وكان فقيهاً صالحًا ذا دين وصلاح وورع وكان خطيب القرية المعروفة

بالذنبتين . وكانت وفاته ليلة الجمعة لست بقين من شهر ربيع الأول من السنة المذكورة . وهو والد الفقيه الإمام أبي الحسن علي بن أحمد الأصبهي صاحب المعين . وسأذكره في موضعه إن شاء الله تعالى .

وفي سنة ثمانين وستمائة وقع النقض بين السلطان والأشراف فنزل الأمير جمال الدين علي بن عبد الله والأمير عز الدين محمد بن أحمد بن الإمام إلى الأبواب الشريفة . فلم يزالا هنالك حتى انفصل أمرهما على تسليم حصنهما الميقاع وتعز صعدة . فقبضهما نواب السلطان في المحرم أول سنة احدى وثمانين وستمائة .

وفي هذه السنة المذكورة اعني سنة ثمانين وستمائة توفي الفقيه الإمام الحافظ ابو الحسن بن منصور بن أبي الحسن الشماخي السعدي نسباً الحضرمي نزيل زبيد . وكان فقيهاً إماماً حافظاً عارفاً . أدرك جماعة من الأكابر وأخذ عن أصحاب السلفى بحكة كابن الجمیزی بجیم مضمومة ومیم مشددة مفتوحة ویاء مثناة من تحتها وبعدها زای ثم یاء النسب . وأخذ عن أبي عبد الله محمد بن احمد بن عراف صاحب أحور عن يحيى بن أبي نصیر الظفاري عن الإمام القلعي وتطلع على علوم كثيرة منها الفقه والنحو واللغة والحديث والفرائض والتفسير . وصنف ما يدل على جودة معرفته . واخذ عن الإمام بطاط بن أحمد الرکبی . ولم يكن له في آخر عمره نظير في جودة العلم وضبط الكتب بحيث لا يوجد له في آخر عمره نظير في الضبط .

قال الجندي اخبرني جماعة من أدركه انه كان لا يوجد الا وعنه كتاب ينظر فيه ومحبرة وأقلام يصلح بها ما وجد في الكتاب من غلط أو سقط او تصحيف وكانت وفاته بزبيد في سنة ثمانين وستمائة وعمره يومئذ سبعون سنة وجمعت خزانته من الكتب مالم يجمعه أحد من نظرائه . ويقال انه كان فيها مائة امْ سوی المختصرات والله أعلم .

وفيها توفي الفقيه الكبير يحيى بن عبد الله بن الفقيه الكبير محمد بن يحيى . وكان فقيهاً حقيقةً ذا كرامات ومكاشفات وبه تفقه جمع كثير وقصده الطلبة من نواحٍ شتى وقصده فقهاءٌ تعز . وكان رأسهم ابو بكر بن آدم الجبرتي الذي تقدم ذكره فأخذوا عنه البيان . قال الجندي وكانت وفاته على طريق التقرير سنة ثمانين

وستمثة. أخبرني بذلك فقيه جبا وحاكمها والله أعلم .

وفيها توفي الفقيه أبو الحسن علي بن محمد بن منصور الجندي وكان فقيهاً تقىً خيراً تفقه بحسن بن راشد وبعمر بن يحيى وغيرهما ثم امتحن بقضاء ذي أشرق واليه انتهى تدريسها فذكروا انه كان يوماً جالساً في مجلس التدريس فقال لأصحابه اليوم نحن فقهاء وغداً نكون صوفية . فلما كان من الغد قدم عليه رجل من أهل بستان صوفي من أصحاب الشيخ عمر بن المسن يقال له جبريل فقال له يا علي كن معنا ومد يده اليه فحكمه ثم نصبه شيخاً وأذن له في التحكيم . وكان الفقيه أبو بكر التعزى يومئذ في أول ظهوره وتعرّصه للشهرة . وظاهر بصحة الصوفية ومحبته . وكان يومئذ شاباً فوصل الى هذا الفقيه وتلتمذ له وكان من أظرف الناس في اجتلاف القلوب اليه فأحبه الفقيه علي لأنه يتواضع له ويعظمه ثم أجلبه الى تعز وتلطف له بتدريس المدرسة الأسدية في مغزبة تعز . فأجابه الى ذلك . فنزل ودرس بها مدة ولم يزل الى أن توفي في مستهل ذي الحجة من السنة المذكورة والله أعلم .

وفيها توفي الفقيه أبو بكر بن عبد الله الرميبي وكان فقيهاً كبيراً تفقه بعلي بن قاسم الحكمي . وتفقه به جماعة كثيرون كأحمد بن سليمان الحكمي وعمه عيسى وغيرهما فكانت وفاته في السنة المذكورة تقريباً . قال الجندي قال وخلف ولدين فقيهيْن هما عبد الله و محمد . فكان عبد الله معيناً فيها مدة ثم حصل عليه وله فجعل أخاه مكانه فأقام مدة ثم عزله حاكم زبيد وهو موسى بن ايم وجعل مكانه الفقيه محمد بن ابي بكر الناشري ليستعين به في نيابة الحكم اذا خرج الى بلده والله أعلم .

وفيها توفي السلطان أبو السمو العلاء بن محمد العلاء الوليدي الحميري .

قال الجندي واصل بلده عفينة بفتح العين المهملة وكسر الفاء وسكون الياء المشنة من تحتها وبعدها نون وآخر الاسم هاء وهي من معشار تعز سكنها جماعة من قومه يعرفون بالأخاضر أهل رياضة متأللة وانتقل الى السمك وكان يختلف الى الجندي وزيران وجبلة والى تعز ونواحيها وجبا . فأخذ في الجندي عن ابن البردعي وغيره واخذ بزيران عن ابن رفید وبتعز عن علي السردي وغيره وبنواحي جبا عن احمد بن علوان

وبجلة عن محمد بن مصباح وكان رجلاً صالحاً بورث له في دينه ودنياه وكان الشيخ أحمد بن علوان يشي عليه ويوده وأجازه في جميع مقرعاته ومسموعاته ومنظوماته ومتوراته .

ومن عظيم ما كان بينه وبين الشيخ أحمد بن علوان من الألفة والمحبة انه متى انقطع عن الوصول اليه والزيارة له وصله الشيخ الى السمكرا وأقام عنده أياماً . قال الجندي توفي على رأس ثمانين وستمائة وهي السنة المذكورة .

وفي هذه السنة أيضاً توفي الفقيه الفاضل أبو عبد الله الحسين بن علي بن عمر ابن محمد علي بن أبي القاسم وكان مولده لخمس بقين من جمادى الأولى من سنة ثمان وستمائة فتفقه ثم غابت عليه العبادة .

ويروى انه في أيام قراءته ترتب في مدرسة عومان مع الفقيه يحيى بن سالم فذكروا انه باع شيئاً من كيلته بدر ابراهيم ثم ربطها في طرف ثوبه ثم احتاج ان يأخذ شيئاً منها لبعض الأمر فلما فتح عنها وجدها عقارب فلفظها من ثوبه ولم يعد بعد ذلك الىأخذ طعام المدرسة . وكان يكثر زيارة القبور ومتى صار في طرفها خلع عليه وحملها في يده ولم يزل على أحسن صورة الى أن توفي يوم الخميس ثامن عشر المحرم من السنة المذكورة رحمة الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الصالح يعقوب بن محمد التربى نسبة الى قرية من قرى وادي زيد يقال لها التربة بضم التاء المثلثة من فوق وسكن الراء وفتح الباء الموحدة وأخر الاسم هاءً . ثم انتقل الى موزع فتفقه بها على الفقيه بكر بن علي بن يحيى وكان على طريق الورع الكامل يزار للتبرك ويتنفع به . وكان يدخل على نساء العرشانيين للشهادة في النكاح وغيره ولما اقطع السلطان الملك المظفر ولده الملك الواثق موزع وكان قد نزل اليها فأقام بها مدة بلغه علم صلاح هذا الرجل فزاره الى بيته نهاراً فلم يشعر الفقيه حتى قيل له هذا الملك الواثق صاحب البلد على الباب يستأذن عليك في الزيارة فاذن له فلما وصل سلم عليه فرد عليه الفقيه السلام ورحب به فسأله الدعاء فدعا له ثم خرج فتعجب الفقيه من ذلك اشد التعب . ثم سأله الله

تعالى ان ينقله فلم تطل أيامه بعد ذلك فتوفي . وكانت وفاته في السنة المذكورة تقريراً كما قال الجندي والله أعلم .

وفيها توفى الشيخ الفاضل عمر بن الشيخ الصالح مدافع بن احمد بن محمد المعيني وكان محبوأً عند ابيه ونال منه حظاً وافراً . وكان لا يقصده احد بسوء الا وibli بلاء ظاهراً . وكان من المترفين بلبس الثياب الفاخرة . ولم يزل مجللاً محترماً عند السلطان الى ان توفي وكانت وفاته في السنة المذكورة رحمه الله تعالى . وكان والده الشيخ مدافع بن احمد من فتح الله عليه بالدين وأخذ يد التصوف عن الشيخ ابن الحداد نحو أخذه عن الشيخ الجليل عبد القادر الجيلاني . وكان مدافع بن احمد من اجتمع الناس على صلاحه وكماله . ولما فقد الشيخ ابو العيث بن جمبل شيئاً من احواله وصل الى الشيخ مدافع واقام عنده في قرية الوجيز في مسجد قريب من بيته فاعاد الله عليه ما فقده وصحبه جماعة من اعيان الصوفية كعثمان بن سادح وعلي الرميمة وعمران الصوفي من عبلة وغيرهم . وكان الملك المسعود ابن الملك الكامل يومئذ صاحب اليمن من قبل أبيه وكان كثيراً ما ينزل من الحصن فيقف في الميدان أو في الطعم يطعم الجوارح الصيدية فرأى العسكر يروحون طريق الوجيز فسأل عن ذلك فقيل له انهم يروحون لزيارة رجل من الصوفية كبير الحال فبحث عنه فأخبر ان له قبولاً عظيماً عند سائر الناس فأحب أن يطلع على أمره واظهر أن غرضه زيارته ووصل إلى بابه . وكان من عادة الشيخ مدافع انه لا يجتمع به أحد من الناس من آذان الصبح إلى قرب من الزوال فوصل الملك المسعود إلى بيت الشيخ والشيخ مقبل على صلاة الضحى فوقف على الباب ينتظر الاذن والشيخ في صلاته لم يعلم بوصوله فلما طال وقوفه على باب الشيخ وكلما خرج أحد من القراء قال الشيخ مشغول والساعة يخرج . اغتناظ من ذلك ورجع قبل ان يعلم به الشيخ وتوهم انه ربما حدث منه ما حدث من مرغم الصوفي فأمر بقبض الشيخ مدافع فقبض وكان قبضه في عشرة شهر رمضان من سنة سبع عشرة وستمائة فاقام محبوساً في حصن تعز إلى سلخ شهر ربيع الاول من سنة ثانية عشرة وستمائة ثم سفر به إلى الهند فدخل بلد الدنيول فاقام بها

شهرين وثلاثة ايام ثم خرج منها لثلاث خلون من شهر رمضان سنة ثمانى عشرة
وستمائة ثم دخل ظفار فاقام بها ثمانية عشر يوماً وتوفي هناك رحمه الله تعالى .
وفي سنة إحدى وثمانين طلع الامير جمال الدين علي بن عبد الله وخرج الامير
علم الدين الشعبي في عسكر وساروا جميعاً إلى الظاهر فحط الامير علم الدين
الشعبي على الكولة وشرع في عمارتها ومعه الامير عز الدين وحط الامير جمال الدين
علي بن عبد الله على حصن كحل واشیح الظاهر الأعلى فأخذها في أقرب مدة وعاد
الامير علم الدين إلى محطة وقد رتب في الدحضة والحبسين والذروة بعض النقباء في
عساكر جيدة . ثم رتب الشريف علي بن عبد الله بالكولة مئة فارس والف رجال
واضاف إليه سائر الرتب ونزل هو والامير علم الدين نحو شوابة ولم ينقل الامير علم
الدين محطة من الكولة إلا بعد سنة حتى استقامت امور الرتب على ظفار من الناحية
العليا ثم نهض إلى الناحية السفلی فحط في شوابة هو والامير عز الدين فعم درب
شوابة وشحنه ورتب فيه الامير عز الدين في الناحية السفلی .

وفي هذه السنة توفي الامير الكبير شمس الدين علي بن يحيى العنسي نسبة إلى
عنص من مذحج بنون وهي من قبيلة كبيرة من قبائل مذحج . وكان له من السلطان
نور الدين مكانة عظيمة وحمل طبلخانة وقطعه اقطاعاً جيداً وكان السلطان نور الدين
ابن عمته وقيل ابن اخته ولم يزل معززاً مكرماً إلى ان توفي المنصور واستغلال الملك
المظفر بالملك فهال إلى اولاد عمه أسد الدين و أخيه فخر الدين فلما لزم فخر الدين
وحبيبه المظفر كما ذكرنا اولاً كتب إلى أسد الدين يحثه على القيام واستنقاذ أخيه من
السجن ويقول :

لو كنت تعلم يا محمد ما جرى لشنتها شعث النواصي ضُمِّراً
جرداً تراها في الأعنَّة شُزْباً تفري السباب والياب المقرأ
ترمي بها دربي تعز على الوجى لتقيم عذرًا أو تشيد مفخرا
فاجابه ابن دعايس بابيات احسن منها لا اذكر منها الا بيتاً واحداً قوله :

انظر الى عدن اطاعت امره والى تعز ومكة ام القرى

ولما بلغ شعر علي بن يحيى الى السلطان الملك المظفر تغافل عنهُ وابقاءه على حاله الى ان مات المنصور وهو عليها وفي نفسه شيء عظيم فلما كانت سنة ثمان وخمسين تعب اسد الدين من كثرة الخلاف على ابن عمه وخشي من العرب القتل او الاسر فأرسل الى السلطان يريد الصلح فطلب السلطان يومئذ الامير شمس الدين علي بن يحيى وارسله الى اسد الدين ليصي في الصلح بينه وبين السلطان فطلع اليه رسولًا بسبب الصلح فنزل ماً . وكان السلطان يومئذ في زبيد فلما وصل الى زبيد اخل لها موضعًا من الدار فنزل فيها ثم امر بالقبض عليها في آخر يومها ذلك فقبضها . وارسل بها الى حصن تعز ولم يزالا في السجن الى ان توفيا رحمة الله عليها .

وكان علي بن يحيى رجلاً كريماً جوداً شاعراً فصيحاً وكان يحب الفقهاء والصالحين ويحسن اليهم كثيراً وكان مع صحبته لهم يتواضع لهم ويتأدب معهم ويقبل شفاعتهم وكان منها امره به الفقيه اثمر . وكان الفقيه يدعوه ويدركه بالخير فقيل للفقيه ان هذا رجل ظالم فقال ان دخل علي بن يحيى النار فانها صحبة حمار ابن حمار والله لا مات الا طاهراً فقيل له وما تطهيره قال القيد والحبس فتها عليه ومات مسجوناً وعلم صدق الفقيه . وكانت وفاته يوم الاثنين سلخ شهر صفر من السنة المذكورة رحمه الله تعالى . وكان قد ابتدى مدرسة في بلده ووقف عليها وقفًا جيداً جاملاً لكن اولاده قلماً افتقرت عادوا اليه واستاثروا به والله اعلم .

وفيها توفي الفقيه الفاضل عبد الله بن ابي بكر بن مقابل الدينبي وكان مولده سنة ثمان وستمائة وتفقه بجدوى احمد وكان زميلاً في الدرس والقراءة عمر بن الحداد وعرض عليه بنو عمران ولایة القضاء بعدَن وقد كان جده بها فامتنع وكره ذلك وكانت وفاته في قريتهم التي تسمى عرج في شهر رمضان من السنة المذكورة رحمه الله تعالى . وفيها توفي الفقيه النبیه جمال الدين محمد بن حسين بن علي بن المحترم

(١) هدا وهم ، وال الصحيح ثمان وستمائة ، وقد وجدا ما يؤيد ذلك في الجندي .

الحضرمي وكان فقيهاً فاضلاً أديباً لبيباً غلب عليهُ فن الادب وكان خطاطاً مجيداً فسأل المظفر عن رجل يصلح لتعليم ولده المؤيد فارسل اليه فاستدعي به وامرہ بالتعليم فعلمَ واجاد وكان المؤيد ببركة تعليمهِ من اعيان الملوك عقلاً ونبلاً . وكانت وفاته ليلة الاثنين مستهل الحجة من السنة المذكورة .

وفيها توفي الفقيه الصالح عبد الله بن محمد بن علي بن اسماعيل بن علي الحضرمي وكان فقيهاً صالحًا مباركاً ذا كرامات مشهورة . ومن غريبها ما ذكر انه مر على باب السلطان بزبيد ونوبة خليل تضرب ومن العادة انه لا يستطيع أحد أن يمر هنالك لا راكباً ولا ماشياً ما دامت تضرب فمرّ الفقيه راكباً ولم يقل له أحد شيئاً فعجب الحاضرون من ذلك . وكان مبارك التدريس درس بالمدرسة الشمسية بذدي عدينة من تعز وكانت وفاته في العشرين من شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة .

وفيها توفي الإمام الكبير محمد بن نجاح وكان من امراء الدولة المظفرية وله طبلخانة واقطاع جيدة وهو الذي ابتنى المدرسة المعروفة بالتجاحية بالناحية الشرقية من المغربة في مدينة تعز وأوقف بتعز^(١) وأخرى بالجند وكان كثير فعل الخير والمعروف وامتحن في آخر عمره بالعمى وأقام كذلك مدة ثم توفي يوم الاثنين ثامن ذي القعدة من السنة المذكورة وخلف ابنه باسمه أبو بكر عاش بعدهُ سنة وستة أشهر . ثم توفي في جمادى الأولى من سنة ثلاثة وثمانين وسبعيناً ولم يعقب وله ذريةٌ من قبل النساء يعرفون ببني السلاح .

وفيها توفي الفقيه الفاضل ابو عبدالله الحسين بن محمد بن احمد بن مصباح بن عبد الرحيم الاحولي . وكان فقيهاً فاضلاً زاهداً ورعاً شريف النفس عالي الهمة حسن المقابلة . وكانت وفاته في السنة المذكورة رحمهُ الله تعالى . وفي سنة اثنين وثمانين انهدم القصر بصنعاء على الامير علم الدين سنجري الشعبي فمات هو وجماعه من كان معه تحت الهدم .

وحكمى صاحب العقد في كتابه قال كنت من حضر يومئذ في المجلس مع الامير

(١) عبارة الحندي ناحية المغربة الشرقية التي تعرف بالمعاينة وله وقف بتعز وأخر بالجند .

علم الدين دخلت اليه يومئذٍ وجلسه يغضُّ بالناس فحضر غداً فتغدى الناس معه
وانقضت حوائجهم وخرجوا ولم يبقَ في المجلس الا الامير علم الدين وصهره محمد
ابن يزيد ومملوكان للامير صغيران وابو بكر بن عمار وكاتب الامير وقاضي الشرع
عمر بن سعيد وأنا وأخي علي بن جاثم . فوقفنا الى ان اذن المؤذن للعصر فقام الامير
فصل وعاد الينا ثم قال لمملوكه احمل الماء للجامعة يصلون فطهروا وصلينا ثم عدنا الى
ما كنا فيه من الحديث فلم نشعر الا ودخل علينا غبار من أقرب الشبابيك الى الامير
فقام وسائل مملوكه ما سبب ذلك الغبار فانتشر علينا غبار وتراب من السقف فهممنا
بالخروج فانحطط السقف الاسفل من تحتنا قبل الاعلى وذلك آخر عهد بعضنا ببعض
وكان الهدم في أول وقت الظهر فوقنا تحت الهدم الى المغرب وكانت اقرأ ما احفظ من
القرآن وادعو بما تيسر من الدعاء واتضرع الى الله ولم يبقَ في خاطري الا الموت فما
شعرت الا بالساحي فوق رأسي فكان حسها يقرب قليلاً قليلاً حتى فتشوا عن رأسي
ووجهني فذكرت الله تعالى فاستخبروني عن نفسي فقلت أنا بخير ان شاء الله تعالى
فسألوني عن الامير فقلت هو قريب فاخرجوني وحفروا عن الامير فوجدوه ميتاً قد
وافته على رأسه خشبة عظيمة واستمر الحفر عن الجماعة فاخروا القاضي عمر بن
سعيد سالماً وهلك الباقيون ولم يصلوا الى آخرهم الا آخر الليل . وفي هذا التاريخ
كانت وفاة الامير علم الدين سنجر الشعبي . وكان أميراً شجاعاً فارساً مقداماً له
همة عالية وموقعه مشهورة مذكورة في اليمن الاعلى . وكان متديناً متنسكاً محافظاً
على الصلوات في أوقاتها سفراً وحضراماً مع شدة البرد في الجبال حتى انه كان يقال ما
يصلی أحد في المحطة الا الامير . وكانت تكة سراويله أو سراويله اذا وضعت على
العسر تضع ولدها للفور . وهو من مماليك الملك المسعود يوسف بن الملك الكامل
الاوبي واغا سمي الشعبي لانه كان في بيت المالك وهو صغير ولم يكن يعرف من
فسقهم ولا من شيطتهم شيئاً فكانوا يسمونه شعيباً اي انه عريٌ لا يشينه شيءٌ من
افعال المالك .

ولما وقع هذا الحادث العظيم اضطرب الناس في صنعاء وأعماها وبلغ العلم

الى الامير صارم الدين داود بن الامام فجمع عسکره والماليك الاسدية وتوسموا
قصد الامير جمال الدين علي بن عبد الله ورفع المحاط عن الظفار فخرج الامير عز
الدين بلبان دويدار الامير علم الدين الشعبي من صنعاء في مئة فارس وخمسة
رجال إلى البوس وجاءت عيون الامير صارم الدين اليه بالعلم فخرج بعسکره الى
الظاهر الاسفل وخرج عن الظاهر الاعلى ثم سار إلى حوث . ولما وصل العسكر
المجرد من صنعاء إلى الامير جمال الدين أغارت على الامير صارم الدين إلى حوث ثم عاد
إلى ظفار ثم طلع محطة الامير فخر الدين بن فيروز في عسکر اليمن إلى صنعاء
فاستقرت المحطة على ظفار بعد ذلك نحواً من سنة .

وفي هذه السنة توفي القاضي أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر بن محمد بن
علي بن أبي القاسم الرياحي وكان قاضياً مرضياً في غاية من الزهد والورع والاقتصاد
في مطعمه وملبسه . وكان مولده في سنة تسع وتسعين وخمسة وأصل بلد إب وكان
والده قاضياً بها فلما دنت وفاته حذر والده حمداً من القضاء فلما توفي والده لم
يتعرض له امثالاً لا وامر ابيه له فحدثت عليهم مظالم ومشاق كثيرة فقالت له والدته
يا ولدي اذهب إلى سيرز واعلم قاضي الاقضية بوفاة ابيك وما جرى عليك وعلى
إخوتك من العنف والظلم فلعله يجعلك مكان والدك فتستر عن الظلم فحينئذ تقدم
إلى قاضي الاقضية وأعلميه بوفاة ابيه وشكأ عليه ما ناله من الظلم فترحم على والده
وعزاه عنه ونصلبه مكان ابيه فعاد إلى البلد فقام بها قاضياً سالكاً للطريق المرضية .
وكان تفقه بمحمد بن مضمون فلما توفي قاضي تعز ابن أبي الاعز بعث إليه وولاه
القضاء في مدينة إب . وكان القاضي محمد بن علي عالماً عاملاً ناسكاً ورعاً كثيراً
السعي في قضاء حوائج الناس غير متكبر ولا متجر .

قال الجندي أخبرني الثقة عن الثقة أنه رأى القاضي محمد بن علي يمشي حافياً
في هاجرة النهار ونعله في يدها قاصداً من المغربة إلى ناحية المحاريق في مدينة تعز قال
قتلت له يا سيدي لم فعلت هذا قال بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
(من مشى في حاجة أخيه المسلم حافياً كان له أجر عظيم) أو نحو ما قال .

ويروى عنه انه خرج يوماً حافياً مقرعاً فلقيه بعض من يعرفه فصافحه وسار
بسيره لينظر أين يقصد فإذا هو قد قصد بيت أمير بدار الملك المظفر فلما وقف على
الباب بادر الخادم الى الامير فاعلمه بوصوله فخرج الامير مسرعاً وقبل يديه ثم قال له
يا سيدي لم وصلت وهلاً أرسلت إلى كنت أصلك فقال القاضي أنا أحق بالاجر فان
ساعدتني كنت شريكي فيه فقال له الامير وما الذي تريد يا سيدي فقال وصلني أولاد
فلان وذكرروا انك حبست والدهم بالسوية وهم فقراء محتاجون وبلغني ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال من مشى في حاجة أخيه المسلم حافياً حاسراً أتااه الله أجرأ
عظيماً فلذلك جئت فقال يا سيدي إنما حبس بأمر السلطان ولا يمكن إخراجه الا بعد
مراجعة ثم استدعي الامير بدواه وقرطاس وكتب الى السلطان يعلمه بوصول
القاضي اليه حافياً حاسراً وانه يشفع في فلان وأرسل بالكتاب رسولًا فعاد الجواب من
السلطان باطلاق الرجل ولم يخرج القاضي من بيت الامير الا بالرجل معه وكان له
عند المظفر محل عظيم وجاه جسيم من طريق الورع والصلاح .

قال الجندي وأخبرني الفقيه عثمان الشعبي وهو الذي علقت عنه أخبار هذا
القاضي وغيره من فقهاء تز العتقدين . قال كتب أهل بلده غير بلدء يشكرون
قاضيهما الى السلطان الملك المظفر فكتب السلطان الى القاضي بهاء الدين انظر في
أمرهم فالقضاة كلهم في النار إلا محمد بن علي وذلك لما تحقق من ورعيه بعد البحث
الشافي عنه على يد من يثقة . ومن بعض ما يروى عنه أن بعض التجار حضرته الوفاة
فاستدعي القاضي محمد بن علي الى بيته فلما أتااه القاضي الى بيته خلا به وقال له اني
بنيت هذا الموضع على يدي بمال جزيل لا أكاد احضر مبلغه وأولادي كما ترى صغار
وقد نزل بي ما ترى ولا أستطيع اعلام أحد منهم وقد أعلمتك به لتكون وديعة عندك
فقال له القاضي لا بأس بذلك . ثم أمره أن يوصي الى رجل خبير باموره الظاهرة
ففعل ثم توفي الرجل وكبر أولاده فاتلفوا ما ظهر لهم من التركة وأرادوا ان يبيعوا
البيت من شدة حاجتهم فمنعهم القاضي فأقاموا مدة في ذلك الحال ثم بلغه صلاحهم
فصبر مدة ثم أمر من يختبرهم فوجدوهم قد رشدوا فأخبر القاضي بذلك وأناهم

القاضي الى بيتهم ففرحوا به وأدخلوه البيت ليتبركوا به فقال للارشد منهم افتح هذا الموضع ففتحه فخرج ذلك المال فقال له القاضي هذا أمانة عندي من والدك إليك لتتصرف به على نفسك وعلى اخوتك بالمعروف فسألة الولد أن يأخذ منه شيئاً ويختبب به الولد من نصيبه فلم يفعل .

ويروى عن الأمير غازي بن يونس التعزي قال كنت أيام شبابي قاعداً في البيت إذ بطالب يطلبني الى القاضي فداخلني منه فزع عظيم ثم زال ذلك عنى لما أعلم من عدل القاضي وحسن سيرته فسرت اليه فحين رأني تبسم فلما دنوت منه سلمت عليه فرد علياً بوجه مسفر . ثم قال هل لا يبيك من ولد غيرك فقلت لا فقام ودخل بيته وامرني بالدخول خلفه فدخلت ولم يكن في البيت احد . فسار امامي حتى جاء المطبخ فلما توسط اشار الى موضع وقال لي افتحها هنا ففتحت فظهر لي انا فاخر جنته فأمرني بفتحه فوجده مملوءاً ذهباً فقال لي خذ هذا المال واحتفظ بنفسك فهو عندي وديعة لا يبيك ولم اسلمه اليك الا بعد سؤالي عنك . واعلمت انك عاقل رشيد ولا ولد لا يبيك غيرك . والحمد لله الذي من علي ببراءة ذمت قبل الموت . واخباره كثيرة مشهورة . وكان كثير العبادة مصاحباً للعباد . وكان يصاحب على الرميمة احد عباد جبل صبر . ويكثر زيارته وينبئ عنه باشياء كثيرة . وكان يقول ما على قلبي هم الا ان اكون في بعض المساجد او الرابط حتى استفرغ بقية عمري في عبادة الله تعالى .

ولم يزل على القضا المرضي متحناً به الى ان توفي يوم السبت الحادي عشر من شوال من السنة المذكورة رحمة الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه ابو عبدالله محمد بن سفيان بن الفقيه ابي القبائل عبد الرحمن ابن منصور بن ابي القبائل . وكان مولده لثمانين خلون من جمادى الآخرى سنة سبع وستمائة . تفقه بعمر الجرادي وبالصوفى من اهل الملحمة وبابن مصباح وغيرهم . وكانت امه بنت الشيخ علي بن عجیل . وكانت امرأة صالحة قارئة لكتاب الله تعالى ذات مروءة قدم الفقيه سفين الأبنى الى جبلة لغرض الزيارة فعزمت عليه فادخلته

البيت . وكان نزوله في مسجد السنة . ويقال أنها ولدت ابنها هذا سفين تلك المدة فلذلك لقبه به ويقال انه خطبها فقالت لا اتزوج بعد ابى القبائل احداً . ولا اغير صحبته بغيره وكان شديداً في ذات الله قائلاً بالحق آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ثم كان بينه وبين الفقيه عمر بن سعيد العقيبي مودة حتى توفي على الحال المرضي في السنة المذكورة وقبر بحيطان ودفن الى جنب قبر ابيه . وكانت وفاة الفقيه ابى القبائل في سنة تسع وستمائة رحمها الله تعالى .

وفيها مات الفقيه الصالح عثمان بن محمد بن علي بن احمد الحساني ثم الحميري . وكان يعرف بابن جعام بفتح الجيم والعين المهملة وتشديدها وبعد الالف ميم وأصل بلده جبلة . وكان فقيها صالحأ ورعاً صادق الحديث . وكان يقارض اهل جبلة باموال جزيلة الى عدن وكان من خبره منهم لا يسمح به ان يقارض غيره محبة فيه ووثوقاً بدينه وأمانته وبركانه وكان يجمع ما يتحصل له من ذلك . فلما اجتمع له ما اجتمع اشتري ارضاً فسكنها وبورك له في ذلك رغبة في الحل . ويروى انه كان اماماً في المدرسة النجمية ظهر له في بعض بدنـه جرح استنصر ولم يكد يبراً بل لم يزل يسيل منه ماء او ما يشبه الماء فكره الصلاة بالناس لذلك تورعاً فقيل له استنب لك نائباً ببعض نفتك . فقال لا حاجة لي بذلك ثم عرض عليه الطين والقرية فاشتراها وكانت القرية غير مسكونة واما كان فيها رجل يخدم صاحب الارض ويهرب له فلما صارت ملك الفقيه انتقل اليها من جبلة وابتني بها بيتاً وانتقل باولاده وزوجته ابنة عمران الصوفي . وكان قد تفقه على فقهاء جبلة ولازم الفقيه ابا بكر بن العزاف ان يطلع معه الى قريته ويسكن معه في المنزل فقال له يا فقيه تقف معي ويكون ذلك نصف هذه الارض فلم يوافقه الى ذلك . وفارقـه وصار الى تعز . وأقام الفقيه مقبلـاً على القراءة والعلم والعبادة منفرداً في تلك القرية الى ان توفي في سلخ شوال من السنة المذكورة رحمـه الله تعالى .

وفي سنة ثلاثة وسبعين طلع الملك الواثق الى صنعاء مقطعاً لها فدخلها يوم الثاني والعشرين من شهر ربيع الاول من السنة المذكورة . وتسلم حصن براش

صنعاء وقبض على الامير سيف الدين بلبان العلمي دويدار . وكان قد ظهر منه ما يوجب ذلك . ولما تضائقت الاحوال بالامير صارم الدين داود بن الامام عرض على الامام الحسن بن وهاس القيام معه فابى عليه فعرض على الامام مظهر بن يحيى فابى عليه ايضاً لما يعلمون من قبح سيرته مع الائمة ومخالفته لهم فعمد الى ابن اخيه وهو ابراهيم بن الامام . وكان قد قرأ شيئاً يسيراً في العلم وليس بكمال الامة ولا لغيرها فاقامه اماماً وانحرجه الى ثلا ولبس به على العامة واجتمع معه عسكر كثير ثم خرج بهم الى الظاهر فانحاز منهم الشرييف علي بن عبدالله الى جبل الميقاع اذ لم يكن معه من العسكر ما يقاتلهم به فقاتلوا على الكولة والحسين فلم يظفروا منها بشيء فقصدوا المنقل والمنارة فأخذوها قهراً ثم ساروا نحو صعدة فطلب الامير علي بن عبدالله المادة والعسكر فجهز اليه الملك الواثق الفهد بن حاتم في سبعين فارسا من همدان والامير شمس الدين احمد بن ازدرم في ثلاثين فارساً وخمسين راحل . فلما وصلوا الكولة الى الامير جمال الدين علي بن عبدالله جعل اخوته وعيال يحيى بن الحسن في الكولة وسار في العسكر المنصور نحو صعدة وكان العسكر يومئذ نحو اربعين فارس والفرجل فساروا حتى دخلوا صعدة . وكانت محطة الاشراف تحت تلمسن فتراكتوا نحواً من شهرين ووقعت حروب شديدة وعقرت خيول كثيرة من الفريقين . فكان الامير جمال الدين يرمي الخيل ويطعم الجمال ويتولى الامور بنفسه ويباشر المحطة ليلاً ونهاراً . وكان السلطان رحمة الله يجهز اليه الخزائن ونفقات العسكر قبل استحقاقها . فعجز الامير صارم الدين عن مقاومته فخرج هارباً على جبلبني عوير ثم على سواد غربان ثم على شظب حتى دخل بلاد الشرييف علي ابن عبدالله معارضاً له حتى حط في الجنات .

وفي هذه السنة توفي الامام الفاضل ابراهيم بن احمد بن تاج الدين المهدوي في حصن تعز اسيراً . وكان من الشجعان المشهورين والفرسان المذكورين . وكان يقول شرعاً حسناً ومن شعره قصيدة يصف فيها أسره ويعذر فيها : خطب ألم فأنساني الخطوب معاً وصیر القلب في احسائه قطعاً

حتى اذا جاء من خلفي ومن قبل
وامسكتوا السيف من خلفي مغادرة
وكنت في موضع مستصعب حرج
ثم انتهيت الى سوح به ملك
فجihad بالعفو والاحسان شيمته
ولم يزل للعلى والجحود مصطنعا
وهي اطول مما ذكرت واما اثبات منها ما يستدل به على ما فيها . وكانت وفاته
في شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة . وقبره في مقبرة تعز معروف يزار ويتبرّك به
وتطلب عنده الحاجة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الامام ايضاً ابو محمد الحسن بن وهاس الحزمي وكانت وفاته في
شهر ذي الحجة من السنة المذكورة .

وتوفي الفقيه الفاضل ابو الحسن علي بن عبدالله بن محمد بن احمد بن الفقيه
اسعد بن الهيثم . وكان مولده يوم الخميس عشرة صفر من سنة تسع عشرة وستمائة.
وتفقه بالفقية ابي بكر بن ناصر وولي قضاء بلده . وكان يتردد بين بلده والجند
وعز . وكانت وفاته لسبعين من رجب من السنة المذكورة رحمه الله تعالى . وكان
له ولدان هما يوسف وابو بكر . فاما يوسف فكان ميلاده عشرة شهر ربيع الاول من
سنة خمسين وستمائة . وتفقه اولاً بابيه ثم محمد بن ابي بكر الاصبحي . وكان
حاكم بلده كما كان ابوه وكان ينوب القاضي عمر بن سعيد على قضاء صنعاء .
وكان وفاته لسبعين من شوال سنة سبع وثمانين وستمائة . وسنذكر اخاه في موضعه من
الكتاب ان شاء الله تعالى .

وفي هذه السنة توفي العقير الصالح ابو عفان عبدالله بن احمد بن ابي القسم بن
احمد بن اسعد الخطاطي نسبة الى عرب يقال لهم بنو خطاط يسكنون حازة ذوال
صاحب هدأه بضم الهماء وفتح الدال المهملة وبعد الألف فاء ثم هاء وكان مولده سنة
ثانية عشرة وستمائة . وتفقه بعلي بن ابي السعود وبعثمان الوزيري ثم غالب عليه
التصوف والعبادة ويقال انه اوتى اسم الله الاعظم . وكان له كرامات عظيمة وكان

صبوراً على اطعام الطعام .

قال الجندي حصلت في يدي نسخة التنبية الذي له فوجدت فيها بخطه مكتوباً في بعض ورقات الكتاب ما مثاله . حدثني الفقيه السيد الأجل الفاضل الكامل الموفق يحيى بن احمد بن زيد بن محمد بن دهير بن خلف الهمданى وفقه الله تعالى انه رأى في المنام في منتصف جمادى الآخرة في نصف الليل الآخر سنة ست وستمائة انه كان في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد القبة التي على قبره وقبور صاحبيه رضي الله عنهم منكشفة من غير تخريب وقد بقي منها ما يغطي القاعدة ومن القائم الى مقعد الإزار فدنا منها فوجد النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه رضي الله عنهم قاعدين متوجهين الى القبلة قال فاستقبلتهم من وراء الجدار الباقي وجعلت القبلة الى ظهري ثم أعطيت نوراً في قلبي وطلقة في لسانى وقلت يا رسول الله القرآن كلام الله غير مخلوق قال نعم قلت بحرف وصوت يسمع ومعنى يفهم قال نعم قال فقلت فمن قال ان القرآن مخلوق كافر قال نعم قلت وان صلى وصام وآتى الزكاة وحج البيت هل ترجى له الشفاعة قال لا قلت يا رسول الله طلاق التنافي باطل أو صحيح فقال صلى الله عليه وسلم باطل وانا اشك في الثالثة . وغالب ظني انه قالها . ثم قلت يا رسول الله تارك الصلاة كافر قال نعم قلت يا رسول الله فهو لاعيرعون البقر والغنم ويحيطون وهم يشهدون ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله ويؤتون الزكاة متى وجدوا ويجدون البيت اذا استطاعوا ويصومون شهر رمضان ويحبون الصلاة ولكن يقولون هذه الدواب تنجبنا اذا اجتعلنا ايضاً تنجسنا اهم كفار أم مسلمون . فسكت النبي صلى الله عليه وسلم وانقطعت عن الكلام . فقال ابو بكر وعمر نكتب لك بهذا كتاباً لا ينسى فسكت ولم ادر ما شغلني عن القول لها يكتبان لي ذلك . وكانت وفاة هذا الفقيه عثمان على الطريق الكامل من الزهد والعبادة واطعام الطعام في السنة المذكورة بعد ان امتحن بالجذام حتى سقطت رجله اليمنى من الكعب ويس من يده اليمنى اصبعان . وكان عظيم الحال له كرامات كثيرة يطول تعدادها رحمة الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل ابو الحسن علي بن ابي بكر بن حسين البجلي وكان تفقه بعمره اسماعيل وولي القصاء في بلده وكان فقيهاً فاضلاً ورعاً وكانت وفاته في السنة المذكورة رحمة الله تعالى .

وفي سنة اربع وسبعين جهز مولانا الملك الواثق عسيراً الى المنقب وخشي ان يخرج الامير صارم الدين من ثلاثة الى البلاد الشهابية فحضره في ثلاثة فتداركه الشيخ بدر الدين عبدالله بن عمر بن الحيد وسعى في الصلح بينه وبين السلطان وارتقت المخاطب وعد الكل الى صنعاء . وكان الصلح على خلاص رهينة الامير صارم الدين داود وهو ولده محمد بن داود وكان في حصن الدملووة وعلى تعديل حصن القفل بظفار وانعقد الصلح على ذلك واستمرت الذمة والصلح برها من الزمان .

وفي هذه السنة توفي الفقيه العلامة ابو الخطاب عمر بن عاصم بن عيسى البعلبي بياء مثناة من تحت وعيه ساكنة مهملة وآخره لام وبعدها ياء النسب وهو بطنه من كنانة . وكان فقيهاً كبيراً فاضلاً متفتتاً عارفاً بالفقه والنحو واللغة والحديث . وكان يقول شعراً حسناً تفقه بعلي بن قاسم الحكمي وبه تفقه كثير من الناس . ومن تفقه به ابو الحسن الاصبهي صاحب المعين . والفقهي يوسف بن يعقوب الجندي والد البها صاحب التاريخ وغيرها . واليه انتهت رئاسة الفتوى والفقه بزبيد وأظن المدرسة العاصمية اما تنسب اليه . وحصل بينه وبين قاضي الاقضية عتب لكلام نقل عنه وكان النائب يعانده في مدرسته ويقابل به ما لا يليق وكانت له عند المظفر مكانة حسنة فكتب الى السلطان يشكوا من النائب في قصيدة من شعره يقول في اولها :

خربت مدارسك معَا يا يوسف وفتى وحيش لو علمت المتلف

فلمَّا وقف السلطان على كتابِه وكان قاضي القضاة حينئذٍ عند السلطان فقال لهُ السلطان يا قاضي بياء الدين من الناظر على مدارس زبيد فقال ابن وحيش يا مولانا فقال لا يكون لهُ على مدرسة الفقيه ابن عاصم نظر فقال سمعاً وطاعة . ثم كتب اليه السلطان قد صرفناه عن النظر في مدرستك فاجعل عليها ناظراً من شئت . وهو

القائل في ذم المدارس .

بيع المدارس لو علمت بدارس يغلو واحسر صفة للمشتري
دعها ولازم للمساجد دائمًا ان شئت تظفر بالثواب الاولى
ومن تصنيفه زوائد البيان على المذهب في كتاب . ويقال ان ذلك سبب
الوحشة بينه وبين قاضي القضاة بهاء الدين احد قرابة صاحب البيان فانه نقل اليه انه
قصد بذلك خط البيان وان لا يلتفت اليه مع وجود المذهب مع ان كتابه لم يكذب يشتهر
ولا يتداول بين الناس . وكانت وفاته عند طلوع الشمس من يوم الخميس
لخمس بقين من شهر ربیع من السنة المذکورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل ابو عبدالله محمد بن علي وكان فقيهاً ورعاً زاهداً
عالماً بالفقه تفقه على مذهب الامام ابي حنيفة رضي الله عنه . وكان لا يتعلّق بشيء
من الدنيا ولا يتعلّق باهلها وعلقه دين عظيم هرب بسببه الى الجبال وبلغه ان قضاة
سيرون يفعلون المعروف فقصدتهم وأقام عندهم فسأله بعضهم عن المعتقد فأجابه بما
انكر عليه السائل فاضى ذلك الى شقاق وتکفير فخرج الفقيه هارباً وبلغ القضاة
ذلك فلم يعجبهم وامر وابرده اليهم فلم يوجد فشق عليهم فشكوا الى أخيهم
القاضي بهاء الدين الوزير يخبرونه بقصته ويسألونه ان يبحث عنه بتعز ففعل فلما
جاءه بحثه واعتذر اليه من فعل ذلك المجادل تم سأله عن سبب قدومه فاخبره
بدينه فسعى له في قضاء ديوه وزيادة . وتوفي في مدينة زبيد في المحرم اول السنة
المذکورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي القاضي الفقيه احمد بن حمزه بن علي بن حسن الهرامي ثم
السكسكي وكان فقيهاً فاضلاً متأدباً وكان يقول الشعر ودرّس في مدرسة حصن
الطفر وهي التي احدثها الشيخ عبد الوهاب بن رشيد . ثم توفي في بلدة العيافي
وكانت وفاته في صفر من السنة المذکورة .

وفيها توفي القاضي ابو حفص عمر بن سعيد بن محمد بن علي الربيعي .
وكان فقيهاً محدثاً أخذ عن أخيه لابيه علي بن عمر وعن غيره وتولى قضاء صناعة حين

عزل عنه . وكان من افصح الناس واحسنهم رواية للحديث والتفسير . وكان اذا حضر مجلساً لم يكن لاحد فيه ذكر دونه . ويروى ان محفوظه خمسة آلاف حديث . وكان السلطان الملك المظفر يعظمه وبيجله ورزقه على القضاء جزية اليهود في جهته . وكانت دنياه متسعة اتساعاً عظيماً .

ومن عجيب ما جرى له انه كان قاعداً مع الامير الشعبي في دار السلطان في صنعاء إذ خر عليهم السقف وهم جماعة منهم محمد بن حاتم الهمданى واخوه محمد ابن زيد صهر الشعبي فمات الجميع تحت الهدم وسلم القاضى المذكور ومحمد بن حاتم . وكان القاضى يحكى انه لما تهور الدار رأى رجلاً كبير السن التقى عنه خشبة وسجقاً وسقفهم علىه فلم يصله الهدم . وكان هذا القاضى عظيم القدر شهير الذكر معظماً عند كبراء العصر . انتشرت فضائله شرقاً وغرباً وبعداً وقرباً ولا اعلم احداً من اهل عصره اشتهر كاشتهره حتى رأيت مجلداً لطيفاً في مناقبه تصنيف الفقيه على ابن ابي بكر الفراء الصنعائى وجاء تقليله من بغداد متوجاً بالعلامة الشريفة العباسية المستعصمية وفيه من التعظيم لخلاله والتنويه بقدره ما يليق به . وكانت ولاته من مدينة إب الى نصعاء ومضت احكامه في هذه البلاد كلها ونفذت . واخذ عنہ جماعة من اهل صنعاء وغيرهم . وكان له عدة اولاد لم يقم احد منهم مقاماً وكان من اكثراهم زواجاً في صنعاء واب وغيرها وكانت وفاته في السنة المذكورة وقيل في سنة خمس وسبعين والله اعلم .

وفي سنة خمس وسبعين وستمائة ضرب الدرهم السعيد المظفرى في مدينة صعدة في شهر جمادى الآخرى . ونزل الامير جمال الدين علي بن عبد الله الى الابواب السلطانية فتلقاء الملك المسعود القاضى بهاء الدين الصاحب الى الحوبان وحضر المقام السلطاني للفور وأقام اياماً ثم حملت له طبلخانة خمسة اجمال وخمسة اعلام وزاده مع البوانين الخشب والخارد ومطرة وحصن ردمان فانشأ قصيدة ي مدح بها السلطان ويقول :

واعلمت بالاعلام يوسف ابني صفي واني عند حادثة ذخر

وحركت بالковشات ما كان ساكتاً ولكن به عن سمع تحريكها وقر وفي هذه السنة توفي الفقيه الفاضل ابو الحسن علي بن محمد بن حجر بن احمد ابن علي بن حجر الاذدي نسباً والهجري بلداً . وضيبيط حُجْر بضم الحاء المهملة وسكون الجيم وآخره راء . وكان يُعرف بابي حجر وسكن عدن وكان مولده سنة ثمانين وتسعين وخمسة تقوياً وكان فقيهاً محدثاً له مسموعات واجازات . وكانت دنياه واسعة وكان متورعاً من إن يخلط ماله بشيءٍ من الشبه وكان لا يعامل من يتهمه بذلك وكان لا يحتكر الدرهم في بيته .

قال الجندي واحبرني والدي يوسف بن يعقوب رحمة الله قال كان رجل في مدينة الجند عطّاراً وكان اصله من مدينة إب وكان لا يتجاوز في الدرهم اما يأخذ الواحد من العشرة فاتفق له سفر الى عدن ليشتري عطراً فوصل الى هذا الفقيه وسأله عما يريده من الحاجة فقال له كلها موجودة فناوله صرة دراهم فقال الفقيه لبعض عبيده خذها وانقدها فقال الابي لا تحتاج انقاد فليس في بلدي من يحتكر الدرهم مثله فقال له الفقيه وانت تحترك الدرهم قال نعم قال اعد له دراهمه فيما تدخل بين دراهمي فاعادها عليه وانصرف خائباً وكان كل من قدم عدن من اهل الفضل اما ينزل في الغالب على هذا الفقيه فينزله في بيت من بيته على قرب منه . ويكون الناس يجتمعون اليه للقراءة في مسجد السباع . ويسمى مسجد السباع لكثره ما يسمع فيه من الكتب على وارديه . وكان من جملة قدم عليه الفقيه ابو الخير بن منصور ابن ابي الخير وربما قيل انه اخذ عنه . وقد اخذ عن ابي حجر جماعة من اهل عدن وغيرها منهم الفقيه احمد الحراري واحمد القزويني ومحمد بن حسين الحضرمي وغيرهم . وبلغ الفرض الزكي من ماله اربعين الفاً وقيل ستين الفاً يتصدق بذلك في غالب ايامه حتى كادت لا تنتفع صدقته . ولم يزل على ذلك ان توفي ليلة الاربعاء الخامس من صفر من السنة المذكورة وهو ابن ثمان وثمانين سنة . وخلف ولدين هما محمد وعبدالله فاما محمد فتفقه وزوجه والده على بنت بعض التجار يقال له ادريس السراج . وكان فيه سخاءً مفرطاً لا يُقْيِ شائعاً ولا يخيب له قاصد ابداً

فتضuszق حاله وركبه دين كثير بعد وفاة ابيه فوصله بعض مستحقي الدين وطالبه واغلظله في القول وسمعه كلاماً فاحشاً . وكان قاعداً على باب داره فدخل من فوره الدار وعمد الى حبل فشقق به نفسه وذلك يوم الجمعة لايام مضى من ذي القعدة من السنة المذكورة . فرأى بعض الاخيار من اهل عدن تلك الايام انه قائم على باب المسجد الذي يقال له مسجد ابان إذا بجاءة قد اقبلوا من باب عدن قاصدين المدينة وعليهم هيئة سنية وطم وجوه مضيئة فسأل الرجل عنهم فقيل له هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وجماعة من اصحابه يريدون الصلاة على رجل من اهل المدينة يموت غداً . فلما اصبح الرجل وجرى لهذا محمد بن ابي حجر ما جرى ولم يمت في ذلك اليوم احد غيره وصل الرجل الى الموضع الذي يصلى فيه على الموتى وقعد فيه ينتظر وصول الميت المذكور ليصلى عليه من جملة الجماعة قال فاخذت ونمته مجنباً وقد فكرت وقلت ما يتصور لمثل هذا ان يصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم وقد شنق نفسه فسمعت قائلاً يقول لي لا تفتك هذه الجنازة فهو هذا الرجل بعينه فاستيقظت وجددت الموضوع وتقدمت الى باب بيت الميت فشييعت جنازته وحضرت الصلاة عليه ودفنه .

قال الجندي واحببني شيخي احمد بن علي الحراري انه كان للفقيه أبي حجر عدة بنات صالحات في الغالب فذكرت احداهن أنها رأت اباها بعد موته اخيها عبدة فقالت له يا ابنت ما جاء بك فقال منذ وصلنا اخوك نحن في ملازمته الله تعالى ان يغفر له جناته على نفسه فلم يفعل ذلك الا بعد مشقة شديدة واسراف على اليأس من ذلك .

وفيها توفي الفقيه الصالح ابو بكر بن معطي وكان فقيها صالحأ اصله من حازة وادي زبيد من قرية تعرف بمحل مبارك . ومن اصحابه المتقدمين المقارنين له في السن والرتبة محمد بن علي الصريفي . وكان فقيها مشهوراً من اصحاب ابي حنيفة الامام رضي الله عنه . وله تصنيف حسن يسمى الايضاح تفقه بجاءة منهم المكي وغيره وله ذرية يعرفون به . توفي في مدينة زبيد في اثناء السنة المذكورة رحمه الله .

وفي سنة ست وثمانين احتل الامير صارم الدين داود بن الامام في فكاك حصنه القفل . وخشي عليه الفوات فتقدم الى جهة صعدة واصلح اموره فيها وبين أخيه الامير نجم الدين موسى بن احمد بن الامام فاستجدوا بالامام مظهر . وحملوه على الخروج الى ناحية صعدة فخرج من دروان الى حجر وجمع جموعاً عظيمة وسار نحو صعدة وجاءته خولان فقاتل على الدرب فأخذنه قهراً . وقتل الرتبة الذين كانوا فيه وهم نحو من ثمانين رجلاً وأسروا الوالي غالب وقتل من عسكر الامام خمسة وثلاثون بالنشاب ثم سار الامام ومعه الامير نجم الدين موسى بن احمد الى الجوف فأخذوا الفجرة وشوابة وطلعوا الظاهر . وحرقوا الكولة والدحضة وحطوا على الزاهر ووثب الامير صارم الدين بن الامام على حصنه القفل فحط عليه وارسل الى مولانا السلطان الملك الواثق بالنقض فجهز الملك الواثق مشتى فارس من الغز والعرب . وقدمهم الشريف جمال الدين علي بن عبدالله وامرهم بطلع الظاهر فلم يهيا لهم الطلوع ثم جهز السلطان الملك المظفر استاذ داره الامير شمس الدين علي بن الهمام في خيل من اليمن وامرها بالغارة على الزاهر . فلما وصل الى صنعاء خرج الملك الواثق بشحنة الى ذرعة وجهز الامير علي بن عبد الله والامير شمس الدين استاذ داره لرفع المحطة عن الزاهر . فلما علم بهم الاشراف ارتفعوا عن الزاهر . وطلع الامام الى الظاهر واشتدت محطة الامير صارم الدين على القفل . وعاد الملك الواثق الى صنعاء . فكثرت الاراجيف والغوائر في البلاد واضطربت البلاد اضطراباً شديداً وتفاقم الأمر واشتد وخالفت أهل الشرق وأهل المغرب . وفسدت البلاد من نقيل صيدالي صعدة . فلما حدثت هذه الحوادث أرسل السلطان ولده الملك الاشرف الى صنعاء مقطعاً بها . واستدعى ابنه الواثق فدخل الملك الاشرف صنعاء يوم الثامن من جمادي من السنة المذكورة . ثم خرج منها الى محطة ذيكان ثم سار نحو الظاهر ووطأ البلاد وطأة شديدة وأخرب اجزل الظاهر الاعلى واجزل الظاهر الاسفل ووصلت عساكره المنصورة عيان وخيوان ولم يمتنع شيء منه في الظاهر ولا بلغ احد حيث بلغ وقاتل عن القبة مراراً وامر بعمارة الكولة . ورتب الشريف علي بن عبدالله بها واطل عيد

رمضان الكرييم وهو مخيم في الكولة . وكان احسن عيد وأبهجه . ولا أخرب الظاهر كما ذكرنا وحضر الامير صارم الدين في القبة وقوى الرتب على ظفار وعمرها ورتب الامير علي بن عبدالله في مئة فارس والف راجل في الكولة نهض من الظاهر الى بلد الامير عبدالله بن علي بن وهاس فاخر بها وقطع اشجارها وكرمتها . وأخرب فيها دروباً من زمان الجاهلية . ثم نقل من بلاد ابن وهاس الى صنعاء فخرجت العساكر من صنعاء في لقائه وحشدت الجنود فلم ير يوماً اعجب ولا ابهج ولا اکثر جموعاً من ذلك اليوم فدخل من باب النصر . فلما حاذى القصر السعيد فرش لحفانه^(١) ، ثياب الحرير المعلمة بالذهب . ونشر على الناس من البيضاء والصفراء ما لا يحصر فاقام في صنعاء والامور منتظمة والشغور منسدة وال الحرب على القبة والمحصار على ظفار . والامام مطهر في جبل تنعم لا يميل احد اليه من العرب والامير صارم الدين محصور في القبة .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الفاضل علي بن اسعد بن محمد بن ابراهيم بن تبع بن علي بن منصور المنصوري نسبة الى جده المذكور في انتهاء النسب كان علي بن اسعد بن منصور فقيهاً فاضلاً مشهوراً تفقه باحمد بن عبدالله الوزيري . وكانت وفاته في شهر ربيع الاول سنة ست وثمانين المذكورة في قريته المعروفة بالقدمة رحمة الله تعالى .

وفي سنة سبع وثمانين جرى حدیث الصلح فاصلح الامير صارم الدين بعد استيلائه على القفل . وصاحت الصوائح بذلك في محروسة صنعاء يوم السبت الثاني عشر من شهر جمادي الاولى من السنة المذكورة ثم وقع الصلح بين الامام وبين الملك الاشرف وصاحت الصوائح بذلك يوم العاشر من جمادي الاخرى من السنة المذكورة . ولم يصلحه على شيء من البلاد ولا من الرعایا الا على بعض القبائل الأجيال كبني حي وبني سحام والاعروش وبني مطعم . ثم قفل الى اليمن فكان خروجه من صنعاء يوم الجمعة عشرة شهر رجب من السنة المذكورة ثم طلع الملك

(١) لحسانه .

المؤيد صنعاءً مقطعاً لها فدخلها يوم الرابع عشر من ذي القعدة من السنة المذكورة . ولما وصل صنعاءً وصله جميع الناس من العرب ووصل الامير جمال الدين علي بن عبدالله . ووصل رسل الاشراف كافة بالخيل ضيفة فأقام مدة في صنعاء ثم خرج الى جهات ذمار وتغير الصلح بينه وبين الامام مطهر بن يحيى .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الفاضل محمد بن علي بن عمر الشرعي المعروف بابن المسود الخلي . وكان فقيهاً متفتناً أخذ الفرائض عن ابن معاوية والفقه عن ابن عاصم والريسي . وهو الذي درس بعد ابن عاصم في مدرسته التي انشأها الامير سيف الدين سنقر وهي التي تعرف في مدينة زبيد بالعاصمية وكانت وفاته في اثناء السنة المذكورة رحمة الله .

وفيها توفي الفقيه النبيه ابو الحسن احمد بن محمد بن عيسى الحواري وكان فقيهاً في علم الكلام ولو فيه مصنفات على مذهب الامام ابي الحسن علي بن اسماعيل الاشعري . وكان تفقه فيه على البيلقاني بعده . وكان يغلب عليه طريقة التصوف وانحدراها عن البيلقاني ايضاً وانحد عنه جماعة من اهل تعز وزبيد وكانت وفاته في السنة المذكورة رحمة الله . وقيل في سنة تسع وثمانين والله اعلم .

وفيها توفي الطواشى افتخار الدين ياقوت بن عبدالله المظفرى . وكان خادماً حازماً ذكياً لبيباً وهو الذي ارسله الملك المظفر صحبة ولده الاشرف الى الدملوة ليكون الاشرف رهينة عند عميه المفضل والفائز وامهما بنت حوزة فلما صارا هنالك كان الطواشى يسوس الامر ويستميل قلوب المرتدين بالقول والفعل حتى احكم الامر . ثم عرض عارض اوجب نزول الفائز والمفضل والدتها بنت حوزة الى المنصورة او قيل الى الجهة فلما صاروا خارج الحصن ثار الطواشى ياقوت بن معه في الحصن وملكه لسيده المظفر ولم يزل ياقوت نائباً لسيده في الحصن الى ان توفي في سلخ ذي القعدة من السنة المذكورة . وكان صاحب عسف وحروب وكان مع ذلك كثير الصدقة مجالاً للعلماء والصالحين وابنى مدرسة في منصورة الدملوة رحمة الله تعالى .

وفي سنة ثمان وثمانين رغم المرتبون بحصن براش في شهر رجب فسار اليهم

الملك المؤيد فقتل منهم طائفة وأخذه منهم قهراً .

وفي هذه السنة وثب جماعة من حُصنهم على حصن بيت نعم وكان الامام مصلحاً عليه . وكان في شرط الصلح انه اذا رأى قبيلة بعدت من أحدى الجهتين وامتنعت بحصن او جبل فانهم غرماء للسلطان والامام وان الامام والسلطان يتفقان على من أحدث حدثاً ويتعضدان عليه فلما حدث من هؤلاء ما حدث امر السلطان بالمحطة على حصن بيت نعم وطلب من الامام خروج من يخرج من جهة للمحطة عليهم فلم يفعل الامام ولا ساعد على شيءٍ من ذلك .

وفي هذه السنة توفي الفقيه النبي ابو محمد عبدالله بن عبد الرحمن بن محمد بن ابراهيم بن عبدالله بن محمد بن زكرياء وكان فقيهاً فاضلاً مولده سنة تسع عشرة وستمائة وتفقه بابن عمه محمد بن عمر بن يحيى بن زكرياء واخذ عن صالح بن علي ابن الحضرمي وولي قضاء الكدراء من قبلبني عمران ، وقدم فأخذ عنه ابو بكر ابن محمد بن عمر كتاب الوجيز . وكانت وفاته في السنة المذكورة . وخلفه في القضاء ولده ابو بكر بن عبدالله بن عبد الرحمن وكان احد اجواد زمانه شريف النفس عالي الهمة . وامتحن في آخر عمره بفقير مدقع وعزله عن القضاء بنو محمد بن عمر بغير وجهٍ يوجب العزل والله اعلم .

وفيها توفي الشیخ الفاضل ابو الخطاب عمر بن عبد الرحمن بن حسان القدسی وكان والده من اهل دمشق وامه من عسقلان فاجتمعوا بالقدس وأقاما هنالك فتزوجها فولدت له هذا الولد سنة اربع وقيل سنة ست وستمائة ولحق بام عبيدة وهو ابن اثنين عشرة سنة فادرک الشیخ نجم الدين المعروف بالاخضر وهو من ذرية اخي الشیخ الصالح احمد الرفاعي فأخذ عليه العهد وتربى بين يديه . فلما رأى كماله امره ان يدخل مكة ويحج ثم يدخل اليمن لينشر فيه الخرقة الرفاعية وخبره انه يجتمع فيه برجل يتمنع به في دينه ودنياه . ففعل ذلك ولما دخل اليمن اجتمع بالفقیه عمر بن سعید العقیبی فاقام عنده بدی عقیب ایاماً وذلک في سنة تسع واربعین وستمائة فشهره عمر وبجله ثم اسكنه موضعًا على قرب منه يعرف بالمعرثم انتقل منه الى اماكن كثيرة .

بني له فيها ربط كثيرة حتى كان آخر رباط سكنه الذهب تحت مدينة إب فلم يزل حتى توفي بعد ان انتشرت عنه الخرقه الرفاعية لا سيما في جهة المخلاف . وكانت وفاته ليلة الجمعة لثمان بقين من شهر ربیع من السنة المذکورة رحمه الله .

وفيها توفي الفقيه الصالح عبد الرحمن بن الفقيه يحيى بن سالم الشهابي وكان فقيهاً خيراً سليم الصدر انتهت اليه رئاسة الفقه والفتيا بذى جبلة وكانت امور الفقهاء اما تنتظم برأيه . ولما بنيت المدرسة الشرفية بذى جبلة ونسبتها الى الامير شرف الدين موسى بن علي بن رسول المتفوق في مصر رحمه الله تعالى كان الفقيه عبد الرحمن المذكور اول من درس بها وكان يومئذ اكبر الفقهاء وكان الفقهاء بذى جبلة لا يطلعون من مصل العيد الا الى بيته يدخلون الى سماط يعمله لهم فلما توفي والده بالعومانية انتقل اليها عن الشرفية ولم يزل بها مدرساً الى ان توفي في جمادى الاولى من السنة المذکورة رحمه الله .

وفي هذه السنة توفي القاضي الامثل الاوحد الاكملي ابو بكر بن محمد بن الفقيه احمد الجنيد . و كان فقيهاً صالح ديناً حبراً تفقه في بدايته بعمه عبيد بن احمد ثم مسعود ثم صحب الفقيه الصالح عمر بن سعيد العقبي واخذ عنه ثم امتحن بقضاء جبلة فسار سيرة مرضية ثم امتحن بقضاء عدن فكان الزاهد المعروف والعادل الموصوف واجمع اهل عدن على عدالته ونزااته وصيانته عرضه وزهده وورعه بحيث يغلب على سامع ذكره انه لم يدخل عدن له نظير وأخذ بعدن الوسيط للغزالى عن الفقيه عبد الرحمن الابناني واستفاض ورعيه عند الامراء في اليمن وغيرها . ولما دخل الملك المظفر عدن اثنى التجار على القاضي ثناءً حسناً بعد سؤال السلطان عنه . ثم حدثت قضية اوجبت حضور القاضي الى مقام السلطان فامر السلطان بطلبها فوصل الرسول وعليه ثباب البذلة وثيابه مع الغسال فرجع الرسول واعلم السلطان بذلك فازداد عند السلطان مكانة وقال قد (مضى) لهذا الحاكم مدة في هذه البلاد وهو لا يملك الا بذلة واحدة ان هذا لامر عظيم . ثم حضر القاضي البها فقال له السلطان يا قاضي بهاء الدين بلغنا ان القاضي فقير ويحب ان نزيد في رزقه فكم ترى نزيد له فقال

عشرة دنانير وكانت ثلاثين ديناراً فعتب التجار على القاضي بهاء الدين حيث لم يجعل الزيادة أكثر من ذلك وحملوه على الحسد اذ كان ذا سيرة محمودة .

قال الجندي : أخبرني الخبر بحاله قال كانت سيرته انه اذا صل الصبح ذكر الله تعالى ساعة ثم يقوم الى زيارة ترب الصالحين فيبدأ بزيارة الشيخ جوهر ثم ابن قيدر ثم بزيارة ابن أبي الباطل ثم يقوم منها الى مسجد ابن فيصل فيه الضحى ثم يأتي الى مجلس الحكم فيقعد فيه ما شاء الله يقضى بين الناس ثم يدخل منزله فيقيل فيه ساعة ثم هذا دأبه الى ان توفي ليلة الخميس السادس من شهر رجب من السنة المذكورة وقبر في القطبي الى جنب قبر القاضي محمد بن اسعد العنسى رحمة الله عليهما .

وفيها توفي الفقيه الصالح ابو الحسن علي بن محمد بن عثمان بن ابي الفوارس القيني نسبة الى قين من عك تفقه في الجبل على الامام بطال بن احمد بن الرکبی واخذ عن علي بن مسعود وابي حديد وغيرهما وكان الفقيه اسماعيل كثير التكرر لزيارته . توفي في السنة المذكورة تقرباً قاله الجندي والله اعلم .

وفيها ولد الفقيه الفاضل ابو عمرو عثمان بن يوسف بن شعيب بن اسماعيل . وكان فقيهاً نبيهاً تفقه بالفقيه صالح بن عمرو البريهي . وارتخل الى جباراً فأخذ عن عبدالله بن عمر ثم ارتحل الى تهامة فأخذ بها عن ابراهيم ابن علي البجلي صاحب شجينة . وأخذ عن اسماعيل الخلبي ثم عاد الى بلده وولي القضاء بها . وكان ميلاده لخمس مضيف من السنة المذكورة ولمتحقق تاريخ وفاته والله اعلم .

وفي سنة تسع وثمانين توفي الامير صارم الدين داود بن الامام المنصور عبدالله بن حمزة بن سليمان بن حمزة بن علي بن حمزة وكانت وفاته في التاسع من شهر صفر وكان من وجوه الاشراف وصدورهم . وكان شاعراً فصيحاً ومن شعره قصيدة مدح بها الملك المظفر ويسألة خلاص ولده محمد وكان رهنـه في قلعة الدملوـة وهي التي يقول فيها :

واصبر حتى يرعوي ام اجانبه
ابي عمر معطبي الجزيل وواهبه
اذكره الخط الذي هو كاتبه
شفيعك في الذنب الذي انت كاسبه
فيقال ان الخليفة رحمه الله لما قرأ هذا البيت بكى . وقال اخلصه كرامة لجده
صلى الله عليه وسلم . ويقال انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم فمسح على وجهه
وقال لأجازينك يوم القيمة بها .

وفي هذه السنة نزل السلطان الى زبيد بسبب الفرحة التي انشأها لتطهير اولاده
اولاده ونزل بسببها الملك المؤيد من صنعاء ونزل الشريف جمال الدين علي بن عبد الله
والامير نجم الدين موسى بن احمد بن الامام فكان ذلك سبباً لقوة امارة الامير همام
الدين سليمان بن القسم ابن عمه الامير صارم الدين المتوفى الى رحمة الله تعالى فملك
الامير همام الدين حصنو ظفار . وسار الى تلمص بصدرة . فقبضه فلما رجع
مولانا الملك المؤيد الى صنعاء وقد انتقض الصلح بين الامير والسلطان كما ذكرنا
تظاهر الامام بنقض الذمة . ولما نقض الامام الذمة جاءت كتب اهل المشرق بالطاعة
لمولانا السلطان فطلع مولانا الملك بجيشه وعساكره فلم يبق احد من قبائل المشرق
الا وصل ودخل في طاعته رغباً ورهباً . ومنهم من امتنع فقاتل الملك المؤيد المتنعين
وأنحرف ديارهم فدخلوا في طاعته قسراً واستولى الملك المؤيد على كافة المشرق جميعه
فآخر به .

وفي هذه السنة توفي الامير الكبير محمد بن عباس بن عبد الجليل وكان قد نال
مرتبة مع السلطان الملك المظفر وحمل له طلبخانة وجعله من جملة حرفائه . وكان
اميراً كبيراً شهماً فارساً شجاعاً مقداماً لكن غلب عليه العجب فكثر عليه
(التشكي) الى السلطان . ونقل عنه الى السلطان امور لا يحتمل الملوك بعضها
فلزمه وأمر بکحله وكان ذلك في زبيد سنة ثلاث وتسعين وستمائة . فانتقل الى بيت
الفقيه ابن عجبل وسكن هنالك . ولم يزل يتردد بين زبيد وبيت الفقيه الى ان توفي

في شهر رمضان من السنة المذكورة .

وفيها توفي الفقيه الفاضل احمد بن ابي بكر بن احمد الفايسي . وكان مدرساً في الجند تفقه بيحيى بن محمد بن ملح وبغيره وأخذ عن عثمان بن رقيد من اهل زبران وكانت وفاته في السنة المذكورة .

وفيها توفي الفقيه النبيه ابو العتيق ابو بكر بن محمد بن سعيد بن علي الحفصي ثم الازدي فالحفصي نسبة الى القساري ابي عمر وحفص المعروف بالدوري احد من قرأ على الامام ابي عمرو بن العلاء البصري والازدي نسبة الى الازد وهي قبيلة مشهورة من قبائل اليمن وهو المعروف بابن العزاف . وكان فقيهاً محققاً للفقه نقاً له عارفاً به وكان مولده ومنشأه في قرية ذي السفال . وكان تفقه على محمد بن مسعود ودرس في اول امره بذي جبلة في المدرسة الرابية ثم انتقل الى تعز بسؤال من القضاةبني عمران فدرس بالوزيرية واشتفق عليه بنو عمران وسألوه ان يكون مدرساً لابناء حسان ونائباً لهم في الحكم . فاقام على ذلك اياماً . ثم اعتذر عن الحكم فعذر عن الحكم بابن النحو وتفقه به جماعة منهم ابن النحو وابن دريق وابن الصفي وعبد الله الربي وغیرهم . وكانت وفاته يوم عرفة بعد صلاة الصبح من السنة المذكورة . وعمره يومئذ ثمان واربعون سنة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل ابو بكر بن علي بن اسعد . وكان اصله من الصفة عزلة من جبل عنزة والصفة بكسر الصاد المهملة وعنة بفتح العين المهملة والنون المشددة . وهو اسم جبل من جبال اليمن المتسعة . ظهر فيها جماعة من الفقهاء والعباد . وكان مولد الفقيه ابي بكر هذا في العاشر من شوال سنة تسع وثلاثين وستمائة . وتفقه بابي بكر بن العراف وابن البانة واخذ النحو عن المقدسي المقدم ذكرهما . وكانت وفاته ليلة الجمعة الرابع من ذي الحجة من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الصالح موسى بن عمر بن المبارك بن مسعود بن سالم بن سعيد بن عمرو بن علي بن ميسرة الجعفي . وكان فقيهاً صوفياً عارفاً

جديد

سالكاً . اشتغل بالفقه مدة بسهرته على احمد بن جديل ثم ارتحل الى تهامة فتفقه بها على الفقيه اسماعيل الحضرمي . ثم صحب الشيخ محمد بن الفصيح احد اكابر اصحاب الشيخ ابي الغيث فرباه تربية الصوفية حتى صار كاملاً ثم امره بالعود الى بلده . فكان فقيهاً صوفياً وظهرت له كرامات كثيرة وكان يقعد من الطعام السنين انا يشرب بعد العشاء لبناً بعد ان يخلط فيه خبز مسحوق وكان هذا دأبه غالباً دهراً . ويروى انه مرض له ولد فارادت امه ان تعمل له فروجاً فقال ان تعتملي لكل واحد من اولاد الفقراء فروجاً والا فلا تفعلي . وكان يُقال له جنيد اليمن وعلى الجملة فمناقبها كثيرة ثم كان من تأثر عن الجماعة من اصحابه ضرب ومن طلع عليه الفجر وهو نائم ضرب ولم يزل على الطريق من المجاهدة بظاهره وباطنه الى ان توفي في المحرم اول شهور السنة المذكورة رحمة الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الصالح عثمان بن علي بن سعيد بن ساوح وكان فقيهاً صوفياً تفقه ثم تصوّف وصاحب الشيخ مدافع والشيخ علي الرّميّة واشتهرت له كرامات كثيرة مأثورة وحكايات معروفة مشهورة توفي على الطريقة المرضية يوم الاثنين مستهل ذي الحجة من السنة المذكورة رحمة الله تعالى .

وفي سنة تسعين وستمائة سار الملك المؤيد من صنعاء في عساكره الى جبل اللوز فقاتل الامام مطهر بن يحيى هنالك وكان الامام مطهر بن يحيى قد رتب ابن عمه الشريف اسعد بتنعم وفيه حرمه واولاده فقاتلته الملك المؤيد اياماً على الجبل ثم طلعه عليه قهراً في الخامس المحرم اول سنة تسعين وستمائة .

وفي هذه السنة المذكورة اعني سنة تسعين وستمائة توفي الفقيه الامام العلامة قطب اليمن وعلامة الشام واليمن ابو العباس احمد بن موسى بن علي بن عمر بن عجبل . وكان مولده في شهر رمضان المعظم احد شهور سنة ثمان وستمائة وكان اماماً من ائمة المسلمين عالماً عاملاً صالحًا ورعاً زاهداً لم يكن في الفقهاء المتأخرین من هو ادق منه نظراً في الفقه ولا اعرف به منه غواصاً على دقائق الفقه موضحاً لغواضيه معدوداً تاج العلماء وختام اهل الحقائق اجمع على تفضيله المخالف والمؤلف ولم يتعدد

في صلاحه وفقهه جاهل ولا عارف تفقهه بعنه ابراهيم بن علي وبه تفقهه جمع كثير من نواح شتى . وكان مبارك التدريس دقيق النظر فيه والى ذلك اشار الامام ابو الحسن علي بن احمد الاصبهي صاحب المين حين سئل عن شيء من معانى كلامه على بعض مشكلات المذهب فاجاب عن ذلك وبيته ثم اثنى على الفقيه وقال ما مثلنا ومثل هذا الامام الا كما قال ابو حامد الاسفارائي في حق ابن سريج نحن نجري مع ابي العباس في ظواهر الفقه دون دقائقه . وكان صاحب كرامات مشهورة ومآثر مذكورة يظهر منها ما يظهر عن كره منه .

قال الجندي اخبرني والذي عن بعض ثقات اصحاب الفقيه انه قال حضرنا يوماً جماعة عند الفقيه فتذكروا كرامات الصالحين وربما عنيناه على انك لم تظهر شيئاً من ذلك وضربنا له مثلاً باهل عواجه وبالفقيه اسماعيل الحضرمي ومن ماثلهم فقال لكل ولی كراماتاما فلان وما ظهر من كراماته فهو نقص من الاناء واحب ان القى الله تعالى باناء ملآن . وكانت الملوك تصله وتزوره وتعظم قدره وتقبل شفاعته ويريدون مسامحته بما يجب عليه من الخراج السلطاني فلا يقبل ذلك ويقول احب ان اكون من جملة الرعية الدفاعة . وكان كثير الحج الى مكة المشرفة واذا حجج معه خلق كثير من اهل اليمن تبركاً به وانساً فلا يكاد يتعرض لهم احد من العرب بسوء وان تعرض احد له لم يفلح فكانت القافلة التي تسير الى مكة في البر في عصره وبعد عصره بدهر طویل انا يقال لها قافلة ابن عجیل سواء سار معها او سار معها غيره من الفقهاء وهذا من اعجب الاشياء وما اشبه هذا بقول الاول :

قد مات قوم وما ماتت مكارهم وعاش قوم وهـم في الناس اموات
وكان متى دخل مكة اشتغل الناس بالسلام عليه عن كل شيء ومتى صار في المطاف او في الحرم ترك الناس اشغالهم وأقبلوا على مصافحته وتقبيل يده تبركاً فيقول انت في بيت الله و محل بركته ورحمته واما أنا واحد منكم مخلوق مثلكم فلا يزدادون بذلك الا اقبالاً عليه .

قال الجندي وحكى بعض الثقات انه سمع رجلاً من اهل مكة من اهل الدين

والعلم والصلاح يقول لي كذا وكذا سنة ذكر مدة طويلة قلًّ من يعيشها . وفي كل سنة يدخل مكة من العلماء جمٌع كثير ففيهم من يجاور ويقيم وفيهم من يذهب إلى بلده فيما رأيت أحداً فيهم الا نور الكعبة وعظمتها يزيد عليه الا ما كان من ابن عجيل فإنه متى دخل الحرم زاد نوره وعظمته على نور الكعبة بحيث لا يبقى للناس تعلق بغيره : ثم كان متى قدم المدينة فعل الناس معه كذلك فيقول لهم انقوا الله هذا نبيكم وهؤلاء صحابته وإنما أنا رجل منكم فلا يزداد الناس إلا اقبالاً عليه . وكان إذا ضجر من الناس بمكة والمدينة يغيب عنهم لقضاء مأربه من قراءة او ذكر او صلاة وهذا غالب شغله . وكان اماماً في الفقه والأصولين والنحو واللغة والحديث والفرائض وهو احسن من ضبط الفنون وقررت بمذكرة العيون قال الجندي وخبرني الثقة من فقهاء عصره انه قال ارتحلت من بيدي إلى الفقيه ازوره و كنت قد اعددت مسائل فقهية واصولية وكلامية . فلما وصلت إلى الفقيه وسلمت عليه واطمأن بي المجلس أقبلت أسأله عن الفقهية وهو يجيبني ثم عن الاصولية وهو ايضاً يجيبني ثم عن الكلامية فقال امهلنني فاضمرت في نفسي قصوره عن ذلك . ثم لما انقض المجلس وكان حافلاً دخل الفقيه منزله ثم استدعي بي إليه وقال ان العقول لا تقاد تحمل جواب ما سألت عنه وربما حصل بيننا مراجعة واعتراضات تشوش على بعض السامعين لكن هات السؤال الاول فاورنته فجاوب عليه جواباً شافياً ثم اوردت بقية الاسئلة فجاوب عليها كذلك فحمدت الله تعالى على ذلك وعظم عندي . ولم يكدر احد من فقهاء عصره الا افتقر الى فقهه ومعرفته ولم يسمع انه افتقر الى معرفة احد منهم في جواب ولا سؤال . ولم يزل على ما ذكرنا من التدريس ومجاهدة النفس الى ان توفي يوم الثلاثاء بين صلاتي الظهر والعصر لخمس بقين من شهر ربيع الاول من السنة المذكورة .

وكان الملك الواثق ابراهيم بن الملك المظفر يومئذ في مدینته فشال وكانت يومئذ إقطاعه من أبيه وهو على نصف مرحلة من بيت الفقيه تقريراً فلما علم بوفاة

الفقيه ركب في خاصته وحضر غسل الفقيه وكان من جملة الغاسلين ثم لما حمل الى تربته كان من جملة الحاملين وتولى انزاله في قبره مع من تولى ذلك فغبطه على ذلك كثير من اعيان زمانه . وكان للفقيه عدة اولاد منهم اسماعيل كان فقيهاً مرضيًّا توفى سنة سبع عشرة وسبعمائة . وموسى كان فقيهاً حيراً ديناً تفقه بابيه وتوفي في السادس شعبان سنة عشرين وسبعمائة . وابراهيم كان فقيهاً ديناً ورعاً يحب الاعتزال قلً من يجتمع به من الوacialين اليه تفقه بابيه وأخذ النحو عن الفقه عمر بن الشيخ من اهل شريح المهجوم توفي سنة سبع وعشرين وسبعمائة رحمة الله عليهم اجمعين .

وفيها توفى الفقيه ابو اسحاق ابراهيم بن عيسى بن علي بن محمد بن مُفلت وكان فقيهاً بارعاً عارفاً بالفروع والاصول تفقه بابيه ثم بفقهاء المصنعة ثم بالفقيه عمر بن مسعود الابيني بدبي هزيم . ثم بأحد الوزيرين وربما قيل بهما . وكان فقيهاً كبيراً وهو آخر من يعدُّ فقيهاً من بنى مفلت . قاله الجندي وكانت الجندي مورد العلماء ومستقر الملوك وهي مسكنه فكان يأخذ عن كل من ورد اليه من العلماء فاكتسب علوماً جمةً . وكان معظمها عند اهل الدولة والبلد وكرهه بني عمران لانه لم يكن يخضع لهم ولا يلتفت اليهم فكانوا يذكرون للسلطان عنه اموراً قبيحة وهو متزه عنها وانما كان غرضهم بذلك اسقاطه عند السلطان فوق كلامهم في اذن السلطان الملك المظفر . وكان قد استفاض بين الناس صلاحه وعلمه فقعد السلطان يوماً في مجلس حافل باعيان دولته ولم يكن الوزير فيهم فتذاكروا الجندي ومن فيها من العلماء ذكر وا هذا ابراهيم بن عيسى فقال السلطان انه يذكر لنا عنه اشياء لا تليق ذكر بعض الحاضرين للسلطان وحقق له انه ليس في الجندي أحد أفقه منه ولا اصلاح وانما له اعداء يكرهونه ويحسدونه ويكتذبون عليه كراهة له ان يتصل بكم . فوقع ذلك في قلب السلطان ثم امر ولده الاشرف ان يستدعيه ويقرأ عليه فعل ذلك فلما حضر وجده فقيهاً كاملاً ورجالاً مباركاً فلازمه على ان يكون له وزيراً فلم يفعل فجعل له انتقاداً جيداً في كل سنة . وتفقه به جماعة منهم ابو بكر بن فليح وابو بكر بن المغربي ويوسف بن يعقوب الجندي والد المؤرخ . وأخذ عنه ابو الحسن علي بن

احمد الاصحابي وجمع كثير . وكان لبسه القطن وتوفي في الجنَّة في عشرة شهر ربيع الاول من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي ابو عبد الله محمد بن الحسين بن ابى السعوْد بن الحسن بن مسلم ابن علی همدانی . وكان مولده لليلتين خلتا من ذي الحجۃ من سنة اثنتين وخمسين وستمائة و كان صاحب قراءات وسمومات وغلبت عليه العبادة وكان من اکثر الناس تلاوة للقرآن مع الزهد والورع الى ان توفي على ذلك ليلة الاثنين الخامس بقين من شهر ربيع الاول من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الصالح عبد الرحمن بن سعد بن علي بن ابراهيم بن أسعد ابن احمد يجمعه والفقیه عمر بن سعید العقیبی أسعد بن احمد . وكان مولده سنة ست وثلاثیر وستمائة تفقه بعمره سعید ولزم مجلسه بعده وعکف عليه اصحابه . وكان كثير الحج والزيارة وهو اول من ادخل العزیز شرح الوجیز الى الخیال ومنه اخذ الشیخ ابو الحسن الاصحابی عن ابیه وصحح به معینه . وتفقه به جماعة من اهل عصره . وكانت وفاته يوم الاحد لحادی عشرة ليلة خلت من المحرم اول شهور السنة المذكورة . وعمره يومئذ ثلث وخمسون سنة قاله الجندي . والله اعلم .

وفيها توفي الفقيه البارع ابو العباس احمد بن الحسن بن احمد بن محمد بن يوسف ابن ابی الخل . وكان مولده ليلة الاربعاء السادس عشر من شوال سنة ثمان واربعين وستمائة . وتفقه بعمره صالح وتزوج ابنته وغالب تفقهه بالامام اسماعيل بن محمد الحضرمي . وكان فقيه عصره فقيهاً محاججاً غواصاً على دقائق الفقه عارفاً باخبار المتقدمين صاحب فنون متعدة . ولما تحقق الملك المظفر كماله ونبله وفضله وعلمه وانه يصلح لقضاء الاقضية استدعاه الى تعز فلما وصل تعز استدعاه السلطان الى مقامه واستحضره فرأى رجلاً كاماً فسأله ان يلي قضاء الاقضية بتهمة فاعتذر وسائل من السلطان الاذن في العود الى بلاده فاذن له فسافر من فوره . وكان قد اعترضه ألم فلم يصل حیس الا وقد اشفي فتوفي بها وقبر في مقبرة حیس الشرقية على

يin الخارج من حيس الى قرية السلام . وكانت وفاته يوم الاربعاء السادس من
شوال من السنة المذكورة رحمه الله تعالى ويقال انه مات مسموماً والله اعلم .

وفيها توفي الشيخ ابو الحسن علي بن عمر المعروف بالأهل . وكان كبير
القدر شهير الذكر يقال ان جده محمد قدم من العراق الى اليمن على قدم التصوف
وهو شريف حسيني فسكن اجواف السوداء من وادي السهام واولاد هنالك . وكان
ابن عمه هذا علي بن عمر بن محمد على طريقة مرضية واحتل了一من أخذ عنه اليد
فقيل انه مجدوب . وقيل بل صاحب رجلاً سائحاً من اصحاب الشيخ عبد القادر
الجياني يقال له محمد بن سنان الاحوزي وقيل بل رأى أبي بكر الصديق فصافحه
وأخذ عنه يد التصوف . وقيل صاحب الخضر عليه السلام .

قال الجندي وسمعت بعض اصحابه وذرته يقولون كان الشيخ يميل الى
تبجيل الاحوزي . ولما توفي على قدم السياحة اذ لم يزل ذلك دأبه خرج الشيخ علي
ابن عمر الى اصحابه فنعاهم وامرهم بالاجتاء للصلوة عليه فاجتمعوا وصلوا
عليه . وكان الشيخ صاحب تربية وكرامات واحواله اكثر من ان تخسر . وكانت
وفاته في اثناء السنة المذكورة تقريراً والله اعلم .

وفيها توفي الفقيه الصالح ابو القبائل عبد الرحمن بن الحسن بن علي بن عمر
بن محمد بن علي ابن ابي القسم الحميري . وكان من الرجال المعدودين في اهل الفقه
والدين وكان تفقه بآبيه ثم بالفقهي اسماعيل الحضرمي والقاضي عباس صاحب جبلة
ثم رتب معيناً في المظفرية ثم انفصل الى مدرسة ذي هزيم ثم الى التاجية . ثم لزم
بيته بمغربة تعز وحصل عليه في آخر عمره مرض شديد وتطاولت عليه ايام المرض
فاراد الطموع الى صنعاء لاعتداه هوائها فاكتفى من رجل غريب وسافر معه فلما
انفرد به في الطريق قتله وأخذ ما معه . وكان قتله في السنة المذكورة تقريراً والله
اعلم .

وفي سنة احدى وتسعين أخذ الملك المؤيد جبال اللوز فطلعها في خامس
المحرم كما ذكرنا . وقتل طائفه من عسكر الامام وخرج الامام هارباً في طريق متوعرة

وشعوب لم تسلك قبل ذلك فخرج على بلادبني وهاس ثم على الظاهر الى ان سار الى دروان . وعاد الملك المؤيد من جبال اللوز الى صنعاء ظافراً مسروراً فاقام فيها بقية عامه ذلك .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الامام الفاضل ابو عبدالله محمد بن ابي بكر بن محمد بن منصور الاصبعي . وكان فقيهاً كبيراً عالماً عارفاً محققًا مدققاً موفقاً في الجواب مبارك التدريس تفقه به جمع كثير من نواحٍ شتى وله عدة مصنفات منها المصباح ختصر في الفقه . والفتوح في غرائب الشروح والايصال في مذكرة التنبية . والوسائل . والترجيح . وفضائل الاعمال . والاشراف في تصحيح الخلاف . وكان الناس قد عكفوا عليه حتى ظهر كتاب المعين تصنيف تلميذه ابي الحسن علي بن احمد الاصبعي . فاشتغل الطلبة وغيرهم بالنظر فيه عن غيره . وكان هذا الفقيه رجلاً عابداً زاهداً متورعاً كثير التلاوة للقرآن . وكان راتبه كل يوم من الاسبوع سبعاً من القرآن . وفي شهر رمضان ستين ختمة يقرأ في كل يوم ختمة وفي كل ليلة ختمة فلما جاء شهر رمضان الذي توفي عقيبه ختم خمساً وسبعين ختمة وكان شديد الورع من صغره لا يأكل الا ما تحقق حله . ولقد أقام في صنعة سير فوق عشرين سنة لا يأكل لهم طعاماً اثنا يأكل من كيلته من وقف وقفه القاضي ابو بكر بن احمد على من يدرس في جامع المصنعة وكان كثير العبادة وزيارة الصالحين والمساجد المباركة . ومن تفقه به الامام ابو الحسن علي بن احمد الاصبعي والفقية عبد الوهاب بن الفقيه ابي بكر بن ناصر وعبد الله بن سلم وابو بكر بن الليث ومحمد ابن ابي بكر و محمد بن عبدالله بن اسعد العمرانيان وغيرهم . وكانت حلقته تجتمع اكثر من مائة فقيه في غالب الاوقات وربما بلغوا اكثر من مائتين في كثير من الاوقات ثم ضاقت به المصنعة فانتقل عنها الى مدينة إب فتلقاء اهلها بالاجلال والاكرام واحتملوا من جاء معه من الطلبة وقاموا بكفاية الجميع ما داموا منقطعين . وتوفي على احسن حال يوم الجمعة السادس من شوال من السنة المذكورة رحمه الله . وعمره يومئذ تسع وخمسون سنة . وقبّر الى جنب قبر الامام سيف السنة ورأه بعض الفقهاء

بعد موته في المنام فقال له ما فعل الله بك . فقال أخذ بيدي ودخلني الجنة . وفيها توفي الفقيه الصالح محمد بن ينال بباء مثناة من تحتها مفتوحة ونون بعدها الف لام . وكان أبوه بليغاً سكن بذي جبلة ثم تأهل بها فظهر له هذا المذكور فنشأ نشوةً حسناً وتفقه باهل جبلة . وكان جيداً حسن الألفة كثير المحفوظات فقيهاً مرضياً درس بالشرفية إلى أن توفي أول السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفي سنة اثنين وتسعين حصلت الوحشة بين الشريف جمال الدين على ابن عبدالله وبين الملك المؤيد فتخوف الشريف جمال الدين من الملك المؤيد فترك الوصول إليه وخرج حرره من صنعاء ليلاً فتمنى ذلك إلى الخليفة فكتب إلى الشريف علي بن عبدالله يسأله عن سبب تخلفه عن الوصول فكتب إليه الشريف جواباً يقول فيه إن ابنك ملك شاب قادر وآخاف منه بادرة واكثر ما تقول أخطأ داود . فعاد جوابه معاذ الله إن يفعل ذلك وأن يفعل أبوه فلم تطب نفس الشريف وبقي على الامتناع ثم تأكدت الوحشة وتظاهر الأمير جمال الدين بالخلاف ومراسلة الإمام . وكان الإمام في حصنه بحجة والامير في حصنه براش في المغرب فاجابه الإمام وطلع إليه بعسكر عظيم وحضر الأمير جمال الدين ومن معه من أهل شتب واهل الظاهر والتقوى بالأمام وقد أدى الجميع منهم الكولة وحطوا عليها أياماً فلم يتصلوا بشيء منها . وبعد ذلك اتفق كافة الأشراف وانتحلوا وهدموا ما بينهم من النجول والقتل واجتمعوا على حرب السلطان فكتب بعض الأشراف إلى الملك المؤيد كتاباً يقول

فيه :

تنح عن الدست الذي انت صدره
وعد عن الملك الذي حزته غصباً
رويدك ان الله قد شاء حربكم
وصيرني الرحمن في ملكه حرباً
مضمورة جرداً مطهمة قبا
سأجلبها شرعاً اليك شوازبا
عليها ليونث من لؤي بن غالب
بهاليل بسامون قد مارسوا الحربا
غدت واكفات السحب من دونه درباً
فها في جبال اللوز عارًّا سيد

فاجابه الملك المؤيد بكتاب وابيات يقول فيها :

رويدك لا تعجل فما انت بعلها
فان تك ذا عزم فلا تك هارباً
وسائل جبال اللوز عننا وعنكم
فعاملتكم بالصفح إذ هو شميتي
وما انتم تعفون عن واقع ذبنا
ولما اتفقت الكلمة الاشراف واجتمعوا على حرب السلطان جرد عساكره
المنصورة . وطلعت خزانته المعمورة من اليمن فكانت الخيل نحواً من الف فارس
والرجل نحواً من عشرة آلاف راجل وخرج الملك المؤيد في عساكره من صنعاء
وعساكر ابيه التي طلعت من اليمن فطلع الظاهر وحطفي الماجلين فحصل بينه وبين
الامير جمال الدين علي بن عبدالله بن علي بن وهاس خطاب ومراسلات . ثم التقوا
واصطلحوا . وقد عاد الى الملك المؤيد بعد ان حلف له على الوفاء فاقام الملك المؤيد
هناك شهراً . ثم طلع الظاهر واقام في الظاهر الأعلى اياماً ثم نھض الى الظاهر
الاسفل ثم قصدتهم الى ماجل الصعدي فوق هنالك قتال عظيم وولت الخيل
والرجل من عساكر الاشراف حتى صاروا بالاكمة الحمراء فخالق بنو شهاب واهل
حضور وانحازوا من عسكر السلطان الى عسكر الاشراف ورددوا ردة صادقة فقتل
خمسة انفار وعاد الملك المؤيد الى محطة ثم نھض الى الكولة ولم يقف غير ليلة واحدة
ونھض الى البون وطلب منهُ الامير عبدالله بن علي بن وهاس عسكراً يقف معهُ فاعطاهُ
خيلاً ورجلًا ورجع الى صنعاء .

وفي هذه السنة اقطع السلطان الملك المظفر ولده الملك الواثق ابراهيم بن
يوسف ظفار الحبوسي فسافر اليها في البحر من عدن في شهر رمضان ولم يزل بها الى
ان توفي في التاريخ الذي ذكره ان شاء الله تعالى .

وفيها توفي القاضي الأجل ابو محمد عبد الرحمن بن القاضي محمد بن اسعد ابن
محمد بن عبدالله بن سعيد القرى الغنسي المذحجي . وكان مولده في الثامن عشر من
جمادى الآخرى من سنة سبع واربعين وستمائة . وكان ذا عبادة وزهادة واجتهاد في
العلم . وولي قضاء عدن مدة فكاده رجل من التجار يقال له ابن مكاس بان كذب

عليه الى السلطان فحمل السلطان كلامه على الصدق وأمر بعزل القاضي فعزل عن قضاء عدن ولم يفلح التاجر بذلك بل اخرجه الله من عدن واسكه بين الكفار في الهند وصار غلاماً ملكاً منهم الى ان توفي على حالة غير مرضية . ولما انفصل القاضي من عدن كما ذكرنا ورجع الى بلاده من ذي اشرق حسده بعض اهل الوقف فقاده الى القضاة اهل سير فكرهوا وظهر له منهم ذلك فلاذ بالملك الاشرف توقياً لشرهم فجعله والياً واحسن اليه . فلم يزل معه محللاً الى ان توفي في آخر يوم من رمضان من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الصالح ابو الحسن علي بن محمد بن نجاح المعروف بابن ثامة بناء مثلثة مضمومة وميمين مفتوحتين بينهما الف وآخر الاسم هاء تأنيث . وكان مولده سنة سبع وعشرين وستمائة وتفقّه بالفقـيـه اسـمـاعـيلـ بـنـ مـحـمـدـ الحـضـرـمـيـ وـتـزـوـجـ بـابـتـهـ فـوـلـدـتـ لـهـ وـلـدـيـنـ هـاـ اـسـمـاعـيلـ بـنـ عـلـيـ وـمـحـمـدـ بـنـ عـلـيـ واستختلف الفقيه اسـمـاعـيلـ عـلـىـ قـضـاءـ الـقـحـمـةـ فـذـكـرـ عـنـهـ حـسـنـ السـيـرـةـ وـكـمـالـ الـقـضـاءـ ولم يزل حتى جاء خصمان ادعى احدهما على الآخر شيئاً . وكان المدعى عليه قد تقدمت له هدية الى القاضي وصحبه قبل القضاة . وكان مبارك التدريس اثنى عليه بذلك الفقيه جمال الدين محمد بن عبد الله الحضرمي . قال وكان من ابرك المدرسين تدريساً . وكان عظيم الخشية سريع العبرة عند ذكر الله تعالى وكان يسمى البكاء لذلك . وكان من يزار ويتبَرَّك به . وكانت وفاته يوم الخميسسابع عشر ذي الحجة من السنة المذكورة رحمه الله تعالى . وخلف ابنته اسماعيل فكان فقيهاً كريماً الاخلاق . وتوفي في جمادى الاولى من سنة تسع وسبعينه .

وفيها توفي الفقيه الصالح ابو الخطاب عمر بن محمد بن احمد بن مصباح العسني بالنون وكان فقيهاً حسن السيرة كثير الحج يقال انه حج ستاً وثلاثين حجة . وكانت وفاته في السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفي سنة ثلاث وتسعين تجهز الملك المؤيد للحرب والطلع الى ناحية حضور والبلاد الشهابية . فخرج من صنعاء وحط في القبة فوق بيته وبين الامير جمال الدين

علي بن عبدالله مراسلة وخطاب في معنى الصلح على ان الملك المؤيد يرجع الى صنعاء وان اتمام الصلح يكون في ظفار ولم يرد الامير جمال الدين بذلك الا الخديعة لانه كان على غير اهبة للحرب فرجع الملك المؤيد الى صنعاء وتجهز الامير جمال الدين للمسير الى ظفار واستصحب معه مشايخ البلاد واكابرها . وجهز الملك المؤيد وزيره الفقيه شرف الدين احمد بن علي بن الحيد في خمسين فارساً من المهاлиك البحرية ومئتي رجلاً وما يحتاج اليه من الحام والمطابخ والآلة وجماعة من الجاندارية والبردارية فخرج من صنعاء وحط تحت ظفار في ورور ثم طلع الى ظفار في جماعة من الجند وجماعة من الرجال وتحدثوا في امر الصلح واوجدوا الوزير ان الاشياء تامة وما مرادهم الا اصلاح امرهم واستلحاق من تأخر عنهم من اصحابهم مثل الامير موسى ابن احمد بن الامام والامير جمال الدين عبدالله بن علي بن وهاس فكتابوهما واستولهما فخالفا على السلطان ايضاً ودخلوا ظفار موكبين فاتفقوا جميعاً وتحالف الكل منهم للامير همام الدين سليمان بن القسم . فلما اتفقت كلمتهم اجتمعوا بالفقيه شرف الدين وقد كتبوا كتاباً بسبب الصلح . وتشربوا فيه اشياء لم تجر بها عادة وقالوا نحن لا نصالح الا على ما قد ضمناه هذا الكتاب فأرسل به الى مخدومك . فصدره الوزير الى الملك المؤيد فلما وقف على مضمونه ارسله الى والده الخليفة فلما قرأه الخليفة استنكره ولم يكن له جواب الا خروج الامر العالى الى ولده الملك المؤيد يأمره بالخروج في عساكره الى البلاد الشهابية والحضورية وتجهز الامير بدر الدين حسن ابن بهرام والفاله بن حاتم الى ناحية صعدة فخرج الملك المؤيد الى البلاد الشهابية فاخرب منها عدة مواقع ثم نهض الى ناحية حضور فاخرب فيها مواقع ايضاً في حazoleة الجبل ووصل الامير تاج الدين محمد بن احمد بن يحيى بن حمزة بعسكر جرار نحو من الفي راجل مادة للامير جمال الدين علي بن عبدالله وخرج الامير همام الدين سليمان بن القسم من ظفار فحط في موضع يسمى قسطنط من بلاد ابن وهاس قريب من الرحمة . فكان الملك المؤيد يحاربها تارة في رهقه وتارة في جبل حضور . وصبح بيت شعيب فاخذه قهراً بالسيف وقتله اهله ثم عاد الى بلد ابن وهاس فأخذ قريةبني

القديم واخرب البلاد وعاد الى صنعاء في شعبان من السنة المذكورة . فوقع عقد ذمة في باب السلطان بالصلح بينه وبين الاشراف . وأما جريدة صعدة فكان في مقابلتهم الامير نجم الدين موسى بن احمد بن الامام في نحو من ثلاثة فارس ما خلا الرجل فوقعت بينهم حروب حصل القتل في الفريقين ثم حصلت ذمة ثلاثة اشهر ثم نزل الملك المؤيد الى ابواب السلطانية ونزلت رسائل الاشراف ل تمام الصلح وخرج الامير علي بن عبدالله الى ناحية المشرق فابتلى مصنعة تنعم واجابه اهل المشرق قاطبة واتصل بالامير سليمان بن محمد بن سليمان بن موسى وكان في ناحية ذمار وركن الناس العلية بسبب الصلح فتقدم الى صنعاء فكان دخوله صناعة يوم الاثنين العاشر من ذي القعدة من السنة المذكورة . فوصل اليه اهل المشرق قاطبة وكافة اهل حضور والامراء الشهابيون وجاء بنو الراعي ارسالاً ثم خرج الامير علي بن عبدالله من ظفار الى ردمان فخرج امر مولانا السلطان الملك الاشرف على الامير بدر الدين محمد بن حاتم بالمضي الى ردمان والمسير مع علي بن عبدالله الى صنعاء . وقد كان الامير تاج الدين محمد بن احمد بن يحيى بن حمزة وصل الى الشريف علي بن عبدالله وأقام عنده في ردمان فنزلتا معاً صحبة الامير بدر الدين محمد بن حاتم الى الملك الاشرف بصنعاء . فلما وصلوا القلعة لقيهم الامير صلاح الدين ابو بكر بن الملك الاشرف مؤنساً لهم ومشرقاً . فلما صاروا قريباً من المدينة لقيهم الملك الاشرف بنفسه في عساكرة وجنوده فسلموا عليه ودخل الجميع منهم تحت رکابه حتى وصلوا القصر السعيد فاكرمههم وقابلهم بالقبول ولم يبق احد من شهر نفسه بالخلاف الا وصل اليه رغبة ورهبة . وقال في ذلك اخو كندة يحد الاشرف في قصيدة اوها :

رغبة ورهبة . وقال في ذلك اخو كندة يدح الاشرف في قصيدة اوها :
هو في انتقادالبيض طب صير فتح عنہ فربما لا يعرف
في ثغرها برد يرف وقرف
يخبرك فهو المستههام المدنس
اجفانه كيف الدامع تذرف
يرتاح من كل الملاح الى التي
واسأله عما شئت من ألم المهوی
ما فارق العلمين حتى علمًا

الا وعنَّ له هوى متصرفُ
 وسمت فكان له اليفاع المشرفُ
 عمر وشرفها الملك الاشرفُ
 اضحت بطيب ثنائه تتعرَّفُ
 فيها لدِيه مخطبٌ ومعرَّفُ
 فتح وسحب الجحود جودٌ وكَفُ
 والخيل تعدو والركائب توجفُ
 راياتهُ بدمِ الفوارس ترَعُفُ
 وأماننا من كل ما يتخوفُ
 بلباسه الملك المظفر يوسفُ
 ما كان حتى كلفوا ما كلفوا
 فلديه ملكٌ بالرضا متغطِّفُ
 بعقاب يوم ليس فيه منصفُ
 عين الحياة فمن احب فيعرفُ
 هذا الجحود السيد المتغطرف
 من حوله يتخطف المتخطفُ
 في الصيت إلا آخر متخلَّفُ
 الا بسيرة عدلِه تتَّلَفُ
 للخلق عند ندائِه متوقفُ
 عنه وعن غشيانِه متصرِّفُ
 يضي وينجز ما يقول ويسعفُ
 وعرَّ لن عاداه حلفٌ متلفُ
 فهو النسيم يهبُ فيه الحرجُ

قال صاحب العقد ثم اقبل الملك الاشرف على حديث الصلح فيما بينه وبين

ابداً ولاعنت بعسفان المها
 ولطالما سارت غرائب نظمِه
 مدح اذا رُويت اشاد بذكرها
 عقل به وسمت ومن تنكيرها
 وبضاعة حلبت فشتى ريحها
 ملك بيمن قدومه باب الرجا
 قرم تشدَّر فالوغَا مشبوبة
 ومعود للنصر مشهورٌ به
 وافا ولي العهد جاد عهادنا
 بُرد تقمصه المهد خصه
 قل للاولى زعموا بان عنادهم
 ليعد الى المحبوب كل مكفرٍ
 او فليشق ان لحَ في طغيانِه
 هذا ملاذ الخائفين وهذه
 هذا ابن سيد يعربِ و مليكها
 حرم الخلافة ما عداه فخائفُ
 سن الوفاء فما السموأل قبله
 وتآلفت فيه قلوبٌ لم تكن
 ودعا مناديه الانام فلم يكن
 يغشون بباب متوجِ ما ان هم
 ويروعهم خلف الحجاب مملُك
 سهل لمن والاه عدلٌ منصفٌ
 عمَت مراحمهُ وعمَ عقابهُ

الاشراف كافة على يد الامير جمال الدين علي بن عبدالله وتمت الامور وصاحت الصوائح واطل عيد النحر والخلق كلهم على بابه من الشرق والغرب والغز فخرج الى الميدان في عساكره المحسودة . ثم انقلب الى المصلى على افحىم حال وأعلى شأن ووقف في صنعاء في الحجة والمحرم .

وفي سنة اربع وتسعين تجهز الملك الاشرف للنزول الى اليمن فكان خروجه من صنعاء يوم الجمعة الثاني عشر من صفر من السنة المذكورة . فلما وصل الى تعز واستقر بها اختصه والده بالملك العظيم ومكنته أزمة الامر القوي وخرج التقليد الكريم . بمشهد من الملوك العظام والحجاج الكرماء . ناطقاً بفصل الخطاب . وانارة التحقيق والصواب . بما يربى على الروض غب السحاب . ويزري بفرید الدر في عنق الكعب . قائلاً بعد الحمد والشاء . والصلوة على رسول الله صلى الله عليه وسلم والدعاء .

أما بعد فقد ملكنا عليكم من لا نؤثر فيه والله داعي التقرب . على باعث التجريب . ولا عاجل التخصيص على آجل التمحيق . ولا ملزمة الهوى والإپثار . على مداومة البلوى والاختبار . وهو سليلنا الخطير . وشهابنا المنير . وذخيرتنا الذي وقف على المراد . ونصيرنا الذي نرجو به صلاح البلاد والعباد . ونؤمل فيه من الله الفوز والنجاة في المعاد . وقد رسمنا له من وجوه الذب والحماية . ومعالم الرفق والرعاية . ما قد التزم بوفاء عهده . والمسئول في اعانته من لا عون الا من عنده . ولن يعرفكم من حميد خصاله . وسديد فعاله . الا بما قد بدا للعيان . وزكا مع الامتحان . وفشا من قبلكم في كل لسان .

وشهدتم به وشاهدتموه وحدتم عقباه في كل امرٍ من حناديس ظلمة شملتكم كان في كشفها لكم ضوء فجرٍ سيفه محمدٌ عليكم ومسلو ل على كل من رماكم بنكر لم يزل منذ حلٍّ من جيده الطو ق حليفًا لكل حمد وشكراً

همه ما ترون من شيد ملک عَدْمِيْنَ يَبْنِيْهِ^(١) أو سد ثغر
وقد حددنا له ان يكون بكم رؤوفاً رحيمأ . جواداً كريماً . ما اطعمته على
المراد . مطاوعة الانقياد . فاما من شق العصا . وخرج عن الطاعة وعصى فهو
يقص منه ولو مت اليه بالرحم الدنيا فكونوا له خير رعية بالسمع والطاعة في كل
حال ، يكن لكم بالبر خير ملك ووال ، فانضاف الامر والنهي والحل والعقد ،
والبسط والقبض ، في البر والبحر ، والاقاليم والسواحل والامصار . والمحصون
والثغور وتدبير الحرب والسلم ، وتجهيز العساكر والجنود الى السلطان الملك
الاشرف ولم يفزع الى ابيه الا في جلائل الامور ، من غير وهن منه ولا عجز ولا
خور . وكان ذلك في جمادي الاولى من سنة اربع وتسعين وستمائة المذكورة .

ولما تولى امور المملكة كما ذكرنا سكن حصن تعز وسكن الخليفة ثعبات .
وحينئذ توجه الملك المؤيد رحمه الله نحو الشحر وحضر موته ونفسه غير طيبة لما خصص
به اخوه الملك الاشرف من المملكة دونه وكانت معه عمته الملكة الشمسية وكانت تحبه
حبّاً كثيراً . ثم توفي السلطان الملك المظفر شمس الدين يوسف بن عمر بن علي بن
رسول . وكانت وفاته يوم الثلاثاء الثالث عشر من شهر رمضان من السنة المذكورة
سنة اربع وتسعين وستمائة . وهو يومئذ على ما قيل ابن اربع وسبعين سنة وعشرة
أشهر وأحد عشر يوماً وعشرين ساعات . وكان ملكه ستاً وأربعين سنة وهو الذي عنده
امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام بقوله في ملحمة تخص اهل اليمن : « ثم
يملك الملك المظفر في سوسمهم ثلاثة وسبعين عاماً » .

وكان الخليفة ملكاً كريماً جواداً حليماً بذلاً للأموال خاصة في الحروب وأعطي
من السياسة وتدبير الملك ما لم يعط غيره من الملوك . ولما توفي قال الامام مطهر بن
يحيى حين أتاه : مات التبع الاكبر . مات معاوية الزمان . مات من كانت أقلامه
تكسر سيفونا ورماحتنا .

قال المصنف رحمه الله وكان للمظفر رحمه الله من الآثار الحسنة ما هو مشاهد

(١) العدمي الضخم القديم .

إلى الآن . فمن ذلك المدرسة التي انشأها في مغربة تعز المعروفة بالملظفرية جعل فيها مدرساً ومُعِيداً وعشرة من الطلبة ورتب فيها إماماً ومؤذناً ومعلماً وعشرة أيتام يتعلمون القرآن وفيماً ووقف عليها ما يقوم بكفاية الجميع . وابتني مسجداً في مغربة تعز يعرف في وقتنا هذا بالمسجد الجديد ورتب فيه إماماً وخطيباً ومؤذنين وقيمين ووقف عليه ما يقوم بكفايتهم الجميع . وله دار الضيف بذوي عدينة أيضاً . وابتني الخانقة التي في مدينة حيس ورتب فيها إماماً ومؤذناً وفيماً ومعلماً وأيتاماً يتعلمون القرآن . وجعل طعاماً للواردين في كل يوم مدةً من الحب بمدةً أهل اليمن يزيد على حمل الجمل الصخم الشديد خارجاً عن اللحم والتمر . ووقف^(١) ويقال ان وقف الخانقة المذكورة التي في مدينة حيس في كل سنة^(١) من الطعام . ومن مأثره الجامع الملظفري الذي في مدينة المهجم رتب فيه مدرساً ودرسة وإماماً وخطيباً ومؤذناً وفيماً ومعلماً وأيتاماً ووقف عليهم وقفًا جيداً يقوم بكفايتهم . ومن مأثره أيضاً الجامع في واسط المحالب ورتب فيه إماماً وخطيباً ومؤذناً ومعلماً وأيتاماً ووقف عليهم ما يقوم بكفايتهم . وابتني مدرسة في ظفار الحبوسي وأوقف عليها ما يقوم بكفاية المرتدين فيها . وابتني خادمه بدر الملظفري في مدينة زبيد مدرسة للفقه على مذهب الامام الشافعي رضي الله عنهُ ومدرسة لاصحاب الحديث ومدرسة لقراء القرآن الكريم بالقراءات السبع ودار مضيف ورتب في مدرسة الفقه ومدرسة القراء ودار المضيف في كل موضع إماماً ومؤذناً وفيماً ووقف على الجميع ما يقوم بكفايتهم .

وكانت دولة الخليفة رحمة الله تعالى أقرب إلى العدل والرأفة وكان يجالس العلماء والصالحين . وكان رحمة الله مشغلاً بالعلم أخذ من كل فن بنصيب قرأ الفقه على الفقيه محمد بن اسماعيل الحضرمي وغيره والحديث على الفقيه محمد بن ابراهيم الفشلي وعلى الفقيه محب الدين احمد بن عبدالله الطبراني وقرأ النحو واللغة على الشيخ ابن يحيى ابراهيم العنك وقرأ المنطق على الفقيه احمد بن عبد الحميد السردي وجمع اربعين حديثاً من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين في الترغيب

(١) ما هنا ممحو في الاصل في المسجد . وخارجًا أيضًا عن نفقات المرتدين بها .

وعشرين في الترهيب . وحدثني الفقيه جمال الدين محمد بن عبدالله الربي وسمعته غير مرّة يقول : طالعت امهات كتب الحديث من كتب مولانا الخليفة المرحوم فوجدتها كلها مضبوطة بخط يده حتى ان من رآها يقول لم يكن له شغل طول عمره مع كثرة اشتغاله بالعلم في فنون شتى واشغاله بأمور المملكة . وقال معلمه الفقيه محمد بن الحضرمي : كان مولانا الملك المظفر يكتب كل يوم آية من كتاب الله تعالى وتفسيرها فيحفظها ويحفظ تفسيرها على ظهر قلبه غيّراً . وكان له في علم الطب يد طولى . ولما افتتح مدينة ظفار الحبوسي ذكر في كتابه الى الملك الظاهر بيبرس صاحب مصر أنه يحتاج الى طبيب لمدينة ظفار لأنها وبئرة . وقال : ولا يظن المقام العالى انا نريد الطبيب لانفسنا فانا نعرف بحمد الله من الطب ما لا يعرفه غيرنا وقد اشتغلنا فيه من أيام الشبيبة اشتغالاً كثيراً ولدنا عمر الاشرف من العلماء بالطب وله كتاب الجامع ليس لاحد مثله . وكان المظفر رحمة الله متضلعأ من العلوم . وينبئ بذلك ما رأيت بخطه في جزء من تفسير فخر الدين الرازي ما نصه : نقول طالعت هذا التفسير من أوله إلى آخره ومطالعة محققة ورأيت فيه نقاصاناً كثيراً وجاءني من الديار المصرية أربع نسخ من قاضي القضاة تاج الدين بن بنت الأعز فرأيت فيها النقاصان على حاله فلم اقنع بذلك بل اعتقدت انه من الناسخ فارسلت رسولاً قاصداً إلى خراسان إلى مدينة هراة فجاءني بنسخة المصنف وقد قرأت عليه فرأيت فيها النقاصان على حاله وتبيضاً كثيراً فانظر إلى هذه الهمة العالية في تحقيق العلوم والاجتهاد فيها ومطالعة هذا التفسير الجامع للعلوم . وكان محباً للرعاية ومحسناً إليهم لا يكلفهم فوق ما يطيقونه . وإذا شكا أهل جهة من عامل من العمال أو كاتب من الكتاب عزله عنهم ولا يعيده إلى تلك الجهة أبداً خوفاً من غاثته عليهم . وكان إذا زادت جهة في الخراج على المعتمد او نقصت عن الخراج المعتمد سألاً عن سبب الزيادة والنقصان فان كانت الزيادة من بدعة أبدعها العامل أو النقاصان لخراب في الجهة أدب العامل أدباً بليغاً وصادراً وترك استعماله البة . وكان يأمر الولاة والمقطعين بالعدل في الرعاية وتبجيل العلماء .

ويروى انه كان له خمساً ئة فارس في مصر يجاهد الافرنج ويحمل جوانتكها من اليمن مع ما كان يحمله اليهم من أصناف الهدايا والتحف .

ويروى أن ملك الصين حرم على المسلمين في بلده الختان فتبعوا من ذلك وضاقوا فكتب اليه السلطان الملك المظفر رحمة الله كتاباً يشفع اليه في الإذن لهم وأرسل اليه بهدية سنية توافق مراده فقبل شفاعته وأذن لهم في ذلك . وظهر له من الولد سبعة عشر ذكرأً مات أكثرهم في سن الطفولة وعاش منهم بعد وفاته خمسة رجال وهم : عمر الأشرف . وداود المؤيد . وابراهيم الواثق . وحسن المسعود . وأبو المنصور . وكلهم ولـي ملـكاً وخطـب له عـلـى المناـبر وضرـبت السـكـة عـلـى اسمـه إـلا المسـعـود فـانـه لم يتـصل بـشيـء مـن ذـلـك . وـكان وزـيرـه القـاضـي بهـاء الدـين محمدـ بن أـسـعـد العـمـرـانـي . وـمـدـحـه عـدـة مـن الشـعـراء الفـصـحـاء المشـهـورـين مـنـهـم الشـاعـر المشـهـور محمدـ بن حـمـير وـكان أـوـحد عـصـرـه أـدـرك صـدـراً مـن دـولـتـه وـلـه فـيـه غـرـرـ المـدائـحـ في أيامـ اـمـارـتـه وـأـيـامـ خـلـافـتـه . وـهـوـ القـائـلـ يـهـنـئـهـ فـيـ أـيـامـ اـمـارـتـه وـقـدـ أـقـطـعـهـ وـالـدـهـ رـمـعـ وـظـهـرـ لهـ يـوـمـئـذـ وـلـهـ الـمـلـكـ الـاـشـرـفـ فـقـالـ يـهـنـئـهـ :

هـنـيـتـ بـالـوـلـدـ الـمـيـمـونـ وـالـبـلـدـ
فـيـ غـرـةـ الـبـلـدـ فـيـ عـمـرـ الشـوـامـخـ فـيـ
سـعـادـةـ الـمـشـتـرـيـ فـيـ جـهـةـ الـاـسـدـ
وـقـلـ وـقـلـ وـبـحـمـدـ الـوـاحـدـ الـصـمدـ
أـعـيـدـهـ بـعـدـ اـسـمـاءـ الـإـلـهـ بـقـلـ
مـنـ الـعـيـونـ وـمـنـ رـيـبـ الـمـنـوـنـ وـمـنـ نـفـاثـةـ الـعـقـدـ
وـمـنـهـمـ الـقـاسـمـ بـنـ هـتـمـيلـ شـاعـرـ الـمـخـلـافـ السـلـيـانـيـ رـحـمـهـ اللهـ . وـكـانـ فـصـيـحاـ
حـسـنـ الـشـعـرـ مـدـاحـاـ وـلـهـ فـيـ الـسـلـطـانـ الـمـلـكـ الـمـظـفـرـ رـحـمـةـ اللهـ عـلـيـهـ عـدـةـ قـصـائـدـ مـنـ
الـمـشـهـورـاتـ مـنـ ذـلـكـ قـوـلـهـ :

اعـدـلـيـ أـحـادـيـثـ الـفـرـيقـ وـكـرـرـ
وـكـيـفـ اللـهـ (١) أـرـاضـهـ
تـرـفـ بـرـقـارـ النـضـارـةـ أـخـضرـ
بـأـبـيـضـ فـيـ أـحـوـيـ النـبـاتـ وـاصـفـرـ
طـلـهـ تـطـلـ (٢)

(١) ماـهـاـ محـوـيـ الـاـصـلـ .

(٢) كـذاـ فـيـ الـاـصـلـ وـالـمعـنـىـ عـبـرـ طـاهـرـ .

سبائب مرّ او درانك عبقر
 تعطر من حوزاته المتغطر
 ممسكة في طي نشر معنبر
 ضلوعي على جمر الغضا المتسعر
 فأسلو ولا قلبي صفة المشقر
 مضيء وليل الحظ ليس بعمر
 رذوم بذى لونين احمر احمر
 اناملها من صبغة المتغصر
 لطيف وصدر في العناق مذكر
 مرنحة في حقفها التمرمر
 عزيز فلازم عزة التكبر
 وان لم يكن بد من الصبر فاصلبر
 وقد أخر المقدار غير مؤخر
 حنين وأحد فيض بدر وخبير
 إذا أنا لم أظفر بعفو المظفر
 وأحرز فضل الاسعددين ومنذر
 وأعرب عن عصب الجلند ابن كركر
 وأعظم بأساً من بسالة عتر
 على كون ما لم يقض أو لم يقدر
 على القمر التم الخضم المظفر
 ووجه كبلدر^(١) يسر
 على علا عن ملك كسرى وقيصر
 رقاب الرعايا لا أمير مؤمر

كان دهاق ارب يم فوقه
 اذا ما النسيم الرطب صافح تربه
 وهل من نسيم الريح والرند نفحة
 ويما لائمي في نفحة حنيت بها
 ارجاني فيما صدري بهحسب عهاده
 ومن لي ويوم الدجن ليس بعمس
 بساقة تسعى اليه بأزهر
 اذا باشرته بالبنان تعصرت
 تدل بخصر في النطاق مؤثث
 ترى الليل فوق الشمس في خيزرانة
 تذلل فإن يشمخ عليك بأنفه
 ولا تكترت واجزع من الضيم آنفاً
 فقد قدم المقدار غير مقدم
 ودالت على الاسلام للشرك دولة
 ولا وأبى لا ذقت راححة عيشة
 فتى ورث الاذواء غير مدافع
 وزاد على سعي الجلندابن كركر
 أعم ساحاً من ساحة حاتم
 تحاط ثغور الملك منه بقادره
 أعز رسولي يزّر قميصه
 ساح كفيض اليم في هnbsp;حسب يذبل
 هو الملك الموقى على ملك تتبع
 قل الحق واعجب من ملوك مملوك

(١) ما هنا محو في الاصل .

فوالله ما تدنو اكابر فارس
 ولو وزن الاملاك منه بخصر
 أحامل أعباء الخلافة إذ ودت
 أقلني فلم اعثر وهبني لأفرخ
 ولا تقف بي عمرو بن هند وطرفة
 وهب لي ذنبًا قد أتيتك تائباً
 فلو انتي في الابلق الفرد نازل
 وماذا يضر البدر ان طن تحته
 وما أنا قدر لا حبيب لطينه
 ولست وان خُولت ما لست أهله
 ليهن سراج الدين أن قد ألتته
 لك الخير فعل الخير في غير أهله
 فهل لك من رام يفوق ما رمت
 أخافطنة ان يمنع النصف يحتسب
 وانك ان أهملتنى وتناسخت
 أتاك وان كنت الغني عن الذي
 من اللاء ما غنى الوليد بن بليل
 خوالديفني عمر لقمان عمرها
 وحاشاك ان ^(١) علي قصيّتي
 ومدائحة فيه كثيرة مشهورة . ومنهم الفقيه سراج الدين أبو بكر ابن دعاش
 وكان شاعراً ماهراً فقيهاً نبيهاً نحوياً لغويَاً . وكان أحد جلساء الخليفة وخصيصاً
 به . وكان الخليفة رحمه الله يثنى عليه ويفضله على ابن حمير ويقول إنما ابن حمير
 صاحب خلاعة . وكان ابن دعاش المذكور متوسعاً في العلم . وكان من اهل زبيد

(١) ما هنا ممحو في الاصل .

ينسبونه إلى سرقة الشعر ويقولون اذا حوسب الشعراء يوم القيمة يوتى بابن دعا^٣
للحساب فيقول هذا البيت لفلان وهذا الصدر لفلان وهذا العجز لفلان فيخرج
بريئاً .

ويروى أنه لما حج السلطان الملك المظفر ورجع إلى اليمن استأذنه بن دعا^٤
من المهمم للتقدم قبل ركبته إلى زبيد . فقال له أتريد أن تقدم لتجمع شعراً من
الدواوين وتلقانا به . ثم أذن له في التقدم فلما دخل الخليفة زبيد انشده ابن دعا^٥
يوم قدومه قصيدة باهرة وأول بيت منها لابن الحاج البغدادي وهو :
ليس في قدرة ولا إمكانٌ نيل ما نلت يا ملوك الزمان
وفيها يقول : هاك شعراً منظماً لم أغفر فيه لا على مصحف ولا ديوان
فقال له الخليفة نهينك عن الدواوين فتعديت إلى المصحف . ولما قدم العميد

الاعمش بكتاب الدرج من مصر قال فيهم ابن دعا^٦ المذكور :
أهدى العميد نحونا من مصر كتاباً غر
تبقرروا بقائراً لكنها على بقر
ولم يكن كما قال وإنما كانوا أهل فضل وفواضل . ويروى أنه لما قدم أبو
الظاهر البيلقاني الانصاري إلى عدن وكان عالماً متفتناً أعلم الخليفة به فامر بتجهيزه
إلى حضرته فلما حضر المقام السامي امر السلطان من باحثه فوجده كاملاً فأراد الخليفة
رحمه الله ان يقرأ عليه شيئاً في المنطق فاستشار ابن دعا^٧ فقال له أما علمت يا مولانا
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (البلاء موكل بالمنطق) فتغطير الخليفة من قوله
وقال لقد خلقت بيننا وبين الانتفاع به . ومنهم المسحى^(٢) أحد شعراء الشام وهو
القائل في السلطان الملك المظفر رحمه الله تعالى .

لكم كيماء الملك صحت وغيركم

يعالج في تحصيلها الماء والملاح

وتصبح اقلام الواقع في الوعى

سراعاً على اعدائكم تكتب الفتحا

(١) كلها في الأصل من غير نقط .

(٢) في المسجد ومن شعر الخليفة شاعر من أهل الشام .

الباب الرابع

في ذكر قيام الدولة الأشرفية الصغرى

قال المصنف رحمة الله : لما توفي السلطان الملك المظفر رحمة الله تعالى كما ذكرنا في تاريخه المذكور قام بأمر الملك بعده ولده الملك الأشرف مهد الدين عمر بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول فاستولى على الحصون والمدن وسائر المحايل والبلاد كلها . وكان ملكاً سعيداً عaculaً فاضلاً أديباً لبيباً حسن السيرة وادعاً . وكان قد اشتغل بطلب العلم في أيام امارته حتى برع في عدة من الفنون وشارك فيها سواها وصنف مصنفات كثيرة وكان محبوباً عند الناس على اختلاف حالاتهم وتبادر طبقاتهم . ولما علم أخوه الملك المؤيد بموت والده وكان في الشحر يومئذ كما ذكرنا خرج من الشحر يريد اليمن طالباً للملك . قال ابن عبد المجيد فلما قرب من اليمن وصل إليه كتاب من أخيه الملك المنصور يذكره وعرض عليه حصن السمدان وكان يومئذ في يده فشكر له هذا الصنيع وكان متزدراً بين الأقدام والاحجام ، فيينا هو كذلك أذ وصله كتاب القاضي موفق الدين علي بن يحيى^(١) اليحيوي يقول فيه قد شاع الخبر انك واصل الى اليمن وسمعت من محقق ان اخاك السلطان الملك الأشرف قد ارسل نفرين من الفداوية اليك فالحزم الحزم واحتز في نفسك . فلما جاءه كتاب القاضي موفق الدين بما ذكرناه اشتد عليه الامر وسار مجدداً . فلما وصل ابن وكان فيها عسكر من جهة الملك الأشرف هرب المقدم الى اليمن في طائفة من العسكر ومالت طائفة اخرى الى الملك المؤيد فجهز اتفاشه وحرمه الى حصن السمدان وجهز معه اخوه فتوجه الى عدن وتأملها فرأى في بعض نواحيها درباً ضعراً متشعشاً فطلب صياداً من الصياديدين الذين يصطادون حول الجبل وسأله عن الجبل وعن طرقه وهل

هو سهل أو ممتنع و هل فيه طريق يفضي الى باب عدن ألم لا . ففكر الصياد ان فيه طريقاً يصل الانسان منها الى باب البلد فقال له تقدر ان تأخذ معك عسكراً وتسرير بهم الى الموضع الذي ذكرت قال نعم . فكتم السلطان امره واستوقفه عند . فلما كان بعد صلاة المغرب ارسل معه من اجواض الرجال ثلاثة رجل واوصاهم ان لا يظهروا حتى يروا السلطان باقرب منهم فساروا صحبة الصياد . ولما أصبح الملك المؤيد جمع عسكره وتوجه نحو الباب . وكان الوالي قد جمع عسكراً من داخل البلد لحفظ الباب . فلما قرب منهم الملك المؤيد وتأهبا لقتاله ثار عليهم اولئك الرجال واصاحوا من رأس الجبل ونزلوا الى الباب فملكونه وهرب الوالي وعسكره الى داخل المدينة واصاحوا الامان الامان فاذم عليهم السلطان واستدعاهم الى عنده فخرج اليه الوالي والناظر واعيان البلد وصدر التجار رغبة ورهبة فاستولى على عدن ولم ينلها من ارباب الطمع أحد ورجع الى الأحسية وهو في اشد ما يكون من الفرح وجعل يتمثل بقول الشاعر :

اذا لم يكن الا الأسنة مركباً فلا رأي للمضرر الا رکوها

ثم تقدم السلطان الى لحج وأبين فاستولى عليهما وامتلاً اليمن هيبة منه وقلوب الناس محبة له . فلما سمع السلطان الملك الاشرف ما كان منه في عدن ولحج وأبين وان الناس مالوا اليه كما يميل الحديد الى المغناطيس جهز ولده الناصر في ثلاثة فارس فساروا الى الراحة ووقف فيها . ووصل الشريف جمال الدين علي بن عبد الله من البلاد العليا فجهزه السلطان الملك الاشرف في خيل والحقه بولده الناصر . ثم طلب الجيوش من صنعاء وغيرها وجهز ولدي الامير شمس الدين ازدرم نجم الدين وبدر الدين . فكثرت الجموع وتالت الخيل من كل ناحية . ولم يكن يومئذ مع الملك المؤيد الا عسكره الذي وصل به من السحر وجماعة من الجحافل مقدمهم عمر بن سهيل .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الفاضل ابو محمد عبدالله بن عبيد بن ابي بكر بن عبدالله البعلاني وكان فقيهاً فاضلاً ولد في شهر ربيع الاول من سنة احدى وستمائة . وتفقه علي بن قاسم الحكمي صاحب زيد وعمر بن مفلح فقيه أبين وبأحد الوزيرين درس في مغربة تعز في النجاحية . وعنده أخذ جماعة من اهل تعز وغيرها . واثنی عليه الفقيه عفيف الدين عثمان الشرعي في تعليقته . وكانت وفاته نهار الخميس الرابع عشر من شعبان من السنة المذكورة رحمه الله تعالى . وفيها توفي الفقيه الصالح عبيد بن احمد بن مسعود بن عبدالله بن مسعود بن عليان الترمي وكان فقيهاً عارفاً . ولد يوم الثاني من شهر ربيع الآخر من سنة اثنتي عشرة وستمائة وتفقه بالفقية ابى بكر بن ناصر وبعلي بن الحسين الاصبهي وبمحمد بن يحيى بن اسحاق وابن أخيه يحيى بن ابي بكر بن اسحاق وغيرهم .

ويروى عنه رحمه الله انه قال رأيت ليلة اني سائر في طريق فوردت على ثلاث طرق ينادن متسبعة ويسراهن ضيقة والتي بينهما وبين بين فتحرت ايهن اسلك ثم قوي عزمي على سلوك الوسطى فلما صرت فيها لقيني رجل فقال اتدري ما الطريق قلت لا . قال اما الكبيرة فطريق ابن حنبل والوسطى طريق الشافعى والثالثة طريق مالك . ثم ارتحل الى زيد فاخذ بها الفرائض عن سعد بن معاوية والتبية عن الفقيه علي بن قاسم فقيه زيد وسمع البيان عن عبدالله بن يحيى . ولما حج اخذ في مكة عن ابن النعمان التبريزى وتفقه به جماعة من بلده . وكانت وفاته فجأة ليلة الاثنين لثمان بقين من صفر من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الصالح سباً بن عمر الدمتى . وكان فقيهاً صالحًا خيراًقرأ القرآن للسبعة القراء حتى اتقن . وكانت قراءته على رجل من صحبان واخذ كتب الحديث عن عبدالله بن اسعد الحديقي وتفقه . ثم قدم عدن فترتب في مسجد السوق صاحب المنارة . وكان يقرأ فيه القرآن والحديث وعنه اخذ ابو العباس احمد بن علي بن احمد الحراري كتاب البخاري ومسلم وامتحن في آخر عمره بكفاف بصره . وكانت وفاته في شهر رمضان من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفي هذه السنة توفي المقرئ الفاضل ابو محمد عبد الرحمن بن القاضي عبدالله ابن اسعد بن الفقيه محمد بن موسى العماني . وكان مقرئاً مجيداً فاضلاً عارفاً بالقراءات مشهوراً بها محققاً لها . وله في اللغة معرفة حسنة . توفي في سلخ شهر رمضان من السنة المذكورة رحمة الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الصالح الفاضل ابو حامد محمد بن ابي بكر بن احمد بن دروب صاحب ريبة الاشاطر وكان فقيهاً بارعاً صوفياً تفقه بالجحيفي وكانت وفاته في السنة المذكورة رحمة الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الصالح ابو عبدالله محمد بن اسعد بن علي بن فضل الصعبي المعروف بالجعيم بكسر الجيم وسكنون العين المهملة وبعدها ميم مكسورة وباءً وميم . وكان فقيهاً صالحًا نقىًّا مبارك التدريس موفقاً في الفتوى تفقه بابي العباس احمد بن عبيد بن يحيى مقدم الذكر ودرس بعده وسأله جماعة من فقهاء سهرنة ان يسمعهم تفسير النقاش فتهيأً لذلك فقال له بعض اولاد القاضي اسعد بن مسلم احب يا فقيه ان تجعل ذلك عندي في داري يريد ان تقسم بكفاية الجميع من الجماعة فاجابهُ الى ذلك . وسار من سهرنة الى دار يزيد فاجتمع اليه خلق كثير . قال الفقيه صالح كنت القارئ لغالب الكتاب والجماعة يسمعون . قال وكان الفقيه قد ينبع في اثناء القراءة فتغلب على الظن انه لا يسمع فاردت ان اكسر عن القراءة اذا بي ارى النبي صلى الله عليه وسلم قاعداً مع الفقيه وهو يقول لي اقرأ يا صالح فقرأت ولم اسكت بعد ذلك . ثم رأيت الفقيه قد فتح عينيه عقب ذلك وتبسّم اليه خاصة . فلم ادر ما تحت تبسمه من معنى . وكانت وفاته في شهر ذي الحجة من السنة المذكورة رحمة الله تعالى .

وفي سنة خمس وستين وستمائة سارت العساكر الashرفية من الراحة الى الجوء الى كثيب القشيب . وسار اليهم المؤيد بين ولديه الظافر والمظفر كما قال الشاعر :

تراه من نفسه في جحفل لجب
فلما اصطدم الناس هزمهم حتى اعلقهم بالكثيب فنزل الشريف علي بن

عبد الله ووجوه العسكري فملوكوا بعض العرصة . واصطدموا صدمة أخرى فاهترمت
البحافل ولووا الأدبار وهم معظم عسكره فرجع إلى الدرس على حامية وقد ثبّت
خزانته وألتنه واحتاطت العسكري بالدرس من كل ناحية فدخل عليه ابن أخيه محمد
الناصر ووقف معه مليأً ثم خرجوا جميعاً إلى خيمة قد ضربت فلم يزالوا به حتى تقدّم
هو ولدها واقاموا بقية يومهم هنالك . وأصبحوا سائرين إلى الجهة . وكان
السلطان الملك الأشرف واقفاً بها متظراً لما يحدث من أخبارهم فلما آتاه العلم
بتقبيدهم بكى بكاءً شديداً وامر باكرامهم وارسل بهم إلى حصن تعز فوصلوا يوم
الاحد التاسع عشر من المحرم من السنة المذكورة فاسكنوا دار الأدب . وامر
السلطان الملك الأشرف لهم بترتيب الأطعمة والاشربة وجعل عليهم خادماً اسمه
كافور البتوبي . وكان إذ ذاك مقدماً على الملك فكان فيها يقال عنه يكسر الخبر اذا
دخل عليهم وربما يفتش الزبادي . ولما صار في السجن كما ذكرنا كتب إليه الفقيه

ابو بكر بن محمد بن عمر اليحيوي كتاباً يقول فيه :

(بسم الله الرحمن الرحيم . والضحى والليل اذا سجى . ما ودعك ربك
وما قلي . وللآخرة خير لك من الأولى . ولسوف يعطيك ربك فترضى) . وهنأ
الملك الأشرف جماعة من الشعراء بمسك أخيه وحبسه . ولقد احسن القاضي تاج
الدين موسى بن الحسين بن علي بن أبي بكر بن محمد بن الحسين حيث يقول :
ولسولا ان ضدك منك قلنا مقاولا منه تنلق الصخور
ولكننا نرجي السخط منكم يعود رضى وتنجرر الامور
ولما اراد الشريف علي بن عبد الله الطلوع إلى بلاده كسره السلطان الملك
الأشرف وانعم عليه واعطاه العظيمة والميقات . ولما سجن الملك المؤيد وصلت عمه
الدار الشمسي إلى تربة أخيها الخليفة فاقامت فيها أياماً ثم توجهت فانتقلت إلى دار
مولانا الملك المؤيد باليهال فسكنت فيه إلى أن توفيت به في غرة شهر رجب من السنة
المذكورة . فلما بلغ علم موتها إلى الإمام المظفر ابن يحيى قال ماتت بلقيس
الصغرى .

وفي هذه السنة في شهر جمادى الاولى وقع في اليمن مطر عَمَّه وجاء كتاب الى الامام مظہر بن يحيى من والي راحة بني شريف يخبرهُ بهذا المطر وانه كان فيه برد عظيم قتل عدّة كثيرة من الاغنام . ونزلت يومئذ ببردة عظيمة كالجبل الصغير لها شناخيب تزيد كل واحدة منها على ذراع . فووقدت في مفازة بين بلد سنجان والراحة فغاب في الارض اكثراها وبقي بعضها ظاهراً على وجه الارض . فكان يدور حولها عشرون رجلاً لا يرى بعضهم بعضاً . ووقدت أخرى مما يلي بلد خولان حاول قلبها اربعون رجلاً فما امكنهم . وهذا من عجيب ملوك السموات والارض فسبحان من ابدع ذلك قدرته واخترعنه حكمته .

وفي شهر جمادى المذكور من السنة المذكورة طلع السلطان الملك الاشرف الى محروسة الدملوة . وكان طلوعه يوم الرابع من الشهر ثم نزل الى زبيد فدخلها في شهر جمادى الآخرى من السنة المذكورة . وكان دخوله من باب القرىب والفقهاء بين يديه يحملون المصاحف والمقدمات وكان يوماً مشهوداً .

قال علي بن الحسن الخزرجي وخبرني من أثق به من حفاظ الاخبار قال سبت السلطان الملك الاشرف من زبيد الى النخل في ايام سلطنته سبتاً فسار معه الى النخل ثلاثة محمل في كل محمل سرية . واقام في زبيد الى شهر شعبان ثم طلع تعرّ في رمضان .

وفي شهر ذي الحجة من السنة المذكورة وثبت الى ذمار على حصن مثوة واستقر فيه بعسكره . وكان من الماليك المظفرية مملوك يقال له الفارس^(١) فالتفت عليه قبائل مذحج وطemuوا عليه ليلاً من كل مكان يعرفونه فحصروه بعض يوم ثم دخلوا عليه فقتلوه وقتلوه من اصحابه سبعين رجلاً .

وفي هذه السنة توفي الصاحب القاضي بهاء الدين محمد بن اسعد بن محمد بن موسى العمري وكان اوحد رجال عصره . ولد سنة ثمانيني عشرة وستمائة وتفقه بحسن بن راشد وحصلت بينه وبين الخليفة الملك المظفر صحبة اكيدة ولم تزل

(١) كذا في المسجد والعبارة فيها قلت .

الصحبة تتأكد حتى آلت إلى الوزارة مع قضاة القضية . وكان شاعراً فصيحاً بليغاً متسللاً له اشعار رائقة وترسل جيد . واحبني من رأى ترسله في مجلد ضخم جاماً لخصال الكمال حائزًا لخلال الجلال الا ان خطه كان ضعيفاً . واحبني الفقيه محمد ابن ابراهيم الصناعي قال اخبرنا شيخنا الفقيه العلامة نفيس الدين سليمان بن ابراهيم العلوي قال حدثني جدي القاضي شرف الدين ابو القاسم بن عبد الرحمن الاشرفي انه قال وجد ورقة مكتوبة بخط القاضي بهاء الدين فاستضعف خطه جداً . ثم ارسل بها إلى السلطان الملك المجاهد رحمه الله يعجبه من ذلك فاجاب رحمه الله نعم سيد الوزراء سيد الملوك ، هذا لفظه بعينه . وكان ايضاً خطيباً مصيقاً ليماً ذا دهاء وسياسة وله حسن نظر في تدبير المملكة . وكان يحترم الفقهاء ويجلهم وهو أول من جمع له الوزارة والقضاء باليمين في الدولة المظفرية . وبعد القاضي موفق الدين علي بن محمد اليحيوي في الدولة الموئدية . ثم القاضي موفق الدين عبدالله بن علي ابن محمد اليحيوي في الدولة المجاهدية ثم القاضي وجيه الدين عبد الرحمن بن علي عباس في الدولة الاشرافية . وهؤلاء جملة من جمع له القضاء والوزارة الى هذا التاريخ وهو سنة اثنين وثمانين . ولم يزل القاضي بهاء الدين في وظيفتي الوزارة وقضاء القضية كما ذكرنا الى اثناء سنة اربع وتسعين وستمائة . فلما كان في شهر جمادى الآخرى من السنة المذكورة . واقام السلطان المظفر رحمه الله ولده الملك الاشرف في الملك والمملكة وقلده امور البلاد والعباد . اشار القاضي بهاء الدين على السلطان الملك المظفر ان يكون اخوه القاضي حسام الدين حسان وزيراً للlashرف . فامر الخليفة بذلك وبقي القاضي بهاء الدين على قضاة القضية واخوه حسان يراجعه بما يرد عليه من امر التهائم الى ان توفي القاضي بهاء الدين في النصف من شهر ربیع الاول من السنة المذكورة سنة خمس وتسعين وستمائة رحمه الله .

وفي هذه السنة توفيت الدارالشمسى وهي ابنة السلطان الملك المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول . وكانت امراة عاقلة عفيفة حازمة لبيبة . وكانت تحب اخاها المظفر حباً شديداً وبحسّن سياستها وتديرها حتى اتصل بالملك إذ كانت

يومئذ بزبيد حين توفي والدهما . فشمرت وبذلت الاموال للرجال وحضرت المدينة حتى وصل اخوها من المهاجم . وكانت المهاجم يومئذ اقطاعية من ابيه . فلما وصل اخوها من المهاجم الى زبيد ملكها فهي اول مدينة ظهرت فيها ملكة . ثم كانت هي السبب في اخذ الدملوة وقد تقدم ذكر ذلك . ولذلك كان يبرها ولا يخالف لها رأياً . وكانت ذات صدقة ومحظوظة ومأثرها كثيرة منها المدرسة المعروفة بالشمسية بذي عدين من مدينة تعز لها وقف جيد على إمام ومؤذن وقيم ومدرس وطلبة ومعلم وابن يتعلمون القرآن وابتنت مدرسة في زبيد معروفة بالشمسية ايضاً في جنوبي سوق المعاشر وأوقفت عليها ايضاً وقفًا جيداً يقوم بكفاية المرتبين فيها . وهي التي تولت كفاية المؤيد ابن أخيها . وكانت تحبه حباً شديداً . وسافرت معه الى الشحر فتوفي اخوها السلطان الملك المظفر وهي هنالك فرجعت هي والمؤيد فلما اعتقل المؤيد كما ذكرنا صارت الى تعز فنزلت في مدرسة أخيها المظفر واقامت فيها اياماً فمرضت فاشتد بها المرض فانتقلت الى دار المؤيد ابن أخيها فلم تزل به حتى توفيت في شهر رجب من السنة المذكورة رحمة الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل يوسف بن احمد بن الفقيه حسين العدينى وكان فقيهاً فاضلاً عارفاً بالفقه والفرائض وهو من ارتحل الى تهامة فقرأ فيها الخلاصة على الفقيه عمر بن عاصم بزبيد . وزار الامام العلامة احمد بن موسى بن عجبل . وكانت وفاته في قرية الذنتين^(١) لاربع بقين من شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة رحمة الله .

وفيها توفي الفقيه ابو العباس احمد بن علي السردي . وكان فقيهاً مجيداً وغلب عليه فن الحديث . وأدرك الشیوخ الاکابر من تهامة والجبل والواردین اليهم من غيرهما . من تهامة محمد بن ابراهيم الفشلي واسماعيل بن محمد الحضرمي وعمر السباعي . ومن الجبال محمد بن مصباح وغيره .

واما القادمون فجماعة منهم العياد الاسكندري والقطب العسقلاني وابن

(١) كما في الأصل .

حشيش واسحاق الطبرى . وعنه أخذ غالب فقهاء تعرّف كتب المسموعات كالبخاري ومسلم ، وغالب كتب الحديث . وكانت كتبه محققة مضبوطة عند الفقهاء المحققين . وكانت وفاته في السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الصالح الإمام أبو محمد عبدالله بن سالم الفائسي . وكان مولده سنة تسع وخمسين وستمائة تقريباً . قاله الجندي وكان فقيهاً فاضلاً مقرئاً نحوياً له معرفة جيدة في الفقه والقراءات والنحو ولهم مصنف جيد نحا فيه نحو البابشاذية سباه اللوامع . ولهم يد في الأصول واللغة والحديث . وسافر إلى أبين فأخذ بها عن محمد بن إبراهيم وعن ابن الرسول . ثم سافر إلى تهامة فأخذ بها عن الفقيه أحمد بن موسى بن عجيل .

قال الجندي ثم قدم علينا الجندي فأخذ عنه أربعين الإمام ابن بطال بروايتها لها عن التهامي عن ابن ابطال مصنفها . قال وكان أوجه أهل البلد ديناً وعلماً . فلما مرض واشتدى به المرض دخل عليه جماعة من الفقهاء يزورونه فدعوا له فجعل يوصيهم بتقوى الله وكلما دعوا له بالعافية أعرض عن ذلك . فقالوا له أنا نجدك في عافية وكلامك كلام من قد آيس من العافية وأيقن بالموت فقال أني رأيت البارحة إن سقف بيتي هذا كشف حتى رأيت السماء ونوديت منها أقدم يا فقيه من باب الترحيب ونوديت باسمي وأسم أبي أقدم مرحباً بك فعلمت أن أجلي قد دنا . فتوفي وهو على تدريس النجيمة يوم الأربعاء لـحدى عشرة ليلة خلت من شعبان من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل أبو عبدالله بن عمران الخولاني . وكان فقيهاً مقرئاً محدثاً . ولد سنة إحدى وستمائة . وقرأ القرآن بجيئه والفقه والحديث على عشرين شيئاً . اكثراهم أخذوا عنه حسن بن راشد وأبو بكر بن ناصر . وكان الغالب عليه المسموعات والاجازات . وحج ثلث سنين ودرس في مصنعة سيروفى الجندي . وكان مسكنه في الجهة عزلة شعر بريد براءة مكسورة وياء مثناء من تحتها وآخر الاسم دال مهملة . وكان فقيهاً سخياً عالي الهمة . توفي في العزلة المذكورة ليلة الاثنين

لسبع خلون من شهر رمضان من السنة المذكورة رحمة الله تعالى . وفيها توفي الفقيه الصالح ابو اسحاق ابراهيم بن محمد بن سعيد بن علي بن ابراهيم بن اسعد الهمданى يجتمع مع الفقيه عمر بن سعيد العقىبي في اسعد بن احمد . وكانت له قراءات وساعات واجازات واشتغل عن العبادة وكان مشغلاً بالفقه والدين من الصلاة والصيام والزكاة والحج . وارتحل الى تهامة فأخذ بها عن الفقيه اسماعيل بن محمد الحضرمي .

قال الجندي وعليه قرأت الاربعين الطائية كثيراً الخشوع سريع الدمعة . ومتى سئل الدعاء مد كفيه ودعا وهو يبكي واستولى رئاسة الموضع بعد ابن عمه عبد الرحمن المذكور اولاً . ولم يزل على حالٍ مرضي الى ان توفي يوم الجمعة الثالث عشر من شهر ربیع الآخر من السنة المذكورة رحمة الله . ولما بلغ خبر وفاته إلى الفقيه الامام ابى الحسن علي بن احمد الاصبحي طلع إلى ذي عَقِيبَةَ وحضر دفنه وأقام هنالك يوماً أو يومين بسبب القراءة على تربته ثلاثة ايام . فبلغهُ خبر وفاة القاضي بهاء الدين الوزير محمد بن اسعد العمري المذكور اولاً فسافر من هنالك الى المصنعة يعزي . وقرأ بعض أيام القراءة ثم عاد الى بلدته رحمة الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل ابو عبدالله محمد بن اسعد بن محمد بن موسى العمري . وكان فقيهاً فاضلاً درس مدة في جامع المصنعة قال الجندي وعنْهُ أخذت بعض كافي الصردفي والمذهب وبعض مصنفه في الرقائق وهو كتاب سماهُ : « جامع اسباب الخيرات ، ومثير عزم اهل الكسل والفترات ». وهو من احسن كتب المتعبدین . وله مختصر سماهُ « البضاعة ، في فضل صلاة الجماعة » . قال وهو من المختصرات البدعة في ذلك . والتبصرة في علم الكلام . وشرح التنبيه شرعاً شافياً لائقاً اجمع الفقهاء على سماعه بعد فراغه من جميع فقهاء الجبال . وكان فيهم علة من اكابر العصر قال وسمعت عليه بعضاً وقرأت عليه جميع مصنفه الذي سماه البضاعة وإيضاح الاصبحي . وكانت وفاته في شهر شوال من السنة المذكورة رحمة الله تعالى .

وفي سنة ست وتسعين توفي السلطان الملك الاشرف محمد الدين عمر بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول . وكانت وفاته ليلة الثلاثاء لسبعين بقين من المحرم اول شهور السنة المذكورة . وكان ولده الناصر يومئذ في القحمة والعادل في صناعة لامر اراده الله تعالى فاتفقت آراءُ الخدم الخاصة والعامة والستور الكريمة على ابراز بدر الجود . واصباح شمس الوجود . وأن يزأر الليث في غابه . وان يستقر الحق في نصابه . وان يسوس الدولة نعماها . وان يتسلم الحكمة لقمانها . فلما كان السحر من تلك الليلة تقدمت الاكابر من الخدام الى مولانا السلطان الملك المؤيد وهو في مجلسه فاخبروه بانتقال أخيه الملك الاشرف الى رحمة الله تعالى فنانه من الاسف ما ناله فقد اخيه وداخل المسلمين من السرور ما كاد يذهب بتفوسيهم . ومن فرح النفس ما يقتل . ولا خرج من سجنه طلب من واي الحصن سيفاً يكون في يده فاتى ثلاثة سيف له ولو لديه وسار حتى وقف على رأس اخيه وبكى بكاءً شديداً وتأسف عليه تأسفاً عظيماً ثم خرج من عنده وقد امر بتجهيزه فعقد في تحت الملك الى ان طلع الفجر فلما لاح ضوءُ الفجر امر نوابة الحصن ان يصيحو بالترجم على الملك الاشرف وبالصبح السعيد على الملك المؤيد فسبحان من لا يزول ملكه . ولا يبيد سلطانه . وكان الملك الاشرف ملكاً سعيداً صالحًا برأً باخوته وقرباته محباً لهم . وكان رؤوفاً بالرعاية عطوفاً عليهم وحصل في مدة في اليمن جراد عظيم استولى على الزرع والثمار فاشتكى الرعية اليه فامر بمساحتهم فتوقف الوزير عليهم وهو القاضي حسام الدين بن حسان بن اسعد العماني ولم يمض المساحة لهم كما امر السلطان فاشتكوه الى السلطان ثانية فكتب اليه يا فلان اقتصر عنهم ولا تفرقهم علينا فانه يصعب علينا جمعهم .

ومن مناقبه رحمة الله تعالى ان رعية النخل بوادي زبيد كانوا قد تلفوا من الجور الشديد وغفلات الملوك عليهم بلغ بهم الامر ان من كان له نخل لا يزوجه احد وأي امرأة كان لها نخل لا يتزوجها احد الا مغرور . وكان الرجل الذي ليس له نخل اذا تزوج امرأة لا نخل لها يقال عند عقد النكاح بينهما ومن سعادتها انه لا نخل ل احد

منها . فلما ولي الملك الاشرف امر مَنْ افتقد النخل فازال عن اهله ما نزل بهم من
الظلم . فهو اول من سن العديد بالفقهاء العدول وتبعه على ذلك الملوك بعده
رحمهم الله اجمعين . وكان له من الولد محمد الناصر وابو بكر العادل . وزيره
القاضي بهاء الدين وزير والده فلما توفي القاضي بهاء الدين استوزر اخاه القاضي
حسام الدين واستعفى القاضي بهاء الدين عن الوزارة وبقي على قضاء القضاية واما
كان اخوه حسان يستشيره فيما يتعاظمه من الامر والله اعلم .

الباب الخامس

في ذكر اخبار الدولة المؤدية وما كان فيها

قال علماءُ السير والاخبار لما توفي السلطان الملك الاشرف محمد الدين عمر بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول رحمة الله عليه واعلن الصائح بالترجمة عليه وبالصبح السعيد على السلطان الملك المؤيد كما ذكرنا، ارتجت المدينة وانزعج الناس وماج بعضهم في بعض فامر السلطان بفتح ابواب الحصن فكان اول من طلع اليه من الناس الوزير القاضي حسام الدين حسان بن اسعد بن محمد بن موسى العمراني وزير اخيه المرحوم فاجتمع به وحلف له الاميان المغلظة واستحلف له الجناد والامراء واعيان الدولة فلم يختلف عليه منهم اثنان ولم يمتنع عليه سهل ولا جبل ولا بلد ولا حضر . وجرت اموره كلها على السداد والوفاق .

وكتب تاج الدين الموصلي في ذلك اليوم مكاتيب الى بلاد التهائم باجمعها والى الجبال باجمعها والى جهة صناعة والاسراف فدخل الناس في الطاعة افواجاً افواجاً وأمر بتجهيز اخيه وتنفيذ وصيته فخرجوا به من الحصن في صبيحة الليلة التي توفي فيها وامامه الظافر والمظفر يمشيان واعيان الدولة جميعاً حتى دخلوا به مدرسته التي انشأها في مغربة تعز فدفن بها واقام القراء عليه سبعة ايام كما جرت عادة الملوك . وهنأ جماعة من الشعراء منهم الاديب سابق الدين يوسف بن محمد العنسي

بقصيدة بد菊花 الاستهلال بارزة في قالب الكمال وهي :

القوس موتة في كف باريها فليعلم الناس قاصيها ودانها
وليلبس الكل منهم درع مسكنة كي يصبحوا في امان من مراميها

البعى سالبها والذل كاسيها
اني أهنيه منها ما أهنيها
ملك الملوک جيماً لا احاشيها
حتى رمت نفسها في كف حاميها
في كف داودها غراً لياليها

وفي بُلْهَنِيَّةِ إِذْ أَنْتَ رَاعِيَهَا
لَغَيْرِ طَالبِهَا مِنْهَا وَرَاجِيَهَا
لَمَّا أَتَتْ مِنْ مَعَالِيهِ مَعَالِيهَا
سَقَاهُ وَبَلَّ اِيَادِيهِ وَهَامِيَهَا
إِنَّا نَرَى الْمَلِكَ فِي عَرْسِ لَوَالدِهِ

وهناء العفيف عبدالله بن جعفر بقصيدة اولها :

ما ان اقيس بكنعان ومرود
ام المزبر هزبر البأس والجود
من القنا والظبا والشرب القود
حسبتها طاردات بعد مطرود
طوراً وتكميل طوراً في الاماليد
تفيض ما بين موضون ومسرون
وظل أمنٌ على الآفاق ممدود
اباؤك الغلب من اجدادك الصيد
اجفان سيفك عنها أي تسهيد
والنبت ما بين مخضود ومنضود
ومنك نعرف انجاز المواعيد
قد كان اول مسقيٍ بها عودي

ولما علم الملك الناصر جلال الدين محمد بن الملك الاشرف بوفاة أبيه واستيلاء

وكل نعمة قوم من ندا ملکٌ
يهنى المؤيد بل تهنئ خلافته
خليمة الله من بعد الخليفة يا
ان الخلافة ما قرت ولا هدأت
اصحت مجللة الايام مذ وقعت
و فيها يقول :

ان الرعية في أمنٍ وفي دعة
وكم يد هزبر الدين قد حللت
أُملاك غسان ما انفك دعائمها
إنـا نـرـىـ الـمـلـكـ فـيـ عـرـسـ لـوـالـدـهـ

امـلـكـ دـاـوـدـ اـمـ مـلـكـ اـبـنـ دـاـوـدـ
افـيـ الرـوـاقـ هـزـبـرـ تـحـتـ غـابـتـهـ
بـيـنـ السـيـاءـ وـبـيـنـ الـأـرـضـ مـزـدـحـمـ
وـمـنـ ذـوـأـبـ رـايـاتـ اـذـ رـفـعـتـ
تـدـافـعـ الرـيـحـ اـنـ يـجـتـازـ سـاحـتـهـ
كـأـنـ اـمـواـجـ بـحـرـ الـهـنـدـ مـنـ زـرـدـ
الـلـهـ مـنـ طـوـدـ مـلـكـ فـيـ السـيـاءـ سـماـ
وـرـثـتـ دـوـلـةـ غـسـانـ كـمـاـ وـرـثـتـ
نـامـتـ جـفـونـ الـبـرـايـاـ فـيـ حـمـاـكـ وـفـيـ
فـالـأـرـضـ مـشـرـقـةـ وـالـسـحـبـ مـغـدـقـةـ
وـلـيـ موـاعـدـ مـنـ نـعـمـاـكـ صـادـقـةـ
كـمـ انـعـمـ لـكـ اـيـامـ الـخـلـيـفـةـ لـيـ

عمه على الملك والسلطنة وكان في اقطاعه القحمة بادر إلى باب عمه ممثلاً أمره فلما وصل إلى عمه أقبل عليه وأحله من العزيمة عظيمة . ثم وصل أخوه الملك العادل صلاح الدين أبو بكر بن الملك الأشرف من صنعاء وكانت اقطاعه فعامله معاملة ترضيه من الكرامة والانصاف وعرض عليهما الاستمرار على اقطاعهما فاستغفيا عن الأممية وقالا لا نحب خدمة بعد الوالد . وكان الواسطة بينهما وبين السلطان الفقيه أبو بكر بن محمد بن عمر اليحيوي واخذ لها من السلطان عهداً وثيقاً أنه لا يغير عليهما ولا على أحدهما واخذ عليهما أن لا ينزعاه ولا ينزعه أحد منها . وكان بين السلطان الملك المؤيد وبين الفقيه أبي بكر اليحيوي المذكور صحبة اكيدة ومحبة شديدة . وكان السلطان رحمة الله يعتمد رأي الفقيه أبي بكر في جميع ما يشير به عليه . وكان الفقيه أبو بكر أوحد أهل عصره وعلماء زمانه . فلما حصل ما ذكرنا من قصة الداعيس وسجين السلطان الملك المؤيد في حصن تعز اغتم الفقيه أبو بكر على ما ناله غمّاً شديداً . واتصل العلم بالملك الأشرف أن الفقيه أبي بكر قصد المخالفة وإثارة الفتنة فاستوحش منه الملك الأشرف . وعلم الفقيه بالمخيدة فكتب إلى السلطان قصيدة يقول فيها :

غير النجاة على مجموع حوالي
هل يقهرون بان الجن الا بالملأ العالي
وتاج منظر معها تاج عطkal
وذى البشرور وذا المزراق يا عال
ما يتشنى حدتها عن هتك اجيال
عليك بالملك يا حاشا لامثالى
وقد تمسكت من طه باذیال
آذوه جهلاً فلم يعبأ بجهال
الي المدينة حسب الامر لا قال
حتى قضى نحبه في سُم مقتل

تبغون قتلي ومالى فيكم غرض
وتزعمون بان الجن طوع يدي
مهلاً فهذى عصا موسى وحربته
وذى الهياكل والاجراس اجمعها
وذى الحراب اولى الاملاك كلهم
ظننت أنني دعوت الله ذا غضب
ما كنت ادعوا على شيء بلا ادب
وخاتم الرسل لم يدعوا على نفر
وفارق السدار والاهلين مرتحلاً
وقام من بعده الصديق محتسباً

سماً وقتلاً بأسيافي لضلال
 وصب بالرأس منه بول بوال
 على المهيمن علجاً غير ذي بال
 ما ثم امر بدا يقضى باعجال
 بعرش بلقيس داعي الله في حال
 ما القول قولي ولا الافعال افعالي
 فالامر اقرب من فعل على بال
 الا اخو الجهل بالآتي وبالحال
 ان كنت تسمع فانظر صدق اقوالي
 وليس آخرها يقضي بإكمال
 فصائح منكم يدعوا باعواوال
 ووعد ربي ما هذا بجمال
 ولا تعرج على قيل ولا قال
 فليس ذا القول من اقوال هزل
 وهذه الابيات من وقف عليها علم بمكان الشيخ العارف من علم
 المعارف وفي ذلك كفاية لمن تأمل والله اعلم .

ثم توجه الفقيه بعد انشاء هذه القصيدة الى ناحية وصار هارباً من الملك
 الاشرف فأقام هنالك الى أن توفي الملك الاشرف في التاريخ المذكور فلما استولى
 السلطان الملك المؤيد على الملك والمملكة رجع الفقيه الى مدنته واجتمع بالسلطان
 وفرح به فرحاً شديداً . واستوزر اخاه الصاحب موفق الدين علي بن محمد بن عمر
 ابن اليحيوي المعروف بالصاحب وكانت وزارته في شهر جمادى الاولى من السنة
 المذكورة وصنع له ما يصنع للوزراء من رفع الدواة وعقد الطيسان وفوض اليه قضاء
 الاقضية وكان ثابتاً في اموره كلها لم يكن معه من الطيش والعلجة شيء ونفذ امره في
 البلاد وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وعارضه السلطان على ذلك وتقدم عند

السلطان تقدماً كلّياً لم يسمع بمثله وانطلق عليه اسم الصاحب انطلاقاً كلّياً في اقطرار اليمن حتى صار علماً في حقه كالصاحب بن عباد في العراق فجمع اولاده واخوته لا يكادون يعرفون حتى يتعرفوا به اما بنبوة او اخوة .

ولما استوزره السلطان كما ذكرنا في تاريخه المذكور برز أمر السلطان على القاضي حسام الدين حسان بن اسعد العمراني ان يسكن هو واخوته سهنة على الاعزار والاكرام ولم يغير عليهم حال من الاحوال . ثم بلغ السلطان من الناصر ابن أخيه على جهة النصح لعمه ان عبداً للقاضي حسان طلع الى جهة عومان ووجد مُعتقدة من الاشرفية كانت تحت القاضي بهاء الدين محمد بن اسعد فتحديث العبد معها بحديث اسره اليها ان معه قارورة السم من عند سيده القاضي حسان بن اسعد امره ان يتلطف الى من يتصل بالملك المؤيد ويستقيه منها وان غرض القاضي وبني ابيه هلاك بنى رسول قاطبة . فلما اتصل العلم الى السلطان بهذا غضب غضباً شديداً وطلبهم بحسبة اموال الايتام وغلل الموقوفات في مدة نظرهم عليها فيما اجابوه الى شيءٍ من ذلك ابداً فقبض عليهم وبنى لهم سجناً على باب دار الولاية استكفاءً لشرم .

ومن صحب الدنيا طويلاً تقلبت على عينه حتى يرى صدقها كذباً وقد كان في قلب السلطان من ولدي ازدرم نجم الدين وبدر الدين ومن ابن الهكاري استياء من يوم الدعيس فأمر بالحوطة عليهم فقبضوا فارسلهم الى حصن الدملؤة ثم قبض بعدهم امير جاندار فجعل معهم في دار الادب بالدملؤة . وفي خلال ذلك قدمت رسائل الاشراف على السلطان بالتهئة بالملك ولعقد الصلح وقد كانوا عقيباً موت الاشرف رحمة الله عليه استولوا على الكولة واحرقوها واخذوا حصني اللجام ونعمان وعلى مدينة صعدة واصلحوا على ذلك وكان الامام مطهر بن يحيى حاطاً على كحلان الشرف فطلبه الاشراف للدخول معهم في الصلح ورفع المحطة فامرهم بالصلح وطيبهم ولم يزل حاطاً على الحصن حتى اخذه .

وفي هذه السنة نزل السلطان الملك المؤيد زيد وكان نزوله في شهر جمادى

الآخرى بعد ان اقطع ولده المظفر صناعة والظافر الفخرية والحارتين فتوجه الملك المظفر الى صناعة في رجب من السنة المذكورة فاستعاد حصن ود من بنى الحرت في آخر شعبان بعد ان رماه بالمنجنيق . ورجع السلطان الى تعز في شعبان وصام في مدينة تعز . ونزل الملك المظفر من صناعة في اول النصف الثالثى من رمضان وكان نزوله بسبب العيد فعُيَّدَ في تعز ثم عاد الى اقطاعه . واستعاد السلطان حصن حجة في ذى الحجة واخذ المخلافة من الصارم ابراهيم بن يوسف بن منصور . وكانت في يده من سنة احدى وتسعين وستمائة . واشترط الصارم شروطاً منها اقطاع موزع ونصف حيس والذمة الشاملة والعفو عن جناه .

وفي هذه السنة اظهر الملك مسعود خلافاً على اخيه السلطان وكان مقطعاً بالاعمال السردية ومقيناً بها فاوقع باهل المحالب ، وسار الى حرض فاستولى عليها وكان قد وصل ولد اسد الاسلام محمد بن الحسن الى عمه السلطان المؤيد وهو في مدينة تعز فاكرمه وانصفيه وابقى اباه على إقطاعه فلما خالف الملك المسعود على اخيه وسار الى حرض جمع العساكر وجاءه الاشراف السليمانيون وسقط اليه من الجبال والجوف خيل كثيرة فاجتمع معه عسكر عظيم . فجهز السلطان لحربه أخيه الملك المنصور ايوب بن يوسف ووزيره القاضي موفق الدين الصاحب وولده الظافر عيسى ابن الملك المؤيد وارسل معهم ثلاثة افیال فساروا اليه في عسكر جيد من عسكر الباب .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الفاضل ابو الحسن علي بن عمر بن اسماعيل بن زيد بن يحيى العزيزي لقباً والشعبي نسبة . وكان فقيهاً عارفاً بالاصولين والتروع والنحو واللغة . وهو من قوم من الاشعوب يقال لهم بنو الشاعر من بطن يقال لهم بنو احمد يسكن بعضهم في سامع وبعضهم في إكnight بكسر الهمزة وسكون الكاف وكسر التون وسكون الياء المثلثة من تحتها وآخره تاءً مثناة من فوقها . تفقه بالفقيه منصور والشعبي . وكان شريف النفس عالي الهمة مجللاً عند اهل بلده وغيرهم . وكان شجاعاً في الحرب فتاكاً عداءً يذكر من عدوه انه كان اذا عدا خلف ظبي في البداء

لزمه مجاورة . وكان يقول شعراً رائقاً . وكان له اعداء يغزونه في جمع كثير يريدون قتله ونبب بيته فيخرج اليهم ويقاتلهم ويهزمهم وحده وربما قتل أو جرح فيهم . وكان يكرم واصليه ويحسن اليهم . وكانت وفاته رحمة الله تعالى في جمادى الاولى من السنة المذكورة . وكان له من الولد محمد بن علي ومنصور بن علي تفقه بشيخه منصور الشعبي . فاما منصور بن علي فعكف على الفقه والحديث واتقنه والنحو واللغة والفرائض والاصول والحساب . وكان مع ذلك شجاعاً وله بصيرة في الصناعات كالتجارة والخياطة وغيرها . وكان يقول الشعر ايضاً وامتحن بقضاء الدملوءة من قبل ابن الاديب فقام فيه ملة يسيرة ثم توفي اول سنة ثانية عشرة وبعمدة .

واما اخوه محمد بن علي فانه خدم في الدولة المؤدية كاتب الانشاء وكان ذا دراية ثابتة وكان يقول شعراً مستحسناً . وكان كريماً بالنفس ولها مروءة طائلة . ويعجب ابناء جنسه من الفقهاء والطلبة ويعتني بحوائجهم . وكانت وفاته في غرة رجب من سنة ثانية عشرة وبعمدة رحهم الله تعالى .

وفي هذه السنة المذكورة توفي الفقيه الصالح ابو محمد عبدالله بن محمد عرف بمكرم بن مسعود بن احمد بن سالم العدوبي نسباً والمكرم لقباً . وكان فقيهاً صالحأً زاهداً ورعاً متمسكاً بالأثر . وكان عارفاً بالنحو والفقه واللغة والحديث . وكان ذا سيرة مرضية مواسياً للاصحاب كثير الذكر . ولما مرض دخل عليه اصحابه يعودونه فجعل يستحل منهم واحداً واحداً فقيل له لا تجزع فانت في خير وعافية . فقال لم يبق من عمري سوى خمسة ايام . فقيل له بم عرفت هذا . فقال رأيت الحق نهار امس ففهممت ان اتعلق به فقيل لي بعد ست فوقي في قلبي انها ستة ايام وقد مضى لي يوم فكان كما قال . فلما حضرته الوفاة أغمي عليه فلما افاق قال لمن حوله اين الثوب الذي اعطاني ربى . ولازم على ذلك ملازم شديدة فاعطوه ثوباً من ثيابهم فرده . فقال ان ثوب ربى لا يشبه ثياب الآدميين وما كان ربى ليرجع في هبته . ثم عاد في غشيتها وكان آخر كلام سمع منه لا إله الا الله . وكانت وفاته في السنة المذكورة رحمة الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل احمد بن البناء واصله من ظفار الاشراف . تفقه في بدایته في مذهب الریدية ثم غزى علمه فصار مجتهداً لا يقلد إماماً ولا غيره . وكان كثير العزلة عظيم الورع الى ان توفي في السنة المذكورة وقيل كانت وفاته في سنة خمس وسبعين وستمائة .

وفي هذه السنة توفي السيد الاجل الفاضل يحيى بن محمد بن احمد بن علي بن سراج بن الحسن السراجي نسبة الى جده سراج احد الاشراف الحسينيين وكان اماماً كبيراً في مذهب الزيدية وعليه عكفوا مدة حتى ادعى الامامة ونزل مع قوم يقال لهم بنو فاهم في حصن لهم واطبق على اجابته خلق كثير من الناس وحسنه الاشراف الحسينيون على الرئاسة . وكانت قراءته للعلم في تهامة على الامام ابي العباس احمد ابن موسى بن عجيل . ولما ادعى الامامة كما ذكرنا كان الامير في صنعاء يومئذ الامير علم الدين الشعبي فحبسه اياماً ثم كحله فارسل الله على الذين لزموه الجذام حتى ان الرجل اذا اصابه هذا الداء يعتزل في كهف من الكهوف لثلا يتعدى الداء منه الى غيره ولا يدرى حتى قد انبعث الداء بالباقين من اهله . ثم تغيرت روايهم بحيث لا يستطيع احد ان يقربهم من نتن الرائحة فهلك كثير منهم في مدة يسيرة والقى الله بينهم العداوة والبغضاء فما برح بعضهم يقتل ببعض حتى قل عددهم ولم يبق منهم الا يسير . وأقام السيد في صنعاء مكتولاً يؤخذ عنه العلم ويأتيه النذور من المسلمين الى ان توفي في صفر من السنة المذكورة في مدينة صنعاء وقبر في مسجد الاجذم وقبره من اجل المزارات الصناعية يتبرك بالدعاء عنده وتستنجد به عند الحاجة فتقضى . قال ابن عبدالحميد: زرته مراراً ورأيت منه آثاراً حميدة . ويوجد عنده رائحة المسك ليلة الاثنين وليلة الجمعة رحمة الله تعالى .

وفي سنة سبع وتسعين ركب الملك المسعود فيمن معه من العساكر التي جمعها من المخلاف الاسفل ومن انضم اليه من اهل الجوف وغيرهم يرید المحالب فواجهه العسکر السلطاني المؤیدي صحبة الملك الظافر عيسى ابن الملك المؤید . والصاحب علي بن محمد اليحيوي فيما بين المحالب وحرس فلما تراغى الجمuan وتهما

للحرب الفريقيان رأى الملك المسعود انه مغلوب لا محالة فأذعن الى الصلح قبل اصطدام الخيل فقبض العسکر السلطاني عليه وعلى ولده أسد الاسلام . وكان ذلك في المحرم من السنة المذكورة فساروا بها الى الحرم الشريف السلطاني ف Hanna علیہما واسکنہما دار الادب من حصن تعز فأقاما فيه اياماً ثم اطلقهما وأمرهما سکنی حيس . وقدر لها جامکية جيدة جاملة لها ولن معهمها من حاشيتها وخدمتها .

مكارمٌ تسع الجانبي بنائلها وثورث الصد عزّاً بعد اذلال
وفي شهر صفر من السنة المذكورة نزل الملك المظفر متبرئاً من صنعه ولم يكن
دخلها انا كان واقفاً في ذمار . وفي شهر ربيع الاول قتل الشريف سليمان بن محمد
ابن سليمان بن موسى قتله عبيدة بالوادي الحار . وفي شهر ربيع الآخر طلع الامير
سيف الدين طغريد للمحطة على حصن شَخْبِ فوثب عليه . ولزم جماعة من مشائخ
مذحج . ونزل في آخر ليلة من جمادى الآخرة . وهي ليلة السبت وقع مطر عظيم في
قطر اليمن فعمَّ اليمن كله . وكان حدوثه على مضي النصف من الليلة المذكورة .
وكان فيه رعد عظيم وريح شديدة . وكان معظم المطر في تهامة حتى قيل انها
أخرجت سفنناً من ساحل الشرجة والأهواب بما فيها . وطرحتها على الساحل .
وهدمت حصوناً شامخة في جبال تهامة وأقلعت اشجاراً عظيمة بأصولها .

قال المصنف رحمه الله وأظلها المطرة التي تسمى مطرة السبت فانها مشهورة
مذكورة . وكانت في آخر المئة السابعة وقل من يعرفها في عصرنا هذا السنة ست
وتسعين وستمائة^(١) . وأدركت جماعةً من يعرفها وقد انقضوا الآن لتقادم العهد .
وفي شهر شعبان طلع الامير جمال الدين علي بن بهرام الى مأرب فعمر الحرمة وأعاد
امورها كما كانت على احسن قاعدة ملوكيه .

وفي هذه السنة توفي الامام مُطَهَّر بن يحيى وكانت وفاته يوم الاثنين الثاني
عشر من شهر رمضان المعظم من السنة المذكورة . وكانت بدروان حجة . وفي
النصف الثاني من شهر رمضان المذكور طلع الملك المظفر الى صنعاء . وقد كان

(١) ما بين القوسين غير موحودة في المسجد ، ولعله وسبعينة ..

السلطان جهز عسكته الى حجة . منهم استاذ دائرة الامير الكبير بدر الدين محمد بن عمر بن ميكائيل . والفقيه شرف الدين احمد بن علي الجنيد للممحطة على بن الصليحي بيمن وعلى عمر بن يوسف بالظفر . فسلما الحصين ونزلوا على الدمة . ثم توجه الركاب العالى الى البلاد العليا ، وذلك عند امتناع الاشراف من الصلاح فكان دخوله صنعاء لخمسة ايام بقين من ذي القعدة من السنة المذكورة ثم طلع الظاهر يوم الرابع عشر من ذي الحجة . وكان طلوعه في اليوم المسفر (صباحه) عن ليلة الكسوف القمرى^(٣) ويقال :

مع السعادة ما للنجم من اثر فلا يضرك مرّيخ ولا زحل

ولما استقر السلطان بالمعسكر يوم الاحد سار يوم الاثنين نحو الميقاع بعساكره فقاتل عليه ثم عاد الى محطته . وقد كان الامير بن وهاس والشيخ قاسم بن منصور صاحب ثلا خالفاً على اصحابها الاشراف . ووصل الى السلطان قبل طلوعه الظاهر . فصدر مع اولاد الشيخ قاسم ابن منصور الامير علم الدين قاسم بن حمزة والامير الصارم ابراهيم بن يوسف بن منصور في عسكته الى بلاد حمير والطرف لحرب الامير تاج الدين وأقام على العسكرية ثانية عشر يوماً في اثنائها دخلت عساكره صعدة مع الامير جمال الدين علي بن بهرام . والامير اسد الدين محمد بن احمد بن عز الدين فراكز لهم الامير نجم الدين موسى بن احمد والامير احمد بن علي والشريف محمد الهادي . ولما افترقت عساكرهم نزل الامير موسى الى حصنه عزان فخرب العسكرية داره وبستانه .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الصالح عبدالله بن ابي بكر بن عمر بن سعيد السعدي نسباً الاليني بلداً المعروف بابن الخطيب . وكان ابوه خطيباً في قرية من قرى أبين تعرف بالطَّرِيَّة . وكان مولده بها يوم الجمعة السادس من شهر رمضان من سنة اربع وعشرين وستمائة . فلما شب وقرأ القرآن خرج من بلده طالباً للعلم فوصل

(٣) في المسجد: الكسوف القمرى .

قرية الضحي من نواحي سردد فادرك الفقيه محمد بن اسماعيل الحضرمي فأخذ عنه بعض شيء ووجده مشغولاً بالعبادة قليل الفراغ لاقراء العلم فعزم على الانتقال الى بعض الفقهاء وخرج عن القرية لذلك . فعلم به الفقيه محمد بن اسماعيل فتبعه واعاده وجاء به الى ولده اسماعيل وقد تفقه وهو معتكف في المسجد يطالع الكتب . فقال له يا ولدي قد الزمتك اقراء هذا الفقيه وتعليمه فقال حباً وكراة . فكان اول من لزم مجلس الفقيه اسماعيل وتفقه به ولم يزل عنده حتى كمل تفقهه . ثم حصلت له عنابة من الفقيه اسماعيل فاستغرق في العبادة وظهرت له كرامات . وكان كثيراً ما يرى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن أمور مشكلة فيبينها له . ولما كمل تفقهه وصار مليئاً من سر الله عاد الى بلده الطيرية فلم يطب له فدخل مدينة عدن وسكن مسجداً يعرف الآن به بناية حرام الشوك . فسمع به اهل بلده وقصدوه الى المسجد وترددوا اليه حتى شغلوه عن العبادة فتعجب لذلك اشد التعب . وشكوا الى بعض خواصيه ذلك فقال يا فقيه سلهم قرض شيء من اموالهم فعمل ذلك مع أحدهم فاعتذر وخرج وصار كلما لقي احداً من اصحابه اخبره ان الفقيه سأله قرض شيء من ماله فاعتذر منه فعرفوا انهم متى وصلوا الشیخ سلهم كما سأله الاول فلم يعد احد بعد ذلك يأتي الفقيه وانقطع الناس عن الوصول اليه فاستراح لذلك اشد راحة .

وكان في عدن رجل مغربي له بنايات وفيه خير ومحبة للعلماء والصالحين وعنده دنيا واسعة فوصل الى الفقيه وصحبه وائلف به ائتلافاً شديداً وزوجه واحدة من بناته فولدت له عدة اولاد وصحب الفقيه جماعة من اهل عدن وانتفعوا به نفعاً ظيماً وتهذبوا وصاروا اهل عبادة وزهادة . وقام الفقيه في عدن مدة ثم خرج منها قاصداً تهامة فلما وصل موزع وقد علم بوصوله فتيهها وحاكمها يومئذ الفقيه حسن الشرعي خرج في لقائه فلما التقاه اكرمه وانصفه وانزله في بيته وبجله وعظم حرمته . فلما رأه الناس تأسوا به ثم ان الفقيه اعجبته موزع فتدبرها وظهرت له فيها كرامات تخرج عن الحصر حتى ان كل من جنى ذنبها و Herb على ناحية الفقيه لا يقدر عليه احد ابداً ولا يقصده احد بشر ما دام في جوار الفقيه . ولما مرض الفقيه مرض

موته الذي مات فيه دخل عليه جماعة يعودونه في يوم سبت تكون يوم الثلاثاء جلبة عظيمة يا لها من جلبة . فكانت وفاته في يوم الثلاثاء لثمان بقين من شهر ربیع الاول من السنة المذکورة . وقبره في المقبرة التي قبر فيها الفقيه يعقوب وغيره من فقهاء موزع والي جنبه قبر الكاشغری في وسطها والشروعی في شرقها ويعقوب في غربها رحمة الله عليهم اجمعین .

وفيها توفي الفقيه الصالح ابو العباس احمد بن الحسين بن ابی السعید بن الحسن بن مسلم بن علي الهمданی . وكان مولده يوم الاحد تاسع الحجة من سنة احدی وستین وستمائة . وكان فقيهًا مجتهدًا محصلًا ورعاً زاهدًا تفقه بمحمد بن ابی بکر الاصبھی وكان كثير التردد الى ابی حسن الاصبھی ويراجعه فيها يشكل عليه من المسائل ومن ورعيه انه كان في قرية العراوی شيء يعتاده وهو قدر جيد من الطعام وهو من املاک وقفها اهل الدار الشمسي برأ فتورع هذا عنه ولم يقبله . وانقطع ذلك عن القائم بالقرية الى عصرنا . وكانت وفاته ليلة الثلاثاء لثلاث عشرة بقین من ذی القعدة من السنة المذکورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل ابو حفص عمر بن عبد الله المعروف بابن عقبة نسبة الى بني عقبة القضاة الذين ذكرهم ابن سمرة في قضاة جبلة . وكان تفقهه بالفقیه عبد الرحمن بن سعید العقیبی وغيره من فقهاء جبلة ودرس في مدرسة الجبابی . وتوفي في صفر من السنة المذکورة رحمه الله تعالى .

وفي سنة ثمان وتسعين نھض السلطان الملك المؤبد اول يوم من المحرم من محطة الى اطراف الظاهر فوق هناك ثمانية ايام ثم نھض الى الجراف فوق فيها ثمانية ايام ايضاً . ثم نھض فحط بالظاهر الاسفل . وكان قد اخرب دار الامیر هما م الدین وبستانله . ثم سار نحو جبل ظفار فتأهب الاشراف لقتاله فاحرق ما حوله من الاعشاب . ووصله الامیر محمد بن داود بن الامام فوق عنده اياماً ومات في المحطة .

وفي هذا التاريخ وصل الشریف السيد محمد بن المادی المعروف بالقطابی

إلى الأشراف فارادوا أن يقدمواً أماماً وكان كاملاً فامتنع من ذلك . فلما كان يوم الاثنين الثالث من صفر نهض السلطان من محطةه فبات بالكولة واقام يوم الثلاثاء ثم سار يوم الأربعاء فحط في القصر عند أشیع فاقام هنالك يوم الخميس وسار يوم الجمعة السابع من صفر فحط على الميقاع بعساكره وجنوده . فملأت جيشه تلك الاماكن كلها وانتشرت في تلك الجهات .

إذا حلَّ في ارض بناها مدائناً وإن سار عن ارض ثوت وهي بلقع فلما أصبح يوم السبت الثامن من الشهر المذكور نصب المنجنيق على الحصن المذكور وحاصره حصاراً شديداً وهو يومئذ للامير جمال الدين علي بن عبدالله ولم يكن يومئذ فيه وإنما كان فيه ابنه الشرييف ادريس بن علي فزحفت العساكر المنصورة على الحصن ثلاثة أيام متالية فكتب الامير جمال الدين علي بن عبدالله إلى سائر الأشراف كتاباً متتابعاً يطلب منهم النصرة وهم يغالطونه ويعتذرون بالعجز . فلما استند عليه الامر كاتب في معنى الصلح وحصل خطاب ومراجعات . واستقر الحال على ان الامير جمال الدين يواجه الصاحب موفق الدين فوصل اليه . واتفق حضور الملك المنصور والملك المظفر فاجتمعوا جميعاً وساروا بجمعهم الى المقام الشرييف السلطاني . فلما علم السلطان رحمة الله عليه بوصول الامير جمال الدين علي بن عبدالله ركب من مخيمه للقاء وقد صاروا بالقرب منه . فاكرمه وانصفيه وانعقد الصلح بينهم واخذ للأشراف ذمة سبعة أشهر وسلم لاجلها حصن ذيفان لأن السلطان امتنع من الدمة عليهم . فلما استقر بالمحطة طلب من السلطان دخول الاعلام الشرييف الحصى إظهاراً للطاعة والتسليم فنصبت في أعلى الحصن وكذلك العظيمة فخفقت ذوائبه في أعلى الحصين ولقد احسن الحسن بن هانئ^(١) حيث يقول :

من كان بالسمسر العوالى خاطباً جلين له بيض الحصون عرائسا

(١) هو محمد بن هانئ الاندلسي . بعد البحث ليس هذا البيت ولا الروى ولا القافية لا في ديوان أبي بواس الحسن بن هانئ الحكمي ولا في ديوان محمد بن هانئ الاندلسي .

ولما انتظم الصلح وتسليم السلطان الحصين المذكورين العظيمة والميقان قال
العفيف عبدالله بن جعفر يملح السلطان الملك المؤيد ويذكر اخذه للحصين
المذكورين فقال :

وغيرار سيفك شاهد قطاع
فقلوبها منها تطير شعاع
والى المناقب هم له أتباع
والأيمان وفايش وكلاغ
ريأ فأورق عرقه النزاع
نكل ولا وكل ولا مجازع
خطواتها نحو المغار سراغ
والجنو من سمر السيراع يراغ
سيل الأتى تداولته تلاغ
نار ومن اسل الوشیح شعاع
فتشابه الاصباح والاهزاع
ملك مطیع للإله مطاع
لسيوفه ميقاعها ميقاع
يشقى امرؤ وجليسه القعقاع
فيهن من ثدي البتول رضاع
فيهم ولست بما حفظت تضاع
للعالين بفضله إجماع
إلا إذا ما امتد منك الباع
وُد بسيف محمد وسوان
ماذا يضر وربك النفاع

إرث الخلافة في يديك مشاع
شمس رأت غلب الملوك شعاعها
تبع التابع في عناصر حمير
عمرو وعمرو ذو الجناح ومنذر
ماء السماء سقى منابت اصله
فلقد أعراض يوسف يقطان لا
أسرى الى الشرق القصي بشرب
والشمس من لمع الحديد كليلة
وفيالق سالت هوادي خيلها
تسري فمن زُرق الأسنة فوقها
غسلت مياه سيوفها ماء الدجى
ينحو بها مبدا النجوم طوالعا
ليس العظيمة بالعظيمة عند من
لم يشق وافدهم اليه وهل ترى
فغمت أدعية بافواه لهم
وحفظت حقاً للنبي محمد
امؤيد الاسلام داود الذي
ما يلتقي شرق البلاد وغرتها
أهوى باليسيف العداة كما هو
الله أعطاك السعادة كلها

وهي اطول ما ذكرت وهذه عيونها ثم اقبل السلطان رحمة الله تعالى على

الامير جمال الدين علي بن عبد الله اقبالاً عظيماً وازال عنه ما في خاطره وجدد له حمل
الطلخانة وحمل له من الاموال والكساوي شيئاً كثيراً . ووصل ذلك كله الى
الميقاع . فخرج لانشاء خلعة الرضاء مزفوفاً بالطلخانة تحت خواتق الاعلام
المهزرية . واعاد له بلاده التي كانت له . وفي اول يوم من شهر ربيع الاول ارتفع
السلطان من المحطة الى صنعاء .

امام الكتبية ترهى به مكان السنان من العامل

قال الشريف ادريس: وسرت في خدمته مع والدي الى البون وعدت من هناك
وقد كنت خرجت اليه في محطة الميقاع فانصفي واكرمني وامر لي بمال جيد وكسوة
نقيسة وحصان جواد ولما استقر السلطان في صنعاء وصله امراء الاشراف ومشايخ
العربان . ووصل في جملتهم الامير نجم الدين احمد بن علي بن موسى بن الامام لهام
صلاح الاشراف فتم على تسلیم اللجام ونعمان وصعدة وقسمة بلاد مدع كما كانت

ايم الخليفة . وسارت البشائر بما استوى عليه من المالك .

ثم توجه السلطان طالباً قبة العزم من مدينة تعز وفي صحبتة الامير جمال الدين
علي بن عبد الله والامير نجم الدين احمد بن علي بن موسى بن الامام والامير جمال
الدين عبد الله بن علي بن وهاس وامراء العرب . وقد دانت له البلاد والعباد فاقام في
تعز اربعة اشهر .

وفي هذه المدة ظهر للسلطان ولده الملك السعيد من الجهة الكريمة ابنة الامير
اسد الدين محمد بن الحسن بن علي بن رسول . وكانت له فرحة عظيمة ولم تطل
مدته بل توفي بعد ايم قلائل فكان كما قال التهامي حيث يقول :

يا كوكباً ما كان اقصر عمره وكذاك عمر كواكب الاسحار
وهلال ايم مضى لم يستدر بدرأ ولم يمهل لوقت سرار

ثم توجه السلطان الى زبيد في شهر جادى الاخرى من السنة المذكورة
وصحبته امراء الاشراف ومشايخ العرب ودخل بجيشه مدينة زبيد فاقام فيها

شهر شعبان الكريم فصام رمضان في مدينة تعز وعِيدُ عِيدِ الفطر بها . واستودعه الامير جمال الدين علي بن عبد الله يوم العيد وهما على السفاط وتوجه الى بلاده في شوال .

وحكى الشريف ادريس في كتابه قال تذاكرنا عند والدي رحمة الله انصاف السلطان له وما اعطاه من يوم خروجه من الميقاع في سلخ صفر الى ان فارقه في مستهل شوال فحسبناه جملأً تدقيناً فكان اكثر من سبعين الف دينار ملكية خارجاً عن الكسوات والخيول والعروض والآلات . وما اشبهها بقول القائل :

تلك المكارم لا قعبان من لبن شيئاً بباءٍ فعادا بعد ابوالا

وفي شهر ذي القعدة قدم الملك المظفر حسن بن داود الى اقطاعه بصنعاء . وكان قد نزل مع ابيه يوم نزوله . فكان دخوله صنعاء يوم الاثنين ثالث عشر ذي القعدة من السنة المذكورة . فاقام بها الى سلخ ذي الحجة من السنة المذكورة . وتقدم الركاب العالى الى عدن . وكان تقدمه في آخر شوال من السنة المذكورة فاقام هنالك الى سلخ ذي الحجة وعِيدِ عِيدِ النحر بها وكان السفاط في حقات تحت المنظر السلطاني على شاطيء البحر وقام الشعراء على السفاط بتنوع المادح . وتعذر وصول الاديب عبدالله بن جعفر فارسل بقصيده صحبة الشيخ محمد بن خطاب فانشدتها على السفاط وهي قصيدة طنانة من مختارات شعره :

أعلمت من قاد الجبال خيولاً وأفاض من لمع السيوف سيلولاً
واملاج بحراً من دلاصٍ سايع جرّت أسود الغاب منهُ ذيولاً
ومن القسي أهلة ما ينقضي منها الخضاب من النصول نصولاً
وتزاحمت سمر القنا فتعاقبت قرباً كما يلقى الخليل خليلًا
فالغيث لا يلقى الطريق الى الثرى والريح منهُ لا تطيق دخولاً
سحب سرت فيها السيوف بوارقاً وتجابت فيها الرعد صهيلًا
طلعت استهاناً نجوماً في السما فتباردت عنها النجوم أفولاً

تركت ديار الملحدين طلولا
 والارض ترجمت تحتها من افكل
 حطمت جحافلها الجحافل حطمة
 طلبوا الفرار فمد شيطان القنا
 عرفوا الذي جهلو فكل غصنفر
 اين الفرار ولا فرار وبعدهم
 ملك اذا هاجت هوايج بأسه
 يقفوا المظفر والشهيد ماثراً
 وافق الى عدنٍ كمقدم جده
 بحرٌ الى بحر يسير بهله
 فتطايرت امواج لجته الى
 وتقبلت عدنٍ جبينك والتقت
 فالشمس تحسد تاجك المعقود والـ
 لو يستطيع التغر كان مقبلاً
 ان جاوزت هذى الشهائل بحره
 انت الذي الدنيا ميسرة به
 فالليوم قد وهب الـله خلقه
 وأتى لهم بدر السماء بذمه
 اهبر غسان بن قحطان الذي
 في كل يوم لا برحت مقابلاً
 في حيث ما رفعت بنودك تُرْكَتْ
 لولا العوائق والعائق لم أغب
 ومن التكرُّم والتفضيل لم يزل
 لا زال توفيق الـله مقارناً

ما يبيع بها دماً مطلولا
 والجوء يحسب شلوه مأكولا
 تدع الحمام مع القتيل قتلا
 فأعاد معقلهم به معقولا
 في الناس عاد نعامة اجفلا
 من ليس يترك للفرار سبيلا
 ترك العزيز من الملوك ذيلا
 وعلى وفخراً في الملوك أثيلا
 سيف بن ذي يزن الـكريم اصولا
 والبحر احقر ان يكون مثيلا
 عيذاب ينذر دجلة والنيل
 في ملقاء سعادة وقبولا
 إكليل يحسد ذلك الإكليل
 بالثغر منه ركبكم تقبيلا
 جعلت مذاق الماء منه شمولا
 والناس ينتظرون جيلاً جيلاً
 ظلاً على الأقطار منه ظليل
 مكتوبة لا يظلمون فتبلا
 يدعوه في النسب القبيل قبلا
 فتحاً من الملك الجليل جليل
 آيات نصرك فوقها تنزيلا
 عن ظل بابك بكرة وأصيلا
 عذري الى صدقاتكم مقبولا
 لك حيث كنت إقامة ورحيل

وقدم التجار المقيمون بالشغر التقاضي النفيسة على عوائد الملوك فردها السلطان وامر بافاصحة الخلع عليهم والتشارييف والراكب من البغال المختارة بالعدد الكاملة والسروج المذهبة والزنانيز المتنوعة . واجرى نواخيد الهند على جاري عادتهم . وامر باكرام النواخيد والتجار المتربدة الى الشغر المحروس وامر بابطال ضمان بيت الخل . واقام بفضلة موسم العدل . وشاهد موسم الخيل من باب الطويلة . وسارت النواخيد والتجار الكارمية ناشرين لواء عدله في امصارهم . وابتسم الشغر عن مقابلته وعاد قافلاً الى مدينة تعز .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الصالح عبدالله بن احمد بن محمد الشكيل وكان مولده سنة سبع عشرة وستمائة اخذ في بدايته عن ابيه ثم عن ابن ناصر بالذنبين . ثم عن عبدالله بن عمران الخولاني المتقدم ذكره . وكان جميل الخلق حسن القامة ذات حية حسنة . ولقد سمع منه كثير يقول ما ذقت مسکراً قط مع كونه في بلادهم كثيراً ولا فاتتني صلاة لوقتها منذ بلغت ولا اتيت كبيرة .

ويروى عن الفقيه صالح بن عمر البريبي انه رأى في منامه قائلاً يقول اذا اردت ان تنظر شيئاً ابي بكر الصديق فاخذ ضحى ليلتقط هذه الى صلب ذي السفال تلق الرجل . قال فصلحت الضحى لاول وقتها ثم خرجت نحو الصليب الذي اشار اليه المخبر في النوم فلم الق ذا شيئاً الا عبد الله بن شكيل ماشيأً ومعه صاحب له يحمل مشعله فلم اشك انه المعنى فسلمت عليه وتبركت به . وكانت وفاته ليلة الجمعة بعد صلاة المغرب غرة ذي الحجة من السنة المذكورة رحمه الله . وفيها توفي الفقيه الصالح ابراهيم بن الفقيه محمد بن ابراهيم الماري . وكان مولده سنة خمس عشرة وستمائة وتفقه بعمر بن سعد وهو اكثـر من تروي كراماته ودرس بعد الفقيه ابي السعود في حـياة شـيخه .

ومن غريب ما يروى للفقيه عمر من الكرامات انه قال حصلت على حمى حتى انقطعت بسببها اياماً في البيت فسأل الفقيه عنـي فاخـبره اخـوته بذلك فـاتـاني يـزوـرنـي الى ذـي مـهـدانـ . وـقالـ ليـ ياـ اـبرـاهـيمـ اـتـحـبـ انـ اـكـتـبـ لـكـ عـزـيـةـ تـعـلـقـهـاـ عـلـيـكـ . بـشـرـطـ

ان لا تفتحها ولا تنظر ما فيها فقلت نعم فاستدعى بدواة وقرطاس . وكتب سطرًا لم ادر ما هو ثم طوى الورقة وناولنيها وأمرني بتعليقها على عضدي بخيط ففعلت . فلم اكد أتم تعليقها حتى انقطعت عني الحمى فعجبت من ذلك فقلت في هذه الورقة اسم عظيم وأظن الفقيه حسدي عليه . ثم فتحتها . فوجدت فيها مكتوبًا بسم الله الرحمن الرحيم لا غير فعجبت من ذلك وداخلني بعض ما يدخل العارف من المعروف اذ بالحمى قد عاودتني بحالة اشد من الاولى فرحت الى الفقيه واخبرته فقال لعلك فتحت العزيمة فقلت نعم فقال اكتب لك غيرها بشرط ان لا تنظر فيها فقلت سمعاً وطاعة . فكتب مثل ذلك . وامر من عمل لها خيطاً وعلقها على فلم تأتني الحمى ، فلبت اياها ثم فتحتها فوجدت فيها ما وجدت اولاً . فداخلني شيء ما هو دون ما داخلي اولاً فلم أقم حتى عادت الحمى فرحت الى الفقيه وسلمت عليه فقال هل نظرت في العزيمة فقلت نعم قال الم انه اقتصر عن ذلك وانا اكتب لك غيرها . فأجبت بالطاعة وكتب لي غيرها فلما علقتها انقطعت الحمى فحمدت الله تعالى ولم افتح العزيمة الا بعد سنين عديدة فلم اجد غير ما وجدت في الاولى والثانية فقبلت ذلك ووضعته على رأسي فلم تعد لي الحمى بعد ذلك . ولما صار القضاء الىبني محمد بن عمر جعلوا هذا ابراهيم قاضياً في جبلة فاقام مدة يسيرة ، وتوفي وكانت وفاته في شهر رمضان من السنة المذكورة .

وفيها توفي الفقيه الصالح ابو محمد عبد الرحمن بن اسعد بن محمد بن يوسف الحاجي ثم الركيبي وكان مسكنه بقريه تعرف باروس بهمزة مفتوحة وراء ساكنة . وواو مفتوحة وآخره سين مهملة . وهي من ناحية الدملؤة تفقه بعد الله بن عبيد السجبي السجبي ثم ارتحل الى عدن فأخذ بها عن الفقيه ابي بكر المقربي واخذ عن البيلقاني وكان فقيهاً تقىً عارفاً درس في بلده واخذ عنه بها جماعة وانتفعوا به . وكان مبارك التدريس فممن تفقه به محمد ابن ابي بكر مسجع . وعبد الله بن عبد الرحمن حاكم الدملؤة . وعلى بن محمد السجيلي . ومحمد بن عمر الخطيب وعبد الله بن ابي بكر الخطيب قاضي الجوة وابو بكر بن محمد الاشعري .

قال الجندي : ولما محت بحسبه عدن جعلت ابحث عن احوال حكامها وفقهاها القاطنين والواردين فسمعت اهل عدن يذكرون عن هذا انه كان ذا قضاء مرضي وانه لم يصل ايامبني محمد بن عمرو بعد ابن مياس قاض مرضي السيرة في الظاهر والباطن غير هذا الفقيه . وكانت وفاته في السنة المذكورة في ناحية المفاليس رحمة الله .

وفيها توفي الفقيه الصالح ابو عمر يوسف بن عمران بن النعيمان بن زيد المرازي وكان فقيهاً صالحًا خيراً عالماً ورعاً راهداً وولي قضا الجند . وكان متخرجاً ولم تطل مدة وفاته على النهج المرضي في اول السنة المذكورة .

وفي سنة تسع وتسعين اخذ الملك المظفر حصن عراس بالسيف قهراً وأخذ قبله حصن إرياب وهما للاسماعيلية . واقامت لذلك في صنعاء فرحة عظيمة وكسا جامعها بتنوع الملابس . وامر امير البلدان يلبس الدكاكين والأسواق واظهروا سب الاسماعيلية .

وفي هذه السنة توفي الامير الكبير جمال الدين علي بن عبدالله بن الحسن بن حمزة بن سليمان بن حمزة في حصنه الميقاع . وكان من رؤوس الاشراف ووجوههم واعيائهم وصدورهم . وكانت وفاته يوم الثامن من جمادى الآخرة من السنة المذكورة . وعمره يومئذ نيف وبسبعين سنة ولما توفي في تاريخه المذكور تمثل بقول زياد الاعجم حيث يقول :

مات المغيرة بعد طول تعرض للقتل بين اسنة وصفاح

ولما مات الشرييف جمال الدين اجمع اهله على تقديم ولده الامير عماد الدين ادريس . وكان الشرييف ادريس من اعيان الرجال جاماً لخصال الكمال فارساً هاماً شجاعاً مقداماً اديباً اريباً عاقلاً ليبيًا جواداً كريماً عفيفاً حليناً جاماً لاشتات العلوم من المنشور والمنظوم وهو مصنف كتاب كنز الاخبار في التواریخ والاخبار . وله غيره من التصانیف المفيدة لا سيما في التاریخ . ولما توفي والده كما ذكرنا كتب الى السلطان الملك المؤيد يعرف خاطره الكريم انه ثمرة شجرة غرسها إنعامه وغضن

دوحة سقاها اكرامه وتقديم شكر بن علي القاسمي الى الباب الشريف فقرر له عند السلطان . وكتب اليه بان يصل الى الابواب الشريفة وارسل له بذمة سلطانية . فلما وصلته الذمة السلطانية تقدم الى الباب الشريف وكان وصوله آخر ذي القعدة من السنة المذكورة . وكان السلطان يومئذ في ثعباب فأحضر للسلام الى دار السلام فتلقاء السلطان بالترحيب التام والاجلال والاكرام واتفق حضور عيد النحر من السنة المذكورة . فبرز الامر الشريف الى اتابك العساكر المنصورة انه لا يستفتح الميدان أحد غيره مقدماً على كافة الامراء ووجوه الدولة فكان كذلك ولما كان بعد العيد جرى الكلام على تسليم ما تحت يديه من الحصون وكان تحت يده العظيمة والميقاع فرأى ان تسليمها عنوان السلامة لانه عنده عدالة فخشى ان يؤخذ عليه فيهم الى المساعدة . وفي هذه السنة توفي الفقيه الفاضل الامام ابو العباس عباس المساميри ثم الرافعي وكان مسكنه قرية القرشية من وادي رمع . وكان فقيهاً فاضلاً كبير القدر شهير الذكر من اقران الفقيه ابى الحسن بن منصور المحدث بزبيد وكان كثيراً ما يقول ابو الحسن اكثراً كتبأ مني وأنا اكثراً علماً منه . وكان يغلب عليه فن الأدب ويقول شعراً جيداً :

أو من له حسب الآباء والشيوخ
لا يطلب العلم الا الحرُّ ذو الكرم
أو لوزعي أبي سيدٌ فطنٌ
مقبلٌ يقطُّنُ : مستقبل الفهم
اما ذوى الصدُّ من قد ذكرتهمُ
بالفلس عندهم من اشرف الهمم
أفِ لهم ولدنياهم وما جمعوا
كل امريء راسب في العلم عنصره
ويفيها توفي الفقيه الحسن علي ابن محمد الحكمي كان فقيهاً فاضلاً عارفاً تفقه
بعلي بن ابراهيم البجلي . ودرَّس في حياته مدة وانتفع به جماعة وتزوج بابنة أخيه
الفقيه عمر بن ابراهيم وظهر له منها اولاد . ولم يزل على التدريس الى ان توفي في
صفر من السنة المذكورة رحمه الله . وكان له ولد سلك مسلكاً غير لائق . وتوفي في
الجهة هنالك والله الموفق .

وفي سنة سبعينية تسلم السلطان الحصون التي كانت تحت يد الشريف ادريس بن علي في السادس عشر المحرم . وامر السلطان ان يجري على عادة ابيه فحملت له الطلقخانة والاعلام وامر له بسبعة آلاف دينار وتحف وملابس وخيل وماليك . وركب الامراء والاجناد الى الخدمة الشريفة تحت خوافق الاعلام السلطانية وارداً وصادراً واثنى الى داره فيما من العسکر المنصور . ودخلوا الى سط جليل الشأن مختلف الطعم والالوان . وبعض المنشور باقطاع مدينة القحمة . وقال في ذلك قصيدة يمدح بها السلطان يقول فيها :

عوا على الربع من سلمى بذى قار
واستوقفا العيس لي في ساحة الدار
وسائلها عسى تبئكما خبراً
وقال في اثنائها :

يا راكباً بلغن عنى بنى حسن
انَّ المؤيد أسماني وقربني
اعطى وامطى واسدى كل عارفةٍ
واختصني بولاء منه فزت به
فلست اخشى لريب الدهر من حدث
وكيف خوفي لدهري بعدما علقت
الاروع الاغلب الغلاب والاسد الـ
بن اذا خفقت راياته خضعت
وقابلته بن تهواه باذلة ما يرتضي من اقاليم وامصارٍ
ثم تقدم الركب العالى الى تهامة فكان مسيره من تعز يوم السبت الثالث من
صفر . فلما دخل زبيد اقام بها الى ايام في شهر ربيع الاول . ثم نهض يريد
الاعمال السردية فدخل المهاجم في الف فارس من عسکره . وهنأه عدة من شعراء
دولته . منهم الفقيه العفيف عبدالله بن علي بن جعفر الشاعر المشهور فقال :

لو كان يقدر ان يكون الزائر لك سردد لمشى اليك مبادرا

منع الجماد جموده ان يعتري
وتمرّغت ارض على الارض التي
شرفت مهجم سردد فتشرفت
اوردتها رجراجة جفينة
بحر اذا ما الرياح سارت فوقه
شرعت صدر الخيل في حافاته
اذكرته مَعْدِي ايك لمة
وكفاء فخرا ان يمس قساطلاً
حظ يكون به تراب بلاده
عجبأ لحلمك في الخلائق عادلاً
ولحد سيفك اين غاية حدو
نار بقبضة راحة فياضة
ولقد تعدى في الطلا افعاله
ثبتت اصول الملك بين بيوتكم
فحكت اواخركم بذلك اوائلأ
انجابت من جرشومة ملكية
اعجزت السنة الخلائق كلها
فبقيت يا ركن الخلافة دائماً
فاقام السلطان في المهمم اياما ثم نقل الى زبيد . فتقدمت العساكر المنصورة
إلى بلاد المعازبة لفساد ظهر منهم فقتل منهم جمعاً كثيراً ونهب اموالهم ثباً شديداً
وسلموا الرهائن فتركت رهائين في زبيد . وتقدم السلطان إلى النخل في أوائل شهر
رجب فاقام هنالك اياماً . ولما عزم على الطلوع إلى تعز تقدم ولده الملك الظافر إلى
صنعاء مقطعاً بها فلقى القبائل إلى نقيل صيد . فلزم أهل صعدة خاصة وانحد خيلهم
لموجب فعلوه . وسار إلى رداع ثم إلى ذمار . ثم دخل صنعاء في العشر الاواخر من

رمضان . وسار السلطان من زبيد يرید تعز في النصف من رجب . وفي اواخر هذه السنة وقع بين السلطان والاشراف مكتبات بسبب حوادث حدثت بين الامير محمد ابن احمد بن موسى بن احمد والامير تاج الدين محمد بن احمد بن يحيى فتحرک السلطان الى الجند وطلب المناخات السعيدة من التهائم . وتقدم الامير سيف الدين طفريل الخازنی الدار الى ذمار وعزم السلطان على طلوع البلاد العليا فوصل القاضي الذماری بما يرضی السلطان من رهائن الاشراف وقام الصلح .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الفاضل عثمان بن ابی بکر بن منصور الشعبي وکان من الفقهاء الناسكين مشهوراً بكثرة الصيام والقيام، فلما يفتر من الايام الا قليلاً . وتفقه اولاً بفقهاء المصنعة وبأهل سهفته ثم ارتحل الى تهامة فتفقه بها ايضاً على الامامين اسماعيل بن محمد الحضرمي واحمد بن موسى بن عجیل وكان كثير الحج والزيارة الى ان توفي في السنة المذکورة تقریباً . فكانت وفاتہ في مدينة رسول الله صلی الله علیه وسلم . ودفن في البقیع مع الصحابة رضی الله عنهم .

وفي هذه السنة توفي الشيخ ابو بکر بن الشيخ علی الاهدل . وکان فقيهاً شيخاً فاضلاً . ويروى ان الشيخ أبا الغيث بن جیل مرّ بهم في بعض اسفاره فاقام عندهم اياماً في رباطهم واجتمع عنده يوماً جماعة من الفقهاء وسألوه عن عبارة الشيخ ابی بکر واجاب السائل . فقال الشيخ ابو الغيث خذوا جوابکم منکم . وكان رجلاً مباركاً فاضلاً . وغلب عليه التصوف وطال عمره حتى قيل انه بلغ عمره مئة سنة وخمس عشرة سنة توفي في السنة المذکورة .

وفي هذه السنة توفي الشيخ الفاضل منصور بن حسن بن منصور بن ابراهيم ابن علی بن ابراهيم بن علی بن محمد الفرسی نسباً بالفاء المضمومة والراء الساکنة والسين المهملة قبل ياء النسب . ولد في شهر رمضان من سنة سبع عشرة وستمائة . وكان احد اعيان الكتاب في الدولة المظفرية وصدر المؤیدية ولم يكن له فيهم نظير في كتب الادب ولا في كثرة المحفوظات نظماً ونثراً ومهمها اشكال من ذلك في وقته اما يرجع اليه في الغالب . وانحدر عن الامام الصغاني المقامات وغيرها . وانحدر عن

غيره كزكريا بن يحيى الاسكندري عدة من كتب الحديث وغيرها . ويقال كان محفوظه من الشعر يزيد على عشرة آلاف بيت . وكان غالب اوقاته ناظراً إما في عدن واما في جبلة وهما من اعظم محطات اليمن وما عرف بغلط في الحساب ولا خيانة لخدوم ولا بظلم الرعية . وتوفي وهو ناظر في جبلة في اليوم العاشر من المحرم من السنة المذكورة والله اعلم .

وفي سنة احدى وسبعين سار السلطان من الجندي الى الدملوؤة فاقام فيها عشرين يوماً . وعاد الى تعز وعزم على طلوع البلاد العليا فاستدعى الشريف عماد الدين ادريس بن علي من القحمة . فلما وصل تعز اتصل العلم ان الاشرافبني على اصحاب المخلاف السليماني قتلوا المقدم خططاً واخذوا من رتبته اربعين فارساً . وكان مقيناً بالراحة في مئة فارس فبرز مرسوم السلطان الى الشريف ادريس بالتقدم نحوهم . واضاف اليه عسكراً من الحلقة المنصورة ومشد زيد احمد بن الحربيري والامير المتولي بحرض . فسار العسكر المنصور الى الراحة ودخلوها قهراً آخر شعبان من السنة المذكورة . وخرجوا هاربين فتبعهم العسكر الى نحو اللؤلؤة . وحرق العسكر قرى المفسدين ثم انهم طلبوا الذمة والصلح واعادة الخيل التي اخذوها من الراحة . وتسلم نائب السلطان الراحة وهو الشريف علي بن سليمان بن علي وانشى العسكر المنصور قافلاً الى الحرم الشريف السلطاني .

وفي جمادى الآخرى من هذه السنة اوقع الامير سيف طغرييل بالجحافل والعجالم . وكان يومئذ مقطع لحج فقتل منهم نحواً من اربعين رجلاً . ثم اوقع بهم وقعة ثانية في ناحية الدعيس فقتل منهم نحواً من سبعين رجلاً . وفي آخر شعبان من السنة المذكورة طلع السلطان الى البلاد العليا فاقام بالجندي اياماً وبالموسعة اياماً وبصناعة اياماً ثم خرج منها الى الظاهر وطلع من نقيل عجيب . وكان السبب الذي اوجب طلوعه ما فعله الاميران موسى وتاج الدين في الصلح من خراب تعز والقبة . ثم دعوة ابن مظهر الى نفسه بالامامة واجتئاه بالاشراف في حوث وتقدمه الى الطرف . ونزل الامير تاج الدين الى حجة المخلافة وقد خالف اليه بنو شاور

وغيرهم من قبائل العرب فاحرق العارضية وعاد .

فلما طلع السلطان من نقيل عجيب لقيه الامير موسى بن احمد الى هنالك والامير عبدالله بن وهاس وطلع السلطان جبل ظفار من جبل صبع . واستولى على القبة يوم الثلاثاء آخر يوم من رمضان فحط فيها بجميع عساكره . وسار بكرة يوم الاربعاء . واشرف ظفره على ظفار من الجهة التي تلي القاهرة من غربتها ونزل جماعة من العسكر يقاتلون في الساقية وقتل نقيب الملك المنصور وعاد السلطان الى القبة فاقام بها ثانية ايام وشرع في عمارتها فلحق العسكر فيها مضرّة شديدة من عدم الماء والزاد فبلغت القرابة عشرة دراهم والزبدى الدقيق كذلك .

ولما تحقق السلطان مضرّة العسكر امر بان تنتقل المحطة الى ورور ورتب في القبة الامير نجم الدين موسى بن احمد ورتب في تعز الحسام بن مسعود ابن طاهر وهو الحصن القديم الذي اخر به سليمان بن قاسم . وامر بعمارة الموضعين ونصب في تعز منجنيق فاضرّ بهم المنجنيق غاية الضرر واستمر الرمي والمحاصر وقد يقع قتال بعد قتال في بعض الاوقات تحت باب النصر بين اهل المحطة واهل ظفار . ثم اصاب المحطة آفة فهات كثیر من الجمال خاصة . وكان السعر تارة يرخص فيبلغ الزبدى اربعة دراهم وقد يعلو فيبلغ سبعة دراهم . واعشر على العسكر بالزحفة والقتال فدقت الكوسات الهزيرية وخافت السناديق السلطانية فاشبهت البروق اللوامع . فرأى الامير علم الدين سليمان بن قاسم انه اذا دام هذا الامر ادى الى خراب بلاده فاعمل الحيلة في ذلك فاخرجبني اخيه وجماعة من الاشراف الى خارج درب ظفار عند باب جبير . وكان وزيره علي بن دحروج فصاح باعلى صوته ان الامير والاشراف يسألون من السلطان ان يشرف عليهم فخدموا له باجمعهم وقالوا نحن غلامان السلطان . فطلب ابن دحروج ذمة يصل بها الى المخيم فأجิبر الى ذلك فنزل ومثل باللقاء السلطاني . واستقرّ الامر على ان الشريف سليمان بن قاسم يبيع على السلطان حصن تلمص بخمسين الف دينار ويرهن بذلك احد ولدي اخيه محمدأ وداود ووزيره علي بن محمد بن دحروج وان يخرب السلطان تعز المعمور على ظفار

والقبة وعلى ان الامير تاج الدين يسلم حصن الحدة والحقوب . ويخرب حصن شريب ويناقل بشيء من بلاده الى بلاد مدع ويرهن ولده . فقال من حول السلطان هذه مصلحة عظيمة فان السلطان يملك صعدة بغير شك . وهذه الرهائن وثيقة لمن صدق . فاجاب السلطان الى ذلك وقبض الرهائن بعد ان صاح لهم بالطيب واطلع لهم المال المشروط . وجهز السلطان الفقيه شرف الدين احمد بن علي الجنيد في عسكر لقبض تلمص . وارسل الشريف سليمان بن قاسم رسولًا معهم من احد ثقاته وتقدموا جميعاً الى صعدة . وعيَّد السلطان عيد النحر في ورور . وتختلف الشعراء لبعد الشقة فلم يحضر منهم الا الاديب سابق الدين يوسف العنسي فقام يوم العيد بقصيدة بد菊花 . وهي :

حتى يسيل من الدماء عيون الملك ليس ينام منه عيون
ما بات وجه الدهر وهو مصون لولا ادالتك المصون من العدى
ضمن السيوف فانه مضمون ضمنت لك الملك السيوف وكل ما
النصر والتأييد والتمكين وافيته بكتائب اعلامها
من كل ارعن مكهرا اصبحت لو شئت تورد بعضه جيحون ما
فجلاد سرد دلاصه الموضون كم نقع ليل قد دجا من ركبته
فمقامها في الشرق اين يكون ضاقت لكشته البسيطة كلها
فلقد أصلتهم عليك حصون فدع الحصون بلاقعاً من اهلها
قد ملهم ايضاً هناك سكون ملوا السكون بها وظنني انهم
هي للطغاة جميعهم طاحون فاطحنهم طحن الردى بكتائب
فاعقل حديثي فالحدث شجون فالارض ارثك كلها من تتبع
صرواح كان وقصركم بينون غمدان قصركم القديم وقصركم
أخفت ظهور منكم وبطون اظهرت بالجيش العرم كلها
ج الدين فهو لملوكهم خرب ظفار ولا تدع كحلان تا

يا ابن الملوك ففوقه لك دون
من يكيدك جاهداً وينمون
في حيث كنت ووجهها ميمون
لتذكر المفروض والمسنون
كهفاً يلوذ بظلك المسجون
وارسل الفقيه عفيف الدين عبدالله بن جعفر بقصيده الى المحطة بورور

وهي التي يقول فيها :

فعلت بهجته النوى افعالها
متحملأً ثقل الهوى لما رأى
وفيها يقول :

ما ان ترافق اينها وكلاها
سرح الحرير فلا تشد رحالها
أبد الزمان ولا يكون مثالها
عشرت فقال لها لعا واقفالها
طول الزمان ولم يكن الا لها
جعل الخدود من الملوك نعامها
يوم القيمة اذ رأوا أهواها
من رميها ومن القسي تنالها
وسما^(١) فسها سفت احبالها
وغللت منها باليمين شمامها
داود منتخب السورى مفضالها
من راحتيك وللعدى آجالها

يا منصبي البكرات في طلب الغنى
ان لم تشد رحالها يوماً الى
сад الملوك فلا تكون مثاله
وَدَعَتْ بِدَاوِدْ الْهَدَىْةْ حيث ما
وحوى الخلافة لم تكن الا له
ملك اذا شن الجياد لغارة
وتذكروا بالمنجنيق عليهم
فرموا اليها بالحصون مخافة
لولم يطعك ظفارها وترعرها
وغللت منها في الشهال يمينها
يا ابن المظفر يا هزبر الدين يا
لا زلت تقسم للمرجي فضلها

ولما كان يوم الجمعة الخامس عشر من الشهر المذكور نهض السلطان من محطة

(١) كما في الاصل الخطي

ورور وسار نحو خرفاً فزحف عليه يوم الثامن عشر من الشهر المذكور فقاتل العسكري قتالاً شديداً وبلغ الشفاليت بباب الحصن . ووقع عنده هنالك الطعن والضرب ونزل الشفاليت المكسورة . فاخرب اهل الحصن المحمولة . ورجع الشفاليت للقتال فوجدوها قد أُخربت . والا فما كان دون فتحه شيء . وقتل من العسكري جماعة رميأ بالنشاب فمنهم الامير محمد ابن الشعبي فامر السلطان عليهم بالمحطة ونصب المنجنيق . فاقام ثانية ايام . ثم سار الى صنعاء وترك في المحطة على خرفاً الامير شمس الدين عباس بن محمد بن عبد الجليل .

وفي هذه السنة توفي الامير الكبير الشريف ابو نعيم محمد بن ابي سعد بن علي ابن قنادة الحسني صاحب مكة حرسها الله تعالى . وكان اميرأ كبيراً له حظ وافر في الاميرية راغباً في الادب وساعده . وله الاجازات للشعراء الوافدين عليه من اطلاق الخيال وإجازات القصائد .

وقد كان لما اتصل السلطان الملك المؤيد بالملك جهز تلك السنة علمه المنصور وحمل الحج السعيد صحبة القائد بن زاكى فتلقاء الشريف ابو نعيم بالاجلال والاكرام . وخفقت ذواب العـلـمـ الـمـنـصـورـ عـلـىـ جـبـلـ التـعـرـيفـ بـعـرـفـةـ . واعلن مؤذنه على قبة زمز زبناقب السلطان على رؤوس الاشهاد فسمع تلك الاوصاف من ضمه ذلك المقام الشريف . وخلف السلطان الملك المؤيد الایام المغلظة ولبس على قميصه على مقتضى ما جرت به العادة ووصل الى الشريف المذكور ما اقتضته المواهب السلطانية مما كان قرره الخليفة من العين والغلة والكساوي والطيب والمسك والعود والصندل والعنب والثياب الملونة والخلع الفيسة . وكان مبلغ العين ثمانين الف درهم ومبلغ الغلة اربعين مد . واستمرت أمريته على مكة ونواحيها اكثر من خمسين سنة . وكان له من الولد اكثر من عشرين ولداً . فافتقرت اولاده بعده . وافتقرت الاشراف والقواد مع اولاده . فكان طائفة منهم مع رميثة وحبيشه وطائفة اخرى مع ابي الغيث وعطيقة فاستقوى رميثة وحبيشه على ابي الغيث وعطيقة فلزماهما فاقاما في محبسهما مدة ثم احتلا فخرجا وتجروا في بعض بيوت القواد والاشراف فاجاروهما .

ولما وصل الحاج المصري تلقاهم ابو الغيث فما لوا اليه فلما انفصل الموسم قبض امير الحاج المصري على الشرييف بن رميثة وحبيبة . وكان امير الحاج يومئذ الامير الكبير ركن الدين بيبرس فسار بها الى مصر مقيدين وامر في مكة محمد بن ادريس وباها الغيث وحلفها لصاحب مصر فاقاما اياماً ثم ان الشرييف ابا الغيث اخرج محمد ابن ادريس واشتاد الامر وجرت بينهما حروب كثيرة قتل فيها جماعة من الاشراف . ثم ان الشرييف ابا الغيث كتب الى السلطان الملك المؤيد ببذل الطاعة والخدمة والنصيحة وارسل برهاينة فقبل منه السلطان ذلك .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الفاضل محمد بن علي بن عيسى العكاري نسبة الى قوم يقال لهم الاعكور . وهم بيت من السكاكين قاله الجندي وكان فقيهاً حبراً تفقه بالفقية علي بن احمد الاصبهي صاحب المعين وحج معه في هذه السنة فدخل مكة محراً بعمره فلما حل من عمرته قصد مدينة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم للزيارة فرار الضريح النبوى واقام اياماً هناك . ثم قفل نحو مكة حرسها الله تعالى فتوفي في وادي مر عائداً من الزيارة في شهر ذي القعدة من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل ابو بكر بن مسعود . وكان فقيهاً فاضلاً بسكن قرية العراهد . وكان مستجاب الدعوة تفقه بالفقية ابي القسم الزيلعي وبغيره . وكانت وفاته في السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الصالح ابو حفص عمر بن محمد بن عبدالله بن سلمة الحبيشي الوصابي . وكان ذا علم وعمل وزهد وله الشهرة في التعبد والصلاح وكان قد تفقه بالفقية ابراهيم بن محمد بن عبدالله بن محمد بن اسما عيل الماربى وعلى غيره من العلماء . وتولى القضاء في ناحية وصاف . ولم يزل على الطريقة المثلث الى ان توفي يوم الاثنين الخامس عشر من جمادى الآخرى من السنة المذكورة رحمة الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الرابع ابو عبدالله محمد بن علي بن جابر . وكان فقيهاً عارفاً

محققا ولد في شهر ربيع الآخر من سنة ثلاثة وستين وستمائة وتفقه في بدايته بحاله الفقيه أبي عبدالله محمد بن أبي بكر الأصبهني ثم الامام محمد بن علي بن احمد الأصبهني ثم الفقيه صالح بن عمر ثم بفقهاء توز ، كابن صفي وابن التحوي ثم ارتحل الى عدن فأخذ بها عن أبي العباس القزويني وعن أبي العباس بن الحواري . واخذ صحيح مسلم عن التاجر المعروف بالشهاب صقر التكريتي لعلو سنه فيه . ثم رجع الى بلده ودرس في المدرسة الجديدة بالحمراء في مدينة توز . وكانت وفاته في شهر المحرم من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفي سنة اثنين وسبعينه جهز السلطان الملك المؤيد رحمه الله الشرييف ادريس ابن علي فاخرب الجاهلية ورحابة وجهز الامير شمس الدين عباس بن محمد الى جبل جشم فأخرب زروعهم . وكان السلطان رحمه الله قد قبض رهائن الاشراف حين اراد النهوض من محطة ورور وهم الاميران محمد بن احمد بن القاسم واخوه الامير داود بن احمد بن القسم والشيخ علي بن دحروج وولده وولد القاضي احمد الذماري . وجهز الفقيه شرف الدين احمد بن علي الجنيد لقبض تلمص . وصدر معه الاشراف رسولان منهم كما ذكرنا . فامتنع اهل الحصن من تسليمه وسلموه الى الشرييف ابي سلطان فسار الشرييف شكر الى الاشراف بظفار ل تمام ما قد قيدوه من تسليم حصن تلمص فاقام عندهم اياماً . ثم وصل كتابه بطلب وصول الامير محمد بن حاتم فسيرة السلطان اليهم . وفي خلال ذلك وصل الامير سيف الدين طغرين من اقطاعه يلتحق فاقطعه السلطان صنعاء وذلك في النصف الثاني من صفر . وقام الامير شكر والامير محمد بن حاتم اياماً بظفار . ثم عاد الى السلطان بذمة ستة اشهر على رهائن آخر بذها الاشراف . وطال الحديث في ذلك فغضب السلطان غضباً شديداً وجهز الامير سيف الدين طغرين والامير بن وهاس فحطوا في ورور ومعهم الشيخ محمد بن علي دحروج في الترسيم وقد اظهر الخدمة والنصيحة وتケفل للسلطان باخذ ظفار في ثمانية ايام . فلما صاروا في ورور صدوا جيشاً فلزمو القبة وشروعوا في عمارتها واقامة المحطة بورور . ووقع في البلاد قحط شديد بلغ الزيدي

في المحطة اربعة دنانير واكثر من ذلك . وخلا كثير من البلاد من اهلها وماتوا جوعاً وبيعت الاطيان بارخص الاثمان . وعم القحط اليمن جيشه سهلاً ووعراً واستمر الشريف ابو سلطان في تلمسن وخالف الامراء الى عز الدين وعاودوا اهل صعدة من فللة . وجهز السلطان الامير نجم الدين موسى بن احمد الى صعدة لصلاح امرها . وجهز الامير عباس بن محمد في عسكر الى بلاد الامير تاج الدين لحربه . ولزم الاشراف القاضي محمد الزماري وأخذوا ما وجدوا في بيته .

وفي شهر رجب وقع في مختلف صنعاء امطار عظيمة والسرع على حاله ودخل ظفار من هذا المطر ما ملأ مواجهه . ولم تزل المحطة على تلمسن وظفار وازاداد الغلاء حتى بلغ الزيدى من الدقيق في المحطة ثلاثة درهماً . وفي بوادي ايام من رجب تداعى الناس الى الصلح على رد المال المسلم في تلمسن فسلموا منه ستة عشر الفاً وحريراً وحليناً باشني عشر الفاً وامتهلوا في الباقي الى عشرة ايام في شوال ورهنوا فيه ولدي الامير احمد بن قاسم . وحصل المداراة على يد الامير وهاس . واخرج بنو دحروج حريهم من ظفار وسكنوا صنعاء . وسلم الامير تاج الدين الحدود ورهن ولده مع رهينة الامير سليمان بن قاسم وانعقد الصلح بين السلطان واصحاب ظفار وتاج الدين على ان السلطان يحارب تلمسن ويفعل فيه ماشاء ولا عيب .

وفي هذه السنة اقطع السلطان رحمه الله الشريف عماد الدين ادريس بن علي لحجأ حين انفصل منها طغرييل وذلك في شهر ربیع الاول من السنة المذكورة فسار اليها فوصلها يوم الرابع من شهر ربیع الآخر . وكانت الجحافل قد جمعت جموعاً . وحطت بالصعيد فلما وصل الشريف عماد الدين الى الدعيس ارتفعوا من محظتهم . فاغار عليهم العسكر فادرکوا جماعة منهم يوسف بن مدققة فقتلوا واحتزوا رأسه واقامت الجحافل بعد ذلك بصهيب مدة وهم يعودون الى الساحل وغيره ثم قصدتهم الشريف عماد الدين ولقيه الامير بدر الدين محمد بن الحسن بن نور . وكان مقطع ابين يومئذ فدخلوا عليهم موضع يسمى الشعبة . وبلغوا مواضع من بلادهم لم يبلغها احد من العساكر السلطانية قبل ذلك . ولما راجع الامير عماد الدين من غزوته

جهز عسكراً الى الساحل فظفروا بابراهيم بن سعد بن عبد العزيز وكان فارس الجحافل يومئذ فقتلوه واحتزوا رأسه فظفرت خيل الصعيد بخمسة من العجالم فقتلواهم .

وفي شهر شعبان من هذه السنة توجه السلطان الى اليمن فدخل حصن تعزَ المحروس آخر يوم من شعبان وقيل اول يوم من رمضان .

في هذه السنة توفي الملك العادل صلاح الدين ابو بكر بن الملك الاشرف وكانت وفاته رحمه الله في قرية ضراس وفي آخر شهر رمضان طلع الشريف عماد الدين ادريس بن علي الى تعز المحروس بسبب العيد . وحضر جماعة من الشعراء وقام الفقيه عفيف الدين عبدالله بن جعفر بقصيدة

طنانة من عيون شعره فانشدت يوم العيد وهي :

اثمار هذا القصيـب الرطب الواـن كـرم وـطلع وـتفاح وـرمانُ
اهـكـذا الفـضـة البـيـضـاء قدـبـنتـهـ ظـبـيـ مـبـاسـمـه درـ وـرـيقـتهـ
غـصـنـ وزـهـرـ بـهـاـ فـيـ الـخـدـ عـقـيـانـ قدـصـحـ اـقـطـاعـ منـشـورـ القـلـوبـ لـهـ
خـرـ وـأـنـفـاسـهـ روـحـ وـرـيحـانـ واـضـرـمـ الـحـسـنـ فـيـ اـمـواـجـ وجـتـهـ
وـنـورـ حـاجـبـهـ فـيـ الـخـدـ عـنـوانـ عـجـبـتـ اـذـ بـنـتـ المـرـجـانـ فـيـ فـمـهـ
نـارـاـ لـهـاـ مـهـجـ الـاـكـبـادـ قـرـبـانـ تصـوـيرـ شـخـصـكـ فـيـ عـيـنيـ مـمـتنـعـ
وـقـبـلـهـاـ لـمـ يـكـنـ فـيـ الـعـذـبـ مـرـجـانـ هـذـىـ دـمـوعـيـ بـوـجـلـيـ فـيـكـ شـاهـدـةـ
انـ يـلـتقـيـ لـيـ فـوـقـ النـوـمـ اـجـفـانـ ماـ اـخـتصـ نـاظـرـكـ السـاجـيـ لـانـفـسـنـاـ
يـنـبـيـكـ بـالـشـانـ ماـ يـمـجـرـيـ بـهـ الشـانـ اـنـ تـمـشـ بـالـصـبـ فيـ طـرـقـ الـهـوـىـ مـرـحـاـ
بـفـتـنـةـ كـلـ شـيـءـ مـنـكـ فـتـانـ اـنـسـتـبيـحـ جـهـارـاـ قـتـلـ اـنـفـسـنـاـ
وـاقـصـدـ كـمـاـ قـالـ فـيـ فـحـواـهـ لـقـهـانـ سـيفـ مـنـ اللـهـ لـوـلاـ حـدـهـ عـبـدـتـ
وـالـارـضـ فـيـهاـ هـزـبـرـ الدـينـ سـلـطـانـ مـلـكـ مـكـارـمـهـ غـيـثـ وـنـجـدـتـهـ
مـعـ الـهـيـمنـ اـصـنـامـ وـأـوثـانـ غـوـثـ وـايـامـهـ أـمـنـ وـأـيـانـ
يـرـضـيـ إـلـهـ وـحدـ السـيفـ غـصـبـانـ فـيـ سـلـمـهـ لـشـدـيدـ النـاسـ مـدـرـأـةـ

فيه فدعهم فأهل الارض انسان
 ومنتبت الاصل قابوس ونعمان
 عمٌ وبيتك صرواح وغمدان
 قد تستضيء سمرقند وحلوان
 فللمؤيد عادوا مثل ما كانوا
 تخطفته من الرایات عقبان
 منها على الجسو أحواض وغدران
 والسيف محتطب والقوس مرنان
 من الهلاك ابن نوح وهي طوفان
 وان موضعها خيل وفرسان
 تحضرت بحجاز وهي عيدان
 تبادرت نحوها دور وحيطان
 شهباء منها يطيش الانس والجان
 امامه صحف فيهنَ قرآن
 زاكي الأصول كريم الخيم يقطان
 جوداً وان هزبر الدين متأن
 على ظفار بها جيش وبنيان
 من أن يميل له بالارض اركان
 داود بحرٌ به المرجان مجان
 لقد وقفت لهم في حيث ما كانوا
 (١) بفك تحمى وهي جيران
 من عصرهن عناقيد وقنوان
 من ان يكون لها كفر وعصيان

مستحسنات صفات الناس قد جمعت
 لم لا ويُوسف شمس الدين منتهٌ
 وتبع الاكبر السامي ذو يزن
 اذ كان في فرع صناء بناؤهم
 تلك المعاهد من قحطان ان عدموا
 كأفا الشهب من ظلماه قنص
 كأن رؤوس رماح فوقها رفت
 فيها القنا شهب والخلو ملتهب
 كأن حصن ظفار تحت لجتها
 حتى تظنوا بأن الارض قد طويت
 يدها من دواهي الارض مائلة
 مطاعة كلها نادت برفع يد
 حتى اذا طحنتهم تحت كلكلها
 شفعوا بكتاب الله وارتقت
 فرد عنهم حياء من كرامتها
 ومن داود في الأسرى فأطلقهم
 ووائق القبة الشماء مشرقة
 كمثل جنة نون الارض تحرسه
 ما ضر داود مال ظل ينفقه
 ما ضاع من ضيعبوه في رفاقتهم
 واستحسنوا الغصب في امواله فابى
 انت الملوك الذي في عصره امنت
 وظهر الله ارضاً انت مالكها

(١) الوزن مختل لعل الساقط « الا » بفك الخ . . . اذ لم يتر على هذه .

جددت في مشترى عنقي لكم شرفاً
وللعبد من المعروف اثمان
ومن سجاياك للاحسان احسان
ثلاثة هن للأفراح صنوان
عيد بوجهك من داود مزدان
نصر وجيش قدوم جاء بعدهما
وفي الليالي فنون من سعادتكم
ان الليالي لما تهواه خزان
فلا برحت على مر الزمان كذا
وفي هذه السنة المذكورة امر السلطان رحمة الله ببناء مدرسته المعروفة بالمؤيدية
في مغربة تعز ورتب فيها اماماً ومؤذناً وقبياً وعلماً واباتاماً يتعلمون القرآن الكريم ،
ومدرساً على مذهب الامام الشافعي ومعيناً وطلبة للعلم الشريف ومقرئاً يقرئ
القرآن بالسبعة الاحرف ووقف عليها من الاراضي والكرم ما يقام بكفاية الكل
منهم ووقف عليها عدة من الكتب النفيسة .

وفي هذه السنة توفي الامير الكبير نجم الدين موسى بن الامير الكبير شمس الدين احمد بن الامام عبد الله بن حمزة . وكانت وفاته يوم السادس والعشرين من ذي الحجة من السنة المذكورة في نواحي صعدة رحمة الله تعالى .

وفيها توفي القاضي عمران بن القاضي عبدالله بن اسعد بن محمد بن موسى العمراني وكان فقيهاً فاضلاً واخذ ايضاً اخذ حسناً واستوزره ابراهيم بن الملك المظفر فلما اقطعه والده إقليم ظفار امتنع اهله العمرانيون عليه من السفر مع مخدومه فلم يسافر معه وأقام مع اعيامه بتعز وتولى القضاء بها ثم لما صودر اهله كان من اشد الناس عداءً يوم انزل هو وعمه محمد بن حسان بن اسعد الى زبيد على صفة الرهائن فاقام في زبيد تحت الاعتقال الى ان توفي في السنة المذكورة .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الفاضل ابو القاسم بن علي بن موسى الروائي الحربي لقباً والزيلي بلداً . وكان فقيهاً عارفاً فاضلاً تفقه بتهامة على فقيها الفقيه اسماعيل بن محمد الخضرمي واحمد بن موسى بن عجیل فأخذ على محمد بن علي بن عمر الامام ثم طلع الجبال فورد مدينة إب فرتب مدرساً في مدرسة لبني سنقر .

فانتفع به الناس انتفاعاً عظيماً لا سيما اهل إب وما قرب منها وكان يعرف المذهب
معرفة شافية ولم يزل بباب الى ان توفي بها في هذه السنة المذكورة وله يومئذ نيف
وتسعون سنة وقبر في حياط الامام سيف السنة الى قبر الفقيه محمد الاصبهي رحمة الله
عليهم اجمعين .

وفيها توفي الفقيه البارع ابو حفص عمر بن عيسى محمد بن سليمان المسلمي ثم
العامري . وكان منزله العقلة بضم العين المهملة وسكون القاف وفتح اللام وبعد
اللام هاء تأنيث . وكان فقيهاً بارعاً متأدباً راوياً للشعر ويقول شرعاً حسناً وكان
عارفاً حبراً اديباً اربياً مقبول الكلمة في بلده توفي في اثناء السنة المذكورة رحمة الله
تعالى .

وفيها توفي الفقيه البارع ابو العباس احمد بن محمد بن علي بن عبد الحميد
المتّابي نسبة الى قوم يعرفون ببني المتّاب وشهر بابن الحميدي نسبة الى جده عبد
الحميد . وكان في بدايته اسماعيلياً . ثم انتقل الى مذهب الشافعي . وتفقه بابن
جبر وبالقاضي عمر بن سعد في الفقه والحديث وأخذ الاصول على رجل غريب
يعرف بالاربلي وأخذ النحو عن الوشاح واليه انتهت رئاسة الفتوى في مدينة صنعاء
ونواحيها على مذهب الامام الشافعي وتوفي في شوال من السنة المذكورة وله نيف
وتسعون سنة والله اعلم رحمة الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الصالح محمد بن عمرو بن محمد بن عمرو الساعي وكان
فقيهاً ورعاً صالحًا فاضلاً عارفاً بالفقه والحديث تفقه بأبيه عمرو بن علي وبسلامان بن
الزين وأخذ عن أبي الخير بن منصور الشمالي . وكان له صهر يصبح عباس بن
عبد الجليل . فلما توفي الامير عباس بن عبد الجليل وشا بعض الوشاة الى الملك
الاشraf بصهر الفقيه . وذكر ان تحت يده مالاً لامير عباس فلزم الاشرف واراد
مصادرته فتقىء الفقيه الى باب الاشرف وكان يومئذ في المهاجم اذ هي اقطاعه من ابيه ،
المظفر فلما علم الاشرف بوصول الفقيه الى بابه استدعاه فلما دخل عليه رحب به
وأكرمه وأجله فلما كلمه في صهره قال له قد شفعتك فيه بشرط انك تقف تدرس في

المسجد الذي بناه الوالد في واسط المحالب فاجاب بالقبول والطاعة . ثم تقدم درس في المسجد المذكور مدة وهو قلق غير راض وكان منها حصل له من الطعام أنفقه على الطلبة المنقطعين أو في بعض وجوه البر ولم ينزل على ذلك حتى دخل عليه يوماً فقير فسلم عليه وسأله ان يكتب له شفاعة الى صاحب الجابر بان يركبه في بعض الحالات الى جده فكتب له الفقيه فلما فرغ قال له الفقير يا فقيه أجدك في فكر وفي نفسك شيء وقد أحبت ان أسمعك أبياتاً تواافق المعنى وهي :

كن عن همومك معرضاً * وكأن الامور الى القضا
وابشر بعاجل فرحة * تنسى بها ما قد مضى
فلربما اتسع المضي * سبق وربما ضاق الفضا
ولرب أمر مسخط * لك في عواقبه رضا
الله يفعل ما يشا * فلا تكون متعرضة

موقع في نفس الفقيه الترك للمجحد والزهد في جميع العادات ثم جعل يفكر في الابيات ثم أفاق فلم يجد الفقير . فطلبها وأمر من تبعه الطريق فلم يوجد له خبر فخرج الفقيه من فوره عن المسجد سائراً فاصداً يريده بلده فمر بالجرية وهي قرية من قرى تلك الناحية . وكان فيها تلميذ لابيه فلقيه هناك ، فاستوقفه يريده إكرامه ، فوافقه ودخل المسجد بينما يبيء له الرجل موضعأ في البيت فلما دخل المسجد أحرم بالصلاوة فلما رفع رأسه شاهقاً ببصره الى السماء حتى انقضى النهار وبقي مطروحاً لا يحيط ولا يتكلم . فحمل عن المسجد الى بلده فادخل بيته فأقام سنة لا يفهم منه أمر ولا أكل شيئاً من الطعام غير شربة لبن ثم فتح عليه عقيب ذلك بمكافئات وكرامات وبكلام في الحقيقة .

فمن قوله : للذعات الغفلة في قلب الراقب أعظم من لدغات الحيات والعقارب .

ثم أقام سنة أخرى لا يأكل شيئاً وفي السنة التي مات فيها أقام تسعة أشهر لم يلمس طعاماً . ثم اكرمه أهله قبل موته قبل تسعة أيام على طعام وكانت وفاته يوم الاثنين

ثاني عشر صفر من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفي هذه السنة ايضاً توفي الفقيه الفاضل ابو محمد الحسن الشرعي نسبة الى شرعب بن سهل بن زيد الجَمَهُورُ بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم العظمي ابن عبد شمس الملك بن وايل بن الغوث بن حيدان بن قطن بن عريب بن زهير بن امين بن الهميسع بن حمير بن سبأ او الى الناحية التي تسمى شرعب . وهي ناحية مشهورة قبلي مدينة تعز سميت باسم شرعب بن سهل المذكور .

وكان المذكور فقيهاً فاضلاً بارعاً في الفقه مشهوراً خرج من بلده فقدم زبيد .

وكان فقيهها يومئذ علي بن قاسم الحكمي ثم خرج من زبيد فقدم موزع فاقام بها مدة ثم انتقل عنها الى البرقة فاقام بها ايضاً فلم تطب له فطلع الى تعز وقصد القاضي بهاء الدين وهو يومئذ قاضي القضاة ووزير فشكا عليه حاله فولاه قضا موزع والزمه الدخول فيه الزاماً . فنزل الى موزع قاضياً فسار في القضا سيرة مرضية ووقفت عليه امرأة من الفرسانين أرضاً وابتلاعه مسجداً وسألت من الفقيه ان يكون مدرساً في ذلك المسجد وله غلة الارض الموقوفة فاجابها الى ذلك . وتفقه به جمع كثير من موزع ونواحيها .

وفي تلك المدة ابنت الحرة مريم بنت الشيخ العفيف زوجة السلطان الملك المظفر مدرسة في زبيد وهي المدرسة المعروفة في زبيد بمدرسة مريم . وتعرف بالسابقية ايضاً . ثم سألت من الفقيه ان يكون هو الذي يدرس فيها اذ كان اكبر فقهاء الوقت العاملين وذلك لما بلغهم من فضله فاستدعاه السلطان الى تعز وسئلته ان ينتقل الى زبيد بسبب التدريس في المدرسة المذكورة فاشترط ابقاء ولده في قضاء موزع نائباً . فاجيب الى ذلك ثم انتقل الى زبيد فدرس في المدينة المذكورة .

قال الجندي وأدركته فيها فقرأت عليه بعض المذهب تبركاً لما ذكر انه من اكابر اصحاب الفقيه علي بن قاسم . وقد تفقه به جماعة وقصده الطلبة من نواحٍ كثيرة . وأقام في زبيد عدة سنوات حتى كبر وهرم وضعف عقله وبصره . ثم عاد الى موزع وجعل مكانه في تدريس المدرسة المذكورة محمد بن عبدالله الحضرمي . وكان إذ ذاك

معيده في هذه السنة المذكورة وهي سنة المجاعة الشديدة رحمة الله تعالى . وفيها توفي الفقيه الفاضل محمد بن يوسف بن شعيب بن ابراهيم . وكان فقيهاً فاضلاً عارفاً نفعه بابن النحو وابن البويم . وكانت وفاته في المحرم من السنة المذكورة رحمة الله تعالى .

وفي سنة ثلث وسبعينه وصل الامير بدر الدين مكتوب المرقبي سفيراً من الديار المصرية الى اليمن يخبر بانتصار المسلمين على عسكر التتر برج الصفر وكانت عدة القتلى في الواقعة المذكورة يومئذٍ مئة الف قتيل فاحتفل السلطان بالرسول الوارد اليه بكتاب النصر ودقت الطبلخانة واعلن السرور والبشائر وخرج أعيان الدولة بأسرهم من الوزراء والامراء والمقدمين يتلقون السفير .

وقال الشريف ادريس بن علي في ذلك :

الاً مُؤَدِّيَ حَقًّا لَكُمْ يَحِبُّ
مِنْ نُورٍ وَجْهُكَ مَا لَا تَسْتَرُ الْحَجَبُ
قُلُوبُهُمْ فَهِيَ فِي أَجْوافِهِمْ تَحِبُّ
غَيْمٌ فَسَارُوا بِلَيْلٍ وَالْقَنَا شَهَبٌ
عَادَاتُهُمْ فِي الْوَرَى إِنْ غُلْبُوا غَلَبُوا
فِي كُلِّ رُوعٍ وَحِيزُونَ بِهِ يَثِبُّ
وَكَيْفَ لَا وَالْأَمِينُ الرُّوحُ يَقْدِمُهُمْ
وَعَايَنُوا مِنْكَ وَجْهًا طَالَ مَا سَجَدَتْ
وَأَمَرَ السُّلْطَانَ رحْمَةُ اللهِ تَعَالَى بِاَكْرَامِ السَّفِيرِ المَذْكُورِ وَانْزَالَهُ مَكَانًا يَنْسَبُ
حَالَهُ . وَأَفْيَضَ عَلَيْهِ الْانْعَامُ التَّامُ . وَكَتَبَ لَهُ جَوابٌ فِي مَعْنَى مَا جَاءَ بِهِ وَعَادَ إِلَى
مَحْدُومِهِ قَافِلًا إِلَى مصر .

ثم وصلت الاخبار بوصول عسكر جرار من الديار المصرية الى مكة المشرفة حرسها الله تعالى فأخذ السلطان بالحزم . وتوجه من تعز الى زبيد في آخر ذي القعدة وامر بعمارة البرك . وبعث بمقدم في قطعة من العسكندر المنصور الى هناك . ولما انقضى الحج وصل العلم بان الامير سيف الدين سلار نائب السلطنة في الديار المصرية حج

في جيش عظيم . وانه تصدق على اهل الحرمين بصدقة عظيمة .
قال ابن عبد المجيد في كتابه « بهجة اليمن » : ان صدقته تنيف على ستمائة
الف درهم . ومن الغلة الجيدة المحمولة في البحر من جهة القصیر الى جدة عشرة
آلاف اردب وأنه لم يترك بالحجاز في تلك السنة من عليه دين . قال بلغني أن دخل
اقطاعه وضماناته ومستأجراته واجرة عقاره بمصر والشام في يوم مئة الف درهم خاصة
لحراسه خارجاً عن كلفته المختصة بحاشيته ، انتهى .

وفي هذه السنة وصل رجل من التجارمن بلاد الخطأ على طريق الصين يقال له
عبد العزيز بن منصور الحلبي بمال يعظم شأنه وكان معه من الحرير ثلاثة بهار البهار
الواحد ثلاثة رطل بالبغدادي ومن المسك المفرغ في اواني الرصاص اربعون رطل
وخمسون رطلاً ومن الفخار الصيني جملة مستكثرة ومن الاواني الشم المطعمه
بالذهب من الصحون الكبار جملة جيدة . ومن الثياب المختلفة الالوان مثل ذلك .
ومن الماليك والجواري شيء كثير . ومن الفضة الماس خمسة ارطال زعم أنها صدقة
للحرمين على يديه من تجار تلك الناحية فتقرر عشرة ما وصل به الى ثغر عدن
المحروس ثلاثة الف درهم .

فلما استقر بعدن توجه الى الباب الشريف فتلقاءه الكريم الهزيري بالانعام
العام فقدم بين يدي نجواه هدايا عيناً وتحفاً استحسنها فبرز المرسوم بقبوها وافاض
السلطان عليه خلعاً نفيسة واعطاه المراكب السنية . وكتب عوضاً عنها قدمه باضعاف
ذلك . وتقدم المرسوم الشريف الى نواب الثغر المحروس باجلاله واحترامه . وخير
بين السفر والإقامة فاختار الرحلة الى صور مصر ونواحيها ليجدد عهداً باهله .

وفي هذه السنة المذكورة اوقع الشريف ادريس بن علي بالجحافل وقعة ابان
فيها عن همة علوية وشهامة . وكان جملة من اجتمع فيها من الجحافل
اربعين فارساً والفأً ومشتبه راجل . وكان الشريف في مشتبه راجل واربعين فارساً
فقتل من الجحافل مقتلة عظيمة وقتل من العسكر نفر يسير منهم الشريف علي بن
محمد الابرص وهو ابن عم الشريف ادريس وفي هذه الواقعة يقول الشريف عباد

الدين ادريس بن علي رحمة الله حيث يقول :

ولو لم تخنني عند صنوئ كبوة من الاحر الخناس ما فات مطلب
ولكن خرصان الرماح شاجرت هنالك حتى كاد يُودي ويعطب
فلو كان فيمن ادركته رماحنا صريع لنا ثأر يُعَدُّ وبحسب
فقد صرعت حوليه سبعون أغلاً تهاداهم في القفر ذئب وثعلب
وفي هذه السنة توفي الامير ابو سلطان المستولي على تلمسن وكان قد اتفق هو
والامير جمال الدين علي بن بهرام علي تسلیم الحصن للسلطان وتراهنا على ذلك فغلب
المربون بعد موته على تمام الامر وباعوه بعد موته على الامير علي بن موسى بن احمد بن
الامام فسار نحوه بشحنة من الطعام آخر الليل . فلما علم ابن بهرام خرج من صعدة
نحوهم . فوقع بينهم قتال شديد وتلازم الاميران علي بن موسى وعلي بهرام وقتل
فارسان من الفريقين . وكان السلطان قد ارسل الامير علي بن موسى لصلاح
صعدة . وارسل الامير عباس بن محمد بن عبد الجليل الى بلاد تاج الدين
لحاربته . فكان من علي بن موسى ما كان .

وما طلعت الشحنة الى تلمسن وصل الامير المؤيد بن احمد المهدوي . وكان من
علماء الزيدية وفضلاً ثلثاها وذوي السن والرئاسة فاقام في محطة الاشراف اياماً . وكانت
محطتهم تحت حصن الامير موسى .

وفي خلال ذلك وصل الامير محمد بن مظہر من ظلیمة قاصداً صعدة فلقيه
الامير المؤيد بن احمد الى بلدبني عوير ثم لقيهم الاشراف بجمع جيد من الخيول
وساروا جميعاً يريدون تلمساناً فركب الغز من صعدة وعارضوهم فحصل بين
العسكرین قتال عظيم . فانهزم ميمونة عسكر السلطان وميسره وثبت القلب ثباتاً
حسناً فلما انهزم اصحابهم لم يمكنهم الاستقرار بعد انهزام الجيش فساروا بعدهم .
وقتل يومئذ ابيك الحجازي الاشوري وكان من الشجعان المعدودين وقتل معه ثلاثة
فرسان واربعة من الرجال واحد من الخيول سبعة رؤوس وسار الاشراف من فورهم
الى مدينة صعدة . وذلك في النصف الثاني من شعبان من السنة المذكورة . فاقام

الاشراف في صعدة اياماً ثم كاتبوا في الصلح فانعقدت الذمة الى سلخ الحجة على اخلاقه صعدة من الفريقين . ونزل الشريف شكر الى الابواب الشريفة السلطانية ل تمام الصلح وسار معه الشريف داود بن عز الدين فلم ينصف فعاد غاضباً الى اصحابه فعملوا على قام الذمة . وجهز السلطان جيشاً للامير شمس الدين عباس بن محمد في مئتي فارس ومقدمين من مذحج في آخر القعدة وتراسلو في الصلح على تمام الذمة الأولى .

وفي هذه السنة توفى الملك الظاهر قطب الدين عيسى بن الملك المؤيد . وكانت وفاته في حصن تعز يوم الرابع والعشرين من المحرم . وحضر دفنه اخوه الملك المظفر وعمه الملك المنصور . وكافة أعيان الدولة وقبر في مدرسة والده التي انشأها في ناحية المغريبة من مدينة تعز ورثاه العفيف عيد الله بن جعفر بقصيدة بدعة الاستهلال فأولها يحق لكل قلب أن يذوبا من الحزن الذي صدع القلوب يا على قطب رسوليِّ جواد أصيَّب به الورى لما أصيَّا وكان ملكاً ذا همة بارعة ، وعزمه لا يكابر المعالي فارعة . وامر والده السلطان يومئذ بذبح خيله الخواص حين حملوه على الرقاب . وما كان احقه بقول الاول : فتى كالسحب الجون يخشى ويرتحى ترجى الحيا منه وتخشى الصواعقا وفيها توفي الفقيه الامام العلامة ابو الحسن علي بن احمد بن اسعد بن ابي بكر ابن محمد بن عمر بن ابي الفتوح بن علي بن ابي الفتوح بن علي بن صبح الاصبهني . وكان مولده لخمس بقين من ذي الحجة سنة اربع واربعين وستمائة . وتفقه بالفقيه عبد الوهاب بن الفقيه ابي بكر بن ناصر . ثم بابن خاله محمد بن ابي بكر وعليه اتقن الفقه وحققته فكان غالب قراءته عليه بالمصنعة يختلف اليه من الذنتين كل يوم اثنين وكل خميس وقد يقف في المصنعة الايام ذوات العدد . ثم لما اكمل الفقه اخذ عنه كتب الحديث ايضاً وكان من المحققين للفقه العارفين به لم يكن له نظير في عصره وتصانيفه الموجودة تشهد بذلك . ومن تصانيفه المعين وغرائب الشرحين واسرار المذهب وكفى بالمعين شاهداً . وله فتاوى كثيرة مشهورة . وكان

فقهاء عصره جمِيعاً يرجعون إلى قوله ويسألونه ويعتمدون جوابه وكان جمِيلُ الخلق دائم البشِّر حسن الالفة محب الأصحاب ويتألَّفهم ويعجبه اجتِهادهم . ولِه كرامات كثيرة ومكاشفات . واجمع أهل عصره على ورعه وزهده ونزاهة عرضه وانه يقول الحق ولو على نفسه . وتفقه به عدة من أهل عصره من نواحٍ شتى منهم سعيد بن أبي بكر وسعيد بن العودري وعمر الحبيشي ومحمد بن جبير وأسيا عيل بن احمد الخلبي ومحمد بن علي وعمه حسن وهما من العماكر . وعبدالله بن عمر بن ايمان وابو بكر ابن المقرى من أهل تعز . وابو بكر بن حاتم السلماني وابو بكر المغربي من الجندي ويوسف بن النعْمان . هؤلاء شهروا وقد اخذ عنه جمع كثير من غيرهم . ودرس في المدرسة المظفرية اياماً قلائل ثم امتنع من التدريس بها .

ومن غريب ما يروى عنه انه خرج يباشر ارضاً له للزراعة وفيها انسان يحرث على ثورين له فنظرها مليئاً ثم سأله الغلام الذي يحرث له هل عنده شيءٌ من الماء ليشرب منه . فاشار الحارث له الى موضع فقصد الفقيه ذلك الموضع فوجد هنالك حنشاً عظيماً فقتلته الفقيه . واذا بالفقيه يجد نفسه في ارض لا يعرفها بين اقوام لا يعرفهم لهم خلق غريب . وفيهم من يقول للفقيه قلت اخي . وبعضهم يقول قلت ابي . وبعضهم يقول قلت ابني . ففزع الفقيه منهم فرعاً شديداً . فدنا منه شخص وقال له قل أنا بالله وبالشرع فقال انا بالله وبالشرع فمضى هو وهم حتى اتوا داراً فخرج اليهم منها شيخ على هيئة الرخمة البيضاء فقعد على شيءٍ مرتفع فادعى عليه بعض اولئك فدنا منه صاحبه الاول وقال له قل ما قتلت الا حنشاً فقال ما قتلت الا حنشاً . قال قاضيهم سمعت باذني هاتين من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول من تشبه من الهوم فلا قود عليه ولاديه . قال فسقط في ايدي القسم وتأنخروا عنه وتركوه واذا بالفقيه في موضعه عند الماء الذي يريد ان يشرب منه . قال فلما رجع الى الغلام الذي يحرث قال له اني رأيتكم واقفاً عند الماء ثم لم أرك بعد ذلك . ثم ما عتمت حتى رأيتكم الساعة في موضعكم فاين كنت . قال ما كان شيء

ما ذكرت وما كان الا خيراً ان شاء الله تعالى^(١). وكان الفقيه مسدد الجواب موقفاً للصواب . وانتفع الناس بكتبه التي صنعتها نفعاً عظيماً وطارت في البلاد وارتحل بها الى الاماكن البعيدة . وكان الملوك يجلونه كثيراً . وساحرُهُ السلطان الملك المظفر في ارضه . ثم ساحرُهُ الملك الاشرف باكثير مما ساحرَهُ ابوه . وكان وجيههاً عند الخاص والعام واليه انتهت الرئاسة في اليمن اجمع . وكانت وفاته في ليلة الاربعاء الرابع عشر من المحرم من السنة المذكورة رحمة الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل ابو الخطاب عمر بن ابي بكر بن عمر بن الشيخ الحافظ علي بن ابي بكر العرشاني كان فقيهاً نبيهاً كريماً سخياً النفس يطعم الطعام ويكرم من قصده . وكان صاحب اجازات وسماعات ولم يزل على ذلك الى ان توفي يوم السابع عشر من شعبان من السنة المذكورة رحمة الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه البارع ابو العباس احمد بن سليمان الحكمي . وكان مولده سنة خمس واربعين وستمائة . وتفقه بصالح بن علي الحضرمي والريسي . وكان مشهوراً بالذكاء والفقه التام . واليه انتهت رئاسة الفتوى في مدينة زبيد واعمالها وبه تفقه جمع كثير . وكان مدرس المنصورية بزبيد ثم عزل عنها في اول سنة سبع وتسعين وستمائة . وذلك في اول الدولة المؤيدية فلزم بيته واقبل على نشر العلم تارة في بيته وتارة في الجامع الى ان توفي سحر ليلة الاثنين الثامن من شهر شعبان من السنة المذكورة رحمة الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل ابو الخطاب عمر بن علي اللحي الزيادي . وكان فقيهاً فاضلاً تفقه بالرمي واستمر مدرساً في الهاكارية بزبيد واعاد بالنظامية . وكان مذكوراً بالخير الى ان توفي ليلة الجمعة الثالث من شهر رمضان من السنة المذكورة رحمة الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل عثمان بن عبدالله بن ابي بكر بن علي الوهبي ثم

(١) قص على هذه الحكاية . فيها ان الفقيه علي بن احمد الاصبجي رأى الجن الذي سمع عن السيدة صل الله عليه وآله وسلم وذلك قبل موته ومات سنة ٧٠٣ .

الكندي . وكان فقيهاً فاضلاً تفقه بالفقية اسماعيل بن محمد الحضرمي وابن عمه محمد وكان معاصرًا لاحمد بن عبدالله الوزيري توفي في مدينة زبيد لأربع خلون من صفر من السنة المذكورة رحمه الله . وخلفه ابن له اسمه محمد توفي بعد أبيه في رجب من السنة المذكورة بعد ان بلغ عمره سبعاً وخمسين سنة والله اعلم .

وفيها توفي الفقيه الصالح ابو العتيق ابو بكر بن عيسى بن عمر وكان يعرف بالسراج . وكان فقيهاً كبيراً مشهوراً من اصحاب الامام ابي حنيفة رضي الله عنه . ولد سنة ثلاث وثلاثين وستمائة . وكان صالحًا سليم الصدر تغلب عليه البداءة لكونه من اهل الbadia من قرية من وادي زبيد تعرف بالهرمة . وكان قائلاً بالحق آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر لا يخاشم في ذلك صغيراً ولا كبيراً . وكان مدرساً في المنصورية الحنفية بزبيد بعد الصمعي . وكانت وفاته في زبيد يوم السابع من شهر جمادى الآخرة من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه البارع ابو الخطاب عمر بن علي العلوي الحنفي وكان فقيهاً ماهراً ورعاً كريماً جواداً . ولد سنة اربع وستين وستمائة وتفقه بجده لأمه الفقيه الامام ابي بكر بن عمر بن حنکاس وابتلى مدرسة في مدينة زبيد خص بها اهل مذهبة من اصحاب ابي حنيفة رحمه الله . وله تصنیف حسن جيد يدخل في سبعة مجلدات يسسى منتخب الفنون . وكان شاعراً فصيحاً مفوهاً . وقد اودع المذكور كثيراً من شعره وهو كتاب نفيس حسن ممتع يدل على اطلاع كثير وعلم غزير وكان له خزانة كتب ليس لاحد مثلها يقال انه كان فيها خمسة ديوان من الشعر . وكان له عدة اولاد وهم محمد وابو بكر وعلي وعثمان وابراهيم واسماعيل ويوسف وداود وغيرهم . وقد انتهت رئاسة العلم الى ولده ابراهيم وانتهت رئاسة الدنيا الى ولده يوسف وهم اكثر اولاده ذريه وامتحن الفقيه عمر المذكور في آخر عمره بخدمة الملوك فصادره السلطان الملك المؤيد مصادرة شاقة توفي عفيفها . وكانت وفاته يوم السابع من رجب من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الصالح ابو بكر بن عبدالله بن محمد بن سليمان وكان يعرف

بابن زريق واصله من جبلة . وكان فقيهاً خبيراً له مروءة تفقهه بابن العزاف وابن الصفي وابن عباس . وكان مؤلفاً للاصحاب واستمر مدرساً في الوزيرية . وكان القضاة بنو محمد بن عمر يشفقون عليه الى ان توفي على ذلك غرة جمادى الآخرة من السنة المذكورة رحمة الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل ابو القاسم بن علي بن عامر بن حسين بن علي بن احمد الحمداني . وكان فقيهاً فاضلاً تفقهه بحجّة . وكان قد قدمها في جملة عسکر علي ابن عبد الشعدرى . ثم ولي قضاء عدن من قبلبني محمد بن عمر فاقام في القضاء هنالك سين الى ان توفي على ذلك ليلة الخميس الثاني عشر من القعدة من السنة المذكورة رحمة الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه المشهور ابو بكر بن قيس . وكان فقيهاً ماهراً تفقهه بابي الحسن الاصبهي وغيره . توفي في شهر ربيع الاول من السنة المذكورة رحمة الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الصالح عثمان بن الفقيه هاشم الحجري . وكان فقيهاً ماهراً تفقهه بالفقيه عمر بن علي الساعي ثم صحب الشيخ عيسى بن حاجاج الغيشي والشيخ علي السنيني . ففتح الله عليه في الحكمة فكان يقول اقوالاً كثيرة . وفسر اقوال المحققين تفسيراً نافعاً . وكان يتكلم بحضورة الشیخین فیقبلان منه ولا ينکران عليه . توفي في السنة المذكورة رحمة الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل محمد بن عيسى بن عمر بن عثمان الهرمي الملقب بالصفي وهو اخو الفقيه ابي بكر بن عيسى المعروف بالسراج الحنفي المذكور اولاً . وكان الصفي فقيهاً ويغلب عليه الأدب وله شعر رائق ويتعانى الزراعة توفي في السنة المذكورة . وكان له ولد اسمه يوسف كان من اعيان الرعية خيراً جيداً له مروءة قل ان تلد النساء مثله . توفي سنة ثلث وعشرين وسبعينه رحمة الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل ابو الحبر احمد بن ابراهيم بن سالم بن مقبل كان فقيهاً خيراً حباً لابناء الجنس توفي في السنة المذكورة رحمة الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الصالح ابو محمد الحسن بن محمد بن علي بن شبيل تصغير شبل . قال الجندي نسبة همدان وكان يسكن رية الاشاطر . وكان فقيهاً صالحًا عارفاً بالفقه توفي في السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الصالح أبو الحسن محمد بن علي بن أبي بكر بن علي بن محمد الحكمي . وكان فقيهاً صالحًا عالماً درس بالعاصمية في زبيد إلى أن توفي في المحرم أول شهور السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الصالح أبو الحسن علي بن صالح الحسيني نسبة إلى جدّه اسمهُ حسين . وكان فقيهاً فاضلاً تفقه بتهامة على عمرو بن علي الساعي وعلى عبد الله بن محمد الدياني . وكان فقيهاً نقاً لفروع المذهب . وكان الفقيه احمد بن موسى بن عجیل يراجعاً ويشنّ عليه . وله أجوية فقهية تدل على تحويده . وكانت وفاته في السنة المذكورة تقريراً والله اعلم .

وفي سنة اربع وسبعين توجه الامير جمال الدين نور بن حسن من حوض الى صعدة مددأ لعباس بن محمد بن عباس وعلي بن بهرام . فأخرب الامير عباس بن محمد زرع الاشراف بصعدة ومخاليفها . ودخل علاف ومجز ثم مع نيف وثلاثين فارساً في تعز صعدة وثلاثمائة رجال ونزل الجوف . ثم وصل صنعاء ثم توجه نحو اليمن . فلما خلت صعدة من العسكر جمع آل شمس الدين عسكراً ونزلوا الجوف فاقاموا بسوق آل دعام ثلاثة أيام وقد جمعت المخالفين السلطانية في الزاهر وكانت لهم عمولة في نعمان .

وفي صفر لزم السلطان الامير اسد الدين محمد بن احمد بن عز الدين وولده والشريف شكر بن علي القاسمي وأمر بلزم اولاده حيث كانوا . وذلك لما وقع في خاطر السلطان من فعلهم في صعدة وتلمص فآدبهم بآداب مثلهم .

وفي هذا التاريخ بُرِزَ الامر العالى بتجهيز الامير اسد الدين محمد بن نور سفيراً الى الديار المصرية فاتصل العلم ان الامراء بمصر عبثوا بالسلطان وان البلاد على غير وضع فآخر السلطان ذلك العزم وحمل لابن نور اربعة أحمال طبلخانة واربعة

اعلام وعاد الى اقطاعه .

وفي جمادى الاولى من السنة المذكورة زالت الشدة وارتفع الغلاء ورخصت الاسعار في جميع نواحي اليمن ورجع المقدم الذي تقدم لعماره البرك وهو موسى بن ابي بكر بن علاء الدين وكان الشريف طاهر ابن أبي ثني قد وصله الى البرك من مكة حرسها الله تعالى قاصداً للباب الشريف السلطاني فسارا معاً فلما بلغا قريباً من اللؤلة لقيتهم جهينة فانهزم العسكر وتأخر الشريف طاهر على الناس فقتل وأخذت اثقالهم ودوايهم .

وفي شهر رجب من السنة المذكورة تقدم الركاب العالى من زبيد الى محروسة تعز فاقام شعبان وحصل عليه توعك عقيب طلوعه فأرجف الناس بذلك وامتلاء اليمن خوفاً فمن الله تعالى بعافيته في النصف الاخير من شعبان ولم يزل في ثعبات الى يوم العاشر من شهر رمضان ثم طلع الحصن وكان يوم طلوعه يوماً مشهوداً .

وفي شهر شوال أقطع السلطان ابن بهرام مدينة أبين واعمالها . وتجهز ابن نور نحو الديار المصرية في أول شوال وقد أقطعه السلطان القحمة فسار في اوائل الشهر المذكور بانواع التحف السننية من الفضيات على اختلاف انواعها كالطشوت والباريق والصلاحيات والمجامر والاكر والقرابات وسواري العود والصندل والقطع الكبار من العنبر ونواجع المسك وما عظم شأنه من فخار الصيني واليشم من الصحون والزبادي ما لم يكن شرحة من الحسن . ومن الخدام الحبش والقنا الهندي والمرأقد الصينية ومن المراكب المذهبة والشاشات الرفاع والسلقانيات . ومن الثياب المذهبة الصينية ما عظم شأنها . ومن الاواني والاطباق والصناديق مملوءة بالمسك المفرغ والشاه صيني والكافور التيار جملة اخرى . وما يتعلق بالحوائج خانة كالفلفل والقرنفل والزنجبيل واللثك والبقم أبهة . ومن الوحش كالفيل وحمار الوحش والزرافة كلها مكسوة بالحرير والاطلس الملمع بالذهب ومن الخيل المسومة العربية الاسائل اللاحقة بحال المرسل إليه . نقل ذلك مرکبان عظیمان . ومثل هذه الهدية لا

تکاد تتأخر بين عامين او ثلاثة طلباً للمودة والمحبة واستمرار على ما يعهد من
الصحة .

وفي هذه السنة توجه الامير سيف الدين طغرييل نحو الباب الشريف متبرئاً من
صنعاء بسبب معارضة حصلت بينه وبين الطواشى ياقوت متولي الاملاك السلطانية
فأبرأهُ السلطان منها وأقطعها ولدهُ المظفر وسار نائبهُ لقبضها في ثاني عشر ذي
القعدة .

ثم ان الامير شمس الدين عاد الى عيان مرة أخرى وجاءهم الامام محمد ابن
المظهر الى هنالك فجهز السلطان لحرفهم الامير سيف الدين طغرييل فقصدتهم الى
عيان فنزلوا الجوف فقصدتهم إليه فطلعوا صعدة فسار بعدهم وأغار إلى فللة وأخرب
ما قدر عليه من مخلافهم . ووقيعت ذمة إلى آخر القعدة . وعاد إلى صنعاء فدخلها
خامس خروجه من صعدة .

وفي شهر ذي الحجة كانت الوقفة بالجمعة وحج خلق كثير من مصر وكان
الامير الحاج الامير الكبير ركن الدين بيبرس الحاسكي وحج معه عدة من الامراء
المصريين . ووصل معهم الشريفان رميثة وحميضة ولدا أبي غني . وكانا بمصر
معتقلين كما ذكرنا أولاً . فلما انقضى الحج أحضر الامير ركن الدين بيبرس
الشريفين اخويها أبو الغيث وعطيفة وعلمهما ان صاحب مصر قد ولّ أخويها رميثة
وحميضة فلم يقابلها بالسمع والطاعة . فحصلت بينهما منافرة . وكان في مكة
والمدينة غلاءً عظيم حتى بلغ المد الخنطة عشرين درهماً والذرة ستة عشر درهماً .
واستمر رميثة وحميضة في البلد وأظهرا حسن السيرة وأبطلا شيئاً من المكوس .

وفي هذه السنة وصل عبد الباقى بن عبد المجيد من ثغر عدن إلى الابواب
الشريفة السلطانية يريد ان يكون كاتب الانشاء فحصلت معارضات أوقعت عدم
الاستمرار وكان عمره يومئذ ثلاثة وعشرين سنة . فلما لم يتفق له ذلك توجه نحو
الديار المصرية وهو ينشد قول الشاعر :

أيا ماء العذيب وأنت عذبٌ تعرّض دونك الماءُ الوخيم

وفي هذه السنة توفيت الحجة المصونة بنت الامير الأجل الكبير اسد الدين محمد بن الحسن بن علي بن رسول زوج مولانا السلطان الملك المؤيد وكانت عنده عزيرة كريمة لانها بنت عمه ابن عم ابيه . وكانت كثيرة المروءة حسنة الشفاعة . فعز عليه فقدتها وامر بالقراءة عليها في سائر جوامع مملكته . وحملت من رأس حصن تعز تحت الشخانات الخرير واماها ملوكبني رسول . ودفنت في مدرسته التي انشأها . وكان دفنه يوماً مشهوداً رحمة الله عليها .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الصالح ابو اسحاق ابراهيم بن عثمان بن آدم المعروف بالجبرتي نسبة الى ناحية من بلاد الجبس يقال لها جَبَرَة . وكان فقيهاً ورعاً زاهداً صاحب مسمومات واجازات اخذها عن الامام ابي الحسن بن منصور الشماخي وغيره . وهو الذي يعرف به مسجد الجبرتي الذي في مدينة زبيد عند الخان الجديد المجاهدي . وكان غالباً دهره لا يفارق المسجد الى ان توفي على ذلك ليلة الاحد الثالث من شعبان من السنة المذكورة رحمة الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الصالح ابو بكر بن ابي القسم الشعبي واصله من اشعيوب ذبحان . وكان رجلاً صالحًا كثير العبادة له قدر عظيم عند الناس . توفي في السنة المذكورة وخلفه ولده ابو الخطاب عمر بن ابي بكر . وكان من خيار اولاد الفقهاء شريف النفس علي الهمة له دين رصين . وكان صبوراً على اطعام الطعام للخاص والعام فلذلك لحقه دين كثير . وتوفي على الحال المرضي سلغ صفر من سنة تسعة عشرة وبعمدة رحمة الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل ابو الحسن علي بن احمد العسيلي . وكان مولده لاربع عشرة ليلة بقيت من رمضان سنة ست واربعين وستمائة واهله يعرفون ببني عسيلي من فقهاء قائمةبني حبيش وخطبائهم . قدم هذا الى جبلة طالباً للعلم ثم تقدم الى رباط المقداحة على حياة الشيخ علي بن عبدالله فجعله اماماً له وللجماعة .

ويروى انه رآه يوماً وفي يده خاتم فضة فابعدها منه ثم لما عاد الى جبلة اقبل على قراءة الفقه . فلما كان في بعض الاعياد التي يتحارب فيها اهل جبلة واهل

البادية دخل الفقيه سفين الجامع فلم يجد فيه احداً الا هذا الفقيه مكتباً على مطالعة البيان فاعجبه ذلك منه وعزم على القعود معه ثم زوجه بابنته . ولما توفي استخلفه على مسجده فلم يزل به مدة . ثم ارتحل الى مصنعة سير فتفقه بها . ومن شيوخه الذين تفقه بهم ابو بكر العراف وعباس البريسي وصهره سفين . ولما ولى بنو محمد بن عمر الوزارة والقضاء صحبهم . فلما كان سنة اربع وسبعمائة عزم على الحج فسافر بأمرأته ولدين له . وكانت قد تفقها فلما وصلوا جازان توفيت الزوجة رحمة الله في منتصف شعبان من السنة المذكورة ثم لما صاروا في مكة توفي ولده الاصغر وكان اسمه احمد وكان جيداً تقىً شريف النفس علي الهمة . ثم حج الفقيه وابنه الآخر فلما انقضى الحج عزماً على الرجوع الى اليمن فتوفي الفقيه في جدة سلخ ذي الحجة من السنة المذكورة رحمة الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الصالح احمد بن عمر الزيلعي الجبرتي وهو الذي يعرف بصاحب المحمول نسبة الى مسجد على ساحل المحالب . وكان فقيهاً كبير القدر مشهور الذكر معروفاً بالعلم والعمل صاحب كرامات ومكاففات .

قال الجندي : اخبرني الفقيه ابو بكر بن احمد بن عبدالله بن محمد الخلبي وكان قدم علينا الجندي قال قدمت عليه زائراً فبينا انا عنده إذ قدم عليه جماعة يزورونه ومعهم دراهم قد جاءوا بها فوضعوها بين يديه فجعل يقلبه امسواك في يده درهماً درهماً فاخرج منها ثلاثة دراهم فردها على شخص وستة عشر درهماً ردها على شخص ثم امر الخادم بقبض الباقي فداخلني من ذلك تعجب كثير . فخلوت بعضهم فسألت عن سبب رد الفقيه الدرارهم التي ردها . فقال انا الذي جئت بالثلاثة الدرارهم وليس مني بل اعطيتها عجوز تحت يدها ايتام ولم يمنعها من الوصول إلا خشية ان يعرفها الفقيه فيردها عليها وقد جعلتها بين دراهم مني فانتقاها الفقيه فاخرجها باعيانها كأنه قد عرفها واما الستة عشر درهماً فأسأل عنها صاحبها فهو ذاك الرجل . فاتيت الرجل الذي اشار اليه وسألته عن قصة رد الدرارهم فقال هي من شيخ الصميين كان مرض له فرس فنذرها للفقيه ان شفي فرسه . فلما شفي وعلم اني

وأصل الى الفقيه امر بها معي لعلمه ان الفقيه لا يأخذها منه لو وصل بها ولا يقبلها منه . فلما اجتمعت جماعة معهم دراهم فتح ناولهم ايها فجعلوها بين دراهمهم فاخرجها الفقيه باعيانها واعادها اليَّ كما رأيت .

قال الجندي : وسألت هذا الذي اخبرني عنه بقصة الدرارم عن سيرته فقال انه كان لا يكتسب بحراثة ولا زراعة ولا دَرْوَزَة ومتى علم باحد من اصحابه انه يدروز طرده وكرهه . وتوفي في قرية اللحية تصغير لحية الرجل وكانت وفاته في السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الصالح حسين بن ابي بكر بن حسين السودي بفتح السنين المهملة نسبة الىبني سود . وكان فقيهاً صالحًا فاضلاً مشهوراً بالفقه والصلاح وشهرت له كرامات كثيرة وكان معظماً عند الناس . تفقه على سليمان بن الزبير ثم غلبت عليه العبادة والورع وسلوك طريق فقهاء الناحية لكن بلغ الملوك عنه انه يتصل بامام الزيدية في عصره وهو محمد بن مطهر فكرهوه وهموا بأذيته فكان لا يستقر في موضع ينالونه فيه . وكان ينكر على القراء الرقص والسماع فلذلك اجمع القراء والفقهاء عليه ولم يزل حذرًا من السلطان حتى توفي في السنة المذكورة بعد الفقيه احمد الزيلعي بشهرين اعني المذكور قبله .

وفيها توفي الفقيه الفاضل ابو سعيد محمد بن الفقيه عبيد بن احمد بن مسعود . وكان فقيهاً ماهراً ولد في شوال من سنة احدى وخمسين وستمائة تفقه بأبييه . وكان ذا دين وورع وصلاح توفي في السنة المذكورة والله اعلم .

وفي سنة خمس وسبعينه اقطع السلطان الامير سيف الدين طغرييل اين فنزل اليها في النصف الاخير من المحرم وانفصل عنها ابن بيرام . فلما وصل الابواب الشريفة منفصلاً من ابين امر السلطان اربعة احمل طبلخانة واربعة اعلام واقطع الاعمال الرحbanية . وكانت الاشراف آل شمس قد غزوا حرض قبل وصول ابن بيرام اليها وافسدوها في نواحيها . وكان فيها مقدم ورتبة من عسكر السلطاني فخرجوا لقتال الاشراف وقاتلواهم عند المدينة فانهزموا الى الدرب ودخل الاشراف

المدينة فهبو ما امكنتهم ورجعوا من فورهم . وخالف الأشرف بنو حمزة وانضم اليهم ابن وهاس فجهز السلطان حينئذ الأمير بدر الدين محمد بن عمر بن ميكائيل استاذ داره في جيش اجش الى جهة صنعاء فوق هنالك الى آخر شهر رمضان . ونزل بعد قام الصلح بين السلطان وبين الاشرف على ان للسلطان ثلث خلاف تلمص وقبضت رهائهما على ذلك . ورجع اهل مدينة صعدة الى صعدة فسكنوها .

وفي آخر شعبان من السنة المذكورة تبرأ الملك المظفر من صنعاء وتوجه الى حرم ابيه فاقطعها السلطان الامير سيف الدين طغرييل فسار اليها فلما وصل ذمار اقام بها الى شهر ذي القعدة . وقبض في مدة وقوفه حصناً من حصنونبني عبيدة . وفي الرابع والعشرين من رمضان اقطع السلطان الامير عماد الدين ادريس بن علي أبين وما ينضاف اليها . وفي النصف من شوال أمر السلطان باعادة الجحافل على جوامكهم وكان قد قطعها منهم منذ ستين على سبيل الادب .

وفي هذه السنة المذكورة رجع الامير اسد الدين نور من الديار المصرية بعد ان عومل بما يجب من الاعلام . ووصل معه سفير من هنالك يقال له مبارز الدين الطوري فاقام في تعز اياماً . وحضر المقام السلطاني فقبول بالاكرام والانعام . ثم سار الى زبيد فاقام الى ان تهيأ له السفر الى مخدومه فسافر .

وفي هذه السنة المذكورة حج من مصر ونواحي المغرب وبلاد العراق والعمجم ومن اليمن خلق كثير لا يحصيهم الا الله تعالى . واجتمع في عرفة ثلاثة الوية لصاحب اليمن ولصاحب مصر ولصاحب العراق هذا بهذه وهو الشجاع باللغة التركية . وحصل الحرب بينى بين المصريين والمحجازيين . وكان امير الركب المصري الامير سيف الدين انه و كان ظطاً غليظاً سفاكاً مقدماً على الجرائم . فقتل جماعة من السرو وسطهم ولم تدخله شفقة عليهم ولا رحمة .

وفي هذه السنة توفي الفقيه العالم ابو عبدالله محمد بن محمد بن علي الكاشغرى نسبة الى بلد في اقصى بلاد الترك . وكان حنفي المذهب . وقدم مكة

حاجاً فاقام فيها اربع عشرة سنة صنف فيها كتاباً سماء مجمع الغرائب ومنبع العجائب يدخل في اربعة مجلدات . ثم انتقل الى مذهب الشافعي هنالك فسئل عن ذلك فقال رأيت القيامة قد قامت والناس يدخلون زمرة بعد زمرة فسرت مع زمرة منهم اريد الدخول فحدثني شخص وقال الشافعية يدخلون قبل اصحاب ابي حنيفة فلأجل هذا اردت ان اكون مع المتقدمين وتظاهر بمذهب الصوفية . وابتني ربطاً كثيرة في اماكن متفرقة . وحكم جماعة ايضاً ولما دخل اليمن ورأى ان الغالب في اليمن مذهب الشافعي تظاهر به وقرأ كتبه فقرأ المذهب في إب على الفقيه يحيى بن ابراهيم واما النحو واللغة فوصل من بلده وهو عارف بهما ماهر فيها وفي كتب التفسير والوعظ وغالب مصنفات ابن الجوزي ورتبه القاضي بهاء الدين في المدرسة المظفرية بتعز . وكان ابتي رباطاً في ساحل موزع وغرس هنالك نخلاً كثيراً وكان مختلف اليه في ايام ثمرته ويعود الى مدينة تعز عند فراغه فلما كان في سنة خمس وسبعين نزل الى موزع في ايام ثمرة النخل فادركته الوفاة هنالك . فلما توفي قبر عند قبر الشيخ الصالح الخطيب المقدم ذكره رحمة الله عليهما .

وفيها توفي الفقيه الفاضل عيسى بن ابي بكر الحكمي . وكان فقيهاً حيراً ديناً تفقه بالفقیه ابی بکر بن عبد الله الریئی . وامتحن في آخر عمره بكفاف البصر الى ان توفي في السنة المذكورة رحمة الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الصالح محمد بن ابي بكر بن رشيد بضم الراء وفتح الشين . وكان فقيهاً صالحًا ورعاً عابداً زاهداً درس في المنصورية بزيبد بعد الفقيه احمد بن سليمان الحكمي لما عزل عنها . ولم يزل على التدريس الى ان توفي وقت الاذان بالظهر من يوم الاربعاء ثاني عشر شوال من السنة المذكورة رحمة الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل ابو الطيب طاهر بن عبد الله بن محمد بن احمد بن عيسى المهدى اصله من قرية الملكحي ولي قضاء بعدان مدة وكان تفقه بحبلة بعد الله ابن علي العرشاني ولم يزل حاكماً حتى توفي في شهر رمضان من السنة المذكورة رحمة الله تعالى .

وفي سنة ست وسبعين ملك السلطان حصن القرانع وهو مصاقب الطويلة بحيث يختلف بينها الشاب والحجر . فحط الشريف تاج الدين على الفزائين ولزم حصن شريب . فخرج الامير سيف الدين من صنعاء في شهر ربيع الآخر والامير عباس بن محمد فكسره وشحنه الامير سيف الدين الحصين بانواع الشحن بعد ان عمرها ورجع ظافراً منصوراً . وكان رجوعه في شهر شعبان .

وفي يوم الثالث عشر من شهر جمادى الآخرى كان ميلاد السلطان الملك المجاهد في مدينة زبيد . وقيل كان ميلاده في العاشر من شهر رمضان من السنة المذكورة في مجلس في الدار المعروفة بدار السلطنة بزبيد ويعرف المجلس بمجلس الولادة لكونه ولد فيه والله اعلم .

وفي النصف الاخير من جمادى الآخرى المذكور اخذ ابن صهيب حصن السانة بوصاب وهو حصن عظيم ينطح النجوم ويلبس بالغيوم من احرز الحصون وامنهما واضرها وانفعها وهو من آخر معاقل اليمن والذي يحيط عليه لا يراه لانه في رأس جبل عال وليس له الا طريق واحدة فاهمُ السلطان اخذه فجهز الوزير موفق الدين الى جبلة فجمع منها الرجل وسار السلطان الى زبيد مبادراً كما قال الشاعر ابو الطيب المتنبي حيث يقول :

أشد من الرياح الهوج بطشاً واسرع في الندى منها هبوبا
ثم خرج السلطان فحط على السانة اياماً فاذعن ابن صهيب بالطاعة ووقف على قدم الاستطاعة ونزل على الذمة الشريفة وسلم السلطان الحصن المذكور وتسلم حصوناً أخرى وانثنى راجعاً . فلما استقر في مدينة زبيد عملت الافراح وضربت البشائر وهنأه بذلك شعراء دولته . وهنأه الفقيه عفيف الدين عبدالله بن جعفر فقال :

ترك الجبال الشمَّ قاعاً صنفاصاً
من وعلده ووعيده ما اخلفا
متقاضياً ميراثه مستشهاداً
سمر العوالى والصفائح المرهفا
تغفو عيون الصابرين نفوسهم عن نيل ما طلبوا وكلاً ما غفا

للحرب قبل جيشه فرداً كفى
 حسب الرماد بعاصف ان ينسفا
 سيفاً ودأب رقامها ان تقططا
 منه وتفرح من وفاه باللغا
 ابداً ولا الايام تخرق ما رفا
 طيراً بسرحها ولا متعينا
 تسي وتصبح في المراكز عكفا
 فأشار مولانا بأن تخلقا
 للسير في أثر الخميس وتزحفا
 ساري فصاب وصاب غيشاً وكفا
 فيها وتحثه السباق فاوجاها
 ماءً لكان ربיהם والصيفا
 عدد الكواكب في السماء ونيفا
 كادت بهم وبطودهم ان تخسفا
 فعوا ومثل ابي المظفر من عفا
 ولكم أحجار الهاوب المتخفوا
 أهل الشفاعة للمسيء اذا هفا
 ما اورثته بنو الرسول من الوفا
 منه الكريم الطاهر المتعضا
 يسحب الى طرق الفواحش مطوفا
 فأجابهم وأثابهم وتعطفا
 وفدت وخاف بلمعها ان تخطفوا

جمع الجيوش الى المغار ولو أتى
 لا يستقر الدارعون نفوسهم
 دأب المؤيد ان يسل على العدى
 يرضى ملوك الارض ايسر حقها
 لا تقدم الايام ترفو خرقه
 العاقد الريات لم يك زاجراً
 بخنائس للحرب ليس خنائس
 قامت عُقاب المجنين وراءها
 جمعت جناحيها ومدت عنقها
 نوء بجلجل من زبيد رعله الـ
 حتى اذا ما السيف بالغ خطوة
 وجرت سيول من دم لو انهما
 ورأوا من النيران حول قلاعهم
 فتوجسوا ان الطبول زلزل
 طرحوا نفوسهم على ابوابه
 هربوا اليه منه فاعتصموا به
 مستشفعين بالـ بيت محمد
 فأقال عثتهم وعاد بهم الى
 واتت عقائل في الحجال فجاورت
 من لم يـد الى الخنا طرفاً ولم
 يدعون يا سلطان عفواً بالرضا
 نظر الـ بوارق من بلاد ربيعة
 وهي قصيدة طويلة هذا عيوانها .

وفي شهر شوال من السنة المذكورة نقض المحاير الصلح واغروا على لحج

قتل بينهم عباس بن أبي سقرة وكان من وجوههم وفرسانهم . وكان في ثامن الشهر أغروا على الأجهزة قتلاً أيضاً أحمـد بن أبي سقرة وكان أعظم من أخيه مـحـلاً فيهم . وفي يوم العشرين من القعدة تجمعوا جمـوعاً كثـيرـاً وقصدوا الأجهـزة أيضاً ولم يستقروا عندها فرجعوا طريق الرحال فتبعهم العـسـكـرـ وادرـكـوـهـمـ بعد العـصـرـ وقد اصـابـهـمـ سمـومـ وتـفـرـقـواـ فـقـتـلـ العـسـكـرـ مـنـهـمـ نـحـواًـ مـنـ أـرـبـعـينـ رـجـلـاًـ فـانـكـفـ شـرـهـمـ وـفـاسـادـهـمـ . وفي سنة سبع وسبعين مـجاـئـتـ النـجـوـعـ إـلـىـ نـاحـيـةـ حـرـضـ فـجـرـدـ السـلـطـانـ هـمـ إـلـىـ تـلـكـ النـاحـيـةـ نـحـواًـ مـنـ ثـلـاثـمـائـةـ فـارـسـ مـنـ حـلـقـتـهـ الـمـنـصـورـةـ فـاغـارـواـ عـلـيـهـمـ وـشـتـواـ شـمـلـهـمـ .

وفي هذه السنة المذكورة هرب الشريف محمد بن خالد من زبيد وكان السلطان يومئذ بها وترك رهينة امه واخته .

وفي جـادـىـ الـأـولـىـ خـالـفـ وـالـيـ سـبـعـانـ^(١) عـلـىـ الـأـمـرـ تـاجـ الدـيـنـ وـبـاعـ الـحـصـنـ عـلـىـ السـلـطـانـ فـصـدـهـ الـأـمـرـ تـاجـ الدـيـنـ وـقـتـلـ مـنـ اـصـحـابـهـ مـقـتـلـةـ عـظـيمـةـ فـجـرـدـ السـلـطـانـ لـحـرـبـ الـأـمـرـ تـاجـ الدـيـنـ الـأـمـرـ سـيـفـ الدـيـنـ طـغـرـيلـ وـسـارـ مـعـهـ بـالـنـجـنـيـقـ لـرـمـيـ عـزـانـ فـلـهـ صـارـ بـالـضـلـعـ التـقـىـ بـالـأـمـرـ تـاجـ الدـيـنـ وـاـخـيـهـ الـأـمـرـ عـلـمـ الدـيـنـ حـمـزةـ اوـ كـانـ مـلـقاـهـمـ اـسـفـلـ عـقـبةـ بـكـرـ فـاتـفـقـواـ عـلـىـ الـصـلـحـ وـعـلـىـ خـدـمـةـ السـلـطـانـ وـحـلـفـهـمـ عـلـىـ ذـلـكـ وـخـلـعـ عـلـيـهـمـ وـرـجـعـ إـلـىـ مـحـطـتـهـ وـمـعـهـ الـأـمـرـ عـلـمـ الدـيـنـ حـمـزةـ فـلـهـ اـصـبـحـواـ مـنـ النـهـارـ الثـانـيـ طـلـعـتـ الـأـعـلـامـ السـعـيـدـةـ الـمـنـصـورـةـ السـلـطـانـيـةـ حـصـنـ بـكـرـ وـخـفـضـتـ ذـوـائـبـهـاـ هـنـالـكـ طـاعـةـ لـلـسـلـطـانـ . ثـمـ نـزـلـ الـأـمـرـ تـاجـ الدـيـنـ إـلـىـ الـمـحـطةـ فـأـنـصـفـهـ الـأـمـرـ سـيـفـ الدـيـنـ وـخـلـعـ عـلـيـهـ وـاعـطـاهـ جـنـداًـ وـكـسـاـ غـلـمـانـهـ وـاصـحـابـهـ . وـانـعـدـ الـصـلـحـ بـيـنـهـمـ وـبـيـنـ الـسـلـطـانـ خـمـسـ سـنـيـنـ وـتـوـجـهـ الـأـمـرـ سـيـفـ الدـيـنـ إـلـىـ الـبـابـ الشـرـيفـ وـصـحبـتـهـ الـأـمـرـ عـلـمـ الدـيـنـ حـمـزةـ بـنـ اـحـمـدـ صـهـرـ الـأـمـرـ تـاجـ الدـيـنـ مـحـمـدـ بـنـ اـحـمـدـ وـلـمـ يـكـنـ وـصـلـ اـبـوـابـ السـلـطـانـ قـبـلـ ذـلـكـ . وـكـانـ مـعـهـ اـبـنـ اـخـيـهـ عـبـدـ اللهـ بـنـ تـاجـ الدـيـنـ وـجـمـاعـةـ مـنـ الـعـربـ .

وفي هذه السنة عزم الـأـمـرـ سـيـفـ الدـيـنـ سـلـارـ نـائـبـ السـلـطـانـةـ فـيـ الـدـيـارـ الـمـصـرـيـةـ

(١) في المسجد : والي سعارة ، ولم يتحقق كلام اللقطتين ،

على ان يجهز الامير بيبرس في جيش كثيف الى اليمن . وأمر على الامير عز الدين الاشقر شاد الدواوين ان يتقدم الى جهة قوص لعمارة المراكب فعمّر نيفاً وخمسين مركباً . وقدر الله موته وموت اولاده وعائلته وجميع اهل داره في ايام قلائل ولم يبق منهم احد . فرجع الامير سيف الدين سلار عن ذلك الرأي وأشار بان يحضر الفقهاء والقضاء ومشايخ الحوانق واصحاب الزوابيا وارباب الخير والصلاح الى مقام السلطان الملك الناصر ليعلمهون ان هذا الامر لا يحل الاقدام عليه لان اليمن بلاد الایمان وهي بلاد العلم والعلماء والفقهاء والصلحاء وارباب الخير وملوكها ثابت الولاية مستمر الحكم قد انعقد الاجماع عليه فلا يجوز البغي عليه . فرجع السلطان عن ذلك الرأي وجعل هذا سبيلاً لتأخير المسير .

ولما علم السلطان الملك المؤيد بذلك منع الكارم تلك السنة حتى وصلَّ الرسول بالعلم بذلك واستقرت الامور على تسفير رسول من الديار المصرية الى اليمن ومتعمم فكان الرسول رجلاً يسمى السعدي من مماليك الملك الظاهر . والمتعلم القاضي شمس الدين محمد بن عدلان احد القضاة . وكان مضمون الرسالة تقرير الحال وان السلطان قد درج عما قد عزم عليه . وفي خلال ذلك الرغبة الى الصلاح والمواعدة . ثم توجه الرسولان الى بلاد اليمن فحضرما مقام السلطان وكان السلطان يومئذ مريضاً لا يستطيع الكلام واتفق ان حدث بالاسير الواسل مرض افضى به الى الموت فتوفي في الثالث والعشرين من جمادى الاولى من سنة ثمان وسبعينة . وكانت وفاته بزبيد في ظاهر المدينة . ورجع القاضي شمس الدين الى الديار المصرية وصحبته جواباً ما جاء بسببه .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الفاضل محمد بن عيسى بن علي بن محمد ابن ابي بكر بفتح اللام . وكان فقيهاً حافظاً لكتاب الله تعالى ومن احسن الناس لهجة به من سمعه يقرأ استغرب قراءته وطرب له . رتبهُ بنو عمران اماماً في الجامع بعد ابيه ولم يكن لديه فقه شاف . فلما انفصل بنو عمران اقام اماماً بعدهم نحو سنة ثم فصله بنو محمد بن عمر فاقام متفصلأً عدة سنين الى ان توفي في الهند . وكانت وفاته في السنة

المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل احمد بن عبدالله الجبرتي واصله من جبرت وهي ناحية من نواحي بلاد الصومال . وكان فقيهاً فاضلاً قدم طالباً للعلم فاقام بالصنعة اياماً فقرأ على الفقيه محمد بن ابي بكر الاصبجي فتفقه به ثم بتلميذه الامام ابي الحسن علي بن احمد الاصبجي صاحب المعين ثم رتبه القاضي اماماً في قبة هنالك جعلوها مسجداً . ثم لما خرجن عن سير خرج هذا الفقيه الى الذبيتين فأقام بها الى ان توفي في السنة المذكورة . وقبره قريب من تربة شيخه الامام ابي الحسن علي بن احمد المذكور رحمة الله تعالى عليها .

وفيها توفي الفقيه الصالح ابو العباس احمد بن عبد الدائم بن علي المعروف والده بالصفي الميموني . وكان فقيهاً فاضلاً جيداً تفقه في بدايته بفقهاء تعز كابن البابا وابن العزاف وغيرهما . وارتحل الى تهامة فأخذ عن الفقيه اسماعيل بن محمد الحضرمي وغيره . ثم لما عاد الى الجبل درس بذى جبلة . ثم انتقل الى تعز فدرس بالرشيدية . ثم لما ابتدى الملك الاشرف مدرسته بالمرغبة جعله مدرساً بها . فلم يزل بها الى ان توفي الملك الاشرف في تاريخه المذكور اولاً وكان وقف الملك على مدرسته قليلاً واغا كان يفتقد الفقيه في سائر اوقاته فلما توفي الملك الاشرف كما ذكرنا اولاً قيل للفقيه هل لا انتقلت الى بعض هذه المدارس فان وقف هذه المدرسة لا يحملك . فقال لا غير صحبة الاشرف حياً ولا ميتاً . وكان اخذه لكتب الحديث عن الفقيه ابي العباس احمد بن علي السردي وعن اسحق الطبرى وعن ابراهيم بن عجلان . واليه انتهت رئاسة الفتوى في مدينة تعز ونال من الاشرف مكانة جيدة . وكان موته فجأة ليلة الخميس لثمان بقين من السنة المذكورة رحمة الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الصالح ابو الحسن علي بن عثمان الاشبهي وكان فقيهاً عارفاً قدم اليمن غريباً من ناحية الحجاز فلما وصل تعز اقام في السيفية اياماً فأخذ عنه جماعة من الفقهاء فبلغ العلم به الى قاضي القضاة يومئذ وهو الصاحب موفق الدين فرتبه مدرساً في المدرسة المظفرية . وكان يدرس كتاب الحاوي الصغير ولم يكن يعرف

كتب الشيخ ابي اسحاق الشيرازي ولا كتب الشيخ ابي حامد الغزالى فأخذ الناس عنه الحاوي الصغير وغيره . ويقال انه كان مدرساً ببغداد ومعيناً ولما وقف على كتاب المعين تصنيف الفقيه علي بن احمد الاصبحي اعجب به واستنسخه وقال ما كنت اظن ان مثل هذا يوجد في زماننا ثم لم تطب له الاقامة في اليمن فاستاذن في السفر الى عدن وسافر الى عدن هذه السنة المذكورة سنة سبع وسبعينة ذكروا ان المركب الذي سافر فيه غرق والله اعلم .

وفيها توفي الفقيه الفاضل الخضر بن عبدالله بن محمد بن مسعود الحسي نسبة الى قبيلة من خولان يعرفون ببني جبي وكان فقيهاً مرضياً تفقه باحمد بن سليمان الحكمي وأخذ عن محمد بن عمر بن علي الساعي وكانت وفاته في السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الصالح صالح بن احمد بن محمد بن يوسف بن ابي الخل وكان فقيهاً كبيراً عملاً ورعاً كثير الصيام والقيام وكان يقول لدرسته لا تأتوني الا في وقت كراهة الصلاة لانه كان لا يمل الصلاة ليلاً ولا نهاراً تفقه بعمر بن علي الساعي . وكان غالباً ايامه صائمًا لا يفتر غير الايام المكرورة للصوم وكان راتبه في كل يوم وليلة الف ركعة - وامتحن في آخر عمره بالعمى فكان يعرف الرجل الداخل عليه قبل ان يتكلم . وكانت وفاته في السنة المذكورة بعد ان جاوز عمره سبعين سنة رحمه الله تعالى .

وفي هذه السنة توفي الفقيه البارع ابو عبدالله محمد عمر بن علي بن محمد الاحمر الخزرجي الانصاري الساعدي نسبة الى ساعدة بن كعب بن الخزرجي . وكان مولده سنة تسع وثلاثين وستمائة . وتفقه بعلي بن ابراهيم البجلي . وكان اول من لزم مجلسه . وكان الفقيه عمر بن ابراهيم زميله في القراءة وهو من اتراب محمد بن حسين من اهل عواجه . ودرس هذا محمد بن عمر في جامع المسكية . وهو جامع احدثه السلطان الملك المظفر يوسف بن عمرو وجعل فيه مدرساً ودراسة . ولم يزل هذا محمد بن عمر على التدريس به الى ان توفي الى رحمة الله تعالى يوم التاسع

من المحرم وقيل يوم العاشر منه من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .
وفي سنة ثان وسبعين اتفق عمارة القصر السلطاني المسمى بالمعلى في
ثعبات . وكان فراغه في النصف من صفر من السنة المذكورة . وهو قصر قصرت
المحاسن في نواحيه . واطلعت الاجاجة في أفق معاليه .

اجمع ارباب اختراق الآفاق أنه لا مثل له في شام ولا عراق . وانهم لم
يشاهدوا مثله ابداً وهو مجلس طوله خمسة وعشرون ذراعاً في عرض عشرين ذراعاً
بسقفين مذهبين بغير اعمدة له اربع مناظر باربعة رواشن ليس فيه الا رخام وذهب
وامامه بركة طولها مئة ذراع في عرض خمسين ذراعاً على حفافاتها صفة طيور ووحش
من صير اصفر ترمي الماء من افواهها . وفي وسط البركة فواراة ترمي الماء الى السماء
فيبلغ مدى بعيداً . وقباله شاذروان بعيد المدى يصب ماؤه الى البركة المذكورة كأنه لوح
من بلور لا يمكن التعبير عنه بغير هذا وفي المجلس شبابيك تقضي الى بستان عجيب
النظر حسن المختبر والمخبر .

وكانت اقامة الصناع في عمله مدة سبع سنين قال المصنف ايده الله وسمعت
من يحكى من ادرك ايا اعمارته انه كان يطلع اليه في كل يوم نحو من سبعين بغلة من
الصناع الغرباء ما بين نجار ودهان ونحاس وصانع ومكندج ومرخم ومزخرف
ومصور خارجاً عن يركب الحمير ومن لا يركب من اتباعهم . وهذا ما عدا صناع
البلاد وهم اضعاف اضعافهم . ولما فرغت امارته على الصفة المذكورة امر السلطان
رحمه الله تعالى بعمل فرحة عظيمة جامعة حضرها اعيان الناس بل عامتهم على
اختلاف حالاتهم وتتنوع طبقاتهم . وكان السلطان رحمة الله عليه ينظر اليهم من
الطبقة الثانية وامر باضافة الخلع على اعيان الناس واجرى للجميع من كرمه نوالاً
وبلغهم من جوده آمالاً . وهنأه الشعراً بذلك . وفي ذلك يقول عبد الله بن
جعفر :

هنشت قسراً على كلِّ القصور سما يا حبذا برج سعدٍ فيه بدر سما
بنيتهُ مستجداً تستجدُّ به نصراً من الله قد اجرى به القلما

والخلد والعز والأفراح والنعما
وقوف سقف ولا شيء به دعما
فنال من دونه ذوباً به رقما
منها ثياب تلف الوهد والأكما
واظهر الله من أستاره إرما
والحركتان كأن الفرقدین هما
هما الجناحان وهو القصر بينهما
مؤدبات لسلطان الورى خدما
فاعجب بجامد ماء فيه ذائب ما
كمثل خلي اذا قابلته انهزما
أمامه فتولى عنه محشما
ففر عنك بروح منه مغنتها
في رفعة في بقاء ليس منصرا
او رى كل ظما او منع كل حما
فمذ وجدت بحمد الله ما عدما

و قال عبد الباقی بن عبد المجید في ذلك ويدح السلطان الملك المؤيد رحمه الله
تعالى :

واترك بيوت الشعر في ابياتها
من ارض صهلتها الى ثعباتها
شرفًا تريك العز في شرفاتها
قد اعربت بالطيب عن ثمراتها
فكأنها الاقامار في حالاتها
اين المجرة من نما زهراتها
نظمت عقود الدر في آياتها

ويلتقي الأمن واليمن المقيم به
هل في الخلافة آياتٌ تشاهدها
وأبصر التبر مبذولاً لطالبه
بين الحدائق والاعناب قد نشرت
كأنما عاد غُمْدان كمبئه
كأن أربعة الجوزا رواشه
بين الشبيهين شاذروان قيلته
تظل منه صفوف الماء ساجدة
إلى سوافي رخام فوق فسقية
للخورنق حين المعقلّي بدا
لم يستطع لوقف في مناظرة
كأنه رب جيشٍ قد طلعت له
فحلّه في سعود في علو يده
في حقن كل دم او كشف كل غما
أحييت من يوسف السامي مأثره

دع رامة الوادي ودع سمراتها
والحظ منازل آل جفنة في العلي
تجد القصور الشاحنات على السها
تلك الجنان اما ترى انهارها
تحلي زواهرها ويشرق زهرها
مثل المجرة في انتظام قصورها
برزت بها الاغصان شبه عرائس

عود يريك اللحن من نغماتها
 بجميل منظرها وجل صفاتها
 وتسلسل الانهار في بحراتها
 فشياته في العين مثل شياتها
 يوماً بازهى من بها غوطاتها
 من فضة تجري على حفاتها
 من صنعة فخرت بحسن ثباتها
 باهي النجوم اذا سمت بسماتها
 في حسنها الباهي وفي حسانتها
 كالشمس كاشفة دجى ظلماتها
 مجرى بما يختار من حركاتها
 والنفس جارية على عاداتها
 وبواسم عن فضلها وعباتها
 أربت على الاملاك في غياتها
 لما علت هاته هماتها
 فلذاك اضحت جاماً لشتاتها
 والنصر معقود على راياتها
 خططاً من الايام في نكياتها
 مقصورة أبداً على لذاتها

في كل عود من سواجع طيرها
 فخرت بها ثعبات امصار الورى
 وسمت عينيها وحسن نباتها
 فلذا بها الطاووس فرق ريشه
 ما شعب بوان وغوطه جلق
 بنيتها من عسجد ومياها
 وبها مشيد المعقلي فكم به
 قصر يقصر عن لحاق كماله
 هذى المنازل لا منازل غيرها
 فلك به الملك المؤيد طالع
 فلك به الافلاك جامدة على
 متعدد بذل النوال لقادص
 ايامه للقادصين مواسم
 ملك له في العلم او في غاية
 بد الملوك ابو المظفر في العلي
 حازت مناقبه شتات فضائل
 يلقى اعاديه كتائب جيشه
 لم تلق ان شاهدت ضوء جبينه
 ايامه مخلوقة لهاته
 وهذه قصيدة طويلة هذا عيونها :

ولما فرغ بناء المعقلي في التاريخ المذكور امر السلطان ببناء قصر ثان في بستان
 صالة وتوجه الى محروسة زبيد يوم الرابع من جمادى الاولى فقام بها نصف شهر
 وتوجه نحو مدينة المهجم فاقام بها الى يوم الثلاثاء التاسع عشر من شهر رجب وسار
 الى حجة في جيش اجشن :

يُنْفِي أَغْرِّ لَا قَوْدٌ عَلَيْهِ وَلَا دِيَةٌ تُسَاقُ وَلَا اعْتِذَارٌ
تُرِيقُ سَيُوفَهُ مَهْجُ الْأَعْدَادِ فَكُلُّ دَمٍ أَرَاقَتْهُ جَبَارٌ
وَذَلِكَ حِينَ طَالَ الْحَصَارُ عَلَى الظَّاهِرِيْنَ وَلَمْ يَتَصلُّ الْمُقْدَمُونَ إِلَى غَرْضِ فَوْصَلِ
الْسُّلْطَانُ إِلَى الْجَاهِلِيَّةِ يَوْمَ الثَّالِثِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ وَتَسْلِيمُ الظَّاهِرِيْنَ يَوْمَ الرَّابِعِ
وَالْعَشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ . وَنَقْلُ الْمَحَطةِ وَالْمَنْجَنِيقِ إِلَى شَمْسَانَ وَتَوَاتِرُ الْقَتَالِ عَلَيْهِ وَرِمَاهُ
بِالْمَنْجَنِيقِ فَعَمِلَ فِيهِ الْمَنْجَنِيقُ عَمَلاً عَظِيْمًا .

وَكَانَ الْمَلِكُ الْمَظْفُرُ وَالصَّاحِبُ مُوفِّقُ الدِّينِ يَنْزَلُانَ لِحُضُورِ الزَّرْفَةِ عَلَيْهِ
وَتَطَاوِلُ عَلَيْهِ الْقَتَالُ إِلَى النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ . ثُمَّ سَلَمَهُ صَاحِبُهُ وَبَعْدَ تَسْلِيمِهِ وَصَلَّ
الْأَمِيرُ تَاجُ الدِّينِ إِلَى الْمَحَطةِ . وَقَدْ كَانَ وَصَلَّ قَبْلَهُ الْأَمِيرُ ابْنُ وَهَاسٍ وَصَاحِبُ ثَلَاثَةِ
وَعُسَاكِرِ الْيَمَنِ الْأَعْلَى حَتَّى امْتَلَأَتْ حِجَّةُ بِالْعُسَاكِرِ . وَتَوَسَّطَ ابْنُ وَهَاسٍ فِي الصلَحِ
لِصَاحِبِ جَرَافَ . فَعَادَ إِلَى الْخَدْمِ السُّلْطَانِيَّةِ وَرَهَنَ وَلَدَهُ وَتَوَسَّطَ إِيْضًا فِي صَلحِ الْأَمَامِ
مُحَمَّدِ بْنِ مُطَهَّرٍ عَلَى تَسْلِيمِ عَزَانَ وَبِرَاشَ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى السُّلْطَانِ مِنْ حِجَّةَ . وَكَانَ انْفَصَالَهُ
عَنْهَا يَوْمَ السِّبْتِ التَّاسِعِ عَشَرَ مِنْ شَعْبَانَ . فَدَخَلَ الْمَهْجُومُ يَوْمَ الثَّالِثِ وَالْعَشْرِينَ
مِنْهُ . وَخَرَجَ مِنَ الْمَهْجُومِ يَوْمَ الْخَامِسِ وَالْعَشْرِينَ مِنْهُ مَتَوَجِّهًا إِلَى زَبِيدَ . فَاقَامَ بِهَا
وَصَامَ شَهْرَ رَمَضَانَ وَعَيْدَ الْعِيدِ بِهَا .

وَفِي الْيَوْمِ السَّادِسِ عَشَرَ مِنْ شَوَّالٍ وَصَلَّ الْأَمِيرُ تَاجُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ اَحْمَدَ بْنُ
يَحْيَى بْنِ حَمْزَةِ إِلَى الْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ بِزَبِيدَ بَعْدَ الْاِمْتِنَاعِ الشَّدِيدِ وَالْمَرَامِ الْبَعِيدِ .
فَأَكْرَمَهُ وَاتَّحَدَهُ وَعَظَمَهُ وَانْصَفَهُ . وَلَمْ يَكُنْ قَبْلَ ذَلِكَ وَصَلَّ إِلَى السُّلْطَانِ . وَكَانَ مِنْ
أَعْيَانِ الشَّرْفَاءِ وَرَؤْسَائِهَا . وَهُوَ صَاحِبُ الْحَصُونِ الْغَرْبِيَّةِ كَحْلَانَ وَالْطَّوِيلَةِ . وَعَدَةُ
حَصُونَ كَثِيرَةٌ مِنْ الْحَصُونِ الصَّغَارِ . فَعَامَلَهُ السُّلْطَانُ بِانْعَامِهِ . وَفَاضَ عَلَيْهِ صَبَّبٌ
أَكْرَامَهُ . وَتَوَجَّهَ الرَّكَابُ الْعَالِيُّ إِلَى بَحْرِ الْأَهْوَابِ عَلَى سَاحِلِ زَبِيدَ . فَرَكِبَ الْفَيْلَ
عَنْ دُخُولِهِ الْفَاذَةِ . وَارْدَفَ الْأَمِيرُ تَاجُ الدِّينِ خَلْفَهُ . فَارْتَاعَ قَلْبُ الشَّرِيفِ مِنْ
رَكْوبِ الْفَيْلِ .

وَفِي رَكْوبِ الْفَيْلِ يَقُولُ عَبْدُ الْبَاقِيِّ بْنُ عَبْدِ الْمُجِيدِ :

الله أولاك يا داود مكرمة
ركبت فيلاً فضل الفيل في رهج
لك الايه أذل الوحش اجمعه
وأقام السلطان في البحر أياماً . ثم عاد الى زبيد فأقام فيها اياماً ثم توجه
إلى تعز فدخلها يوم السابع والعشرين من ذي القعده وأحضر الامير تاج الدين للنرفة
والفرحة في قصور ثعبات وقراضة وصهلة وصالحة فرأى ملكاً كبيراً وجنة وحريراً . ولما
وصل السلطان إلى ثعبات كما ذكرنا هناء الامير عماد الدين ادريس بن علي بقدومه
إليها في أول العشر من ذي الحجة فقال :

وترهو بك الأيام والملك والذهب
بحيث استقر الملك والنهي والأمر
وطالت على الآفاق وابتهج القصر
تبَدَّى لـنا من بين أركانه الفجر
ورام اصطباراً وهو ليس له صبر
ومـا فعلت فيها صوارـمـك البـترـ
لـكـ العـزـ والـاقـبـالـ والـفـتـحـ والـنصرـ
ولـاحـ ضـيـاءـ منهـ يـحـسـدـهـ الـبـدرـ
ولـاـ غـرـوـ أـنـ يـزـهـوـ بـكـ الدـسـتـ والـصـدرـ
وـمـاـ رـضـيـتـ بـعـدـ أـتـاهـةـ الـهـبـرـ
وـمـاـ زـالـ مشـتـاقـاـ لـكـ الـبـيـتـ والـحـجـرـ
وـفـيـ كـلـ قـلـبـ منـ مـخـافـتـكـ ذـعـرـ
ضـربـتـمـ روـاقـ المـجـدـ فـاتـضـحـ الفـخرـ
فـهـاـ اـحـدـ مـنـ رـقـ إـحـسانـكـ حـرـ
لـيـاليـكـ زـهـوـ وـأـيـامـكـ غـرـ
تـدوـمـ وـتـبـقـىـ مـاـ لـآـخـرـهـ حـصـرـ

تهنىءـ بـكـ العـشـرـ الـكـرـيمـةـ وـالـشـهـرـ
وـبـائـمـنـ وـالـاقـبـالـ حلـتـ رـكـابـكـمـ
سمـتـ ثـعـبـاتـ فوقـ كـيـوانـ رـتـبةـ
وـأـشـرقـ نـورـ الـمـعـقـلـيـ كـأـنـاـ
وـقـدـ كـانـ ظـنـ الـهـجـرـ لـاـ رـحـلـتـ
فـلـمـ أـتـتـ مـنـكـمـ بـشـائـرـ حـجـةـ
تـسـلـىـ عـنـ الـبـعـدـ الـلـلـمـ وـسـرـهـ
وـحـينـ بـدـاـ فـيـهـ جـبـنـكـ مـشـرـقاـ
زـهـاـ حـينـ مـاـ حلـ اـبـنـ جـفـنـهـ صـدـرـهـ
لـعـمـريـ لـقـدـ آـسـتـمـوـ غـرـضاـ بـهـ
وـلـاـ يـشـتـ مـنـكـمـ اـبـاطـحـ مـكـةـ
وـفـيـ كـلـ اـرـضـ مـنـ سـطـاـكـ خـافـةـ
وـفـوـقـ مـحـلـ الشـمـسـ قـدـراـ وـرـفـعـةـ
وـقـلـدـتـمـ كـلـ الـأـنـامـ صـنـائـعـاـ
فـلـاـ زـلتـ لـلـدـنـيـاـ وـلـلـدـيـنـ بـهـجـةـ
تـجـلـدـ فـيـ الـأـيـامـ كـلـ مـسـرـةـ

وفي شهر شوال من هذه السنة أخذ محمد بن عامش وولده من مشائخ حجة حصن ماذن وقتلا صاحبه علي بن صعصعة وأخاه اسحق .

وفي شهر ذي القعدة وصل العلم من مكة المشرفة ان اهل مصر سلطنا ركن الدين بيبرس الجاشنكير وتسمى بالملك المظفر وكان السبب في ذلك ان بيبرس وسلام استوليا على الملك وتصرفا على الاموال والخزائن ولم يكن للسلطان منها الا اسم السلطنة فراجعهم في الحج وجهز اولاده في الركب المصري وسار هو نحو دمشق ليسيير مع الركب الشامي . فلما خرج من مصر وملك نفسه صار نحو الكرك وصدر ماليكه بعد اولاده فاستعادوهم ولزم نفسه عن مصر وأهلها سلطنا بيبرس كما ذكرنا .

وفي هذه السنة المذكورة ظهر من الشريفين رميثة وحيضة في مكة المشرفة من الجور والعنف والطمع في اموال الناس ما لم يعهد منها قبل ذلك .

وفيها توفي الفقيه الصالح ابو عبدالله محمد بن عبدالله بن بكر بن زاكي اليعلوبي نسبة الى عرب يعرفون ببني يعلي وكان رجلاً مباركاً صالحأ . وكان من اعرف الناس بفن القرآن وانتفع الناس به وقصدوه من نواحٍ شتى . وأخذوا عنه مصنفات في علم القرآن . وشهر عنه انه كان يقرئ الجن ايضاً ومسكنه قرية أحسن بهمزة وسين مهملة وخاء معجمة ونون على وزن احمد . وكانت وفاته في السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفي سنة تسع وسبعين توجه الشريف عماد الدين لافتتاح الشرفين وصحبته العساكر المنصورية واتفق ان ولد علي بن صعصعة تمت له عمولة في حصن ماذن فدخلته العساكر السلطانية وفككتوا منه ولزموا ابن عامش وولده وسلم نواب السلطان الحصن . وكذلك حصن الحربوش في بلد الجبر ايضاً تسلمه العسکر ايضاً . ووصل امر السلطان بتسليم ابن عامش وولده الى ولد علي بن صعصعة وابن عمه وولد اسحق بن صعصعة فقتلتهم بأبويهما عند باب الجاهلي وتقدم الشريف بالعساكر من الظهرة نحو الشرف الاعلى فاستولى على بلد سعد ببلد الجبر وحصن

القاهرة ببلد المحاسبة وأخذ رهائن اهل الشرفين وتوجه نحو الشرف الاسفل يوم الحادي عشر من شهر ربيع الاول فحط بقلحاج و وسلم في يومه ذلك حصن القفل وكان في يد ابن مقرعه مولى الشريف ابراهيم بن قاسم واجتمعت عساكر الشرفين مع العساكر السلطانية فكان الجميع خمسة آلاف فقصد بهم الامير عماد الدين جبل الشاهل وهو من احرز الجبال وامنها . وكان عند الشريف يحيى بن احمد القاسمي يقاتل منه فجعل الشريف عماد الدينبني عمه في عسكر العرب اول الناس . وسار في العسكر السلطاني آخر الناس فلم يلقهم دون حصن اقتاب احد من الناس فحط عليه وأخذه واستولى على حصن الناصرة وسار نحو جبل المسهلة فدخل الشريف يحيى بن احمد القاسمي رعب عظيم . وطلب الصلح على تسلیم حصن العروس وهو مستقر الشريف حيث امواله وطعامه وحصن شمسان وحصن السموأل ولم يبق في يده الا المنصورة فانتقل اليها وسلم ولده رهينة في نزوله الى الباب الشريف السلطاني . فلما صفا الشرف الاسفل ولم يبق فيه الا حصن الشوكة للأشراف اهل جبل الحرام . ومنهم بالباب محمد بن علي واخوه يطلبان بيعها على السلطان . فحط عليه الامير عماد الدين في العسكر المنصور ثلاثة ايام فسلمه اصحابه بالفي دينار وطلوع الشريفين من الباب . وجاءت البشارة الى السلطان وقد اشتراه الصاحب من الشريفين بخمسة آلاف وافراس وكساوي فسرّ السلطان بأخذه وابطل ما شرع فيه الصاحب . وسار الشريف عماد الدين الى الشرف الاعلى .

وفي يوم الاثنين السادس عشر قتل الامير سيف الدين طغرييل قته الاكراد في ذمار وكان على باب المدينة في قصر السلطان . وكان قد طلب جريدة من الباب فطلعت اليه جريدة جيدة بسبب تسلیم القطع التي في البلاد فتوهموا انه يريد القبض عليهم فقصدوه آخر الليل فاتأه النذير في تلك الليلة مراراً فضيغ الخزم . وكان امر الله قدرًا مقدوراً . فلما عزموا على قته اجعوا وخرجوا من المدينة فقصدوا محطة عسكر صنعاء فعقرروا خيلهم وساروا نحو القصر فأخذوا الاصطبان فجاءهم عسكر السلطان من الماليك البحريه وغيرهم فكسر وهم وطردوهم عن القصر الى

باب المدينة . ورجعت المالكى الى الامير سيف الدين وهو في القصر فسألوه الخروج اليهم فامتنع ولم يحفل بهم ففرق العسكر عنه ثم قصده الاكراد فحاصروه الى بعد طلوع الشمس فخرج اليهم على ذمة فقتلوه وقتلو معه صهره وهو استاذ داره وكاتبه ووالى ذمار واربعة من ماليكه . فكان جملة من قتل معه ثانية نفر وهو تاسعهم ونهبوا المحطة وما فيها من خيل وعدد و Herb من هرب سالماً . ولما وصل العسكر الى السلطان وقد اخذت خيولهم وعددهم واثاثهم عوضهم السلطان عمها فات .

وجهز العسكر مع الامير شجاع الدين عمر بن القاضي العماد وهو يومئذ امير جاندار وسير الامير عباس بن محمد نحو صنعاء على طريق تهامة وحجنة ومعه مال جيد استخدم به عسكراً فتأنى ابن العماد في مسيرة حتى خرج عباس من صنعاء وفيه الامير علم الدين حزنة بن احمد والامير بن وهاس وصاحب ثلا وهمدان وعيال سريح وغيرهم فكان دخولهم هم وابن العماد ذمار في يوم الاحد وقد انحازت الاكراد الى الوادي الحار واستولوا على حصن هرآن وشحنته ورتبا فيه جماعة فقصدتهم العسكر الى الوادي الحار فقاتلواهم ثلاثة ايام فقتل في يوم منها ثلاثة من الاكراد وأخذت خيولهم . ثم تفرق الاكراد في كل ناحية وخرب العسكر المنصور اموال الفضل بن منصور وعاد العسكر الى ذمار فتوجه الاشراف نحو بلادهم وأقام الاميران بذمار . وحصلت المقابلة والراسلة بين الاكراد والامام بن مظير فأجابهم وسار الى بلدبني شهاب وطلب الاكراد الى هنالك فاجابوه وسار عباس بعسكر صنعاء الى صنعاء وسار الاكراد والامام وغيرهم الى قرن عنتر فأخذوا قهراً وقاتل من كان فيه وكان فيه نحو من مائة رجل . واخذت العرب بيت برام وبيت ردم . وقاهر حضور وردمان بني حوال وزحف الامام على صنعاء آخر شهر رمضان . وكان الامير عباس قائماً في افراط في السائلة خلف الباب وقاتل اهل صنعاء على الدوائر ودخل بعض العسكر من بستان السلطان ورجعوا ورددوا ورجع الامام الى حدة وستاع فاقام بها هنالك وكان معه من الاكراد وغيرهم نحو من مائة فارس وتتابعت الامداد نحو صنعاء ثم طلع السلطان بنفسه النفيضة فلما وصل ذمار جعل رحيله من ذمار صحيحاً فامسى على باب

صنعاء فلم يطمع الامام في معاودة القتال عليها .
وفي شهر شوال خالف الشرفاء الى شمس الدين في صعدة واخرجوا اليها
الكردي وسيروه على طريق حرض فغضب السلطان وجهز ولده الملك المظفر الى قاع
بيت الفاهرم . فحط هنالك يوم السادس من ذي القعده ولوقته سار الى بيت حُبْصَ
فاستولى وظهرت عساكره على الامام ابن مظهر بحدة فانهزم هو ومن معه من الاكراد
طريق الحازة الى حاقد ثم طلعوا الى سبا وكان الميعاد بين السلطان ولوئه الملك المظفر
الي يوم الثلاثاء بان يركب العسكر السلطاني من صنعاء الى حدة فاستعجل الملك
المظفر آخر نهار الاثنين فكانت عجلته سبأ لسلامة ابن مظهر والاكراد ولكل اجل
كتاب .

وفي اول ذي القعده نقض الامير همام الدين الصلح الذي بينه وبين السلطان
وكاتب آل شمس الدين باللقاء والاتفاق واقام الامام محمد بن مظهر بجبل رهقة
والاكراد في الروبة والملك المظفر في محطة في قاع بيت الفاهرم مدة نصف شهر وعامل
محمد بن الذئب الشهابي في الامام والاكراد فطلع العسكر الجبل فانهزم الامام
والاكراد ثم نزلوا طريق مفحق وافتقرقوا من هنالك فسار الامام نحو دروان . ثم
سار نحو ظليلة فعيدها عيد الاضحى وسار الاكراد نحو طوران ثم وصل الامير علي
ابن موسى الى الامام محمد بن مظهر ووصل معه آل الامام فقصدوا الشريف لما بلغهم
من تأخر الفقيه على العسكر وافتراهم من أجل ذلك . فطلعوا من طريق كحلان
فركز لهم الامير عماد الدين فعادوا خائبين نحو الظاهر وقصدوا القبة ولقيهم الامير
همام الدين الى هنالك فحطوا عليها ثلاثة ايام ثم افترقوا ورجع الامير همام الدين
ظفار وسار الامام محمد بن مظهر والشريف علي بن موسى الى صعدة .

وفي غرة ذي الحجة امر السلطان بالقبض على الشريف جمال الدين عبدالله بن
علي بن وهاس وولديه داود والمؤيد بصنعاء . واحتج عليه بأمور اوجبت ذلك وسير
العساكر مع عباس بن محمد للمحطة على حصنه عزان وسير معه المنجنيق وعيّد
السلطان عيد الاضحى في صنعاء .

وفي هذه السنة توفي الامير تاج الدين محمد بن احمد بن يحيى بن حمزة بن سليمان بن حمزة بن علي بن حمزة وكانت وفاته يوم العشرين من جمادى الآخرة من السنة المذكورة وكان مع السلطان من يوم نزل اليه الى زبيد في شوال من السنة الماضية الى يوم وفاته رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الامام الفاضل رضي الذين ابو بكر بن محمد بن عمر البه gioyi وكانت وفاته في مدينة زبيد وكان مولده في شهر رجب من سنة ست واربعين وستمائة وكان تفقه بأبيه غالباً وبغيره كابن البانه . وربما أخذ عن المقدسي ثم تصوف وصاحب الاكابر من الصوفية كأبي السرور وغيره وحجج مكة فلقي فيها جمعاً من الاكابر وانتسخ كتاباً من كلام ابن العربي الصوفي فعكف عليها واعتقد ما فيها ثم لما عاد الى اليمن اقبل عليه أعيان الامراء والملوک والخواatin وصار لهم معتقد عظيم . ونقل اصحابه عنه أموراً تدل على صلاحه وجلالة قدره . وحصل بينه وبين الملك المؤيد ائتلاف وصحبة قبل مصرير الملك اليه واعتقد صلاحه اعتقاداً جاوز الحد وكان مظهراً لاقامة المعروف والنهي عن المنكر وابطال الخمر وما شابه . ولم يكن السلطان مغيرةً ما فعله اعتقاداً ان ما فعله هو الصواب . وله اشعار معجنة ويقال ان باشارته انتقلت الاوقاف من حكام الشرع الى ارباب الدواوين . ولم تكن قبل الا الى حكام الشرع الشريف . وكان نزوله الى زبيد في سنة ثمان وسبعينه فاقام بها الى ان توفي في ليلة الخميس لعشرين من شهر ربیع الآخر من سنة تسعة المذكورة . وحضر دفنه اخوه القاضي موفق الدين علي بن محمد بن عمر الصاحب نزل مزعجاً عليه من تعز فادركه متزاولاً به وقبر الى جنب قبر الشيخ الصالح علي بن افلح في مقابر باب سهام رحمه الله تعالى .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الصالح عثمان بن الفقيه يحيى بن الفقيه فضل وكان فقيهاً خيراً وله قريحة في الشعر ، ومن قوله بيتان يجمع فيها أولو العزم وهما :
اولو العزم فاحفظهم لعلك ترشد فتوح وابراهيم هود محمد
قال المصنف ايده الله اغا هذا بيت واحد ولكنه مقتفي الا ان يكون سقط البيت

الثاني من الاصل فيمكن ذلك ولانه لم يستوعب اهل العزم في البيت المذكور . فدل على سقوط بيت آخر والله اعلم . وهو الذي خمس مدحع ابن حمیر الذي اوله :
يا من لعین قد أضرَّ بِهَا السهر واصالع حُدُبٌ طوين على الشر
فقال :

قلبي المعنى صار حلفاً للتفكير وكذاك سمعي خانسي ثم البصر
ودموع عيني في المحاجر كالطار يا من لعین قد أضرَّ بِهَا السهر
واصالع حُدُبٌ طوين على الشر

وكانت وفاته مبروقاً يوم الحادي عشر من ذي الحجة من السنة المذكورة والله اعلم .

وتوفي الفقيه الفاضل ابو الخطاب عمر بن محمد بن عبدالله بن عمران التوجي بضم الميم وفتح التاء والواو مع التشديد وجيم قبل ياء النسب . وكان مولده سنة ست واربعين وستة بخلاف شبيبة . ثم سار الى تعز فدرس فيها في المدرسة العمرية . وكان يغلب عليه العزلة والانفراد والعبادة وكلفة دين عظيم . فارتحل الى عدن بسبب قضاء دينه . فادركته منيته هناك فتوفي بها يوم الخميس الحادي والعشرين من ذي الحجة من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الشیخ الرئیس محمد بن بطآل بن محمد بن بطآل بن احمد بن محمد ابن سليمان بن بطآل الرکبی نسبة الى قبیلة کبیرة يقال لهم الرکب من ولد انعم بن الاشرع يسكنون مواضع کثیرة في عددة نواحی من الیمن كان جده محمد بن بطآل يخدم السلطنة . وتولى ناحية المفالیس مدة فلما هلك تولى بعده ولده بطآل بن محمد فاقام مدة في ولایته ثم قتله بعض بنی عمه وكان ولده هذا محمد بن بطآل رہینة في الدملوأ عند خادم يقال له یاقوت فاقامه مقام ابیه وولاه الجهة فقوی أمره به واكتسب أموالاً وصاحب اعیان الدولة فقوی بذلك أمره واستمر على ذلك دھراً طویلاً فهرب منه الذين قتلوا آباء وكان یحب الرئاسة ویتقرّب الى الرؤساء من اهل الدين والدنيا الى ان توفي وكانت وفاته في السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الفاضل ابو الحسن علي بن مفلح الكوفي وكان فاضلاً أخذ عن ابن الحراري القراءات والفقه وكان خيراً من اكثرا الناس احساناً الى ابن الحراري وكان ابوه مفلح صاحب دنيا واسعة وكان ولده هذا علي يتحمل الغالب من مؤونة ابن الحراري من طعام وكسوة له ولعياله . فكان ابن الحراري مجتهداً في اقتراحه فوق ما يجب ويبالغ في اكرامه . و يؤثره على سائر الطلبة لذلك فكان يحسن الى سائر الطلبة ايضاً ويواسيهم . ثم حج في آخر عمره . وامتحن بالفقر . وكانت وفاته في ذي الحجة من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل اسماعيل بن علي بن محمد بن احمد بن نجاح المعروف بابن ثيامة . وأمه بنت الفقيه اسماعيل بن محمد الحضرمي . وكان فقيهاً عارفاً بحسن الاخلاق وكريم النفس توفي الى رحمة الله تعالى في جمادى الاولى من السنة المذكورة .

وفيها توفي الفقيه المقرئ ابو عبدالله محمد بن عمر بن بن سعيد وكان ميلاده في شهر المحرم اول سنة اربعين وستمائة وقرأ القرآن وصاحب الاستاذ أبا المسك عنبر وبسبب صحبته اتصل بالملك الواثق وسافر معه الى ظفار وغلب على امره ولم يزل وزيراً له الى ان توفي هنالك وكانت وفاته في شهر رمضان من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفي سنة عشر وسبعين تسلم الامير شمس الدين عباس بن محمد بن عباس حصن ظفار ونقل محطته نحو ظفار وحط بالطفة عند حصن تعز ونصب المنجنيق عليه فرغب الاشراف في الصلح واذعنوا للخدمة الشريفة على يد الشيخ نجم الدين محمد بن عبدالله بن عمر بن الحيد بصعدة ورهن الاشراف على قيامه . وسار معداً نحو السلطان الى صنعاء فأتم السلطان ما فعله وصاح الصائح بالصلح ليلاً على كره من الامير عباس مقدم الحرب يومئذ . وكان ذلك خديعة من الشيخ ابن الحند لما علم مقدرة اهل ظفار ان اقام عليهم الحصار فاستغاثوا به فبادر مسرعاً لرفع المحطة عنهم فعدها السلطان له من جملة الذنوب واتم السلطان ما تقرر من الصلح .

وتوجه السلطان من صنعاء الى محوسة تعز يوم الخامس والعشرين من صفر وترك في البلاد الصناعية الامير اسد الدين محمد بن حسن بن نور مقطعاً بها . وفي هذه السنة المذكورة تسلم الامير عماد الدين ادريس بن علي حصن المفاتح مضافاً الى ما تسلم من حصون الشرفين وسلم الجميع الى نائب السلطان . وهو حسن بن الطماح بن ناجي وقد ولاه السلطان جهات الشرق . وفي السابع عشر من جمادى الآخرة تقدم الركاب العالى من محوسة تعز الى محوسة زبيد .

وفي هذا التاريخ اصلاح الاكراط ودخلوا في الطاعة بعد ان ضاقت عليهم الارض بما راحت وبذلوا الطاعة من انفسهم ولجؤوا الى الحرم الشريف متفيئين ظلاله مستمطرين نواله فعادت الشنشنة الرسولية عليهم بالاقبال واستقر الحال على بقاء هران بايديهم واستخدم من اراد الخدمة منهم وتسلم خمس رهائن .

وفي هذه السنة اقطع السلطان الامير جمال الدين نور بن حسن بن نور الاعمال الصعدية والجوفية والجذة بتهامة وعوض الامير عماد الدين عن الجذة بالقحمة .

وفي جمادى الآخرة سار الامام محمد بن مظہر يريد لقاء الاكراط وقد طلبوه فوصل برأس الباقر وأقام ينتظهم فبدأ لهم في الصلح فاصلحوا السلطان على انفسهم فرجع الامام الى ورور وطلع السلطان من زبيد الى تعز في آخر ذي القعدة من السنة المذكورة .

وفي هذه السنة حج من مصر عدة من الامراء في عسكر كثيف وكان قصدهم لزم الشريفين رمية وحميضة . فلما علما بذلك نفرا من مكة ولم يحصل العسكر على قبضهما . فلما انقضى الحج ورجعت العساكر المصرية الى مصر عادا الى مكة .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الفاضل ابو الخطاب عمر بن عثمان بن يحيى بن اسحاق وكان مولده سنة ثمان وعشرين وستمائة . وكان فقيهاً مجيداً غلب عليه الاشتغال بالحديث . وكانت وفاته في صفر من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الصالح عبد الرزاق بن محمد الجبرتي الزيلعي ويقال انه شريف النسب . وكان فقيهاً فاضلاً من اهل المروعة والدين حباً في السعي في قضاء حوائج الاصحاب راغباً في ذلك . ودرس بالتاجية في مدينة تعز وتفقهه بمحمد بن عباس وعلي بن احمد الجندي . وكانت وفاته في صفر من السنة المذكورة . ويروى انه لما حمل نعشة وساروا به نحو المقبرة جاء طائر من الهواء فدخل في أكفانه ولم يُرَّ بعد ذلك والله اعلم .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الفاضل ابو عبدالله محمد بن الفقيه عبد الرحمن بن الفقيه يحيى بن سالم وكان فقيهاً عارفاً بالفقه والاصول ذكيّاً درس بعد ابيه وصاحب الفقيه ابا بكر بن محمد بن عمر بن اليحيوي مدة طويلة فنال مالاً جيداً وبسيبه جعل امر المدرسة اليه ولى اهله وبعثه الملك المؤيد سفيراً الى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقوم حات على ابيه نهى صاحب مكة لامر كان بينهما فلزمته ابو غني وصادره هو وصاحبته بمال فاقتضوا من حجاج اليمن وعادوا . قال الجندي واظن ذلك كان في سنة ثمان وتسعين وستمائة . وكانت وفاته في سنة عشر وسبعمائة بعد ان اتسعت دنياه اتساعاً كبيراً والله اعلم .

وفيها توفي الفقيه ابو الحسن^(١) علي بن عبدالله بن احمد بن عبدالله بن احمد ابن ابي القاسم بن احمد بن اسعد الخطابي^(٢) نسبة الى عرب يسكنون حارة يقال لهم بنو خطاب . وكان مولده سنة ست عشرة وستمائة وتفقهه بابن ناصر المذكور اولاً . وكان فقيهاً حقيقة مدققاً سكن قرية من مخلاف جعفر يقال لها منزل جديد بفتح الجيم وكسر الدال المهملة . وامتحن في آخر عمره بالعلم وتوفي على ذلك في السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل ابو عبدالله محمد بن علي بن عبدالله ولد صاحب المقداحة . وكان خرج في حياة ابيه قاصداً السياحة والتعبد فبلغ مدينة ظفار

(١) في الجندي : وكان صاحبه رجلاً يعرف بمحمد الدمشقي .

(٢) الذي في الجندي : ابو محمد عبد الله بن احمد الح .

الجبوسي واقام هنالك مدة . فلما توفي والده وخلال الموضع من قائم يقوم فيه ارسلوا له رسولاً قاصداً او سأله الوصول اليهم فوصل وابتلى رباطاً على صفة رباط ظفار وقام بالموضع قياماً مرضياً الى ان توفي في سلخ جمادى الاولى من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل عبدالله بن عمر بن ابي بكر بن الشيخ الحافظ علي بن ابي بكر العرشاني . وكان فقيهاً حبراً ذكياً حافظاً اخذ طريقة ابيه في حسن الخلق وكرم النفس وإطعام الطعام . وكانت وفاته في السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الصالح ابو عبد محمد بن احمد الخلقي نسبة الى قرية بحجر يقال لها الخلة بفتح الخاء . وكان فقيهاً عارفاً صاححاً ورعاً عابداً زاهداً تفقه باحمد بن جديل بسهرنة والفقير اسماعيل الحضرمي وعاد الى بلده فاخذ عنه ابن اخيه اسماعيل بن احمد بن علي ثم عرض لهذا الفقيه ان سلك طريقة الزهد والعبادة فابتلى رباطاً وانفق ماله على الواردين والقادرين ولم يزل به حتى توفي في السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفي سنة احدى عشرة وسبعينه حصل من الامام محمد بن مطهر عزم عظيم وتوجه الى الشرق في جمع من العساكر . وكان قد اصابه قبائل الشرف من ولاة السلطان بعض ما يكرهونه فسار بهم الامام نحو جبل الشاهيل فلم يظفر منه بشيء . وطلع بلد المحابشة فقاتل على القاهرة واستولى عليها وأخذ حصن هبيب وجبل سعد والشجعة والمفتاح واجابه اهل الشرف الاعلى كافة فنزل السلطان الى تهامة وجرد الجرائد الى تلك الجهة وامر الشريف عماد الدين ادريس بالتوجه اليها على عادته فسار الى جبل اقتاب وجمع العساكر وكاتب القبائل فيها اجابوا وسار الى عكاش في اليوم السابع من شعبان فقاتلتهم ثانية ايام وكان عسكرهم يومئذ الفا وخمسة وكان كل يوم ينقص من عسكره جماعة واستمد الامام بقبائل حجة وشظب والاهنوم وقبائل الشام فاقبلوا اليه فقصدوا المحطة يوم الخامس عشر من شعبان في ستة آلاف راجل

فانهزم العسكر السلطاني قبل وصول الامام ولم يبق الا الشرييف عياد الدين في اربعة افراص فأسر الشرييف عياد الدين وقتل ابن عميه قاسم بن الابريس وأسر خاله وسلم الرابع بعد ان عقر حصانه وقتل في الوعنة الامير جمال الدين غازي بن ابي بكر بن خضر . وكان يومئذ والي الموقر والمخلافة والسردية وقتل سبعة من الرجل . وأقام الشرييف عياد الدين مأسوراً نحواً من نصف شهر . ثم افلت فلحق بحصن عزان الذي لابني شرجبيل فجمع الامام جموعه وزحف عليه فلم يظفر بشيء . وتسلم الامير حصن المفتاح يوم الخامس عشر من شهر رمضان بعد ان افرغ ابن الطماح جميع ما فيه من شحنة وصبر هو ومن معه على اهون القوت . وانتقل الشرييف عياد الدين الى الظفر حصن الامراء بني صفي الدين في نصف شهر رمضان . وقد كان السلطان جهز ولده الملك المظفر والصاحب موفق الدين الى الشرف قبل الوعنة فلقيهما الخبر وهما بالهجوم فسارا وحطوا في قللحاج . ثم ساروا الى موضع محطة الشرييف عياد الدين فهزموا عسكر الامام وقتل الشيخ الرياحي صاحب جبل تيس . ثم انتقل الشرييف من الحصن المذكور الى محطة الملك المظفر بقللحاج فاقام عنده على احسن حال الى الرابع عشر من شوال وامره بالاقامة في جبل الشاهيل وترك عنده من العسكر الف راجل . ونزل المظفر والصاحب موفق الدين الى تهامة . وتجهز الامير شمس الدين عباس بن محمد بن عباس الى حجة لحرب ابراهيم بن مطهر بدروان فحط عباس في سهل شمسان . ولما تطاولت الفتنة بين السلطان والامام استقر الحال على ذمة من السلطان مدة سنة كاملة يستريح الناس من الفتنة وتضع الحرب او زارها ورجع الملك المظفر والصاحب والامير شمس الدين الى الابواب السلطانية بزبيد .

وفي هذه السنة توفي السلطان الملك الواثق ابراهيم بن السلطان الملك المظفر شمس الدين يوسف بن عمر بن علي بن رسول في ظفار الحبوسي وكان فريداً في محاسنه له معرفة في الادب ومشاركة في فنون العلم وكان يقول الشعر ويحيى عليه الجوائز السنوية .

ومن يك داود بن يوسف صنوه فليس غريباً ان يرى بكرى
ويروى ان ولد احمد الرفاعي وصل الى ظفار يريد الحج فتلقاء السلطان
بالاجلال والاكرام فاقام عنده ثلاثة ايام في الضيافات النفيسة وكان يرسل له كل يوم
في مدة الضيافة بالف دينار ملكية وتشريف فتلك شيئاً مظفرية واحوة هزبرية .
فلما وصل العلم بوفاته امر السلطان بالقراءة عليه سبعة ايام وحضر القراءة ملوكبني
رسول واعيان الدولة ووجوه الناس في كل يوم ينصرفون بعد القراءة الى سهاط نفيس
حتى انقضت السبعة الايام رحمة الله تعالى .

وفيها توفي القاضي منتخب الدين اسماعيل بن عبد الله بن علي الحلبي بلداً
المعروف بالنقاش الملقب بالمنتخب وكان رجلاً فاضلاً عاقلاً كاماً له جاه عريض
وثناً مستفيض سافر من بلده الى مكة المشرفة فاقام بها مدة ثم ارتحل الى اليمن وقد
تكرر ذكره فيها . فلما قدم زبيد وواليها يومئذ نجم الدين ابن الحزم تبرّى كتب الى
الملك يعلمه بوصوله فامر السلطان ان يبجل ويعظم ويعزّز ويكرّم . وكان متورعاً
متزهداً له يد في الفقه والاصول وصاحب الفقيه عمر بن عاصم مقدم الذكر ثم بعد
ذلك حصل مجلس ذكر وا فيه الصحابة رضي الله عنهم والماضلة بينهم فسمع منه
تقديم علي عليه السلام على غيره من الصحابة فاتهموه بالرفض واساعوا ذلك عنه
فلزم بيته وهجرهم وتعانى الزراعة وكان محترماً فيها لاجل ما كان المظفر يجله ويحترمه
ويوصي به الولاية ثم تزوج السلطان الملك المؤيد ابنته فولدت له المجاهد رحمة الله
عليهم اجمعين وكانت وفاة منتخب المذكور في مدينة زبيد في السنة المذكورة وامر
السلطان بالقراءة عليه في جامع المغيرة ثلاثة ايام رحمة الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل ابو محمد عبد الله بن جابر بن اسعد ابن
ابي الحير العودري ثم السكسكي وكان يعرف بالرباعي لانه كان له اربع اصابع
وكان تفقه بفقهاء الجند كابراهيم بن عيسى وغيره . وأخذ النحو عن احمد ابن ابي
بكر وغيره وجمع كتب الحديث على عبدالله بن عمران الحولاني وحصل بينه وبين
أهل قريته وحشة فنفر بسيبها الى البلد العليا فعلم للشريف علي بن عبدالله ولديه

داود وادريس وحصلت له شفقة كلية من الشريف واقام معه مدة سنين فانتفع اولاده به وقرأ القرآن واستخلص الشريف له خراج ارضه من السلطان فلم تزل مسموحة الى ان توفي . وجمع كتبأ كثيرة في الادب وغيره . وكانت وفاته في النصف من شهر صفر من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل ابو عبدالله محمد بن علي بن احمد بن مياس الواقدي . وكان فقيهاً جيداً تفقه باهل عدن وكان ينوب ابن الجنيد على القضاء بعدن فلما توفي ابن الجنيد جعل مكانه فسار سيرة الغالب عليها الحير وكان يتعانى التجارة مع المسافرين في البحر والزراعة في بلدة لحج وكان مسكنه مسكن اخوه القرطيسيين (بنابه العليا) واستمر على قضاء عدن مدة سنين حتى ولد القضاء الاكبر بنو محمد بن عمر فعزلوه من عدن وجعلوه حاكماً في بلده واستمر بعده في القضاء الجحافي واستمر هو على القضاء في بلده الى ان توفي وكانت وفاته في شهر رجب من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل أبو ^(٢) بن الحسين بن محمد بن احمد بن مصباح وكان مولده سنة اثنين وستين وستمائة . وكان فقيهاً عالماً بارعاً عارفاً بالفقه توفي في السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفي سنة اثنبي عشرة وسبعمائة طلع السلطان الملك المؤيد من زبيد الى تعز وكان خروجه من زبيد اول يوم من المحرم من السنة المذكورة . وفي اليوم الرابع عشر من شهر ربيع الاول قتل الشريف عماد الدين يحيى ابن ناج الدين . وكان سبب قتله ان بعض القبائل من اهل ملحان جرأوه على آخرين غيرهم وعذلوا فيه وفي عسكره فلما أراد الخروج رد حصون اهل العدالة قبل انفصاله من الجبل فدعموا فيه فقتل وقتل معه نيف واربعون رجلاً من اصحابه .

وفي هذا التاريخ وصلت رسائل الامام الى الشريف عماد الدين ادريس بن علي للسعى في الصلح بينه وبين السلطان قبل انقضاء الذمة فسيرهم الشريف الى الباب

(١) كما يراض في الاصل .

الشريف فتلقاهم الشيخ محمد بن عبدالله بن عمر بن الجيد وكان الصاحب موفق الدين يومئذ مريضاً . فاستقر الامر على صلح عشر سنين او لها جمادى الآخرة من السنة المذكورة . على ان الشرف الأعلى وحصونه والجبر بحججة وصاحب بيت ردم وشركاه واموال آل الوشاح حيث كانت وظفر بن وهاس وسائر ما هو معروف للامام بحججة وظليمة وغيرها اليه وثلاثة آلاف دينار في كل سنة . وصاح الصائغ في تعز بالصلح عشر سنين فلما تم صلح الامام وانفصل عنه الاكراد جرد السلطان من عسكر الباب مثتي فارس ورجل مذحج للمحطة على هرآن . وامر الامير اسد الدين محمد بن نور ان يسير بعسكره من صنعاء اليهم فتوجه الشيخ الى الجندي حينئذ وعقد صلحًا للاكراد على ترك دخول ذمار ورداع وترك الاقطاع وان تستمر رهائتهم بالعروض . وامر السلطان الامير اسد الدين بسكنى ذمار واستيطانها فامثل الامر .

وفي الثالث من جمادى الآخرى سار السلطان الى الجندي بسبب الصيد فاقام هنالك الى الحادى عشر منه وعاد الى تعز ثم سار الى زبيد يوم الرابع والعشرين منه فدخل زبيد يوم الرابع من رجب . وفي ليلة الجمعة السابعة عشر من شهر رجب احترقت دار المرتبة بتعز لاسباب اختلف الناس فيها فتلف فيها شيء كثير من الاثاث والفروش والكتب النفيسة وغير ذلك مما لا ينحصر . وكان في جملة ما احترق بشخانتان كبيرتان كاملتان من الزركش احداهما صفراء والاخرى حمراء وكان السلطان يومئذ في زبيد وفي يوم السبت الثامن والعشرين من رجب خرج السلطان الى فشال بسبب الصيد فاقام هنالك الى آخر الشهر المذكور ورجع الى زبيد .

وفي هذه السنة امر السلطان بانشاء قصر بزبيد على ظاهر باب الشبارق في البستان الذي امر بانشائه المعروف بحائط ليق . وكان صورة بناء القصر يومئذ ايوان طوله خمسة واربعون ذراعاً وفي صدره مقعدة ستة اذرع وله دهليز متسع وفوق الدهليز قصر بارعة او اربعين يشرف على البستان المذكور من جميع نواحيه .

وفي هذه السنة حج الملك الناصر صاحب مصر في مئة فارس من مماليكه وستة آلاف ملوك على الهجن وسلامتهم القسي فوصل مكة المشرفة في اثنين وعشرين يوماً

من يوم خروجه من دمشق محراً مقرعاً فطاف برأي من الناس وكان اعرج قبيح العرجفة فقضى مناسكه كلها فلما حل حلق رأسه وأحسن إلى الناس وتصدق وعد ومعه الشريف أبو الغيث ابن أبي غني . وقد هرب رميثة وحمضة لما احسا بوصوله خشياً أن يقبض عليها فخرجاً من مكة ونهبا التجار الواصلين إلى مكة نهباً شديداً ولم يتركوا لأحد شيئاً وفعلاً من الأفعال القبيحة ما لا يفعله أحد . واقاماً غائبين عن مكة حتى فرغت أيام الحج وعاداً إلى مكة .

وفي شهر شعبان من هذه السنة حصل على الملك المظفر حسن بن السلطان المؤيد توعلُك في جسمه وذلك بعد وصوله من الشرف . وكان من قبل طلوعه غير طيب وكانت الحمى لا تفارقه مع سعال . فلما أشتد عليه الأمر أمره والده بالطلوع فطلع فاشتد به الأمر في رمضان فهمَّ السلطان بالطلوع ثم توقف . فلما كان يوم العيد أتاه خبر ازعجه فأمر الصاحب موقِّ الدين بالطلوع لفوره فطلع يوم العيد وقت الظهر وهو يوم الاثنين فوصل تعز يوم الثلاثاء عند طلوع الشمس وخرج السلطان من زيد ظهر يوم الثلاثاء فدخل تعز يوم الخميس وأرسل لابنه إلى ثبات وأرسل الأطباء لمعالجته فلم يزد إلا ضعفاً ونحفاً . ولم يزل كذلك إلى أن توفي في يوم الأحد السادس من ذي القعدة بعد أن أوصى وثبتت في وصيته .

وفي جملة وصيته ان لا يُصاح عليه ولا يُشق عليه ثوب ولا يُعطي نعشة إلا بشوب قطن وإن لا يُعرق على قبره شيءٌ من خيله وإن يُدفن في مقابر المسلمين . فنفذ والده وصيته في جميع ما أوصى به إلا في الدفن فإنه أمر أن يدفن عند أخيه الظافر في المدرسة المؤيدية في مغربة تعز . وكان من أجل الملوك قدرًا وأوصى في جملة وصيته أن يُتنى له مدرسة في قرية المحارب وإن يجري لها الماء وإن يجري الماء منها إلى حوض تحتها . ففعل والده جميع ذلك وكان يوم دفنه يوماً مشهوداً . وحضر دفنه ملوكبني رسول باجمعهم وشهدوا القراءة سبعة أيام وامر والده بالقراءة عليه في سائر مملكته .

وكتب العفيف ابن جعفر إلى السلطان يعزيه بهذه الآيات :

امْسَوْلِي الْمَلْوُكْ وَسُلْطَانُهَا وَيَا مَنْ لَهْ طَاعَةْ تَفْرِضْ

فلا ملكٌ ناقضٌ عقدهُ ولا ملكٌ عاقدٌ ما نقض
ولا عوض منك في ذا الورى وكل السورى انت منهم عوض
وفي يوم العاشر من ذي القعدة توفي القاضي جمال الدين محمد بن احمد بن
محمد بن عمر البيحوي وهو الذي كان ينوب عن القاضي موفق الدين الصاحب في
قضاء الاقضية فكان يباشر الاحكام ويفصل القضايا ولا يعارضه احد وكان الغالب
عليه سلوك طريق الزهد بحيث ان اكثر اهله واصحابه يقولون عنه انه لم يكتسب
 شيئاً من الدنيا . وكان عمّه ابو بكر هو الذي يربيه ولم يصر اليهم امر القضاء
والوزارة الا بعد ان تفقهَ وتعبدَ وجاء في مكة والمدينة وعرف الناس يمناً وشاماً
وحجازاً ولم يكتسب شيئاً من الدنيا كما اكتسب اهله اجمعون ولا تزوج امرأة فقط
و كانت اشارته من اشاره عميه أبي بكر وعلي ولم يخالفه وفي اصحاب عمّه أبي بكر
جماعة يعترفون له بالصلاح وربما يفضلونه على عمّه أبي بكر . وقال الجندي كانت
وفاته يوم الخميس تاسع عشر ذي القعدة من السنة المذكورة والله اعلم .

وفيها توفي القاضي موفق الدين الصاحب علي بن محمد بن عمر البيحوي
المعروف بالصاحب . وكان رجلاً كاملاً رئيساً فاضلاً فقيهاً نبيهاً فصحيحاً شهماً ولـي
الوزارة والقضاء في الدولة المؤدية الى يوم وفاته . وكانت وفاته يوم الثالث من ذي
الحجـة من السنة المذكورة رحمـه الله .

وفيها توفي الفقيـه الصالـح ابو عبد الله محمد بن احمد بن محمد السـبـتي . وكان
فقيـهاً فاضـلاً مـحققـاً حـسنـاً الاخـلـاقـاـ مـرضـيـاـ الفتـوىـ وـرـدـتـ منهـ اـسـئـلـةـ الىـ الفـقـيـهـ الـامـامـ
ابـيـ الحـسـنـ الـاصـبـحـيـ صـاحـبـ الـمـعـينـ تـدـلـ عـلـ تـحـقـيقـهـ وـتـدـقـيقـهـ . وكانـ مـنـ يـذـكـرـ
بـالـكـرـمـ وـعـلـوـ اـهـمـةـ وـشـرـفـ النـفـسـ وـحـسـنـ الـقـيـامـ بـنـ قـصـدـهـ مـنـ اـبـنـاءـ الـجـنـسـ وـغـيرـهـ .
نـقـلـ ذـلـكـ عـنـ جـمـيعـ الـمـسـافـرـينـ وـلـاـ يـكـنـ توـاطـئـهـ عـلـ كـذـبـ . وكانـ خـطـيـباً فـصـحـيـحاً
مـصـقـعاً . تـوـفـيـ عـلـ الطـرـيقـ الـمـرـضـيـ فـيـ السـنـةـ المـذـكـورـةـ رـحـمـهـ اللهـ تـعـالـىـ .

وـفـيـ سـنـةـ ثـلـاثـ عـشـرـةـ وـسـبـعـمـائـةـ تـوـجـهـ السـلـطـانـ مـنـ تـعـزـ إـلـىـ الجـنـدـ فـاقـمـ فـيـهاـ
مـدـةـ . وـفـيـ شـهـرـ رـبـيعـ الـآـخـرـ بـرـزـ مـرـسـومـ السـلـطـانـ إـلـىـ الـأـمـرـ اـسـدـ الـدـيـنـ مـحـمـدـ بـنـ حـسـنـ

بن نور بان يخرج من ذمار ويحطط على حصن هرآن وينصب عليه المنجنيق ففعل ما امر به ونصب المنجنيق عليه ووصل الامير شمس الدين عباس بن وهاس معزولاً من حرض .

وفي شهر ربيع الآخر قتلت الاكراد حسن بن اياس والي صناعة في ستة نفر من الغز منهم ابن الغلاب والتاج بن العز وابن منقار وجماعة من الرجال فجرد السلطان عباس بن محمد في خمسين فارساً غير عسکره فخرجوه من تعز يوم الخامس من جمادي الاولى فاقاموا مع ابن نور في محطة ولم يزل المنجنيق يصك هرآن حتى اتلفه اطلاقاً كليةً لم يعلم فقط ان كسفماً عمل في حصن ما عمل المنجنيق في هرآن . فلما ضاق الامر على الاكراد واشتد عليهم ورأوا الموت عياناً جلأوا الى السلطان فكاتب لهم الشيخ محمد بن عبد الله بن عمر بن الحيد واستعطف خاطر السلطان عليهم وراجع في ذمة وبرز امر السلطان بالذمة عليهم للامير ابراهيم بن شكر والجلال بن الاسد فحضر وا مقام السلطان بالجند ودخل تحت الطاعة واستعطفا خاطره الشريف فرجع الى شنشنته الكريمة وعفا عنهم بشرط ان لا يبدو منهم ما يوجب الغيار عليهم وسلموا هرآن وعادوا الى ذمار على عادتهم في الخدمة . وامر السلطان برفع المحاط عنهم فارتقت المحاط عنهم في مستهل رجب من السنة المذكورة . وتوجه الامير اسد الدين محمد بن حسن بن نور الى صناعة والامير عباس بن محمد الى بلاد همدان لخراب زروعهم وبلادهم والمحطة على بيت انعم لانهم بدا منهم ما لا يحسن . فامر السلطان بخراب زروعهم في مقابلة ما فعلوه .

وفي هذا التاريخ تقدم الركاب العالي الى زبيد فدخلها يوم الثاني عشر من رجب المذكور ووصل الى السلطان وهو مقيم بربيد الامير الكبير الهادي ابن عماد الدين وداود بن موسى مخاطبين في الامير اسد الدين محمد بن احمد بن عز الدين فلم يجبا الى خروجه من السجن . وبرز امر السلطان بتوجه الامير عماد الدين ادريس ابن علي الى صوب صهيب في جمع كثير من الخيل والرجل فاقام في بلاد الاساوية حتى رهنا رهائن اكيدة ثم سار الى مقمع فاخرب العسکر بذلكم واتلفوا عليهم طعاماً

كثيراً واتلف الشريف للجحافل زرعاً كثيراً وغيره .

وفي اول يوم من ذي الحجة اخرج السلطان الامير جمال الدين عبد الله بن علي ابن وهاس من سجن تعز . وكان السلطان يومئذ في زبيد فنزل الامير جمال الدين وصحبته والي تزع الى الباب الشريف مخاطباً في رجوعه الى الخدم الشريفة . ويسلم حصن ظفر فأجيب الى ذلك . وكانت اقامته في السجن اربع سنين لا تزيد يوماً ولا تنقص يوماً فاقام في زبيد اياماً وقد نزل اليه جماعة من اصحابه وبني عمه فاعلموه بامتناع ولده على الحصن المذكور . فسأل من السلطان ان يقبل اولاده وبني عمه رهينة مع اربع حلل من حرمه قد صرن في صناعة ويتركه يطلع على حسب حاله ليتوصل الى دخول الحصن ويسلمه الى نواب مولانا السلطان فاذن له في ذلك فسار الى ولده . ولما طلع الحصن وتمكن منه اخرج ولده وامرها بالمسير الى الباب السلطاني . ويسلم الحصن الى نواب السلطان .

وفي هذه السنة وصل الشريف ابو الغيث بن ابي ثني من مصر في عسكر جرار الى مكة فيهم من الملوك الاتراك ثلاثة وعشرون فارساً وخمسة فارس من اشراف المدينة خارجاً عما يلحقهم من المتخوفة والحرامية فلما علم بهم رمية وحيضة هربا الى صوب حلي بن يعقوب واستولى الشريف ابو الغيث على مكة وكان المقدم الامير سيف الدين طقمنا . فلما وصل المحمل السعيد والعلم المنصور المؤيدي برز الامير سيف الدين طقمنا والشريف ابو الغيث للقاءه وطلعا به جبال عرفات على عادته .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الفاضل عثمان بن عبدالله بن الفقيه محمد بن يحيى بن اسحاق بن علي بن اسحاق العياني ثم السكسيكي . وكان فقيهاً صالحأً عارفاً محققاً تفقه بتهامة على الفقيه عبدالله بن علي بن ابراهيم بن عجبل وأخذ عن اخيه يحيى . وكان كثير العزلة في بيته ويدرس فيه وقل ان يخرج عنه الا يوم الجمعة . وكان زاهداً ورعاً متبعداً لزوماً للسنة .

قال الجندي اخبرني ابن اخيه الفقيه علي بن ابي بكر . وكان احد فقهائهم انه أسر اليه أنه قال : (رأيت رؤيا ان عشت لا أخبرت بها احداً وان مت فانت بالخير

رأيت لشأن بقين من رجب جماعة فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدنا وقبل بين عيني فقلت : اللهم اجعلها عندك وديعة وذخراً فاغفر لي يا خير الغافرين) وما اظنني اعيش بعدها . فقلت ولم ذلك قال ان ابن نباتة الخطيب رأى النبي صلى الله عليه وسلم فقبله فلم يعش بعد ذلك الا اثنى عشر يوماً . ثم انه لم يعش بعد ذلك الا عشرين يوماً بل توفي يوم السبت الخامس من شعبان من السنة المذكورة وهو ابن ثلاث وستين سنة رحمة الله تعالى .

وفي هذه السنة توفيت الحرة المصونة مريم ابنة الشيخ الشمس بن العفيف زوج السلطان الملك المظفر . وكانت من عقائل النساء طاهرة عاقلة لبيبة لها عدة مآثر جيدة منها المدرسة التي في زبيد وهي التي تسمى السابقة وكثير من الناس يقولون مدرسة مريم وهي من احسن المدارس وضعاً رتبت فيها إماماً ومؤذناً وقيماً ومعلماً وايتاماً يتعلمون القرآن ومدرساً للفقه على مذهب الامام الشافعي رضي الله عنه ومعيناً وطلبة واوقفت على الجميع وفقاً جيداً يقوم بكفایتهم وابتنت في تعز مدرسة في المغريبة في الناحية التي تسمى الحميرا ووقفت عليها وفقاً جيداً ولها مدرسة في ذي عقیب وهي التي دفت فيها . ودار مضيق . وكانت وفاتها بجبلة في جمادى الاولى من السنة المذكورة رحمة الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل عمر بن محمد بن مسعود بن يحيى بن محمد بن المبارك . وكان فقيهاً عارفاً مجتهداً تفقه بالامام ابي الحسن علي بن احمد الاصبهي وقبله بشيخه محمد بن ابي بكر الاصبهي وابن الرسول واصل بلاده قائمة بنى حبيش . وكان مدرساً في مدرسة شنين في بلد السحول . وكان مختلف بين بلده والسعول الى ان توفي مقتولاً من بعض قطاع الطريق وكان قتيلاً في اثناء السنة المذكورة رحمة الله تعالى .

ثم ان ان شيخ البلاد بحث عن قاتله حتى عرفه فأخذه برقبته وأتى به الى قبر الفقيه يوم ثالث القراءة عليه واستدعى الشيخ بولد الفقيه وكان له ولد صغير فأعطاه الشيخ فأساً وقال اخربه به فهو قاتل ابيك فترى به حتى قتيلاً بعد ساعة لصغره .

وفي هذه السنة توفي الاديب الفاضل ابو محمد عبدالله بن علي بن جعفر اديب اليمين وشاعر الدولتين وكان شاعراً فصيحاً بارعاً فاضلاً طريفاً بليغاً وقد اوردنا في كتابنا هذا من شعره ما فيه دليل على فضله . وكان ذا دين رصين لم يحك عنه شيء يشين دينه ولا عرضه . وكان وصولاً لرحمه قائماً ناصحاً باذلاً لهم جاهه وقد خالطته ولم احك عنه ما حككته الا عن نظر لا عن خبر . وكان كثير العبادة محافظاً على اللصوات المفروضة والمسنونة نظيف الادب صائن العرض واستمر كاتب انشاء في الدولة المؤيدية . وكان مداحأاً للملوك والامراء في عصره وله مداائح كثيرة في رسول الله صلى الله عليه وسلم وله مداائح ربانية . وكان اهله الذين يقوم بهم نحواً من اربعين بيتاً . وتوفي في النصف من جمادى الاولى من السنة المذكورة وقيل في السابع منه والله اعلم رحمه الله تعالى .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الصالح ابو القاسم بن الحسين بن ابي السعود الهمدانى نسباً الفراوى بلدأ . وكان ميلاده في شهر رجب من سنة ثلاثة وستين وستمائة . وكان المشار اليه في الفقه والزهد والورع والدين والقيام بأمن الموضع ومال الى الطريقة الصوفية وصاحب الشیخ عمر المقدسي وتحكم على يده فنصبه شیخاً . وكان على حال مرضي من سعة الاخلاق وainاس الواردین اليه والقيام بحالهم . والاشتغال بطالعة الكتب . وحج مراراً وكانت وفاته في شهر رمضان من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفي سنة اربع عشرة وسبعين سار الشهير ابو الغيث بن ابي غني والامير سيف الدين طقمنا الى صوب حلي بن يعقوب يريدان رمية ومحيبة فلم يجدا لها خبراً وكانوا قد لحقا بلاد السراة . فلما وصل الامير سيف الدين طقمنا الى حلي لم يدخلها بل قال هذه اوائل بلاد صاحب اليمن ولا ندخلها الا برسوم من السلطان الملك الناصر وعاد على عقبه .

وفي صفر من السنة المذكورة سلم الامير عبدالله بن علي بن وهاس حصن ظفر عدالة الى الامير سليمان بن محمد صاحب العروس . وسلم اليه حصن اللجام فانتقل

الىه ونقل ما كان معه في ظفر من اهل وخيرات وسلم ظفر وخرج منه . واخرجت رهائنه من صنعاء ووصلت كتب الامير سليمان بقبضه ليلة الخميس الرابع من شهر ربيع الاول فضررت البشائر وكسي المبشرون وجهز السلطان اصحابه واولاده الرهائن وسيرهم اليه . ونزل الامير عبدالله الى الباب الشري夫 السلطاني فرفعت له الطبلخانة والاعلام واقطع مدينة القحمة .

وفي ليلة العشرين من شهر ربيع الآخر توفي الشريف عماد الدين ادريس بن علي بن عبدالله بن الحسن بن حمزة بن سليمان بن علي بن حمزة وكان شريفاً ظريفاً شجاعاً كريماً جواداً مثلاً . وكان عالماً لبيباً عاقلاً أريضاً متصفًا بصفات الامامة . وكان شاعراً فصيحاً بليغاً . وقد تقدم من شعره ما شهد بفضله . وهو مُصنف كتاب «كنز الاخيار في معرفة السير والأخبار». وهو كتاب حسن ممتع . وله عدة تصانيف في فنون كثيرة . ومدحه عدة من الشعراء فكان يحبه ومحبته الجوائز السننية . وكان غاية في الجود والكرم والشجاعة رحمه الله تعالى .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الفاضل ابو الحسن علي بن عبدالله الزيلعي الفرضي شهر بذلك لاحكامه علم الفرائض والحساب مع انه كان مشاركاً في العلوم الدينية . مشاركة مرضية لا سيما الفقه والحديث والتفسير والنحو . وكان تفقهه بالفقية ابي العباس احمد بن موسى بن عجیل . وأخذ الحديث على الامام ابي الحیر ابن منصور وانتفع به جمع كثير من زبید وغیرها . وكان من خيار الفقهاء واستمر مدرساً في المدرسة التاجية بزبید من قبلبني محمد بن عمر وتوفي على ذلك . وكانت وفاته في اثناء السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل الكبير ابو بكر بن احمد بن عبد الرحمن المعروف بابن الصائغ وكان مولده سنة ثلاثة وثلاثين وستمائة . وكان فقيهاً عارفاً محققاً متقدماً تفقهه بابن حنکاس . وتأدب بابن دعاوس . وكان فاضلاً في النحو والفقه والادب .

توفي في مدينة زبید في اثناء السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل مفضل بن ابي بكر بن يحيى الخواري الهمданی

والخياري منسوب الى خيار وهم قوم من همدان يسكنون جبل عنة تفقه بفقهاء تعز
كمحمد بن عباس الشعبي وغيره . واستمر مدرساً في المدرسة المنصورية بالجند .
فقرأ عليه جماعة من اهل الجند كابن الصارم وغيره .

قال الجندي وعنده اخذت الوجيز والمستذب ومنسك مكي وغيرها . ثم
استمر قاضياً في الجند مع التدريس الى ان توفي في صفر من السنة المذكورة رحمه الله
تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل ابو العتيق ابو بكر بن عمر بن سعد المعروف بابن
النحو . وكان ميلاده في شهر ربيع الآخر من سنة ست واربعين وستمائة . وكان
فقيهاً عارفاً محققاً تفقهه بابن آدم وابن العزاف والوزيري المتأخر وبعبد الله بن محمد
الحضرمي . وكان مبارك التدريس قلًّا ما قرأ عليه احد الا انتفع . وكان يذكر
بشرف النفس وعلو الهمة استنابة بنو عمران في القضاء فأقام كذلك الى ان انقرضوا
فعرله بنو محمد بن عمر في اول قيامهم وبقى على تدريس المدرسة الغرائية الى ان
توفي بعد ان تفقه به جماعة منهم عمر بن ابي بكر العراف وغيره . وكانت وفاته في
متتصف شوال من السنة المذكورة رحمه تعالى .

وفيها توفي الفقيه البارع ابو بكر بن احمد بن عمر بن مسلم بن موسى الشعبي
المعروف بابن المقرى . وكان مولده ليلة الخميس في رجب من سنة خمس وسبعين
وستمائة وكان فقيهاً بارعاً متفنناً بجماعة من اهل تعز اولاً ثم ارتحل الى الذنبتين فاكمل
تفقهه على الامام ابي الحسن علي بن احمد الاصبحي ثم عاد بلدته . وكان فاضلاً في
الفقه والنحو والفرائض والعروض والحساب . ودرس في المدرسة الاشرافية في مدینة
تعز بعد ابن الصفي . وتوفي على ذلك ليلة الثلاثاء العاشر من شهر ربيع الآخر من
السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الامام البارع ابو محمد صالح بن عمر بن ابي بكر بن
اسه عيل البريهي . وكان مولده سنة خمس وثلاثين وستمائة . وكان فقيهاً بارعاً
فاضلاً عملاً عاملاً محققاً مدققاً متقناً تفقهه بمحمد بن مسعود المذكور اولاً واليه انتهت

رئاسة الفنون بعده في ذي السفال وارتحل هو والامام ابو الحسن علي بن احمد الاصبعي الى اين فأخذ عن ابن الرسول . وكان هذا صالحًا فقيهاً فرضياً حسابياً نحوياً لغوياً عارفاً بالحساب والجبر والمقابلة . وله تصنيف جيد في الفرائض قصد به شرح الكافي الذي للصردفي . وعنه أخذ الامام ابو الحسن الاصبعي نظام الغريب في اللغة وغيره . وبه تفقه جماعة منهم محمد بن احمد بن سالم وابو بكر بن علي وابن أخيه واحمد الشوافي وجاءة كثيرون . ومن أخذ عنه ابن أخيه محمد بن عبد الرحمن وابراهيم الاصبعي وحسن العماكري . وكان يقول لاصحابه كما كان يقول الصعيبي ان بلغت ثمانين سنة عملت لكم سكراته فتوفي قبل ذلك اليوم . وكانت وفاته ليلة الجمعة الثالث عشر من شوال من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

قال الجندي وفي كل ليلة يرى على قبره نور صاعد الى السماء حتى يظن الجاهل ان ثم ناراً توقد أخبار بذلك من شاهده مراراً .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الفاضل ابو بكر بن محمد بن علي بن محمد بن سعيد الرعيني المعروف بابن المقري . وكان مولده سنة اثنين وأربعين وستمائة وكان تربأً لابن الحرازي وزميلاً له قل ما قرأ كتاباً إلا وسمعه معه . وكان محققاً في علم الفرائض والحساب والجبر والمقابلة . ولما صار تدریس المدرسة بعدن الى ابن الحرازي جعل هذا معيناً فاقام مدة طويلة في الاعادة .

قال الجندي واخبرني بعض من قرأ عليه الفرائض قال كنت اغلط في ضرب المسألة واستدرك فاريد تغيير ما قد صورته على البحث فيقول لا تطمس إلا من موضع كذا فاعمل بما قال فأجدده صواباً . قال وكان ذا حمية على الاصحاب وصولاً لرحمه . وكانت دنياه متسعة بخلاف ابن الحرازي فانه كان الغالب عليه الفقر . وكانت وفاته في شهر رمضان من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الصالح صالح بن جباره بن سليمان الطرابلسي المغربي وكان رجلاً مباركاً فقيهاً محدثاً صالحًا خشوعاً . اخذ في بلده عن محمد بن ابراهيم

الانصاري التلمساني وانتفع به جماعة من اهل عدن وغيرها واخذوا عنه . وكان كثير الخشوع .

قال الجندي اخبرني عبدالله بن ابي حجر انه اقام سبع سنين يصلی خلف هذا الفقيه قال فكان يصلی الصبح بطول سور المفصل وقد يصلی بالزخرف والاحقاف . وكان خاسعاً تحدّر دموعه على خديه . وادركته الوفاة وهو بعدن في السنة المذكورة وقرب الى جنب قبر ابي شعبة رحمة الله تعالى عليهما .

وفيها توفي الفقيه الفاضل ابو اسحاق ابراهيم بن احمد بن سالم بن عمران الشهابي المنبهي . وكان ميلاده سنة ثلاثة وسبعين وستمائة تفقه باخيه وأبيه وكان احد اعيان زمانه في الزهد والورع والعلم اخذ بطريق الامرين واشتهر بفضل الذكرين .
ويروى انه نسخ المذهب وهو يدرس القرآن يدرس على كل جزء منه عشر ختمات مع نسخة فدرس اربعين ختمة على اربعة مجلدات وهذا أمر غريب لأن الناسخ لا يستطيع عمل شيء آخر مع النساخة وهذا دليل على الكرامة الواضحة توفي في اثناء السنة المذكورة رحمة الله تعالى .

وفي سنة خمس عشرة وسبعين وصل الامير علاء الدين كشدغلي ومعه جماعة من المطلوبين من الديار المصرية والشامية . وكان الامير علاء الدين المذكور استاذ دار الملك المظفر صاحب حماة . وكان فاضلاً في ابناء جنسه جمع بين شهامة السنان وفصاحة اللسان . وكان على ذهنه جملة من اشعار الجahليه والمختضرمين وغيرهم من المحدثين والمولدين وكان يعرف شيئاً من أنواع البزدرة . ويقال انه كان يعرف شيئاً من ضرب الملاهي وتقدم عند السلطان تقدماً كلياً لم يعهد مثله فقابلته السلطان رحمة الله عليه بالاقطاع المتسع ورفع له الطبلخانة وعقد له الالوية وجعله من جملة ندمائه .

وفي هذه السنة رجع الشريف حميسة ابن ابي نحي الى مكة وقتل اخاه ابا الغيث واستولى على مكة فغضب من ذلك السلطان الملك الناصر وجهز جيشاً كثيفاً صحبة الشريف سيف الدين عطيفة . فلما علم حميسة بوصولهم هرب من مكة فاستولى

عطيفة على مكة ولحق حمضة بالشرق .

وفي هذه السنة تولى القاضي جمال الدين محمد بن الفقيه رضي الدين أبي بكر ابن محمد بن عمر اليحيوي قضاء الأقضية . وكان السلطان يعظمه إكرااماً لا بيه . وكان عمره يومئذ عشرين سنة .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الامام العلامة ابو الحسن علي بن الفقيه ابراهيم ابن محمد بن حسين البجلي . وكان مولده سنة ثلاثة وقيل سنة اربع وثلاثين وستمائة . وكان رجلاً مباركاً مشهوراً بجودة الفقه وكرم النفس وحسن الاخلاق . تفقه في بدايته بعمره اسعايل ثم ارتحل الى بيت حسين فأكمل تفقهه بالفقيه عمر بن علي التباعي فأخذ عنه المذهب اخذناً مرضياً والزمه ان يتغييه فتغييه تغيياً ميّز فيه بين الفاء والواو وأخذ عنه البيان وغيره وتهذب به تهذباً معجبأ ثم سار الى الفقيه احمد بن موسى بن عجبل ، فأخذ عنه ايضاً ثم عاد الى بلده فسكن قرية شجينة ولم طريق الورع لزوماً تماماً . واقام يدرس فأئم الناس من القرب والبعد واشتهر بالعلم والصلاح . وكان من اشرف اهل عصره نفساً وادراهم بالعلم حسناً واكثرهم للكتاب والسنة درساً .

قال الجندي واخبرني عبد الله بن محمد الاحمر احد المدرسين بزبيد قال صحبت الفقيه علي بن ابراهيم ولزمت مجلسه عشرين سنة ما علمت سائلاً سأله فاعتذر بل يعطيه ما سأله . وكان مستعملاً بجميع الطاعات الواجبة والمستحبة استعمال مداومة . وكان من ابرك الفقهاء تدريساً . قال واخبرني محمد بن عبدالله الحضرمي فقيه زبيد ومنفيها في عصره قال لما جئت الى الفقيه علي بن ابراهيم أريد ان اقرأ عليه وانا على حال متبلبل أريد أن اجمع قلبي على تحصيل العلم فاول درس قرأته عليه قمت وانا بخلاف ما انا عليه من الرغبة . فكان في نفسي عدة مسائل قد اشتبهت عليٌ فحين بدأت وقرأت عليه اول يوم عرضت انا على خاطري جميع المسائل فما عرضت مسألة في خاطري الا زال إشكالها وتبيّن لي خطاؤها من صوابها . وما زلت اجد الزيادة الى وقتني هذا وما اشك ان ذلك من بركته . قال وكان لديه دنيا واسعة

ان وقف في بيته اطعم الواردين والزائرين والطلبة المنقطعين . وكان كثيراً ما يحج فيصرف في الطريق وفي مكة ما يجاوز الحد . واحصوا حاجاته فكانت نيفاً وثلاثين حجة . وكان من اكثر الناس تعللاً للفقه واحسنهم تغيباً للمذهب خرج من بين يديه نحو من مئة مدرس ولم يكن في مدرسي تهامة ولا الجبال المتأخرین اکثر اصحاباً منه . وكانت وفاته يوم الثاني عشر من المحرم من السنة المذکورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل ابو عبدالله محمد بن احمد بن يحيى بن مضمون وكان فقيهاً عارفاً نحوياً بارعاً ولی قضاء صناعة من قیل بنی محمد بن عمر وكان شدید الاحکام مبالغاً في إقامة الحق واقامة مذهب السنة واماتة البدعة . وكان يحلف الاسماعيلية بایمان تشدق عليهم . ثم بلغه ان بعضهم لما مات ودفن دفن معه مصحف فامر من ينشق القبر عنه وانحرج المصحف فشق ذلك عليهم وكادوه وبذلوا في عزله الاموال الجزيلة فعزل بغير وجه يوجب العزل فعاد الى بلاده واقام مدة ثم رتبه بعض اولاد اسد الدين مدرساً في مدرسة جده بباب علم ينزل بها حتى توفي وكانت وفاته في السنة المذکورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه ابو حفص عمر بن ابی الربيع سليمان الملقب بالجنيد بن محمد بن اسعد بن ابی النھی . وكان اماماً فاضلاً صالح له كرامات كثيرة تفقه بسعد الغولي . وتوفي يوم الثامن من المحرم اول شهور السنة المذکورة رحمه الله تعالى .
وفيها توفي الفقيه الاجل الفاضل ابو العباس احمد بن ابی بکر بن اسعد بن زريع بن اسعد تفقه بالفقیه صالح بن عمر البریهي تفقهاً جيداً وكان عارفاً مجتهداً ذا صيانة وعفة وعبادة ودرس بسھفته على حیاة شیخه وتوفي لسبع بقین من ربيع الآخر من السنة المذکورة رحمه الله تعالى .

وفي سنة ست عشرة حصل على السلطان مرض شدید حتى خيف عليه منه التلف واشرف منه على الھلاک وارجف بموته . فيروی ان القاضي جمال الدين محمد ابن ابی بکر بن محمد الیحیوی راسل الملك الناصر جلال الدين محمد ابن الملك

الاشرف بالامور الباطنة وامر ان ينشر دعوة انباته من عمه وكتب الكتب الى المدائن . فلما انتشر ذلك العلم خرج السلطان الملك المؤيد مسارعاً من تعز الى الجند وهو في اثر الوعك فخشى ابن اخيه من ذلك فالتجأ الى جبل سورق وهو جبل حصين مطل على مدينة الجند فجهز السلطان له العساكر وكان مقدمها الامير جمال الدين نور ابن حسن بن نور فحط عليه واحاط بالجبل من كل ناحية فطلب الملك الناصر الذمة من السلطان فادم عليه فنزل اليه على الذمة وحصل بينهما اتفاق وصلح . ويقال انه عرف السلطان سبب ذلك وان الذي حمله على ذلك الفعل انا هو القاضي جمال الدين محمد بن ابي بكر اليحيوي فلما تحقق السلطان الامر عزل القاضي جمال الدين عن القضاء واعتقله في حصن تعز وفُوْض امر القضاء الى القاضي رضي الدين ابي بكر ابن احمد بن عمر بن الاذيب احد الفقهاء الشافعية . وكان ذلك بحضور من السلطان وجماعة كبيرة من فقهاء الجبال والتهائم فحصل الاجماع عليه . وكان فقيهاً فاضلاً له سلطة في العلم يعرف جانباً كبيراً من المقولات والمنقولات مع حنكة وتجربة قد حلب الدهر أشطره .

وفي هذه السنة المذكورة توفي الفقيه الفاضل ابو حفص عمر بن علي الظفاري من اهل عدن . وكان يصحبه ابن الخطيب المقدم ذكره ولكن غلت عليه الزهادة والعبادة وخلف شيخه في مسجده المعروف به في عدن فلا يكاد المسجد يخلو من درسه ومتعبدين . وكانت وفاته ليلة الجمعة الثاني والعشرين من جمادى الاولى من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الصالح علي بن اسعد بن علي الحراري . وكان فقيهاً زاهداً عابداً معتزلاً عن الناس كثير التلاوة ولم يزل على ما ذكرناه من حسن السيرة الى ان توفي رحمه الله تعالى وكانت وفاته في السنة المذكورة .

وفي سنة سبع عشرة وصل القاضي ابو المحسن عبد الباقي بن عبد المجيد من دمشق على طريق مكة بطلب من السلطان الملك المؤيد فنانه من احسانه ما صغر عنده احسان من مضى من الاجواد الكرماء . وولي كتابة الانشاء في المملكة اليمنية .

وكان اوحد عصره وفريد دهره فصاحة وفضلاً وسؤداً ونبلاً . ومن شعره قوله يمدح السلطان الملك المؤيد رحمة الله عليه وهو يومئذ في الايوان بقصر الحائط المعروف بحائط لبيق .

يا ناظم الشعر في نعم ونعمان
وذاكر العهد في لبنا ولبنان
بالسفع من عقدات الضال والبان
عالي المنار عظيم القدر والشان
فدع حديث لييلات بعسفان
في قصر داود لا في قصر غمدان
فشاد ذلك بانِ أيما بانِ
كم راححة هطلت فيها بالحسان
من بعد ذلك من كسرى بایوان
عن السموّ (لایوان) ابن غسان
مثل الشريا به في بعض اركان
كم فيه من فن زاء بافنان
ييس في حلتي در ومرجان
للعقل في سرها الزاهي باعلان
الشام اصبح في واده بسيلان
من اخضر ناصع او احر قان
وكم رأى مختليه غير صنوان
تخاله من صفاء بطن ثعبان
يعنيك عود لها عن ضرب عيدان
في ذلك الدست اوراق لأغصان
منه مراشف أنهار لنisan
فحاله الشمس عنه حال ظهان
يا ناظم الشعر في نعم ونعمان
وعمل الفكر في ليل وليلتها
قصرٌ وبالواد من وادي زبيد علا
به التغزل احل ما يرى لهجاً
هذا الخورنق بل هذا السدير اتى
قصر بناء هزير الدين مفتخرًا
فقف بساحته تنظر بها عجباً
انسى بایوانه كسرى فلا خبر
سامي النجوم علاً فهي راجعة
تود فيه الثريا لو بدت سرجاً
تحفه دوح زهر كله عجب
من ايض يقق حال باحمره
تجمعت فيه الوان محيرة
اذا حللت به ابصرت معجزة
فالسبيل الغض والورد الطري معاً
صنوان خصت به من كل فاكهة
ظل ظليل وماء سلسلي عدق
هذا وكم فيه من ورقاء صادحة
كأنهنَ قيان والقصور لها
تهوى الغزاله لو اضحت مقبلة
وكيف يمكنها والدوح منعد

وها هما في بديع الوصف شبهان
لم يختلف قط في اوصافه اثنان
صرح القوارير من آرا سليمان
ما شاده تَبَعَ في رأس غمدان
في الفخر فاجتمعوا في الجوفخران
لما استقلَّ بفرسان وشجعان
قواضب تلالا مثل نيران
قيد الاوابد من آل وسرحان
في الحرب نجماً هوى في اثر شيطان
يختال من لونها في نسج عقيان
الاصبح غرته الغرَّا باتقان
سميه فبدا في حال نشوان
ليلاً كواكبه اطراف خرصان
وهمها صيد نسر فوق كيوان
والنرجس الغض منها وسط اجفان
سلطة لا ثُرى الا لسلطان
مثل الجديدين في افء غزلان
الا انشى ظافراً في ثوب جذلان

وهذه القصيدة طويلة اقتصرنا منها على هذا الذي ذكرناه .

وفي هذه السنة المذكورة دخل العسكر المنصور فلة وملوكها وضررت البشائر
في سائر البلاد .

(١) كما في الاصل .

(٢) كما في الاصل ولم يورد منها في العسحد غير ثلاثة ابيات وفي ذيل بحثة الزمن در بن عبد الحميد اخراج الاستاذ حجازي ص ١٦٦ . ناقلاً عن هذه العقود اللؤلؤية سقط البيتين اللذين فيها « البياض » .

وفيها وصل رسول صاحب هرموز بالهدايا والتحف فقابلة السلطان بما يحب
واكرمه وانصفه .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الصالح المقرئ عبد الكرييم بن اسماعيل وكان
يسكن قرية الوجي بفتح الواو وكسر الجيم كسراً مشبعاً وهي على قرب من مدينة جبأ
وكان هذا عبد الكرييم عارفاً بالقراءات السبع أخذ عن الحذاء وكان من صالحـي
زمانهم وأخيارهم ماقرأ عليه أحد إلا انتفع ولا حقق عليه أحد شيئاً فنسـيه . وكان في
اول الامر نساجاً ينسج الثياب . وكان القاريء يقرأ عليه وهو يستغل فلا يفوته من
غلهـه شيء . ثم ترك النساجة في آخر عمره واستغل بالخياطة ولم يزل كذلك الى ان
توفي . وكان قوته من صنعته وربما جاءه ضعيف فلم يرده خائباً . وكانت وفاته في
السنة المذكورة رحمـه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيـه الصالـح التجـيب اسمـاعيل بن الفـقيـه الصـالـح اـبـي العـباس
احـمـد بن الفـقيـه الصـالـح المشـهـور مـوسـى بن الفـقيـه عـلـي بن عـمـر بن عـجـيل . وكان
فـقـيـها مـحـقاً عـارـفاً فـرـضـيـاً مـاهـراً . وكانت وفـاته في السـنة المـذـكـورـة رـحـمـه اللهـ تـعـالـيـ .

وفيها توفي الفـقيـه الصـالـح ابو عبد اللهـ محمدـ بنـ الفـقيـه الـامـام اـبـيـ الحـسـنـ عـلـيـ بنـ
الفـقـيـه اـحـمـدـ بنـ اـسـعـدـ الـاصـبـحـيـ . وكان مـولـدـه يومـ السـابـعـ عـشـرـ منـ رـجـبـ سـنةـ خـمـسـ
وسبـعينـ وستـمـثـةـ . وكان تـفـقـهـهـ بـأـبـيـهـ وـكـانـ رـحـمـهـ اللهـ عـارـفاـ وـهـوـ الذـيـ خـلـفـ وـالـدـهـ فـيـ
التـدـرـيـسـ وـعـكـفـ عـلـيـهـ اـصـحـابـهـ وـحجـ بـعـدـ أـبـيـهـ . ثـمـ لـمـ عـادـ مـنـ الحـجـ أـقـامـ مـدـةـ .
وـكـانـ لـلـوـزـرـاءـ فـيـ بـنـيـ مـحـمـدـ صـيـتـ فـيـ الـقـرـيـةـ فـجـعـ عـلـيـهـ وـلـمـ يـشـوـشـونـ عـلـيـهـ وـلـيـذـونـهـ
وـرـبـماـ دـخـلـ بـعـضـ عـلـمـائـهـ بـيـتـهـ وـأـخـذـ مـنـهـ شـيـئـاً فـاشـتـكـىـ بـهـمـ فـلـمـ يـنـصـفـ مـنـهـ فـخـرـجـ
مـنـ الـقـرـيـةـ مـهـاـجـرـاـ إـلـىـ نـاحـيـةـ حـجـرـ فـاقـامـ فـيـ قـرـيـةـ الـظـاهـرـ هـنـالـكـ عـنـدـ الفـقـيـهـ عـبـدـ
الـرـحـمـنـ فـاقـبـلـ اـهـلـ تـلـكـ النـاحـيـةـ عـلـيـهـ اـقـبـالـاًـ حـسـنـاًـ فـاقـامـ هـنـالـكـ عـدـةـ سـنـينـ إـلـىـ انـ
تـوـفـيـ القـاضـيـ مـوـقـقـ الدـيـنـ الـوـزـرـيـ وـابـنـ اـخـيـهـ عـلـيـ بـنـ مـحـمـدـ وـمـحـمـدـ بـنـ اـحـمـدـ . وـاسـتـمـرـ
ابـنـ الـادـيـبـ فـيـ الـقـضـاءـ الـاـكـبـرـ كـمـاـ ذـكـرـنـاـ فـأـمـرـهـ فـيـ الـمـدـرـسـةـ الـمـنـصـورـيـةـ بـتـعـزـ وـهـيـ التـيـ
تـعـرـفـ بـالـغـرـاـيـةـ . فـاقـامـ فـيـهـ مـدـةـ ثـمـ فـصـلـهـ فـعـادـ إـلـىـ بـلـادـهـ فـتـوـفـيـ بـهـاـ فـيـ شـهـرـ جـمـادـيـ

الآخرة من السنة المذكورة .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الصالح العابد ابو عبدالله الحسين بن محمد بن أسيلٍ بضم الهمزة وفتح السين وسكون الياء وآخره دال مهملة بن اسحאם بفتح الهمزة وسكون السين وفتح الحاء المهملة وآخره ميم . كان فقيهاً عابداً صالحًا حيراً توفي في السنة المذكورة رحمه الله .

وفيها توفي الفقيه البارع احمد بن ابي بكر المعروف بابن الاحتف . وكان ميلاده سنة إحدى واربعين وستمائة سمي ابوه بذلك لحنف كان به تفقه عباس بن منصور وغيره من فقهاء جبلة وله مصنفات مفيدة في التفسير واللغة والحديث . وكان عارفاً حافظاً نقاً للذهب درس في المدرسة الشرفية ثم انتقل الى المؤيدية بتعز فدرس بها وانتفع به جماعة ثم عاد الى بلده جبلة فتوفي بها لعشرين من جمادي الآخرة سنة سبع عشرة من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الفاضل ابراهيم بن عمر بن ابراهيم المذحجي الجُبْرِي نسبة الى جدّه اسمه جبير تصغير جبر بالجيم والباء الموحدة . وكان فقيهاً فاضلاً تفقه في ابتدائه ببعض فقهاء حَجْرٍ ثم بعثان بن عبدالله وابن عمّه عبدالله بن عمر الاسحاقيين . وكان يسكن معشار حصن يُمْنَ في قرية يقال لها نابه . وتوفي في قريته المذكورة في شهر ربيع الاول من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه البارع ابو بكر محمد بن الفارسي الملقب بالفخر . وكان مولده في المحرم سنة ست وخمسين وستمائة . وكان فقيهاً فاضلاً متفتناً لكن يعلم الحساب كأبيه وأخذ هذا العلم عنه . وكان رجلاً عاقلاً لبيباً قلياً قاصداً أمر إلا وأعانه عليه بما يليق من الأمور . وحصل بينه وبين الوزراء في الدولة المؤيدية اللغة ومحبة فاجتبوه الى خدمة السلطان الملك المؤيد والوقوف على بابه . فلم يزل كذلك الى سنة ست عشرة وسبعينه ثم حصل على القاضي جمال الدين محمد بن ابي بكر ما ذكرنا من العزل والاعتقال وتعدى الامر الى اصحاب اهله . وكان هذا المذكور في عدن فاستدعاه السلطان الى تعز وحضر من تكلم عليه بأنه تكلم في

الدولة . ووافق ذلك كراهة من السلطان له فبعث به الى نائب لحج وأمره بمصادرته فصادره مصادرة شاقة وعذبه عذاباً شديداً . ثم حصل من استعطف له قلب السلطان فأمر باطلاعه الى تعز . فطلع وهو اليه من شدة الضرب فتوفي بالمشمة في شهر رمضان من السنة المذكورة رحمة الله تعالى .

وفي هذه السنة توفي الفقيه شرف الدين احمد بن الفقيه علي الجنيد بن الفقيه احمد بن الفقيه محمد بن منصور بن الجنيد وكان مولده في صفر من سنة تسعة وخمسين وستمائة . وكان فقيهاً حافظاً حاذقاً عارفاً نوحاً اعادة الاسدية في مدينة تعز بعد ان كان أبوه فقيهاً . وكان الفقيه ابو بكر بن محمد بن عمر اليحيوي يحسن النظر في حاله وحال اخوته مراعاة لصحبة ابيهم ثم ان السلطان الملك المؤيد دعوه نفسه الى القراءة في ايام ابيه الملك المظفر فسأل عن فقيه صالح فارشد الى الفقيه محمد بن عباس الشعبي . فسألته ان يقرئه فاعتذر وأشار الى هذا ابن الجنيد . فاستدعاه المؤيد وعرفه بغضنه فقال له اشتور والدي يعني الفقيه ابا بكر بن محمد بن عمر اليحيوي فقال له الم تذكر لنا ان والدك قد توفي فأخبره بن يعني فاستشار الفقيه . فاشار عليه فقرأ عليه المؤيد فحصل بينهما من الالفة والمحبة والانس ما حصل بحيث صار يركب بركوب السلطان . وطلع معه الى صنعاء على بغلة بزنار كما يركب الوزراء وكان الناس في صنعاء يقبلون بابه ويصيرون عليه . ولم يزل معه حتى سافر الى الشحر سنة اربع وتسعين وستمائة . فلما توفي المظفر وحصل من الاشرف والمؤيد ما حصل من النزاع اسر الملك المؤيد تفرق اصحابه فلحق هذا بشيخه فاقام عند الفقهاء بني البجلي . فلما صار الملك الى الملك المؤيد وصل اليه الفقيه ورجع على حالته الاولى . ولم يزل على شفقة المؤيد وكان فقيهاً اصولياً نحوياً لغويّاً . وله في الشعر يد حسنة وله في التصوف كلام مرضي ولاهل السمكر فيه اعتقاد حسن . وتوفي يوم الاربعاء الثاني عشر جمادى الاولى من السنة المذكورة رحمة الله تعالى . وفي هذه السنة توفي الفقيه الفاضل ابو عيسى محمد بن خليفة وكان فقيهاً كبيراً متورعاً ما قرأ عليه أحد الا انتفع وربما بلغ طريقة الاجتهاد او قريباً منها وكان يلبس

الملابس الفقهية قاصداً بذلك تعظيم العلم وكانت وفاته في السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل هرون بن عثمان بن محمد بن علي الحساني ثم الحميري وكان فقيهاً ورعاً زاهداً له مسموعات ومقرءات وكان ذا دين وامانة وورع وزهد وكان كثير الحج وكان فيه من المعروف ومحبة العلم وكان حريصاً على اكتساب الخل فبورك له في ذلك . وتوفي على الطريق المرضي وهو عائد من الحج في قرية تعرف بقنونا في أول المحرم أول السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفي سنة ثانية عشرة وسبعينية وصل القاضي صفي الدين عبدالله بن عبد الرزاق الواسطي بطلب حديث من السلطان وصرف السلطان عليه إلى حال وصوله من الذهب العين نحواً من الفي مثقال . فلما وصل كما ذكرنا صرف السلطان اليه شد الاستيفاء وحظي عند السلطان حظوة عظيمة وانبسطت يده في الدواوين وكان زوجاً لابنة الامير علاء الدين كشدغدي وهو الذي عينه السلطان فسار بالناس سيرة عفيفة ثم توجه إلى عدن فحمل منها إلى السيد الخزانة المعمورة بثلاثمائة ألف دينار ملكية . فلما وصل بها لقى السلطان في الجند فاكرمه وانصه وعظم قدره .

وفي هذه السنة توجهت الرسل إلى مصر وهم الامير بدر الدين حسن ابن الاسد ومن جرت العادة بمسيره في خدمته فقابلهم السلطان الملك الناصر احسن مقابلة .

وفي هذه السنة رتب الامير علاء الدين كشدغدي عساكر السلطان المنصورية على ترتيب العساكر المصرية . وجعل لها جناحاً للميمنة وجناحاً للميسرة . وجعل خلف السلطان عصائب كثيرة . وركب المهايلك بالنفح وجعل منهم طائفة طبردارية وركب السلطان بهذا الزي .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الفاضل ابو محمد الحسن بن علي بن الفقيه يحيى ابن الفقيه فضل وكان يسكن قرية النظاري ويدرس في مدرسة بنتها امرأة ووقفت عليها وقفًا جيداً . وكان صاحب دنيا واسعة فلما خشي من الظلمة على نفسه وعلى

المدرسة لاذ بالفقير أبي بكر بن محمد بن عمر اليحيوي . وتزوج ابنة أخيه عمر . وكان مستقيماً الحال بذلك حتى هلك الوزير وانحاطت حالم . فحصل عليه بعض تعسف فلما جعل والد الفقير أبي بكر قاضي القضاة . واقام ما اقام في القضاة ثم فصل بابن الأديب صودر هذا الفقير وحبس وعُذْر وجرى عليه شيءٌ كثیر . فلم تطل مدة بعد ذلك بل توفي وكانت وفاته في السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقير الصالح ابو اسحق ابراهيم بن احمد بن اسعد الاصبجي اخو الامام علي بن احمد الاصبجي صاحب كتاب المعين . وكان مولده في شهر ربیع الاول من سنة احدى وتسعين وستمائة تفقه في بدايته بأخيه . ثم ارتحل الى این فقرأ على الفقير أبي بكر بن الأديب وتفقه في این وعدن ولحج وكان يتردد من هذه القرى للقراءة عليه . وانتفع بالقراءة عليه انتفاعاً كلياً . اخذ عنه المذهب والتتبیه والوسیط والللمع ثم عاد بلدہ واقام في المسجد بالذنبتين فقرأ مدة ثم اشتد به الفقر فعاد الى تعز فدرس بها في عدة من مدارسها . وفي آخر الامر درس في مدرسة الحمیرا . وكان متسلكاً تقیاً له دین متین ولم تعرف له صبوة . وكان من اهل المروءات . وتوفي يوم السابع عشر من شهر رمضان من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفي هذه السنة توفي القاضي يعقوب بن احمد بن الفاضل تفقه بابن الصريدح ثم يعبد الله بن ابراهيم بن علي بن عجیل واخذ الفرائض عن الفقیر علي بن احمد الحمیري . ثم ولاه القاضی علي بن محمد بن عمر قضاء المحالب وهو شاب فكان يحکی عنه سیرة المعجبین . ولما صار القضاة الى محمد ابن ابي بکر عزله وصادره مصادرة شديدة فاقام متريضاً في القحمة عقب المصادرۃ الى ان توفي وكانت وفاته في السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقیر البارع المحقق منصور بن علي بن عمر بن اسما عیل بن زید ابن حیی العزیزی لقباً الشعیی نسباً . وكان فقیرها عارفاً مجوداً شجاعاً له بصیرة في الصناعات كالخیاطة والنجراء وغيرها . وكان يقول الشعیر ایضاً وله قصيدة حسنة

في المعتقد يتبرأ فيها من كل معتقد يخالف الكتاب والسنة وعرضها على الفقيه صالح ابن عمر البريبي فارتضاها وأخذها عنه بان ترك بعض اصحابه يقرؤها بحضوره وحضره جماعة من اصحابه حينئذ واستخازوها منه . وكان قد اتقن النحو واللغة والفرائض والاصول والحساب . وامتحن في آخر عمره بقضاء الدملوة من قبل ابن الاديب وأقام عليه مدة مقتربة ثم توفي في مستهل المحرم اول السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي اخوه محمد بن علي بن عمر وكان من يخدم الدولة المؤيدية كاتب النساء وكانت له درية ثاقبة ويقول شعراً حسناً . وكان محب ابناء جنسه من الفقهاء والطلبة ويعتني بحواريجهم توفي في مستهل رجب من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل ابو عفان عثمان بن محمد المعروف بالشريعي وكان فقيهاً ظريفاً نفقه بمحمد بن علي القاضي وبابن عباس الشعبي . قال الجندي عنه اخذت غالب فقهاء تعز . وكان قد الف في ذلك كتاباً مختصراً قلما اخبرته بما جمعت اعجبه ذلك واعطاني ما قد جمعه فوجدته قد ذكر منهم جمعاً كثيراً لكنه لم يذكر ميلاداً ولا وفاة . وكان من خيار الفقهاء واعيائهم ومن يرجى بركة دعائه . وكان جميل الخلق كثير البشاشة درس في المدرسة الاسدية التي في تعز مدة طويلة . وكانت فاته ليلة الاحد السابع من صفر من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفيت الجهة الكريمة جهة دار الدملوة ابنة مولانا السلطان الملك المظفر شمس الدين يوسف بن عمر بن علي بن رسول وهي التي تسمى نبيلة . وكانت امرأة صالحة تقية بارة بأهلها محسنة الى من لاذ بها وابتنت مدرسة في مدينة تعز ومسجدًا في جبل صبر وابتنت مدرسة في مدينة زبيد وهي التي تسمى الاشرفية في جنوبى مسجد الميلين ووقفت على الجميع اوقافاً تقوم بكفاية الكل . وكانت مقيمة في حصن تعز حتى حصل بين المؤيد اخيها وبين ابن اخيه الناصر ابن الاشرف ما حصل فاستوحش السلطان منها وامرها بسكنى المدينة فنزلت من الحصن وسكنت في

ناحية المغاربة من مدينة تعز الى ان توفيت وكانت وفاتها في منتصف المحرم من السنة المذكورة رحمة الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل يوسف بن محمد بن مضمون . وكان قد ولد قضاء عدن من قبلبني محمد بن عمر فاقام على ذلك سنتين ثم فصلوه واقاموا عوضه الفقيه ابا بكر بن الاديب بن مضمون على حساب مال المستودع ومعرفة ما قبض منه وما صرف فقال له القاضي محمد بن علي بن مياس هذا امر ليس اليك وهذا يروح الى من ولاه يفتصل معه فخرج من عدن على كره منه فاقام مدة ثم امره قاضي الاقضية قاضياً في صنعاء فلم يزل بها الى ان ولد ابن الاديب القضاة الاكبر فعزله عن صنعاء فرجع الى بلاده متولياً بعض جهاتها فاقام بها الى ان توفي في مستهل جمادى الاولى من السنة المذكورة رحمة الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل ابو عبدالله يحيى بن محمد بن يحيى بن ابي الرجا ابن الحنان بن ابي القسم الحميري . وكان مولده سنة اربع وستين وستمائة . وكان فقيهاً عارفاً تفقه بابيه غالباً ودرس في اماكن كثيرة منها مصنعة سير ثم درس في مدرسة الحرة حلل بنخلان ثم انتقل الى مدرسة ضراس فلم يزل بها الى ان توفي غريقاً في البحر قاصداً للحج في شهر رمضان من السنة المذكورة رحمة الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل عبد الرحمن بن احمد بن عبدالله بن محمد بن يوسف ابن ابي الخل . وكان فقيهاً عارفاً بالتفسير والحديث وعلم الحقيقة طلع الى تعز مع جماعة من اهله يشكرون من بعض عمال المهمم الى السلطان الملك المؤيد فاشكاههم بعض الاشكاء ثم رجعوا قاصدين بلدتهم فمرض في الطريق فوصلوا به حيس وقد توفي في اثناء الطريق فقيرو عند ابن عمته احمد بن الحسن وكانت وفاته في السنة المذكورة رحمة الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه البارع ابو الخطاب عمر بن احمد بن عبدالله بن جعمان . وكان فقيهاً بارعاً وغلب عليه علم الفرائض وكان فيه محموداً توفي عائداً من الحج في مدينة حل ابن يعقوب . وكانت وفاته في السنة المذكورة رحمة الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الامام ابو العباس احمد بن الفقيه علي بن احمد الحرازي وكان مولده سنة ثلاٌث واربعين وستمائة تفقه بالفقىء عبد الرحمن الابنى وبابى شعبة واخذ عن ابى حجر وغيره . ولما قدم المقرىء عبد الله البكرowi اخذ علم القراءات وقرأ عليه الحروف السبعة وكان بها عارفاً واخذ ايضاً عن المقرىء شيئاً . وكان عارفاً بالفقىء واللغة والنحو والhadith وبظاهر الاصول . وكان من ابرك الناس تدریساً فلما قرأ عليه احد الا انتفع به لبركته وحسن تدریسه وانتفع به خلق كثير من عدن وغيرها . وامتحن بالقضاء لما ولی ابن الاذى القضاة الاكبر وكان من خيار اهل زمانه . ومن غريب ما يذكر عنه انه لم يعلم له صبغة وحجج . وكانت وفاته سحر ليلة الثلاثاء لسبعين من رجب من السنة المذكورة رحمة الله .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الصالح محمد بن ابراهيم بن سالم بن مقبل وكان فقيهاً فاضلاً مباركاً تفقه بالفقىء اسماعيل الخلي . وكان من اهل المروءات والحميات على ابناء الجنس والدين قدم سهنة فاخذ عن فقيهها واخذ عن ابى الحیر بن منصور وسيط الواحدى وعن صالح بن علي الحضرمي . وكان يروى عنه واليه هاجر ولد الامام ابى الحسن علي بن احمد الاصبجى فأنسه وبش له وتوسع له ولأهله عدة سنين حتى رجع ولد الفقيه الى بلده ولم يزل الفقيه على السيرة المرضية الى ان توفي بذى حيران ودفن مع اهلهما . وكانت وفاته في السنة المذكورة رحمة الله تعالى .

وفي سنة تسع عشرة وسبعمائة توجه السلطان الملك المؤيد الى الاعمال الشنامية فوق في الكدراء وعزل بعض النواب وامر آخرين . وكان القاضي صفي الدين مستمر الحكم في الدواوين . وفيها فوض السلطان الملك المؤيد الى الامير علاء الدين كشدغلي نيابة السلطنة والاتبالية على العساكر المنصورة وتقدم في هذه الوظيفة تقدماً لم يسمع بمثله وحصل بينه وبين القاضي صفي الدين صهره منافسة في الظاهر والباطن .

وفي هذه السنة ايضاً حصل من السلطان تغير على الامير شجاع الدين عمر ابن علاء الدين الشهابي فعزله عن وظيفته وقبض عليه وادعه السجن ونسب اليه

حدث من جهة الملك الناصر فأقام أسبوعاً في السجن ثم تحقق للسلطان براءته فاطلقه وحصل بين الامير شجاع الدين وبين القاضي جمال الدين منازعات طويلة وأحضر القاضي جمال الدين الى مقام السلطان جماعة يشهدون على الامير شجاع الدين بكلام كثير متعلق بالملك الناصر وحضر الملك الناصر يومئذ مقام السلطان ونفي عن الامير شجاع الدين جميع ما ذكر عنه وتحقق للسلطان ما كان من القاضي جمال الدين فخضب السلطان غضباً شديداً على القاضي جمال الدين وسلمه الى القاضي صفي الدين ليستخلص منه مالاً كثيراً فصادره مصادرة قبيحة .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الصالح محمد بن ابي الحسن بن احمد بن محمد بن عبدالله بن يوسف بن ابراهيم بن حسين بن حماد بن ابي الخل . وكان ابوه احمد بن محمد اول من درس منهم فلما هلك خلفه ابنه هذا محمد المذكور . وكان فقيهاً فرضياً زاهداً متورعاً . وكان تربباً لابن عمه احمد بن الحسن المذكور اولاً وبلغ عمره ثمانين سنة . ولم يتزوج . وكانت وفاته في السنة المذكورة رحمه الله تعالى . وفيها توفي ابن عميه وهو الفقيه الفاضل ابو عبدالله محمد بن علي بن عبدالله بن محمد بن يوسف وكان فقيهاً فرضياً نحوياً تفقه بأبيه وتوفي في السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل محمد بن عبدالله بن ابي السرور وكان فقيهاً صالحأً تقرياً خيراً وكانت وفاته رحمه الله تعالى في السنة المذكورة . وفيها توفي الفقيه الفاضل ابو الخطاب احمد بن عمر الحميري وكان فقيهاً فاضلاً زاهداً ورعاً ذا عبادة وامتحن في آخر عمره بالعمى . وكان تفقه على ابيه وتوفي رحمه الله تعالى في السنة المذكورة .

وفيها توفي الفقيه الفاضل ابو محمد عبدالله بن الحسن بن عطية بن علي بن عطية الشعدرى وكان ميلاده سنة احدى وخمسين وستمائة تفقه بعم ابيه احمد بن علي ابن عطية . وولي قضاء المهجم وانفصل عنه وكان قد ولـى المخلافة قبل المهجـم . ولـما فصل من المهجـم وـلى قضاء بلـده الى ان تـوفي في رجب من شـهـور سـنة تسـع عشرـة

وسبعينه رحمه الله تعالى .

وفي سنة عشرين وسبعينه مرض الامير علاء الدين كشندجي مرضًا شديداً افضى به الى الموت وحصلت مرافعات كثيرة على القاضي صفي الدين عبدالله بن عبد الرزاق . وحقق كتاب الدواوين في المقام السلطاني انه اخذ جملة من المال فعزله السلطان عن يد الاستيفاء وفوض الامر في ذلك الى الامير جمال الدين يوسف بن يعقوب بن الجواب . وكان اميراً كبيراً علي اهمة حسن الثاني وسأل من السلطان رحمة الله تعالى ان لا يجعل عقوبة احقر على يديه . وان منها تعين من المال للدواوين أمر السلطان امير خاندار باستخراجه وهذا اكبر دليل على خيره .

وفي هذه السنة المذكورة وصل القاضي الاجل محبي الدين يحيى بن عبد اللطيف التكريتي من الديار المصرية على طريق مكة المشرفة وأحضر الى مقام السلطان جوهراً كثيراً من الزمرد واللآلئ . وتقدم عند السلطان تقدماً حسناً . وأحل محل الوزارة . وسلم اليه السلطان من خالص ماله مائة الف دينار من المال الخالص على حكم التجارة . وكتب له الى عدن بخمسين الفاً فلما نزل الى عدن تصرف فيها تصرف المالك وكان قابضاً على الوزارة .

وفي هذه السنة ايضاً وصل الامير بدر الدين حسن بن احمد بن المختار الامام الفاضل العارف بعلوم الاوائل من الهيئة والهندسة وعلم المحسن . وكان مشاركاً في كل فن وضارباً في كل علم ينصيب . ولم يكن في البلاد المصرية ولا البلاد الشامية من يناسبه في معرفته مع اتساعها وفرح السلطان بوصوله فرحاً شديداً .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الصالح ابو اسحق ابراهيم بن ابي بكر بن عمر الانحنى وكان فقيهاً تقىاً ورعاً وكان اماماً في المدرسة الاشرافية بدبي جبلة توفي لخمس بقين في شهر رجب من السنة المذكورة رحمه الله تعالى :

وفي هذه السنة توفي الفقيه الفاضل ابو عبدالله محمد بن الحسن ابن ابي الرحمة ابن الجناب بن ابي القاسم الحميري . وكان مولده سنة سبع وثلاثين وستمائة وتفقه في بدايته بالفقية علي بن الحسن الأصبهي وبابن البانة . وهو اول من رتب في المدرسة

المظفرية طالباً مع الفقيه علي بن الحسن وولاه بنو عمران قضاء التاحية وتدرис مدرسة البرحة . فلما صار القضاء الىبني محمد بن عمر عزلوه . وكانت طريقته مرضية الى ان توفي في سلخ المحرم من السنة المذكورة رحمة الله تعالى .

وفيها توفي الامام العلامة عبد المؤمن بن عبدالله بن راشد البارقي ثم النهمي هكذا قال الجندي وذكر انه منسوب الى عرب يسكنون ناحية من بلدبني شهاب . ويعرفون ببني بارق نسبة الى عمرو بن برقة . وكان احد رؤساء العرب الذين قتلوا مع الحسين بن علي رضي الله عنهم . وكان عبد المؤمن المذكور من رسخ في السمعلة . وأقام فيها مدة طويلة الى ان صار ابن خميسن سنة . ثم تشكي في كونه على الحق ام على الباطل فجعل يزور المشاهد المشهورة . والترب المباركة . ويسأل الله تعالى ان يريه الحق حقاً ويرزقه اتباعه . فهالت نفسه الى الانتقال الى مذهب الامام الشافعي فحين علم الاسماعيلية بذلك شق عليهم . وهموا بقتله فتقدما الى القاضي وهو يومئذ عمر بن سعيد واخبره بقصته وانه يريد الدخول في مذهب الشافعي لكنه يخشى من الاسماعيلية . فقدم به القاضي عمر بن سعيد الى الامير علم الدين سنجر الشعبي وخبراه بالقصة فقال الامير علم الدين من سكب عليك كوز ماء سكبت عليه كوز دم فتاب على يد القاضي بحضوره الامير وأخذ منها العهود والمواثيق على حمايته وتوثق منها وخرج من فوره وتظاهر بترك السمعلة والدخول في مذهب اهل السنة . وجعل يسب الاسماعيلية ومذهبهم . ويدرك قبائح افعالهم فحين سمعوا منه ذلك سعوا في قتله اشد السعي لكن الدولة قهرتهم . وكان عبد المؤمن رجلاً مباركاً زاهداً ورعاً لازماً طريق القناعة غالباً اوقاته في مسجد الجامع بصنوعة حتى قيل انه لازم الاعتكاف اربعين سنة . وكان كثير التلاوة لكتاب الله في المصحف . وكان يقرأ كتب الحديث وقرأ بعض كتب اللغة وبداية الهدایة . ولم يزل على الطريق المرضي الى ان توفي في سلخ صفر من سنة عشرين وسبعيناً . وهي السنة المذكورة رحمة الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الصالح ابراهيم بن الفقيه علي بن ابراهيم البجلي وكان

ميلاده سنة ثلث وستين وستمائة تفقه بأبيه وكان من أعيان الفقهاء الفضلاء الأخذ عن أبيه . وكان أبوه يحبه حباً شديداً وبفضله . فسئل عن ذلك فقال كنت عند والدته حين وضع في الخيمة التي وضعته أمها فيها فحين سقط إلى الأرض أضاءت الخيمة وأنارت حتى اني عدلت جوانح الخيمة .

قال الجندي واخبرني الخبر بحاله انه كان من أخير أولاد الفقهاء ديناً وكرماً ومعرفة للفقه وعبادة غالب أيامه الصيام وليلاته القيام . وكان كثير الاطعام قل ما تلد الآخيار مثله . وتوفي على أكمل طريق مرضي ليلة الجمعة سابع عشر ذي الحجة من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الصالح موسى بن الفقيه الامام العلامة ابى العباس احمد بن موسى بن علي بن عجبل . وكان فقيهاً صالحاً فاضلاً ديناً خيراً تفقه بأبيه وكان مشهور الفضل والصلاح توفي يوم السادس من شعبان من السنة المذكورة رحمه الله تعالى . وفيها توفي الفقيه الصالح محمد بن عمر بن حشیر بضم الحاء المهملة وفتح الشين المعجمة وسکون المثناة من تحتها وكسر الباء الموحدة وآخره راء . وكان فقيهاً زاهداً ورعاً صاحب كرامات له في الحكمـة كلام عجيب . توفي في غرة ذي الحجة من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفي سنة احادي وعشرين وسبعين وصل القاضي محـيـي الدـيـن من عـدـن وحصل بينه وبين القاضي صـفـيـي الدـيـن مـرـافـعـاتـ كـثـيرـةـ . واتفق لـحـيـيـي الدـيـن اتفـاقـاتـ ليـسـتـ بـحـسـنـةـ فـقـصـ ذـلـكـ القـبـولـ منـ جـهـةـ السـلـطـانـ . وـكـانـ فـيـ ذـلـكـ يـطـلـبـ الـوـزـارـةـ وـيـجـتـهـدـ وـيـسـعـيـ فـيـ تـحـصـيلـهـ فـلـمـ الـحـ وـاـكـشـ قـالـ السـلـطـانـ كـلـاـ لـاـ وـزـرـ ثمـ اـرـادـ السـلـطـانـ انـ يـجـبـ خـاطـرـهـ فـأـرـكـبـهـ يـوـمـ الـعـيـدـ عـيـدـ الـفـطـرـ فـيـ مـوـضـعـ الـوـزـارـةـ وـرـكـبـ بالـطـرـحـةـ عـلـىـ عـادـةـ الـوـزـراءـ الـمـصـرـيـيـنـ .

وفي هذه السنة توفي الفقيه الفاضل عبد الرحمن بن ابى بكر بن سبا الشعبي وكان فقيهاً فاضلاً تفقه بـمـحـمـدـ بنـ اـبـيـ بـكـرـ الـاصـبـحـيـ وـتـزـوـجـ اـبـنـهـ وـهـوـ وـصـيهـ . وكان منصوبـهـ عـلـىـ اـوـلـادـهـ وـوـليـ قـضـاءـ بـلـدـهـ مـنـ قـبـلـ بـنـيـ حـمـدـ بنـ عـمـرـ مـدـةـ ثـمـ انـفـصـلـ

عنه وكانت وفاته في شعبان من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الفاضل ابو محمد عبدالله بن اسعد الحديقي نسبة الى قوم يقال لهم الأحدوق . وكان فقيهاً فاضلاً تفقه بالعماري وسكن قرية الحصابتين وكان صبوراً على اطعام الطعام واقرراً للآباء . عظيم العبادة الى ان توفي . وكانت وفاته في السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفيها توفي الفقيه الامام العلامة ابو العباس احمد بن علي بن عبدالله العامري الملقب جمال الدين وكان يعرف بالمدرس لطول اقامته على التدريس بالمهجم وشهرته فيه . وكان مولده سنة اربعين وستمائة وهي السنة التي توفي فيها الامام ابو الحسن علي بن قاسم الحكمي . وكان تفقه الامام جمال الدين بخاله الفقيه اسماعيل بن محمد الحضرمي . وأخذ عن الامام احمد بن موسى بن عجیل وهو من ابرك فقهاء تهامة تدریساً . واكثراً نشراً للعلم اخذ عنه جمع كبير وصنف عدة مصنفات منها شرح التنبیه شرحاً مفيداً اثنى عليه غالب الفقهاء وله شرح الوسيط ايضاً . وذكروا انه اقام على التدريس في المهجم نحواً من خمسين سنة . ولذلك كثر اصحابه وانتشر عنه الفقه وامتحن بقضاء المهجم من قبلبني محمد بن عمر . ثم لما صار القضاء الاكبر الى ولد الفقيه ابى بكر بن محمد بن عمر اليحيوي استدعاه فعزل نفسه حين وصله الطلب . وكان سهل الاخلاق لين الجانب سليم الصدر مشهوراً بالبركة وكانت وفاته في مستهل صفر من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

قال الجندي اخبرني الثقة ان بعض الفقهاء من الحضارم رأى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة موت الفقيه ورأى مع النبي صلى الله عليه وسلم صاحبيه ابا بكر وعمر والفقیه محمد بن اسماعیل الحضرمي وابنه اسماعیل فقال لجده محمد يا جد من هؤلاء معك يعني النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه فقال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ابو بكر وعمر جئنا جميعاً في طلب الفقيه جمال الدين فاستيقظ الرائي من نومه واذ به يسمع قائلاً يقول مات الفقيه جمال الدين رحمه الله تعالى . وفيها توفي الفقيه الفاضل ابو عبدالله محمد بن حسين وكان فقيهاً فاضلاً كريماً

النفس حسن الاخلاق وكان محفوظه من كتب الفقه الوجيز ولم يدرس في جامع القرية . وانتفع به جماعة وكانت وفاته يوم الجمعة التاسع من شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة رحمه الله تعالى .

وفي هذه السنة توفي السلطان الملك المؤيد رحمة الله عليه وكان قد عزم على النزول الى زبيد كجاري عادته في كل سنة فبرز الى قصر الشجرة فاقام فيه نحوأ من عشرة ايام بسبب مرض اصابه فلما اشتد به المرض وهو في قصر دار الشجرة امر ولده السلطان الملك المجاهد بطلوع الحصن ولم يكن له يومئذ ولد غيره فطلع الحصن آخر نهار الاثنين سلخ ذي القعدة من السنة المذكورة . وتوفي والده السلطان الملك المؤيد بعد نصف الليل من ليلة الثلاثاء اول ليلة من ذي الحجة . وقد ترك الامير جمال الدين يوسف بن يعقوب بن الجواد . وكان يومئذ نائب السلطنة واتباك العسكري واستاذ دار السلطان ونزل بنزوله جماعة من العسكري واعيان الامراء . فثبت ثباتاً حسناً وحفظ نظام السلطنة وضرب اركاناً على الشجرة الى آخر الليل وطلعوا بالسلطان المرحوم الى الحصن فحطوه في دار العدل وكان رحمة الله قد اوصى ان يغسله جماعة من الفقهاء منهم الفقيه الظفاري والبها الجاندار . وان تكون آلة الغسل كلها مدرأً يشتري من السوق وان يشتري كفنه من السوق فاشتري له ذلك كما ذكر . فكان اول شيء استنكره الناس من ولده المجاهد وحمل من دار العدل الى مدرسته التي انشأها في مغربة تعز دفنه بها وكان يوم دفنه يوماً مشهوداً فيها لها من مصيبة تركت العامة حيارى والخاصية سكارى :

خرجوا به ولكل بالٍ خلفه صعقات موسى يوم دك الطور
حتى أتوا جدائاً كان ضريحه في قلب كل موحد محفور
والشمس في كبد السماء مريضة والارض راجفة تقاد تمرُّ
وكان له من المآثر مدرسته التي انشأها في مغربة تعز المعروفة بالمؤيدية وجعل
فيها مدرساً ودرسة ومعيداً واماً ومؤذناً ومعلماً وايتاماً يتعلمون القرآن ومقرئاً يقرئ
القرآن بالسبعين احرف ووقف عليها من الاراضي والكرrom ما يقام بكفاليتهم ووقف

فيها خزانة من الكتب النفيسة وابتني في ايامه عدة من المأثر . فابتنت كريمه التي تسمى جهة دار الدملؤة مدرسة في مدينة زبيد ومسجدًا في تعز ومدرسة في ظفار الحبوسي ايضاً وجددت مسجداً في مدينة زبيد . وابتني الخازنadar مسجداً في مدينة تعز وهو الذي بين المغربة وعدينة وعنده الاخواض وبه تعرف الى الآن فيقال مسجد الخازنadar . وابتني الامير محمد بن ميكائيل الذي كان استاذ داره مدرسة في زبيد وهي التي قبالة باب الشبارق تم المجرى تحتها وهي الان خراب .

وكان السلطان الملك المؤيد ملكاً جباراً شجاعاً مقداماً شهماً جواداً . كريماً متلافاً . له في الشجاعة والجود فعارات مشهورة يعرفها الخاص والعام . وكان رحمة الله مشاركاً في كثير من العلوم قد اخذ في كل فن وشارك في كل علم وكان يحفظ مقدمة طاهر بن بايشاذ وكفاية المتحفظ في اللغة والجمل للزجاجي قراءة واحد التبيه ايضاً لابي اسحاق الشيرازي قراءة محققة وطالع الكتب المبوطة في كل فن وسمع الحديث النبوى من الشيوخ الموثوق بهم من علا سنه . واجازه الشيخ الامام المجل ابو العباس احمد بن محمد الطبرى شيخ السنة بالحرم الشريف في البخارى والترمذى وناوله صحيح مسلم واجازه في باقي الامهات على حكم روایته من الكتب التي سمعها واستجازها وما صنفه في كل فن وما وجد له . واختصر كتاب الجمهرة في التبرة وبين في مختصره ما لم يبينه صاحب الكتاب من عمل التدقيق ووصل الجناح وشرح طرده الى ابى فراس شرحًا شافياً وهي التي اولها :

ما العمر ما طالت به الدهور العمر ما تمّ به السرور
ونقل جانباً من اشعار الجاهلية والمخضرمين والمولدين . وجع من مصنفات العلم على اختلاف انواعها من علم قراءاتها وقرائتها وحديثها وفقهها واصولها وفروعها وحقيقة وادبها ومعرفة ایام عربها من تاريخها ونسبها واعشارها على اختلاف طبقاتها شيئاً كثيراً والله اعلم .

تمَّ الجزءُ الاول ويليه الجزءُ الثاني

محتويات الجزء الأول من كتاب العقود اللؤلؤية

**الباب الأول في ذكر انتساب الملوك بنى الرسول وكيف كان السبب في دخولهم اليمن
 واستقلالهم بالملك فيه (١ - ٤٤)**

الباب الثاني في ذكر قيام الدولة المنصورية وأسبابها (٤٤ - ٨٨)

الباب الثالث في أخبار الدولة المظفرية وفتحوها (٢٨٤ - ٨٨)

الباب الرابع في ذكر قيام الدولة الأشرفية الصغرى (٢٩٨ - ٢٨٤)

الباب الخامس في ذكر أخبار الدولة المؤيدية وما كان فيها (٤٤٢ - ٢٩٩)

مراجعة التصحيح

- « أنباء الغُبْر لأبناء العمر » لابن حجر .
- « تُغَرِّ عَدْنَ » لعبد الله الطيب بامخرمة المتوفى سنة ٩٥٥ هـ (مطبوع) .
- « الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة » للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى في سنة ٨٥٢ .
- « السلوك في طبقات العلماء والملوك » للبهاء الجندي المتوفى سنة ٧٣٣ هـ (مخطوط) .
- « صفة جزيرة العرب » للمهداوي المتوفى بين سنة ٣٥٠ و ٣٦٠ هـ (مطبوع) .
- « المسجد المسبوك في من ولي اليمن من الملوك » للخزرجي المتوفى سنة ٨١٣ هـ (مخطوط) .
- « قرّة العيون بأخبار اليمن الميمون » ، للحافظ الدبيع المتوفى سنة ٩٤٤ هـ : (مطبوع) .
- معلومات .